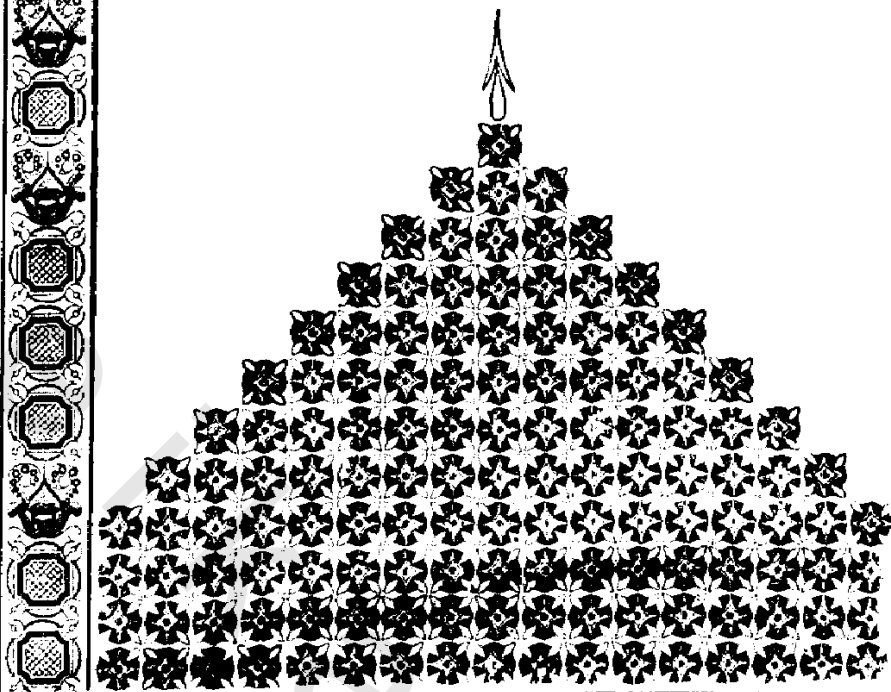


غرر الخبائص الواضحة وعرر النقائص القاضية للشيخ
الامام العلامة الاديب المتفنين أبي اسحق
برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي
الكتبي المعروف بالوطواط
رحمه الله تعالى

آمين



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي جعل اللسان عنوان عقل الانسان وآلة تطهر سر الجنان
 بفصيح العبارة وصريح البيان وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المجتبي من
 سرّة عذنان المبعوث بجوامع الحكم الشاملة لانواع البيان الباهرة
 بفصاحتها وقول ذوى الفطن والاذهان والخصوص بمحاسن الشيم الممتمة
 لمكارم الاخلاق ومزايا الاحسان والحائز في حلقات الاصطفاء قصبات
 الرهان وعلى الله وصحبه فروع شجرته الباسقة الافنان وفراقد سماء رسالته
 أعيان السادات وسادات الاعيان صلاة وسلاما دائمين هادام طرف القلم
 مقادا بعنان البنان * (وبعد) * فاني لما رأيت تغاير معاني الاخلاق
 دالا على تباین مبانی الاعراق والنفوس تتفاوت في ميلها الى أغراضها
 على حسب اختلاف جواهرها وأغراضها حداني غرض اختلج في سرى
 وأمل اعتلج في صدرى على أن أجمع كلاما في المحامد والمذام المتخلقة بها
 نفوس الخواص والعوام وأجعله كتابا يغنى اللبيب عن الخليل
 والندیم ويخبر بالحديث والقديم فشمرت عن ساق البلد وحسرت عن

ساعد الكثرة وعمدت الى حسان الكتب المجموعة في ضروب الادب
فتصفحت مضمونها وتلمعت فنونها واستفتحت عيونها واستبجت
ابكارها وعونها (وجهت في هذا الكتاب) من زواهر أسدافها وجواهر
أصدافها ملح فكاهات جلت عرائس المعاني في حال موشاة وأظهرت
نقائس المحاسن في أنواع من البراعة مغشاة وأزاهريان يغدو المتلفظ بها
غايات ويروح المتكفظم بها صاحب آيات وجعلته شاملا لمصايد شواردها
ناهلا من الفضائل أعذب مواردها محتويا من احراز اللفاظ على درر
منظومة تستفتح النواظر بلمحات سلكها ومن أسرار المعاني على سرر
محتومة تستروح الخواطر بنفحات مسكها

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدرر أوشمت لاغنت عن المسك
(وكسونه) من الاخبار برة رقيقة وأبدعت فيما أودعت فيه من الفكاهات
الرائقة البديعة من نوادر مطربات وأبيات مہذبات هي للاوراق شمس
مشرقات ولا لى أنوارها بارقات ألفاظها أرق من النسيم وأروق من
التنسيم (مفرد)

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت * فأضحت وعجم الطير فيها تغرد
(وجنبته) خرافات الاخبار ومطولات الاسمار لثلاث أسامه عند المطالعة
النفوس ولئلا يكون ذكرها وضحا في غرر الطروس (وجعلته ستة عشر بابا)
تسفر عن وجهه الابداع نقابا وجعلته امتضادة لتضادا الاخلاق والنسيم
وتباين الاقدار والهمم (كل باب يشتمل على ثلاثة فصول) في ثلاثة
معان تفك بلطائفها من أدهم الهمم كل قلب عان وهذه الفصول ثلاث
أجناس فصلت بلا لى أنواعها ومعاهد ايشاس نصبت أشرا للنفوس
برباعها فجاءت فصولا تعبر عن حسان فنونها ومعانيها وتعبر في وجه
عائبها وشانيها (وقدست) في أبواب المحامد فصلا في مدائحها ليتنسم
المتأمل عرف اليمن من فوائدها (وأبعثته) فصلا ثانيا فيما ذكر عن المتخلفين
بها من أزهار خاتل الاخبار وأبكار عقائل الافكار الفائقة باختبارها
درر الامثال السائرة الرائقة في اختيارها فهي عن غرر المقارن سافرة
(وعزرت) بثالث في ذم ممدوح من الاخلاق لسبب يطرأ عليها اذا البدو

يطرأ عليه الخسوف والمحاق والشئ بالشئ يعرف فيه ذكر بعد أن كان
 يجهل وينكر فربما تجاذبت الاحاديث أذيالها فطلبت من المنقأ أشكالها
 ولا غرو فالحديث كما يقال شجون وأحسنه ما جذل جده برقيق الهزل
 مقرون على أني لم آل جهدا في اضافة كل شئ الى ما يشاكله ويلائمه
 ويضاهيه في المعنى ويساهمه مما يجري في هذا الاسلوب ولا يخرج عن
 المقصود والمطلوب (ورببت) فصول أبواب المذاق على العكس من أبواب
 المحامد والمآثر وأطلعت في دياجي مساويها من محاسن الملح الانجم
 الزواهر ترتيبا لا يرتاب في جودته أريب وتقريرا يؤمن به من كل ما يريب
 فأبوابه على اختلافها بائتلافها في الحسن نظائر وبعضها لبعض ضرائر
 ان ازدهى الحسن بابا منها بتقسيمه ووصفه تنفس الآخر عن حسن ترصيعه
 وطيب عرفه (مفرد)

ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وسدته جهدي رجاء أن يصيب صميم الآمال والاعراض وخوف أن
 تصرفه النفوس عند النقد بالصد عنه والاعراض (ووسمته) بغر الخصاص
 الواضحة وعرر النقائص الفاضحة اسم يكون لعله أدبه طرازا معلما
 ويمكن أن أسرارهم معلنا ومعلما اذ الكتاب لا يعلم ما في باطنه الا من سمى
 عنوانه كما أن الانسان يعلم ما في قلبه من لفتات وجهه وفتات لسانه (وأنا
 راغب) لمن وقف على هذا الكتاب من سراة الايمان والكتاب القاطن
 أزهار الآداب من جنان الخواطر العاطفي نفاارا للباب في عنان النوادر
 أن لا يفوق لهدف الاختيار سهم الاختبار وأن يحدق اليه بصرا الاعتقاد
 عند الانتقاد فأى جواد لا يـكبو وأى مهند لا ينبو ومع هذا
 فان لسان التقصير عن القيام بالعدر قصير والمصنف وان استعان في
 تنقيح ما ألف بمالك وعقبيل معترض لطاعن وحاسد الا أن يتاح له عاذر
 ومقبيل (مفرد)

واني لا أرجو أن يفخم أمره * من الناس حرشأته الصفح والستر

(والله أسأل) أن يكسبه دلا معشقا يكون به لداء القلوب محظيا ويكسيه
 حسنا وورقا حتى يكون بعيون العقول مرعيا وللأفهام مرضيا وبه

أَسْتَعِين عَلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ فِيمَا نَحْوَتْ فَهُوَ الْمَعِينُ بِهَدَايَتِهِ لِتَحْقِيقِ مَا رَجَوْتُ
 (وَلَمَّا نَتَهَى) بِنَاجِوَادِ قَرِيحَتِنَا إِلَى غَايَةِ الْبَيَانِ عَنِ الْمُرَادِ وَحَازِ قَصَبِ السَّبْقِ
 فِي مَضْمَارِ النُّطْقِ بِالسَّدَادِ رَأَيْنَا صَوَابًا أَنْ نَعْقِبَهُ بِذِكْرِ مَقْدَمَةٍ فِي حَضْرَةِ
 الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّأْبِ فِي طَلَبِ الْمَعَالَى لِيُظْفَرَ بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ مِنَ الشَّرَفِ الْمُتَعَالَى
 تَكُونُ أَسْلَامًا قَصْدُ نَافِعِهِ التَّحْرِيرُ وَالتَّخْيِيرُ مِنَ الْكُشْفِ عَنْ مَاهِيَةِ الْإِخْلَاقِ
 وَحَقِيقَةِ مَعَانِيهَا وَكَيْفِيَةِ صُورِهَا وَمُبَانِيهَا بِقَوْلِ شَافٍ وَتَلْخِصِ كَافٍ
 وَهُوَ مِمَّا اخْتَرَنَاهُ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ الْأَعْلَامِ أَوَّلَى الْبَصَائِرِ وَالْإِحْلَامِ (قَالُوا)
 الْخَلْقُ عَادَةٌ لِلنَّفْسِ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ بِلَارُويَةٍ وَهِيَ نَوْعَانِ جَبِيلٌ مَحْمُودٌ وَقَبِيحٌ
 مَذْمُومٌ وَالْإِخْلَاقُ الْمَحْمُودَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزَةٌ فَإِنَّ الْبَاقِينَ
 يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهَا بِالرِّيَاضَةِ وَالْإِلْفَةِ وَيَرْتَقُوا إِلَيْهَا بِالتَّدْرِيبِ وَالْعَادَةِ فَانْهَمِ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَوْعَانِ عَلَى الْخَيْرِ مُطْبُوعِينَ صَارُوا بِهِ مُتَطَبِعِينَ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الطَّبِيعِ
 وَالتَّطْبِيعِ أَنَّ الطَّبِيعَ جَازِبٌ مَنَفْعًا وَالتَّطْبِيعَ مَجْذُوبٌ مَنَفْعًا تَتَّفَقُ
 نَتَائِجُهُمَا مَعَ التَّكَلُّفِ وَيَفْتَرِقُ تَأْثِيرُهُمَا مَعَ الْإِسْتِرْسَالِ وَقَدْ يَكُونُ
 فِي النَّاسِ مَنْ لَا يَقْبَلُ طَبِيعَةَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ وَلَا الْإِخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ وَنَفْسُهُ
 مَعَ ذَلِكَ تَتَشَوَّفُ إِلَى الْمُنْقَبَةِ وَتَتَأَفَّقُ مِنَ الْمُثَلَبَةِ لَكِنْ سَاطِنُ طَبِيعِهِ يَأْبَاهُ
 عَلَيْهِ وَاسْتِعْصَاؤُهُ مَعَ نَكَلْفِ مَا نَدَّبَ إِلَيْهِ يَحْتَارُ الْعَطْلُ مِنْهَا عَلَى التَّحَلِّيِ
 وَيَسْتَبْدِلُ الْحُزْنَ عَلَى قَوَاتِمِهَا بِالنَّسْلِ فَلَا يَتَقَعُّهُ التَّأْنِيبُ وَلَا يَرُدُّعُهُ التَّأْدِيبُ
 وَسَبَبُ ذَلِكَ عَلَى مَا قَرَّرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الْإِخْلَاقِ أَنَّ طَبِيعَ الْمُطْبُوعِ أَمْلَأُ
 لِلنَّفْسِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّهُ لَا سَتِيظَانَهُ أَبَاحًا وَكَثْرَةَ عَادَاتِهِ لَهَا وَالْأَدَبُ طَارِعٌ عَلَى الْمَحَلِّ
 غَرِيبٌ فِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طَبَاعَ سُوءٍ * فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أَدَبُ الْأَدِيبِ

(وَقَالَ آخَرُ)

وَمَنْ يَتَدَعِ مَا لَيْسَ مِنْ خَيْمِ نَفْسِهِ * يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خَيْمُهَا
 وَأَمَّا الَّذِي يَجْمَعُ الْفَضَائِلَ وَالرِّذَائِلَ فَهُوَ الَّذِي تَكُونُ نَفْسُهُ النَّاطِقَةُ
 مَتَوَسِّطَةً الْحَالِ بَيْنَ اللَّوْمِ وَالْكَرَمِ وَقَدْ تَكْتَسِبُ الْإِخْلَاقَ مِنْ مَعَاشِرَةِ
 الْإِخْلَاءِ فَإِنَّ صَلَاحَهَا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْكَرَامِ وَفَسَادُهَا مِنْ مَخَالَطَةِ الْمُنَافِقِينَ
 وَرُبَّ طَبِيعٍ كَرِيمَةٍ أَفْسَدَتْهُ مَعَاشِرَةُ الْأَشْرَارِ وَطَبِيعٍ لُئِيمَةٍ أَصْلَحَتْهُ مَعَاشِرَةُ

الاخبار (وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين
خليله فلينظر أحدكم من يخال (وقال علي) رضى الله عنه لولده الحسن الاخ
رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه وقال بعض الحكماء في وصية لولده يابن احذر
مقارنة ذوى الطباع الرذولة للثلايسرق طباعك من طباعهم وأنت لاتشعر
ثم أنشد

واصحب الاخبار وارغب فيهم * رب من صاحبه مثل الجرب
فاذا كان الخليل كريم الاخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن
الشيم يقتدى وبخبر رشده في طرق المكارم يهتدى واذا كان سيئ الاعمال
خيث الاقوال كان المعتب به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب
والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بهتذيب خلأته
ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله وجميد طرائقه ويكث في الهواجر
ويسهر الليالي الى أن يرتقى شرفات المجد والمعالي فقد قيل من شمر عن ساق
الجد وجد مفتاح الجد ومن كلام الله العلي لا يحصل برد العيش الا بجز
النصب ولله در الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي حيث قال
سأعرض كل منزلة * يعرض دونها العطب
فان اسلم رجعت وقد * ظفرت وأنجح الطلب
وان أعطب فلا عجب * لكل منية مسبب
(وقال عمرو بن العاصي) المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان
وضعها انضعت وقال الشاعر

وما الحزن الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل
وقال بعض الحكماء النفس عروق غروف ونفورا لوف متى ردها
ارتدعت ومتى جلتهما جلت وان أهملتها فسدت وقال الشاعر
صبرت على اللذات حتى توت * وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وجزعتها المكروه حتى تجردت * ولو جلته جملة لاشمأزت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت ناقت والانسلت
وكانت على الآمال نفسي عزيزة * فلما رأيت عزمي على التزلزلت
(وقال آخر)

والنفس راغبة اذ ارغبتها * واذا تردت الى قليل تقنع
 (وقالوا) الفخر بالنفس والافعال لا بالاعمام والاخوال (وقالوا) الشرف
 بالهمم العالية لا بالرّم البالية (وقال عامر بن الطفيل)
 واني وان كنت ابن فارس عامر * وفي السر منها والصريح المذهب
 فاسودتني عامر عن ورائه * أفي الله أن أسمى بأم ولا أب
 ولكنني أحى جاهها وأتقى * أذاها وأرى من رماها بمقنب
 (وقال أبو الطيب المتنبي)

لا بقوى شرفت بل شرفوا بي * ويجتدي فخرت لا يجودى
 (وقالوا) كن عصاميا لا عظاميا ومعناه لا تفخر بشرف آبائك ولكن بما
 يؤثر من أبنائك وعصام المشار اليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان
 ابن المنذر فسئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية والرتبة
 الحالية فقال

نفس عصام سؤدت عصاما * وعلمته الكثر والاقداما * وصيرته ملكا هماما
 (وقالوا) شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا جد لمن شرف نسبه
 وسخف أدبه (يحكي في هذا) أن رجلا من بني هاشم تخطى رقاب الناس
 في مجلس أجد بن أبي دؤاد فقال له أجد يابني الادب ميراث الاشراف ولست
 أرى عندك من سلفك ميراثا فاستحسن كلامه من حضر مجلسه (شاعر)
 واذا اقتخرت بأعظم مقبورة * قالنا بين مكذب ومصّدق
 فأقم لنفسك في اتسبك شاهدا * بجديت مجد للقديم محقق

(اخر)

اذا ما الحى عاشر بذكر ميت * فذاك الميت حي وهو ميت
 ومن يك بيته بيتا رفيعا * وهدمه فليس لذلّ بيت

(ابن الرومي)

وما حسب الموروث لا ذرّته * يفيد القى الاباخر مكتسب
 فلا تسكل الاعلى ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
 وليس يسود المرء الابنفسه * وان عدا آباءك اذوى حسب
 اذا المرء لم يثمر وان كان شعبه * من المثرات اعتده الناس في الخطب

(وقال آخر: يجوز جلا شريفنا)

من كان يعمر ما شادت أوائله * فأنت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق أن تأتي فعالهم * وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

(وقال آخر)

يزين الفتي أخلاقه ويشينه * وتذكر أخلاق الفتي وهو لا يدري

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

واني رأيت الوسم في خلق الفتي * هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

(وقال أبو الطيب مقتنيا أثره ومصدقا خبره)

وما الحسن في وجه الفتي شرفه * اذ لم يكن في فعله والخلاق

وقال بعض من له في الحكمة فصل المقال منها على ما تدر لئله رتبة الكمال
الانسان التام من نزع عن نفسه رتبة المساوى والملاوم وبذبحه
المساوى والمقاوم وهذا الحد قلما ينتهى اليه انسان واذا انتهى الانسان
الى هذا كان بالملائكة أشبه منه بالناس لان الانسان مضروب بأنواع
الشر مستول عليه وعلى طبعه ضروب النقص والكمال وان كان بعيدا
لا ينال فانه ممكن وذلك ان الانسان اذا صرف عزمته وأعطى الاجتهاد
حقه كان ممكنا وهو أن يكون راغبا بجميع مناقبه وخصائصه متيقظا
لصرف معاليه ونقاؤه وارادة طرائقه شرعة المكارم الصافية رافدة
خلاتقه في أبراد المحامد الصافية مستعملا كل فضيلة متجنباً كل رذيلة
مجتهدا في بلوغ القصوى وقع النفوس عما تحب وتهوى عاشقا للصورة الجمال
مستلذا بحاسن الخلال يرى الكمال دون محله والتمام أقل أو صافه
ونبله فقد قيل قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون انسانا
أو انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا (قال المتنبي)

ولم أرفى عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام

(وقال علي بن مقلة)

واذا رأيت فتى بأعلى قمة * في شامخ من عسرة المترفع

قالت لى النفس العروف بفضلها * ما كان أولانى بهذا الموضع

(والمنهج القويم) الموصل الى الثناء الجليل أن يستعمل الانسان فكره وتمييزه

فما ينتج عن الاخلاق الحمودة والمذمومة منه ومن غيره ومن أخذ نفسه
بما استحس منها واستملح وصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل له
كذلك تهذبا وتاديبا لنفسك تزلما كرهه الناس من غيرك (وقيل لعيسى
عليه السلام) من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته
إذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك
وليس على المجد والمكرمان * إذا جئتها حجب يحجبك
(وقالوا) من نظرفي عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الاحق
بعينه

لا تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيا وأتى مثله * فأنمادل على جهله
(ويقال) الانسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز ويضارع البهيمة بقوة
الشهوة والغذاء فمن صرف همته الى رتبة الفكر والتمييز حتى يرى بهم ما عاقبة
فعله فحقيق أن يلحق بالملائكة فيسمى ملكا لظاهرة أخلاقه ومن صرف همته
الى رتبة القوة الشهوانية بايقار اللذة البدنية يأكل كاتنا كل الانعام فحقيق
أن يلحق بالبهائم فيصير اما غمرا كثور أو شرها كخنزير أو ضريا ككباب
أو حقودا كحمل أو متكبيرا كتمر أو رواقا كعلب أو جامعاً لذلك
كشیطان ولقد صدق من قال

وإذا الفقى ساس الامور بعلمه * وأعين بالتأديب والتهذيب
سمت الامور به فيبرز سابقا * في كل حال مشهد ومغيب
(اللهم) كما خلقت الانسان بقدرتك في أحسن تقويم وأعلينه باختصاصك
له ذروة التكريم وهديته بآراءك فجدى الخير والشر وصرفته بقضائك
في عنائي النفع والضر روض اللهم جوامع نفوسنا الى اقتناء أثر الاكارم
واقتنا ما يبعث على حمدنا من صنوف المكارم وذد اللهم سوائهم طباعنا عن
مرايع الملاوم ومرايع ما يتوجه به علينا لوم اللوائم فاليك الخذلان
والعون وبذلك أزيمة المكان والكون (وهذا) أو ان اشفاق كائن هذا
الكتاب عما أكنسته من زهرات الاداب واهتصار أفنان فنونه الدانية
القطاف المتسقة بأنواع التحف والالطاف

* (الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان
الفصل الثاني في ذكر الصنائع والمآثر المنصحة عن احساب الاكابر
الفصل الثالث في ذم التخلق بالاحسان اذ لم يوافق القلب اللسان

* (الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في ذم من ليس له خلق وما اتصف به من قبيح الاخلاق
الفصل الثاني في ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضع
الفصل الثالث في أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع

* (الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله
الفصل الثاني في ذكر أنواع الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد
الفصل الثالث في أن هنوات العقول لا يغضى عنها ولا تقال

* (الباب الرابع في الحق وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في ذم الجهالة والجنون وما اشتمل عليه من الفنون
الفصل الثاني في ذكر النواذر الصادرة عن مجانب البادية والحاضرة
الفصل الثالث في احتجاج الارب المتحامي على أن الحق أركى الخلائق

* (الباب الخامس في الفصاحة وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في أن الفصاحة والبيان أزين ما تحلت به الاعيان
الفصل الثاني فيما يتجلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء
الفصل الثالث في أن معرفة حرفة الادب مانعة من ترفي أعالي الرتب

* (الباب السادس في العي وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول فيما ورد عن ذوى النباهة في ذم العي والفهاهة
الفصل الثاني فيمن قصر باع لسانه عن ترجمة ما في جنانه
الفصل الثالث في أن اللسان المكثار لا يأمن أفة الزلل والعثار

* (الباب السابع في الذكاء وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان

الفصل الثاني في ذكر البداهة البديعة والاجوبة المفعمة السريعة
الفصل الثالث فيمن سبق بذ كانه وفطنه الى ورود حياض منيته

*(الباب الثامن في التغفل وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في ذم البلادة والتغفل من ذوى التعالى والتزل
الفصل الثاني فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادراخبارهم المستظرفة
الفصل الثالث في أن أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبله

*(الباب التاسع في السخاء وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمالك
الفصل الثاني في ذكر منخ الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد
الفصل الثالث في ذم السرف والتبذير اذ فعلهم ما من سوء التدبير

*(الباب العاشر في البخل وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في ذم الامسالة والشح وما فيهما من الشين والقبح
الفصل الثاني فيما استملح من نوادر المجملين من الاراذل والمجملين
الفصل الثالث في مدح القصد في الانفاق خوف التعيير بالاملاق

*(الباب الحادى عشر في الشجاعة وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في مدح الشجاعة والبرالة وما فيهما من الرفعة والجلالة
الفصل الثاني في ذكر ما وقع في الحروب من شداثد الازمات والكروب
الفصل الثالث في ذم التصدى للهلكة ممن لا يطبق بها ملسكة

*(الباب الثانى عشر في الجبن وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في أن خلتي الجبن والقرار مما يشين بنى الاحرار
الفصل الثاني فيمن جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء
الفصل الثالث فيمن ايم على القرار والاحجام فاعتذر بما يتقى عنه الملام

*(الباب الثالث عشر في العفو وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الاول في مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو
الفصل الثاني فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسى الاعذار
الفصل الثالث في ذم العفو عن أساء واتهك حرمان الرؤساء

* (الباب الرابع عشر في الانتقام وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الأول في التشفي والانتقام ممن أحضر قسرا في المقام
الفصل الثاني في ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب
الفصل الثالث في أن الانتقام لحدود الله خير فعلا من حكمه الله وولاه

* (الباب الخامس عشر في الاخوة وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الأول في مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان
الفصل الثاني فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة
الفصل الثالث في ذم الثقيل والبغض بما استحسن من الثرو والقريض

* (الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الأول في ذم الاستئناس بالناس لملون الطباع وتناسي الاجناس
الفصل الثاني فيما يحض عن الوحدة والاعتزال من ذميم الخلائق والخلال
الفصل الثالث فيما يحتم به هذا الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويحجب

* (الباب الأول في الكرم وفيه ثلاثة فصول) *

* (الفصل الأول من الباب الأول) *

(في وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان)

(قال الله تعالى) ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم)
ليس في الميزان شيء أثقل عند الله من الخلق الحسن وما حسن الله خلق رجل
وخلقه فأدخله النار (وقال علي كرم الله وجهه) نعم الحسب الخلق الحسن
(وقال الحسن البصري) سعة الاخلاق منحة من الله فاذا أراد الله بعبد خيرا
منحه خلقا حسنا (وقال عليه الصلاة والسلام) من لانت كلمته وجبت محبته
وحسنت احواله وطمئت القلوب الى لقائه وتنافس في مودته (وقالوا)
أحسن الشيم ما تشام منه بارقة الكرم (وأوصى حكيم ولده) فقال يا بني
إن مكارم اخلاقك تدل على شرفك وطيب أعراقك (سمع) بعض الاعراب
يقول لولده

أبني إن البرئ شي عمين * وجه طليقي وكلام لين

وفي بعض الكتب القديمة الاخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة

(وقالوا)

(وقالوا) من حسنت أخلاقه درت أرزاقه (وقيل لبعض الأدباء) متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال إذا اتقى من خلقه وجاد بمأزره واختار من القول أصدقه وحسن في كل الأحوال خلقه فذاك الذي أنهج إلى الكمال طريقه (ويقال) إن في التوراة يقول الله تعالى يا موسى ليكن وبهك بساماً وكلاماً ليئلا تسكن أحب إلى الناس وإلى من يعطيهم الذهب والفضة (وقال) ابن الرومي

له محيا جميل يستدل به * على جميل وللبطنان ظهران
وقل من أضمرت خيرا طويته * الاوفى وجهه للخير عنوان
(وما أصدق قول القائل)

وما اكسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق
(وفي بعض الآثار المروية) عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يا رب أمهلت فرعون أربع مائة سنة يكذب رسلك ويجحد آياتك فأوحى الله إليه أنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحييت أن كافئه

* (وعلى ذكر الحجاب وإن لم يكن من الباب) *

كانت العرب تقول ما شئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لأن الرعية إذا وثقت من الولاية بسهولة الحجاب أجمت عن الظلم وإذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوى الضعيف فخبر خلال الولاية سهولة الحجاب

* (وصف أخلاق أهل الوفاق) *

فلان خلقه كنسيم الاسبحار على صفحات الانوار * أخلاق قد جعت
الحرية أطرافها وفرشت المرواة كافها * أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على
محبتة وتؤلف الآراء المشتتة في مودته * أخلاق هي المسك لولا فأرته
والورد لولا مرارته والماء لولا اسرعه إلى الكدر والروض لولا حاجته
إلى المطر قد جع شرف الأخلاق إلى طيب الاعراق

له خلق على الأيام يصفو * كما رقت على الزمن العقار

(آخر)

خلق سهول المكرمات سهوله * وتوعر الأيام من أوعاره

ان لاح فهو الصبح في أنواره * أوفاح فهو الروض في تواره

(المتنبى)

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كمارق النسيم شمائله

(اخر)

موفق اسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب

تسموا اليه عيون كلما انقرجت * للناس وجهة الابواب والحجب

له خلائق يرض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

* (عنون من مكارم الاخلاق الدالة على طيب الاعراق) *

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وهو ما أوصاه به ربه عز وجل في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وناطقه بشغاف قلبه أثنى على فعله بقوله تنويعاً بفضله الجسيم وانك لعلى خلق عظيم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عن ظلمه وأعطي من حرمه (وقال الحسين) بن مطير يفتخر

أحب مكارم الاخلاق جهدى * وأكره ان أعيب وان أعابا

وأصفح عن سباب الناس حملاً * وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهبسوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(وقال الاخنف بن قيس) واسمه الضحالك وقيل صخر لنبهه ألا أدلكم على

المحمدة الخلق السميع والكف عن القبيح (وقال أكنم بن صيفي) لولده يابني

ذلوا أخلاقكم للمطالب وقودوها على المحامد وعلوها المكارم ولا تقبوا

على خلق تذهونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجرديا بسكم

المهبة ولا تعتقدوا البخل فتعجلوا الفقر (وقيل) لحممة بن رافع الدوسي من

أكرم الناس قال من اذا قرب مني واذا بعد مدح واذا ظلم صفح واذا

ضويق سمح (وقالوا) من الاخراق التي تزين ولا تشين وتحض على المكرمات

وتعين نشر البشر وتزل الكبر ونصر الحز وسلامة الصدر (وقال) جعفر بن

محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعاً عند الضيق وأعدلهم حملاً عند

الغضب وأبسطهم وجهاً عند المسئلة وأرحمهم قلباً اذا سلط وأكثرهم صفحاً

إذا قدر (وقال عامر العدواني) يا معشر عدوان الخير ألو ف عرف وانه
 لن يفارق صاحبه حتى يفارقه واني لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم (وقال)
 يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فان الذم قلبا ينحو منه أحد ومن رغب في
 المكارم صبر على المكاره واجتنب المحارم (ويقال) المكارم موصولة
 بالمكاره فمن أراد مكرمة احتمل مكرها وقال أبو الشيص

عشق المكارم فهو معتمد لها * والمكرمات قليلة العشاق
 وأقام سوقا للثناء ولم يكن * سوق الثناء يعتد في الاسواق
 بث الصنائع في البلاد فأصبحت * يحجي اليه مكارم الاخلاق
 (وقال أبو الطيب المتنبى)

تلذله المرواة وهي تؤذى * ومن يعشق بلذله الغرام
 (ولله در القائل)

الحمد شهد لا يرى مشواره * يجنيه الامن تقبّع الحنظل
 غلّ لحامله ويحسبه امرؤ * لم يوه عاتقه خفيف الحمل
 (وقال علي بن الفضل)

لو قرب الدر على جلاله * ما نجح الغائص في طلابه
 ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه
 ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه * الا وراء الهول من عبابه
 من يعشق العلباء يلتقي عندها * مالتى الحب من أحبابه
 (وقال الشاعر)

دعني أنل ما لا ينال من العلا

فصعب العلا في الصعب والصعب في السهل

تريدن ادراك المعالي رخصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل

(وقال الاشعث بن قيس) واسمه معديكرب لقومه انما أنا رجل منكم ليس لي
 فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم
 وأقضي حقوقكم وأعود مريضكم وأشبع جئناؤكم فمن فعل مثل هذا
 فهو مثلي ومن زاد عليه فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه قيل له
 وما هذا قال أحضكم على مكارم الاخلاق

* (ومن روائع عادات السادات ووشائع سادات العادات) *

السخاء والتجدة وال مرواة فالسخاء التبرع بالنائل قبل الحاف السائل
والتجدة الذب عن الجار والاقدام عند الكريمة والمرواة حفظ الرجل
دينه واحراز نفسه عن الدنس الى غير ذلك من الاخلاق الجميلة التي هي بالمدح
كفيلة وسنذكر جملة منها فيما سيأتي (وقيل) أسباب السواد سبعة العقل
والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الامانة وأضيف الى ذلك
الصبر والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة هي لمحاسن الشيم شاملة (وقال)
ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحابة أسود من معاوية
فقبيل له أهو خير من أبي بكر وعمر قال هـ ما خير منه وهو أسود منهم ما لحلمه
وجوده فانا عشرين قرين نعتا الحلم والجود السواد (ويحكى) أن رجلا رأى
معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال اني أظن هذا الغلام سيسود قومه
قالت أمه ههنا نكته ان كان لا يسود الا قومه (وقيل) السيد من أورى ناره
وجى معاره ومنع جاره وأدر له ناره (وقال النبي صلى الله عليه وسلم)
اضمنوا الى ستا ضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم
وأدوا الامانة اذا اتقنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا
أيديكم (وذكر) أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن
العاص فسلم ثم جلس فلم يلبث أن قام فل معاوية ما أكل مر واة هذا الفتى
قال عمرو انه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر
اذا لقي وبأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث
وبأيسر المونة اذا حواف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من
لا يرجع الى دينه وترك مخالطة لثام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر
منه (وقال هشام بن عبد الملك) لحالد بن صفوان بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ
قال ان شئت أخبرتك بخلة واحدة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث قال فما
الخلة قال كان أقوى الناس على نفسه قال وما الخلتان قال كان
موقى الشر ملقى الخير قيل فما الثلاث قال كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغي
(وقال رجل للاحنف) بم سؤدك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا بأصحبهم
وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي قال وما ذلك قال

بتركى من أمره ما لا يعينى كما عساه من أمرى ما لا يعينك (وقال) عبد
 الملك لبنيه كلكم يترشح لهذا الامر ولن يصلح له الا من كان له سيف مسلول
 ومال مبذول ولسان معسول وعدل نطمئن اليه القلوب وأمن تستقر به
 في مضاجعها الجنوب (وقيل لقيس بن عاصم المنقري) بمسدت قومك قال
 يئذل القرى وترك المرا ونصرة المولى * وروى على رضى الله عنه قال لما
 أتينا بسبايا طي كانت في النساء جارية هيفاء سمراء كحلا ملباء نجيفة الخصر
 هضبة الكشح مصقولة المتن فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أفستق
 بمقالها مارأيتها من جمالها فكان من كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد
 وغاب الوافد فان رأيت ان تمن على وتخلي عني ولا تشمت بي أحباء العرب
 فاني ابنة سيد قومها ان أبى كان يحسمى النمار ويفك العاني ويشبع الجائع
 ويكسو العارى ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة
 والسلام من أبوها قالوا حاتم طي فقال عليه الصلاة والسلام لو كان أبوها
 مسلما لترجنا عليه خلوا عنها فان أباه كان يحب مكارم الاخلاق ثم
 قال للمسلمين ما حازت أسننها وحوته أعنتها غير التهمة والابضاع فلو فعلوا
 لفعلت فقالوا يا رسول الله أمرنا الامر لا تبع فاصنع ما بدالك فقال أعلى
 أصحابي وأهلك أعدائي وأبدل الانصار بالمضاضة غضاضة وأطلقها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى أخيهاعدى وكان بدومة الجندل فقالت
 أتت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني رأيت هديا ورأيت استغلب به أهل
 الغلب رأيت خصالا أعجبتني رأيت به يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم
 الصغير ويعرف حق الكبير وما رأيت أحدا أجود منه ولا أكرم
 صلى الله عليه وسلم (وقال معاوية) لا ينبغي للملك أن يكون كذا با ولا حديدا
 ولا بخيلا ولا جبانا ولا حسودا فانه ان كان كذا با و وعد بخير لم يرج أو وعد
 بشر لم يخف وان كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية وان كان بخيلا
 لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالنصحة وان كان جبانا اجتراء عليه عدوه
 وضاعت ثغوره فذل وان كان حسودا لم يشرف أحد او لا يصلح الناس
 الا بإشرافهم (ويقال) ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء حاجته
 وليس له أن يكذب لان أحد يستتره حديثا ولا أحد يكرهه على ما يريد

وليس له أن يكون حقود إلا أن خطره عظيم عن المجازاة (وقال) عبد الله بن
 طاهر لا ينبغي للملك أن يظلم وبه يستدفع الظلم ولا أن يعجل ومنه تلمس الأناة
 ولا أن يعجل ومنه يتوقع الجود (وقالوا) ينبغي للملك أن يكون سخيا لا يبلغ
 التبذير وحافظا لا يبلغ الجمل وشجاعا لا يبلغ التهور ومحتدما لا يبلغ الجبن وقائلا
 لا يبلغ الهذر وصمرا لا يبلغ العي وحليما لا يبلغ العجز (وقال) اسماء ابن
 خارجة لأشاتم أحدا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أولئيم أستر عرضي
 منه * وروى البيهقي في كتابه شعب الإيمان بإسناده عن عائشة رضى الله عنها
 أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق عشرة تكون
 في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في أبيه وتكون
 في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن شاء من عباده صدق الحديث
 وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمواساة
 بالنائل والمكاناة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتدزم للجار
 وقرى الضيف ورأسهن الحياء * ومن أخلاقهم صون الوجه بقناع الحياء
 وعقل اللسان عن اللجاج والمرء الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل
 الدريج وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكاسل من كان فيه نظم
 قلائد المحامد ونسق وجمع من خلال الكمال ما انترق (قال) رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إن لكل شئ خلقا خلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان في الجنة وقال الحياء لا يأتي
 الا بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء
 قبل كيف ذلك يا رسول الله قال من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى
 وذكر الموت والبلا وتربى زينة الحياة الدنيا وأثر الآخرة على الاولى
 فن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء * فالحياء اسم جامع يدخل فيه
 الحياء من الله تعالى لأن ذمته فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (وقال) يزيد
 ابن علي اني لاستحيي من الله تعالى ان أفضى اليه بشئ أخفيه من غيره والحياء
 من الناس يكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالتبج (ويروى) عن النبي صلى
 الله عليه وسلم انه قال من تقوى الله اتقاه الناس * وقبل هو أن يستحيي منهم
 في سره كما يستحيي منهم في جهره (وقيل) من المرواة أن لا تعمل شيئا في السر

يستحي منه في العلانية * وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحي منه (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك عليك بالحياء والافتة فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت الحساسة * وأما استحياء الرجل من نفسه فهو أن لا يأتي في الخلاء الا ما يأتي في الملا * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه * وكان عثمان بن عفان قد خص من الحياء بأجل السهام ومنع منه بأوفر الاقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم بأنه تستحي منه الملائكة الكرام (قال) الامام مالك رضي الله عنه انه أقول من ضرب الابنية في السفر * وقالوا من لا يستحي من نفسه فخير أن لا يستحي من غيره * وقالوا في حدة الحياء التوفى من فعل المساوى خوف الذم * ويقال الحياء خوف المستحي من تقصير يقع به من غير من هو أفضل منه (وقال عمرو بن بجر الجاحظ) الحياء لباس سابغ وجاب واق وستر من العيب وأخواله فان وحليف الدين ورقب من العصمة وعين كائنة تذود عن الفحشاء وتنهى عن ارتكاب الارجاس وسبب الى كل جميل (وقالوا) من عفت أطرافه حسنت أوصافه (ويقال) لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترض عقله ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه فان ابن ادم مجبول على أشياء من كرم ولوم فاذا قوى الحياء قوى الكرم واذا ضعف الحياء قوى اللوم (وقال) بشار بن برد

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فتركها وفي بطني انطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
(وقال بعض الاعفاء)

ورب قيحة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

(وقالوا) لا يزال الوجه كريما مادام حياؤه ولم يرقى باللباح ماؤه * وقالوا حياة الوجه بحياؤه كما أن حياة الغرس بمانه (وقال ابن المعتز) في كتاب الادب من كساه الادب ثوبه ستر عن الناس عيبه * وقالوا فلان يتحدر من أسارير وجهه ماء الحياء وينزل لا غرته حنادس الظلماء (وقال) الفرزدق

في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم
يقضي حياء ويغضي من مهابة * فلا يكلم الا حين يتسم
(ليلى الاخيلية في توبة الجبري)

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللثام رأته * تحت اللواء على الخيل زعيما
(ولابن المعتز)

ويظل صباغ الحياء بجذته * تعباً يصفر تارة ويورده
(وقال آخر)

كريم وغض الطرف بعض صفاته * ويدنو واطراف الرماح دوان
(جوامع ممدوح الاخلاق والشيم المتحلية بها ذوو الاصاله والكرم)

(مدح اعرابي رجلا فقال) كان والله تعباً في المكارم غير ضال في طرقها ولا
متشاغل بغيرها عنها * وقال آخر فلان لو وجد الكرم في يد غيره لعلم أنه ضالة له
* ومدح اعرابي رجلا فقال كان والله صحيح النسب محكم الادب من أي
أقطاره أتيت به اثني اليك بكرم فعال وحسن مقال * وذكر اعرابي رجلا
فقال كان اللسان والقلوب ربيضة له فلا تنعقد الا على وده ولا تنطق الا
بثنائه وجده * وقالوا فلان من شجر لا يختلف ثمره ومن ماء لا يأتلف كدره
(وسأل) يحيى بن خالد رجلا عن ابيه الفضل فقال تركته وماء الحياء يتحد من
أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولا تلى العلم منشرة
من مسارب منطقته * نظم هذه الكلمات ابراهيم بن هلال الصابي في أبيات
مدح بها الوزير المهلب

له يدبرعت جوداً بنائلها * ومنطق درّه في الطرس منثر
خاتم كامن في بطن راحته * وفي أناملها سحبان مستتر
(وقال زرعة بن سنان مادحا)

مآثره غر وأيامه زهر * وطلعت به درو راحته بجر
وهذا غاية في التقسيم (وقال ديك الجن) يفتخر بنبل ذلك
أن العلاشي والبأس من نقمى * والمجد خلط دمي والصدق حشوفي
(وقال النمر بن نوار مفتخرا)

لا يعلم اللامعات اللامعات ضحى * ماتحت كسفى ولا يعلن أسرارى
ولا أخون ابن عمى فى حليلته * ولا البعيد نأى عنى ولا جارى
(وقال آخر يفتخر بنفسه وكان دميم الخلق أى قصيرا)

* ألم تعالى يا عمر ك الله اتنى * كريم على حين الكرام قليل
إذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حتى يقال طويل
فان لم يكن جسمى طويلا فانى * له بالفعال الصالحات وصول
(وقال ابن حبيب النمى)

إذا ما رفيتى لم يكن خلف ناقتى * له مركب فضل فلاحات رحلى
ولم يكن من زادى له نصف مزودى * فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى * على له فضلا بمانال من فضلى
(آخر)

وما أنا بالساعى بفضل زمامها * اتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها * لا أبغها خفا وأترك صاحبى
إذا كنت رب القلوص فلا تذر * رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنفخها وأردفه فان جاتك * فذلك وان كان العقاب فعاقب
(وقال ملك بن نورية الفزارى)

لا يعبد الله قوما ان سألتهم * أعطوا وان قلت يا قوم انصروا انصروا
وان أصابتهم نعماء سابغة * لم يبطروها وان فاتتهم صبروا
والكاسرون عظاما لا جبار لها * والجابرون عظاما ليس تنكسر
(وقال مروان بن أبى حفصة يمدح آل معن بن زائدة من أبيات)
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع القضاة ان يعالهم * ولو أحسنوا فى النأبات وأجلوا

* (والاسباب الممانعة من السيادة سبعة) *

الخدائبة والبخل والزنا والظلم والحق والفقر والكذب واعتبرت هذه
الاسباب فوجدتهم قد تفرقت فى الاعيان الامثال والسرقات الافاضل
(أما الخدائبة) فقد ساد أبو جهل وماطر شاربها ودخل دار الندوة وما استوت
لحيته (وأما البخل) فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من نار الحباحب وقيل

من أبي جباح (وأما الزنا) فقد ساد عامر بن النخيل وكان أزن من قرد
(وأما الظلم) فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية (وأما الحق) فقد ساد
عينه بن حصن وكان أظلم من دغة (وأما الفقر) فقد ساد أبو طالب وعتبة
ابن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق (ولا) يعرف في العرب والعجم كذاب
ساقط إلا المهلب بن أبي صفرة فإنه كان أكذب من فاختة وكان إذا أخذ
في الحديث يقول أصحابه راح يكذب

* (شرح ما ذكر من الامثال الواقعة في هذا المثال) *

(أما) سيادة أبي جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة نادى سادات
قريش لا يدخلها إلا مسود (وأما) قولهم أبخل من أبي جباح على أحد
الروايتين فهو رجل من العرب كان أبخله يوقد ناراً ضعيفة فإذا أبصرها
مستضىء أطفأها وعلى الرواية الأخرى فهي النار التي تقود حمار الخيل
بحوافرها وتوصف بالبخل لقلتها وعدم الالتفات إليها (وأما) قولهم أزن من قرد
فهو قرد بن عمرو بن معاوية الهذلي وقيل هو الحيوان المعروف (وأما)
قولهم أظلم من حية فلأنها لا تتخذ لنفسها بيتاً بل كل حجر أمته هرب أهل منه
وتركوه لها (وأما) قولهم أحق من دغة فإنها مارية بنت مغنج وهو ربيعة
ابن عجل ومن حقتها أنها تزوجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم فحمت
فلما أضر بها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان فوضعت
فاستهل الوليد فأنصرفت إلى الرجل تظن أنها أحدثت فقالت لضرتها
يا هنتاه أيفغرا الجعراء قالت نعم ويدعوأياه ثم مضت الضرة وأخذت الولد
اليها وربته وبني العنبر يعيرون بذلك ويعرفون بني الجعراء (وأما) قولهم
أفقر من ابن المذلق فهو رجل من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد
بيتة ليله وأبوه وأجداده يعرفون بالأفلاس وفي أبيه يقول الشاعر

فأنك إن ترجو تقيماً وتفعها * كراجي الندى والعرف عند المذلق

ويروى بالبدال المهملة (وأما) قولهم أكذب من فاختة فلأن حكاية صوتها
هذا زمان الرطب تقول ذلك والطاع لم يطلع

(قال بعضهم)

أكذب من فاختة * تصيح عند الكرب

والنخل غير مطلق * هذا أو ان الرطب
(وقالوا) غير خصال في أناس أقبح منها في غيرهم الفسق في الملوك والكذب
في القضاة والخديعة في العلماء والغضب في الأبرار والغدر في الأشراف
والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء والتهزى في الفقراء والشح
في الأغنياء والفخر في الأعزاء

(الفصل الثاني من الباب الأول)

في ذكر الصنائع والمآثر المفصلة عن أحساب الأكاابر

(قال خالد بن صفوان) كان الأحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه
(لما) تولى عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان بعد موت أبيه من قبل الواثق
دخل عليه عبد الله بن خلد بن سعد المعروف بأبي العميل بقصيدة يمدحه فيها
ويهنئه بالولاية فجاء منها قوله

يا من يؤمل أن تكون خصاله * كخصال عبد الله أنصت واسمع
اصدق وعف وبر وأنصف واحتل * واكفف وكاف وداروا حلم واشجع
والطف وإن واشتد وارفق واتد * واحزم ورجد وحام واجل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي * وهديت للنهج الاستد المهيـع
(آخر)

ان كنت ترغب في شأ الكرام فسر * في الناس بالفضل والدين الذي شرعوا
خافوا اذا غدروا واشجع اذا جبنوا * واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا

(فن ما تزدوى الكرم في التجار الذب عن التزبل وحفظ الجار)

كما قيل الكريم يرعى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللنظ (وقالوا) وجهه
الكريم جنة وكنفه جنة * كان بعض الهاشميين اذا نزل به جار قال له يا هذا
انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على دونك فاحتكم
على حكم الصبي على أهله * وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها
وذلك أن الصبي اذا كان عزيزا في أهله حله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده
ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون في تحصيل أغراضه وآرايه ليظفروا برضاه
ويقدموه على أترابه (وكان) حارثة بن مر يسمي مجبرا لجراد وذلك أنه نزل
بفسنا به جراد فعد أهل الحى إليه ليدفعوه عنهم فنههم منه وقال لهم ما تريدون

منه قالوا نريد قتله فانه نزل بجوارك فقال أما اذ سمعتموه جارى فوالله لا تصالون
اليه أبدا وطردهم عنه (وكان) ثور بن شحمة العنبري يسمى مجيرا الطير فكانت
الطير لا تصاد بأرضه ولا تضار (وحكى) أن زيادا لا يحجم وقد على المهلب
فأكرمته وأنزله على أبيه فجلسا يوما يشربان في بستان فغنت حمامة على فتن
فطرب لها زياد فقال له حبيب انها فاقدة الف كنت أراها معها فقال زياد هو
أشد لشوقها ثم أنشد

تغنى أنت في ذمى وعهدى * وزمة والدى أن لا تضارى
وعشك أصلحيه ولا تخافى * على زغب مصغرة صغار
فأنك كلما غنيت صوتنا * ذكرت أحبتى وذكرت ناري
فأما يقتلوك طلبت ثارا * لأنك يا حمامة في جوارى

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فناء بها فنزع لها بسهم فاصابها
فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت أبا بسطام ذمتى وقتلت جارى
وشكاه الى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جارا أبى لبابة جارى
وذمته ذمتى والله لا ألزمنك دية الخنز وأخذله من ماله ألف دينار فقال فيه
من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فله عينا من رأى كقضية * قضى لي بها شيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجارا أجرته * من الطير اذ يكي شجاء ويندب

(ولما) ولى صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج
عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحاكم بن ضبعمان وكان على شرطة مصر
فأرسل اليهم أبا عون ومحمد بن أشعث الخزازي بعسكر فهزموا الحكم وبلغ صالح
ابن علي أن رجاء بن روح دخل مصر واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره فأرسل
اليه فحضر فقال ألم أكرمك ألم أشرفك قال بلى قال فسكان جزائ منك أن
أجرت عدوى قال وما ذاك أيها الأمير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلى الله
الأمير اختر واحدة من اثنتين لي فيه - مابراة أما أن أثلج صدرك بيمين أو ترسل
رجلا من ثقاتك يفتش منازلنا قال وتحلف قال نعم فأحلفه بطلاق زوجته
وعتق عبيده ومشيه الى مكة راجلا حافيا فخلف له ثم انصرف الى منزله وأعلم
زوجته فاعترات عنه وقالت له لا تنتطع عني لئلا يشعربك فلما عزل صالح عن

مصر ورجع الى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته وأعتق رقيقه ومشى
الى مكة كما شرب عليه (ولما) كان يوم فتح مكة لجأ الحرث بن هشام الى منزل
أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستجيراً بها فدخل عليها علي
نخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت أم هانئ يا ابن أمي قد أجرتك فلم يلفظ
الى قولها فوثبت فقبضت على يديه وقالت والله لا تقتله وقد أجرتك فلم يقدر
علي أن يرفع قدمه عن الارض وجعل يتفلم منها فلا يقدر فدخل النبي
صلى الله عليه وسلم اليها فقالت يا رسول الله ألا ترى اني أجرت فلانا فاراد
علي أن يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرتنا من أجرت
ولا تغضب علياً فان الله يغضب لغضبه أطلق عنه فاطلقت عنه فقال
عليه الصلاة والسلام يا علي غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت
أرفع قدمي من الارض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو أن
طالباً ولد الناس كانوا أشجاءاً (ومن أحسن ما يحكي في هذا الباب)
أهدر المهدي دم رجل كان يسعى في فساد دولته وجعل لمن يقتله أو يأتيه
به مائة ألف درهم فاخفى الرجل زماناً ثم ظهر مستنكراً خائفاً يترقب فبصر
به رجل في بعض دروب بغداد فعرفه وأخذ بيده وقال بغية أمير المؤمنين
فاجمع الناس عليه وجهدوا علي أن يطلقوه منه فلم يقدر واختر به وهو في تلك
الحالة معن بن زائدة فناداه يا أبا الوليد أجرتني أجازك الله فوقف الرجل وقال
لارجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي جعل لي ان يقتله
أو يأتيه به مائة ألف درهم فقال معن لبعض علمائه انزل عن دابتك واجعل
عليها وانطلق به الى منزلي فقال الرجل انحول بيني وبين بغية أمير المؤمنين
فقال معن اذهب الى أمير المؤمنين وأخبره أنه عندي فذهب الرجل وأوصل
الخبر الى المهدي فبعث اليه من يحضره فركب معن وقال لمن خلفه من علمائه
في منزله لا يخاص الى هذا الرجل أحد وفيكم عيون تطرف فلما دخل علي
المهدي سلم فلم يرد عليه السلام وقال له أتجبر علي قول نعم قال ونعم أيضاً فقال
معن يا أمير المؤمنين لقد قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً
وفي أيام كثيرة عرف فيها بالائي وعنائى فما رأيتوني أهلاً لان يوهب لي رجل
واحد استجار بي فأطرق المهدي ملياً ثم رفع رأسه وقد سرتى عنه وقال لقد

أجرنا من أجرت يا أبا الوليد فقال معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون
 قد أحياه وأغناه فقال قد أمرنا به بنحوه فقال يا أمير المؤمنين إن صلوات
 الخلفاء تكون على قدر جنائيات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم فأجر له
 الصلة قال قد أمرنا به بمائة ألف درهم قال عجلها له فان خير البر عاجله فعمجت
 فأخذها وانصرف بها إلى الرجل ولم ير المهدى وجهه (والمثل المضروب)
 في هذا الباب جارحاً رأب دواود ذلك أن أبادوا دنزل بكعب بن مامة وكان
 كعب إذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وأهله وجاهه من يقصده وإن هلك
 له شيء أخلفه عليه وإن مات واره التراب فجاءه أبو دواود الأيادي فتعلم منه
 فكان يفعل بجاره ما فعل كعب به فضرب به المثل ونسى كعب (قال) على بن
 العباس بن جريج الرومي

هو المرء أمأماله فحلال * لعاف وأمأجاره فمحرم

(وقال شبيب بن البرصاء)

وجاراتنا ما من فينا عزيزة * كأروى شير لا يحل اصطباؤها
 يكون علينا نقضها وضمائها * وللجار أن كانت تريد أزيادها
 (وقال مروان بن أبي حفصة)

هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم فوق السما كين منزل
 (ولا آخر)

الباذلون الندى والناس باخلة * والمانعون وحق الجار يحترم

(ومن صنيع من زكت في الكرم أرومه صون المضيم بنفسه من عدو يرومه)

(ورد) في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود اسمع
 مني والحق أقول من لقيني بحسنة واحدة حكمته في رجلي قال داود يا رب
 وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب كربته (وقال) رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب
 الآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه (ويقال) من كفارات
 عظام الذنوب اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب (وقيل) أفضل
 المعروف اغاثة الملهوف (ومن أمثالهم) رب أخ لك لم تلده أمك (فمن)
 الأخبار في ذلك ما حكى أن حاتماً الطائي مرّ بأرض غزاة فناداه أسيراً يا

سفانة أكلت القد والاسار والقمل فقال ما أنا بأرض قومي وقد أخطأت
اذنوت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خذ عنه سبيله
واجعلني في القد مكانه ففعل وبعث إلى قومه فأتوه بما فدى به نفسه (وذكر)
أن بني كلب بن وبرة أغاروا على حي من احياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس
غيلة فاستجدوا عليهم وقالوا اما الثأر واما الديات فسألوهم المهلة في ذلك إلى
أجل فأجابوا فخرج بنوكاب بسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض
تميم فقرروا ماء وحياء فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا زهاء
مائة نفس فمروا بعطاردين حاجب بن زرارة بن عدي فسألوه ذلك فقال قولوا
شعرا وخذوها فلم يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأقوا على بني
مجاشع فمروا بواو اذ قد امتلأ ابلا وبه صمصعة جد الفرزدق وهو بفناء ابل له
فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه بأمرهم
فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحنا
من طول التعب ولوعر فنانك لقصدناك وصمصعة هذا أقول من ترك وأد
البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد (ومما) يمتزج بما
ذكرناه امتزاج اللين بالماء القراح ويتعلق به تعلق الانامل بالراح ما حكاه
الجهشياري في كتاب الوزراء انه لما تفرق الامر عن مروان بن محمد الجعدي
طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطلب
وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهم ما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما
أنا خوفا أن ينال صاحبه ~~م~~ كروه وخشى عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن
المقفع بما يكره فقال لهم تثبتوا فان في عبد الحميد علامات يعرف بها فأرسلوا
إلى مرسلهم من يستوصفها منه فأيناه وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف
لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بده فأخذوا رجل إلى أبي العباس السفاح
فولى عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحيى له طشتا ويضعه على
رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وانا ذاكره فيما يأتي من
هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (وقريب من هذه الحكاية) ما حكاه صاحب
المستجد قال لما أحرقت جامع مصر ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا
لهم خانا كانوا يبيعون فيه الزيت فقبض السلطان على جماعة من الذين

أحرقوا الخن وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم
فمن وقعت في يده رقعة فمسل به ما فيها فوقع في حجر رجل رقعة فيها القتل
فلما قرأها بكى وقال والله لو لا أتم لي ما باليت فالتفت إليه شاب كان إلى جانبه
فقال له في رقعتي الجلد ولا أتم لي فخر رقعتي وادفع إلى رقعتك فأبى عليه
فأقسم أن لا بد ففعل فقتل هذا ووجد هذا (وحكى) الزبير بن بكار في كتابه
الذي سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة ابن
أبي جهل وسهيل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فندافعوه كلها
دفع الرجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه (مسلم بن الوليد)
يدح من هذه خلقه

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
(وقال عمارة بن حزة)

ينسى مضرتة لنفع صديقه * لا خير في شرف اذا لم ينفع
(البحترى)

يخونك ذو القربى مرارا ورجما * وفي لك عند العهد من لا تناسبه
وحسب الفقى من نصحه ووفائه * تمنيه أن يؤذى ويسلم صاحبه
(آخر)

قوم اذا حالفهم * لم تخش نأبة الصروف
واذا وصات بجباههم * حبلا أمنت من الخوف
(وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكيم يدح الامين بحسن العهد
والتزم

أخذت بجبل من جبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بفضل جناحه * فعبني ترى دهرى وليس يرانى
فلوتسأل الايام عني لما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني
(ومن أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الامانة) *
(قالوا) الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب
الاخلاص فى الود وأحق الافعال بالشكر والحمد (وقالوا) الوفاء أتم
جيد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة اليه وتجب المحافظة

عليه ولقد صار رسماً دارساً وحله لا تجدها إلا بساً ومنقبة قل أن تجد
فيها مستأنساً ولله در من قال

وصادق الوعد صادق الخبر * مغرر برعى العهود مصطبر

هذا الذي لا أزال أسمع * وماله في الزمان من أثر

لو أن كفى بمثله ظفرت * قاسمته في المتاع والعمر

(وقالوا) من صعب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلاق وألزم
نفسه رعى العهود والمواثق فقد أَرْضَى المخلوق والمخالق (ويقال)
بالوفاء تملك القلوب وتستدام اللفة بين المحب والمحبوب (وقالوا) من
تخلّى بالوفاء وتخلّى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء ولقد أحسن
من قال

إذا أنت محضت المودة صافياً * ولم ترعن وصل الصديق مجافياً

ووفيت بالعهد الذي خانته الورى * ولم أر مخلوقاً على العهد باقياً

فقد حزت أسباب المكارم كلها * وجدت للعليا رسوماً عوانياً

(وقالوا) الوفاء ضالة كثير ناشدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من
شيم الكرام والغدر من خلائق اللثام (وقالوا) إذا ترك الوفاء نزل البلاء
(ويقال) من أودع الوفاء صدور الرجال ملك أعناقهم (ومن أمثالهم)
في ذلك أو في من السموأل وهو السموأل بن عادياء بن حياة اليهودي صاحب
قصر ثيماء المسمى بالابلق الفرد (ومن خبره) أن امرأ القيس كان قاصداً للشأم
فأودع السموأل أذراعه وكراعه فأتته امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل
بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده فأبى أن يسلمه
له فقال إن لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر فقال أبلني
البله ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار بأن يدفع إليه ما طلبه منه فلما أصبح
قال له ليس لي دفعها سبيل فافعل ما بدا لك فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم إن
السموأل وفي الموسم بالادراع فدفعها لورثة امرئ القيس (وفيه) يقول
الاعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن
السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من آيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * في جحفل كسواد الليل جزار

بالابلق الفرد من ثيابه منزله * حصن حصين وجار غير غدار
فسامه خطي خسف فقال له * قل ما بالك اني مانع جاري
فقال شك وعذر أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك اني مانع جاري
فقال تقديمة اذرام يقتله * أشرف سموأل فانظر في الدم الجاري
أأقتل ابنك صبرا أو تبي بها * طوعا فأنكر هذا أي انكار
فشك أوداجه والصدر في مضض * عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه من أن يسب بها * ولم يكن عهده فيها بمختار
وقال لا أشتري عارا بمكرمة * فاختر مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديم أشيعة خلق * وزنده في الوفاء الثاقب الواري

(وفي ذلك يقول سموأل مفتخرا)

وفيت بأدراع الكندي اني * اذا ما خان أقوامي وفيت
وأوصى عادي بما بأن لا * تخرب يا سموأل ما بنيت
بني لي عادي حصنا حصينا * وماء كلما شئت اشتفيت

والملك هو الحرث بن شمر الغساني (وحدث الكندي) في كتابه أخبار
الامراء بمصر قال لما ولي المطلب بن عبد الله إمارة مصر من قبل المأمون
خوفه أهل مصر من ابراهيم بن نافع الطائي قبل الوصول اليه أن يثب عليه
فطلبه المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان هبيرة بن
هشام صاحب شرطة مصر يعرف المكان الذي اختفى فيه وكان ابراهيم
ابن نافع قد أودع ماله عند هبيرة بن هشام فسعى هبيرة الى المطلب أحضره
وقال له ادفع الي ما أودعه عندك ابراهيم فقد بلغني الثقة ان ماله مودع
عندك وان لم تجئني به أخذت ما فيه عينك فأنكر فأوجعه ضربا وهو يزيد
انكارا فلما طال على المطلب بحود هبيرة وخاف عليه التلف تركه ثم لما سكن
عن ابراهيم المطلب أخرجه هبيرة من مصر سرا ثم أرسل اليه ماله بعد ذلك مع
التجار وفيه يقول سعيد بن عيين

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه * هبيرة في الطائي وفاء السموأل
وقاه المنايا إذ آتته بنفسه * وقد برقت في عارض مهتلل

(أنى الحاج) بقوم من خرجوا عليه فأمر بهم فضربت أعناقهم وأقيمت صلاة المغرب وقد بقي من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به على قال قتيبة فخرجت والرجل معي فلما كنا ببعض الطريق قال لي هل لك في خير قلت وما ذاك قال انى والله ما خرجت على المسلمين ولا اس- تحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندي ودائع وأموال فهل لك أن تخلي سبيلي وتأذن لي حتى أنى أهلى وأرد على كل ذى حق حقه وأوصى ولك على أن أرجع حتى أضع يدي في يدك قال قتيبة فعجبت له وتضاحكت لقوله قال فضينا هنيهة ثم أعاد على القول وقال انى أعاهد الله لك على أن أعود اليك قال قتيبة فوالله ما ملكت نفسي حتى قلت له اذهب فلما توارى عنى شخصه أسقط في يدي فقلت ماذا صنعت بنفسى وأتيت أهلى مه- موما غموما فسألوني عن شأني فأخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحاج فبتنا بأطول ليلة فلما كان عند أذان الغداة اذا الباب يطرق فخرجت فاذا أنا بالرجل فقلت أرجعت قال س-بحان الله جعلت لك عهد الله على فأخونك ولا أرجع فقلت أما والله ان استطعت لا نفعنك وانطلقت به حتى أجلسته على باب الحاج ودخلت فلما رآنى قال يا قتيبة أين أسيرك قلت أصلى الله الامير بالباب وقد اتفق لي معه قصة عجيبه قال ما هي فحدثته الحديث فأذن له فدخل ثم قال يا قتيبة أتعجب أن أهبك لك قلت نعم قال هولاك فانصرف بامعك فلما خرجت به قلت له خذ أى طريق شئت فرفعه الى السماء وقال لك الحمد يارب وما كلنى بكلمة ولا قال لي أحسنت ولا أسأت فقلت في نفسى مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءنى وقال لي جزاك الله خيرا أما والله ما ذهب عنى ما صنعت ولكن كرهت أن أسرك مع حمد الله حمد أحد (ولما) تفرق الامر عن مروان بن محمد وأيقن بزوال ملكه وغلبة بنى هاشم عليه قال لكتابه عبد الحميد بن يحيى انى قد احتجت أن تكون مع عدوى فتظهر لهم الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم اليك تمنعهم منك وتدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنقنى في حياتى والا فلا تنجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال عبد الحميد ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين لك وأضرهما بى وما عندى الا الوفاء حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ثم أنشد

أسرو فاء ثم أظهر غدره * فن لي بعدد يشمل الناس ظاهره
فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل
وذلك في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل ببوصير
قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بني أمية وكانت دولتهم ثلاثا وتسعين
سنة واحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين
فاختفى بها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح بامان فلم يحظ عنده
وقال الجهمياري قتل وقد ذكر آتفا (ومن أحسن ما تطرب به الاسماع)
ويلطف به كفيف الطباع ما يحكي ان معاوية بن أبي سفيان تزوج منسون
بنت مجدل ونقلها من البدو الى الشام وكانت كثيرة الحنين الى اناسها
والتذكر لسقط راسها فأنت لها يوما فسمعها تنشد

ليت تحقق الارياح فيه * أحب الى من قصر منيف
وليس عبادة وتقر عيني * أحب الى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسريتي * أحب الى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الى من نثر الدفوف
وكلب ينبج الطرراق دوني * أحب الى من قط الوف
وبكري تبع الاطلال صعب * أحب الى من بغل ردوف
وخرق من بني عبي نحيف * أحب الى من علق عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى * الى نفسي من العيش الطريف
فما أبغى سري وطني بدىلا * فحسبي ذا لمن وطن شريف
فلما سمع معاوية الايات قال ما رضيت بي بنت مجدل حتى جعالتني علجا عنيفا
ثم طلقها ووردها الى أهلها (ويقال) من الوفاء تشوق الرجل لآخوانه
وحنينه الى أوطانه وتلهفه على ماضى من زمانه (وقالوا) الكريم يحن الى
جناحه كما يحن الاسد الى غابه (ويقال) من علامة الكريم أن تكون
نفسه الى مولده تواقا والى مسقط رأسه مشتاقا (شاعر)

أحب بلاد الله ما بين منعج * الى وسلى أن يجود سحابها
بلادها ينط على غمامي * وأقول أرض مس جلدى ترابها

(وقالت الحكماء) أرض الرجل ظئره وداره مهده والغريب كالغرس
الذى زابل أرضه فهو ذا ولا ينمى وذابل لا ينضر وفطرة الرجل معجونة
بحب الاوطان مجبولة على تذكر ماضى الزمان * وقد ذكر ابن الرومي
السبب الموجب لحب الاوطان بقوله

وحب أوطان الرجال اليهم * ما رُب قضاها الشباب هنالك
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهد الصبا فيها فحنوا لذلك
(وقالوا) ليس في الحيوان السامع أشد وفاء من الفاختة فانها اذا ماتت
الفها لا تزال تنديه ولا تألف غيره حتى تموت

* (ومن أحسن فعلات الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف) *

(فالعدل) قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وله وضعت الموازين
وهو المرغوب المألوف المؤمن من كل مخوف به تألفت القلوب والتأمت
الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وانعقدت عرى اليمين
والفلاح وشمل الناس التناصف والتواصل والتعاطف وهو مأخوذ
من الاعتماد الذي هو القوام والاستواء المتجانسان للميل والالتواء وهو
ميزان الله في أرضه الذي يوفى به الحقوق ويرأب به الصدوع والفتوق
* وحقيقته وضع الامور في مواضعها لا نوضع الشدة مكان اللين وبضد
ذلك ولا السيف مكان السوط وبالعكس من ذلك والى هذا أشار
المتنبي في قوله

ووضع الندى في موضع السيف بالعكس

مضرة كوضع السيف في موضع الندى

(والانصاف) هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالأيدي العادلة
والسياسات الفاضلة وهو والعدل توأمان تتيجنهما علو الهمة وبراءة الذمة
باعتساب القضاة واجتناب الرذائل فالانصاف استثمار والعدل
استثمار فيصير الملك بالانصاف مستثمرا وبالعدل مستثمرا وما نقص ملك
من انصاف ولا جاه من اسعاف * وقد قيل من عدل في سلطانه استغنى عن
أعدائه * وقيل عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان * وروى
الثقة بأسانيد حسنة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عدل

ساعة خير من عبادة ستين سنة (وعن) عبد الرحمن بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة
بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا * وقال حكيم لبعض الملوك أيها الملك
انما فخرك باظهار عدلك وايتبار فضلك لا بجمال بزتك وتمكن عزتك
وفراهة مركبك وكثافة موكبك (ويقال) الملك يبقى على العدل والكفر
ولا يبقى على الايمان والجور واليه أشار الشاعر بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر
(دخل) عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فما سلم فلم يرد عليه
فقال لعبد الرحمن بن عوف أعطف أن يكون قد وجد على خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك فقال انه أتاك وبين يدي
خصمان قد فرغت لهما سمعي وبصري وقلبي وعلمت أن الله سألني عنهما وعما
قالا وعما قلت (ويقال) اذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد
لم يفسد له مجوره (ويقال) حق على من مله الله على بلاده وحكمه
في عباده أن يكون لنفسه ما لكا وللهوى تاركا وللغضب كاذما وللظلم
هاضما وللعديل في حالتي الرضا والغضب مظهرا وللحق في السر والعلانية
مؤثرا واذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق
بنور عدله زمانه وكنز على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق
من قال

لكل ولاية لابد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل
(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطروا بل * وكان كسرى
يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله اذا أراد النظر في أمور الناس
فكان اذا راغ حركاه بقضيب معهما وقالاه والرعية يسمعون أيها الملك أنت
مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر
لنفسك (ويقال) انه كتب ثلاث رقاع في احداها أمسك غضبك فانك
لست بالله وانك ستموت وبأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم عباد الله

يرجى الله وفي الثالثة اجلس عباد الله على الحق فانه لا يسعهم الا ذلك
وكان اذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بهض الجباب على رأسه
ويده الرفاع فاذا رآه غضب على أحدنا وله الرقعة الاولى فان رآه تمادى
على غضبه ناو له الثانية فان لم ينته نار له الثالثة (وكان) عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافقوه في الموسم فاذا اجتمعوا قال يا أيها الناس
انني لم أستعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من
أموالكم شيئا انما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيكم فأبكم
كانت له عندي مظلة فليقم * وصف أعرابي أمير عاد لا فقال هو عالم
برعيته عادل في أقضيته عازم الكبر قابل للعذر مهمل الجباب متحيز الى
الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا مخيف
للغريب (وكان) شمس المعالي قابوس بن وشمكير عاد لا في ملكه كان لا يؤتى
بفسد الا أقام الحق عليه ولو أنه أقرب الناس اليه * وقع جعفر بن يحيى
الى بعض عماله أنصف من وليت أمره والا أنصفه منك من ولي أمرك
* ووقع أخوه الفضل بنس الزاد الى العباد التعدي على العباد (وسأل)
عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم
مقهورا والمظلوم منصورا والغني موفورا والفقر مبرورا فقال الحمد
لله لذي وهب لي من العدل ما تطمئن اليه قلوب رعيتي * وتعرض له متظلم
في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقبل له هلاصرت حتى يستقر بك
المنزل فقال الخبير ربع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسى وانما هي فرصة
قدمت فيها العزم واستصحبته الحزم * قال شاعر يمدح متوليا اتصف به هذه
الخلعة من الروساء الخلعة

لا تقدر الظنة في حكمه * شيمته عدل وانصاف

يمضى اذا لم تلته شبهة * وفي اعتراض الشك وقاف

(وما اتفق على مدحه الا وائل والا وخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر)

(قالوا) ينبغي لمن عظم قدره وامثل نهيه وأمره واتشرف في الخافقين

ذكره أن يكون للاعجاب مطرعا وعن الكبر منتبذا ومنتزعا فان همة

الرجل العاقل الفاضل شريفة عالية وباختصار ما أوتيت من رياسات

الاموال والاعمال مليحة قال ذو النون) من تطأ طأ لقي رطباً ومن تعالى لقي
عطباً (وقال عروة بن الزبير) التواضع من مصادب الشرف وكل نعمة محسود
عليها الا التواضع * ويقال التواضع في الشرف أشرف من الشرف
* ويقال اسمان يتفق معناهما ويفترق لفظهما التواضع والشرف * وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الخمر والعبد والامة والمسكين
ويقول لو دعيت الى كراع لا جيت * وكان يخفض النعل ويحلب الشاة
ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم اذا أعت وبأ كل معها
ويحمل بضاعته من السوق ويسلم مبتدئاً ويصافح الغني والفقير ويخالط
أصحابه ويحادثهم ويمارحهم ويلعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ومادعاه
أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال ليك وقال لا تفضلوني على يونس
ابن متى ولا ترفعوني فوق قدرى فتقولون في ما قالت النصارى في المسيح
ان الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني رسولا * وكان صلى الله عليه وسلم
لا يأكل متكئاً ولا يأكل الخبيص ويقول انما أنا عبد كل كايا كل العبد
وأجلس كما يجلس العبد (وقال) البراء بن عازب رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل
اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة هذا ولسان فخره ينزع
عن الابانة عن علوق قدره فيقول أنا سيد ولد آدم آدم ومن دونه تحت لوائى
أنا أول من تنشق عنه الارض لست كأحدكم انى أظلم عند ربى يطعمنى
ويسقينى شرف صرفت أمانى الآمال عن بلوغ مداه وتقطعت دونه أيدي
الطمع فلا تصل الى علاه (ولما) ولى أبو بكر الخلافة قال انى وليتكم ولست
بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصرى قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه
(وسئل) بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا فى زى مسكين
(وقال ابن عباس) كان أبو بكر كثير ما ينشد

اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس حالته * وذلك يصلح للدين والدنيا وللدين

آخر

ان السعيد الذى تمت سيادته * ففى فقر من الدنيا الى الدين

يصد بالطرف منه عن زخارفها * فيغتدي ملكا في زى مسكين
(وقال المرار بن المنقذ العدوي)

يا حبذا حين عسى الريح باردة * وادى الاضاء وقيان بها هضم
مخدمون كرام في مجالسهم * وفي الرجال اذا صاحبهم خدم
وما صاحب من قوم فأذكرهم * الا يزيدهم حبا الى هم
(وكان) رضى الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم
بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون
ولا تؤاخذني بما يقولون (وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نادى
يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أيها الناس لقد رأيتوني وأنا أرى على حالات لي من بنى مخزوم يقبض لي
القبضة من التمرأ والزيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت على أن
قصرت على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خالوت بنفسى فقالت لي أنت
أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فاردت أن أعرفها
قدرها (واشترى) أمير المؤمنين على رضى الله عنه تمرأ بدرهم فحمله في رداءه
فسأله بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله (وحكى الشعبي)
قال ركب زيد بن ثابت فدنأ منه عبد الله بن عباس فاخذ بركابه فقال
لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل
بعلما فقال زيد أرنى يدك فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل
بأهل بيت نبينا (ودخل) بعض الشعراء على الحسن بن زيد فأنشده
الله فردوا بن زيد فرد * فقال بفيك الاثلب الاقلت * الله فردوا بن زيد عبد
ونزل عن سريره وألصق خذاه بالارض (وكان) عبد الله بن عمر اذا سافر مع
قوم يحتطب لهم ويطبخ لهم ويستقي لهم ويؤذن لهم (وكان) أبو هريرة خليفة
مروان بن الحكم على المدينة يحتطت ويأتى بالحزمة الحطب على ظهره
يشق بها السوق ويقول جاء الأمير جاء الأمير حتى يعلم الناس به فينصرفون
اليه في حوائجهم (البحتري مادحا)

دنوت فواضعا وعلوت قدرا * فشا ناك الحدار وارتناع
كذلك الشمس تبعد أن تساما * ويدنو الضوء منها والشعاع

(ولا آخر)

تواضع تركن كالبحر لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولأنك كالدخان يعلو بنفسه * الى طبقات الجوق وهو رضيع
(كان) ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد قال أخر واعني نعالكم فانها ذلة
للتابع وقتنة للمتبوع * ولما ولي على بن عيسى الوزارة وذلك في سنة ثلثمائة
رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزير قبله فالتفت اليهم
وقال انما لارطى لعبيدنا أن يفعلوا هذا معنا فكيف نكلفه قوماً أحرارا
لا احسان لنا عليهم * ومنعهم من المشي في ركابه فكأنما عناه أبو تمام
حبيب بقوله

متبذل في القوم وهو مجبل * متواضع في الحى وهو معظم
(وقال الحسن) أربعة لا ينبغي لشريف أن يأنف منهن قيامه عن مجلسه
لا يسه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ من علمه
(وقال عبد الله بن مسعود) رأس التواضع أن تبدأ بالسلام من لقيت
وأن ترضى بالدون من المجلس * وقال عبد الله بن شداد أربعة من كن فيه
فقد برئ من الكبر من اعتقل العنز وركب الحمار ولبس الصوف
وأجاب دعوة الدون من الرجال

* (ومما يدل على شرف الابوة الزام النفس بأنواع المروءة) *

(قال بهرام بن بهرام) المروءة اسم جامع للمعاسن كلها * وقال بعض البلغاء
المروءة جامعة لاشئ من المبرات جالبة لاسباب المسرات دالة على كرم
الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق ناظمة لقلائد الفوائد عاقلة
لشوارد المحامد * وقال بعض الحكماء المروءة بحية جبلت عليها
النفوس الزكية وشيعة طبع عليها الطباع الكريمة (وقالوا) أولى
الناس بالمروءة من له نبوة النبوة * وقد جمع الله تعالى متفرقاتها في قوله
تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاع ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى * وجمعها النبي عليه الصلاة والسلام على نوع اخر فقال
من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو
من كلمات مروءاته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرم غيبته

وجعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخير ممنوح وستر
مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وـ كلام معسول وعفاف
معروف وأذى مكشوف * وجعها آخر فقال مرواة الرجل صدق لسانه
واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وـ كـ الازى
عن جيرانه (وقال أعرابي) والله لولا أن المرواة ثقيل محملها شديدة مؤنتها
مات ترك اللثام للكرام منها شيئا * وقالوا المرواة الظاهرة الثياب الطاهرة كما
قال يزيد بن المهلب لولده كن أحسن ما تكون في الظاهر خالا أقل ما تكون
في الباطن ما لا (وقال عليه الصلاة والسلام) إن الله يحب أن يرى أثر
نعمته على عبده ويكره البؤس والتبؤس * وقال الحسن بن علي رضي الله
عنهما إن الله جميل يحب الجمال (وقالوا) مرواة الرجل أن لا يلبس ثوب شهرة
كما قال بعض الظرفاء كل ما شئت نفسك والبس ما يلبسه أبناء جنسك
ولقد أحسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب بها أناسا لبس
ثوب شهرة فقال

إن العيون رمتك إذ فجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما شئت * واجعل لباسك ما اشتاءه الناس
(وقالوا) التعزى البارح خير من الرى القاضح (وقال عبد الملك بن صالح)
ليس من لباس السادات ذوى المروات ذوات الألوان فإنها من لباس الغلمان
والنسوان قال الشاعر

قل للذى يخرج عن شكله * ليرتقى أسباب أوعار
كيف ترجى أن تنال العلا * ولم تنال الدهر من عار
من فارق المعهود من زيه * فذاك لا كاس ولا عار
* ورأى انسان على أبي طاهر الخبز ارزى ثوبا حسنا فلامه في ذلك وعنفه
فأنشد

على ثياب فوق قيمتها فلس * وفيه نفس دون قيمتها انفس
فتوبك صبح تحت أذياله دجى * وثوب ليلى تحت أذياله شمس
(فكل) من افتخر بمجده من الاكارم ومدح اسمائه ورأى اكسائه حلل
المكارم أنى لقدره وأسمى له اقتدى بالعتابى في هذا المذهب وتختم بقصه

المذهب وذلك أنه دخل على يحيى بن خالد في سمل وكان لا يبالى ما لبس فعابه عليه فقال يا أبا علي خزي الله من يرفعه هيناه بجاله وماله حتى يرفعه أكرهه همته ونفسه وأصغراه قلبه ولسانه (قال شاعر) في المعنى الذي نحاه لا تنتظرن إلى الثياب فاني * خلق الثياب من المرواة كاسي (وقال أبو دهمان وأجاد في النحو الذي أراد)

تعجبت درّ من شبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر في السدف وزادها عجباً أذ رحلت في سمل * وما درت درّ أن الدرّ في الصدف (ولا خفي المعنى)

يا هذه كم يكون اللوم والفند * لا تنكري رجلاً أثوابه قد انيمس منفرداً فالسيف منفرد * والليث منفرد والبدر منفرد أو كنت أنكرت طمرية وقد خلقتا * فالبحر من فوقه الاقضاء والزبد ان كان صرف الليالي درّ بزغته * فبين طمرية منه ضيغ لبـد * ومن المرواة التطيب فانه ورد عن مكحول أنه قال من تطف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما ظهرت مروأته (وقيل) من الطرف والكرم الاستقصاء في التجز * وكان صلى الله عليه وسلم يعرف خروجه من منزله برائحة المسك * وكان اذا سلك طريقاً عرف السائل عنه أين يعم لطيب ريحه * وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا اجتاز في طريق قال الناس لطيمة مسك أو ابن عباس لطيب ريحه (قال الشاعر)

ويفوح مسكا طيب ريح ثيابه * وكذلك ريح الماجد الوهاب

* (الفصل الثالث من الباب الاول) *

(في ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجهياً (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تخلق بما ليس من خلقه فهو منافق (وقال) ابن مسعود من كان كلامه لا يوافق فعله فأنما يوجب بذلك نفسه (وقيل) ما الدخان بأدل على النار من ظاهر الرجل

على باطنه (وقال) زهير بن أبي سلمى
ومهما تكن عند امرء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
(وقال آخر)

كل امرئ راجع يوم الشيمة * وان تخلف أخلاقا إلى حين
(وقال) بعض الحكماء لتليذه يامن باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق
حسن ما شئت لما شئت (وقالوا) ما أقبح بالإنسان أن يقول ما لا يفعل وما
أحسن الفعل ابتداء قبل القول فان من مات محمودا أحسن حالا بمن عاش
مدموما (وقال) أكرم بن صبيح فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل
على القول مكرمة (ويقال) أحسن المقال ما صدق بحسن الفعل (وكان)
رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين على رضي الله عنه بلسان لا يوافق القلب
فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألمح عليه في الثناء نادون ما تقول وفوق ما في
نفسك (فانظر) الى هذه الفراسة المنتزعة لحبات القلوب المكشوف لها
الغطاء عن خفيات الغيوب (وقال) بعض الحكماء لأن يكون لي نصف لسان
ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب الي من أن أكون
ذو وجهين وذو لسانين وذو قولين مختلفين (وقال) أرسطوطاليس وجهك
مرآة قلبك فانه يظهر على الوجوه ما تضره القلوب وقالوا العيون طلائع
القلوب (وقد) أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا (فمن ذلك) قول بعضهم
ان العيون لتبدى في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والاحن
(وقال آخر)

ترك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدى سرها للنظر
(آخر)

عينك قد دللت على * أشياء لولاها ما كنت أدريها
تظل في نفسك البغضاء كامنة * والقلب يضرها والعين تبديها
والعين تعرف من عيني محبتها * ان كان من حزبيها أو من أعاديها
(ويقال) العادات قاهرات فمن اعتمد شيئا في السر فضحه في العلانية (وقالوا)
حقيقة النفاق اختلاف السر والعلن واختلاف القول والعمل (وقال)
أبو سعيد الجرجاني لا ينبغي أن يكون حسن القول تمهيدا لقبح الفعل

(لام الشعبي) واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصير في الخطبة لما كان عاملا على مصر وترك استعمال البلاغة مع القدرة عليه فقال اني لا أستحي من الله تعالى أن أقول بلساني على منبري خلاف ما أعلمه من قلبي (وكتب) رجل الى صديق له أما بعد فغظ الناس بفعلك ولا تعظمهم بقولك (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام يا عيسى غظ نفسك فان اتعظت فغظ الناس

ومما يعاب من خلال الانسان أن يكون بديع مقال اللسان
بعيد بحال الاحسان

قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من أخلاق المؤمنين (ابن المعتز) من كثر ملقه لم يعرف بشره * ذم أعرابي قوما فقال قلوبهم أمر من القفلى وألسنتهم من العسل أحلى وقال الشاعر

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل
(وقال ابن حبير)

الناس شبه ظروف حشوها صبر * وفوق أفواها شيء من العسل
تحلوا ذاتها حتى إذا انكشفت * له تبين ما تحويه من زغل
(وقالوا) فلان يمدى وجهه المطابق الموافق ويخفى نظرا المسارق المنافق
قال شاعر

يا أيها المنحلي غير شبيته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف دينه * ان التخلق يأتي دونه الخلق
(وقالوا) شر الناس من هو في الظاهر صديق موافق وفي الباطن عدو منافق
قال شاعر

لعمرك ما ود اللسان بسافع * اذا لم يكن أصل المودة في القلب
(وقال) رجل لعلي رضي الله عنه علمني السلام على الاخوان فقال لا تبلغهم النفاق ولا تقصر بهم عن الاستحقاق (واقعد) صدق صالح بن عبد القدوس
في قوله

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن ببعض مذهبهم * فأدبني هذا الزمان وأهله

(وقال آخر وبالغ في الذم)

لم يبق في الناس الا المكر والملق * شولا اذا اختبروا زهرا اذا رمقوا
فان دعاك الى ائتلافهم قدر * فكن بجيما لعل الشول يحترق

(آخر)

خل النفاق لاهله * وعليك فانت هج الطريقا
واذهب بنفسك لن ترى * الاعدوا أو صديقا

(آخر)

يريك النصيحة عند اللقاء * ويبريك في السر تبرى القلم
فبت حبالك من وصله * ولا تسكثن عليه الندم

* (ومما يلحقهم - هذا أن عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياة) *

(الرياء) من الكبائر وأخبت السرائر شهدت بمقتة الآيات والآثار
وتواردت بذمة القصص والأخبار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (وأما الحياة) فهو من ثلاثة أوجه
من الله ومن الناس وحياة المرء من نفسه فانه من استحيى من الله ولم يستحي
من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيى من الناس ولم يستحي من الله فقد
استهان بالله ومن استحيى من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر
وويل لمن أَرْضَى الله بلسانه وأَسَخَطَهُ بقلبه (وكان) أبو مسلم الخولاني يقول
ما علمت منذ كذا وكذا سنة عملا أبالي أن يراه الناس الا حاجة الرجل الى أهله
وحاجته الى الخلاء (وقال) الحسن البصري لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب
به أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الاخرة (وقال) الفخ بن خاقان
كنت يوما لأعب المتوكل بالترد فاستؤذن لاجد بن أبي دؤاد فأذن له فلما قرب
مناهممت برفعها فنحنى المتوكل وقال كيف أجاب الله بشئ وأستره عن
عباده (وكان) السبلي اذا رأى من يدعى التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري (وقال) شاعر يذم المرائين

منهم

قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والتناهد من شأنهم * شرطويل تحت ذيل قصير

(آخر)

أظهر والناس نسكا * وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا
(ولا خير يحض على الاعتزال عن هؤلاء)

لا تصب عصابة * حلقوا الشوارب الطمع
يكوا وجل بكاهم * مال للفريسة لا تقع

(قال) ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقال لي ما حاجتك قلت زيارتك
قال ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم
ضرب بيده على خيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمن الشباب
فاسقا ثم ثبت فصرت مرأيا والله ان المرأى لشر من الفاسق (ويقال) كان
الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون
ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (ذم) البديع الهمداني قاضيا بالرياء
فقال قد يصح خيته بسواد صحيفته وأظهر ورعه ليخفي طمعه وقصر سبالة
ليظهر سر باله وتغشى محرابه ليغطي حرابه يبرز في ظاهر أهل السميت وهو
في باطن أهل الصمت (شاعر)

تصنع كي يقال له أمين * وما معنى تصنعه الامانة
ولم يرد الاله ولكن * أراد به طريقا للخيانة

(آخر)

ودع التواضع فاللباس مجونا * فآله يعلم ما تكمن وتكتم
فرثا ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عاص مجرم
(ويقال) أربعة لا يعتد بهن زهد الخصى وتوبة الجندی وشكوى المرأة
وتقوى الاحداث (صلى) رجل صلاة خفيفة فضيل له أقصرت الصلاة قال
لا بل هي صلاة ليس فيها رياء (نظر) أبا أمامة الباهلي رجل في المسجد وهو
ساجديكي فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا في بيتك

ومن ظرف الحكايات وتحف الفكاهات
عن كان له من الرياء غرة فاضحة ومن عدم الحياء سمعة لاثمة

(وفد) على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبي بردة فجعل يصلي ويبطل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنع فقال العلاء أنا أتيتك بخبره يا أمير المؤمنين فأني إلى داره بين العشاءين فوجدته يصلي فقال له خفف فإن لي إليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت بك عليه في ولاية العراق فما تجعل لي قال لك علي عمامتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطاً على نفسه فكتب له أني العلاء بالشرط إلى عمر فقال انه عزتاً بالله فسكداً ناغتر وكنا نظنه ذهباً فلما سبكه وجدناه خبنا (وأدخل) على المنصور رجل أراد أن يوليّه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور ان كنت أردت الله به هذا فما ينبغي لنا أن نشغل عنه وان كنت أردت أنما ينبغي لنا أن نتخذ لك ولم يوله شيئاً (مر) بعض المرائين بابن مرداد وهو جالس على باب داره وبين عيني الرجل سجادة عظيمة وكان ابن مرداد شيخاً ابن ثمانين سنة ومقعداً من ثلاثين سنة فقال امرأتى طالق ان كان في استي من القعود ما في جهة هذا من السجود (وضع) بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشده عليها ثوماً وبات بها فراغت العصا به عن مكانها وصارت في ناحية صدغه فاقسم فقيل لولده كيف أصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (وقال) ظريف من الشعراء المراء يتهمكم به في معرض الوصية

شمريابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقاء بنوم

وامس الديب اذا مشيت لحاجة * حتى نصيب ودبعة لتيتم

(و بلغ الرشيد) قول أبي نواس

يا أجد المرتجي في كل نائبة * قم سيدى نعص جبار السموات

(وقوله)

ألا فاسقني خرا وقل لي هي النجر * ولا تسقني سرّاً اذا أمكن الجهر

(وقوله)

ما جاءنا أحد مذمات يخبرنا * في جنة جسمه قد كان أوانار

فقال هذا كلام زنديق وأمر الفضل بن الربيع بحبس نفسه وتناساه زماناً

فاظهر التوبة وكتب إلى الفضل من الحبس بهذه الايات

فأرعى باطلاً وأقصر جهلي * وتبدلت عفة وزهاده
 بر كوع أزينه بخشوع * واصفرا مثل اصفرار الجراد
 لوزاني شهتني الحسن البصري * في حال نسكه أوقتاده
 التسايع في ذراعي والمصحف في لبتى مكان القلاده
 فاذا شئت أن ترى ظرفة تعجب منها مليحة مستجاده
 فادع بي لأعدمت تقويم مثلي * وتأمل بعينك السجاده
 تراءى من الصلاة بوجهي * توقن النفس أنها من عباده
 لوراها بعض المراتين يوما * لاشترها بعد هذا للشهادة
 ولقد طال ما شقيت ولكن * أدركتني على يدك السعادة
 فلما وصلت الآيات إلى الفضل ضحك منها وكام فيه الأمين فأطلقه ولما أطلق
 من حبسه كتب إلى الفضل يشكره على جيل فعله

(الباب الثاني في اللوم وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول من هذا الباب)

(في ذم من ليس له خلق وما اتصف به من الاخلاق)

قال الله تعالى هما زمراء بنميم مناع للخبر معتداً ثمي عتل بعد ذلك زمير هذه
 النقائص كلها يجمعها سوء الخلق (وقيل) ان سوء الخلق شوم يجذب
 صاحبه في الدنيا إلى العار وفي الآخرة إلى النار (وقال) أبو هريرة رضي الله
 عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشوم فقال الشوم سوء الخلق
 (وقال) عمر بن الخطاب اذا كان في الانسان عشر خصال تسعة منها صالحة
 وواحدة هي سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسعة (شاعر)

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه * فأصبح مذموماً قليل المحامد
 (وقالوا) من ساءت أخلاقه طاب فراقه (وقالوا) سوء الخلق يدل على خبث
 الطبع ولؤم العنصر ويكاد سيء الخلق أن يعد من البهائم (وقال) رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
 (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان سوء الخلق زمام من عذاب الله في
 أنف صاحبه والزمام في يد شيطان يجزئه إلى النار أخرجه البيهقي في شعب
 الايمان (وقالوا) فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيعة مشؤمة وخيم وخيم

(فن مساوى اخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والتميمة)

(قالوا) التميمية من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار (وقال) بعض الحكماء الاشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الالمة من الجسد ويترك الصحبة (وقالوا) لم يمش ماش شر من واش والساعى بالتميمة يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه كما حكي أن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العنبي رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه معك عن استماع الخفى كما تنزه لسانك عن التكلم به فان السامع شريك القائل وانما نظر شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولوردت كلمة ساع الى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها والتمام شر من الساحر فان التمام يفسد فى الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر فى المدة الطويلة (أتى رجل) عبد الله بن عباس وهو والى البصرة من قبل على رضى الله عنه بنيمة فقال له ان شئت سألتنا عما جئت به فان كنت صادقا مقنناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقتلنا فقال ان شئت أن تفعل فافعل (شاعر)

توخ من الطرق أوساطها * وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع الحديث * شريك لقائله فاتق به
(وقال أبو الاسود الدؤلى)

لا تقبلن نعمة بلغت * وتحفظن من الذى أنبا كها
ان الذى ألقى اليك نعمة * سينم عنك بمثلها قدحا كها

هذا منظوم قول الناس من نم لك نم عليك (وسعى رجل) برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنافى أمر لك فان كنت كاذبا فانت داخل تحت حكم هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من هذه الآية هما زمشاء بنيم وان شئت عفونا عنك (وقال) بعض الملوك لولده ليكن أبغض رعيتك اليك أشدهم كسفا لمعايب الناس فان للناس معايب وأنت أحق بسترها وأنت انما تحكم بما ظهر لك والله يحكم فيما غاب

عنك واكره الناس ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحجب
ستره ولا تصنع الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان قال قول نصيح (وقال)
ارسطاطاليس النعمة تهدي الى القلوب البغضاء ومن نقل البك تقل عنك
(وقالوا) شر من النعمة قبولها لان النعمة دالة والقبول اجازة وليس من
دل على شيء مكن قبله وأجازه (وقال المهدي) ما الساعي بأعظم عورة ولا أقبح
حالا من قابل سعائته ولا يخلو أن يكون الساعي حاسدا نعمة فلا يشفي غيظه
أو وعدا فلا يعاقب له عدوه فلا يشمت به (ولقد) أحسن بعض الشعراء
لظرفاء في قوله

لا تسمع من الحسود مقالة * لو كان حقما يقول لما وشي

(وقال آخر يذم صديقاله نماما)

وصاحب سوء وجهه لي أوجه * وفي فسه طبل يسري يضرب
ولا بد لي منه فحينا يغصني * وينساخ لي حينا ووجهي يقطب
كما يدرب الحاج في كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب
(وقال السري الرفاء يذم نماما)

أنتم بما استودعتم من زجاجة * يرى الشيء فيها طاهرا وهو باطن
(وقال ابن وكيع في المعنى)

ينم يسر مستر عبه لو ما * كما نم الظلام بسر تار

أنهم من النصول على مشيب * ومن صافي الزجاج على عقار

(ولقد أحسن محمد بن شرف القيرواني في قوله يصف نماما)

وناصت نحو أفواه الوري أذنا * كالقعب يلفظ منها كل ماسقطا
ينزل بالقول والاخبار مجتمدا * حتى اذا ما وعاها زق ما لقطا

* (والنميمة والكذب رضي عالبيان وفي مشوار الدناءة فرسار هان) *

(قال أبو حيان التوحيدى) الكذب شعرا خلق وأدب سيئ وعادة فاحشة
وقل من استرسل معه الالفه وقل من ألفه الا أذله (وأوصى) بعض الحكماء
ولده فقال اياك والكذب فإنه يزرى بقائه وان كان شريفا في أصله ويذله
وان كان عزيزا في أهله (وقالوا) ثقتان لا يجتمعا الكذب والحياء
(ارسطاطاليس) فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين النطق بالصدق

(وقال)

(وقال بزرجمهر) الكاذب والميت سواء فإنه اذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته
 (وقال معاوية) يوما لا حنف وقد حدثه أن تكذب قال والله ما كذبت منذ
 علمت أن الكذب شين (وقال) بعض الاعراب عجت من الكذاب المشيد
 اكذبه وانما هو يذل الناس على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه فالأثم
 له عادة والاخبار عنه متضادة ان قال حقاً لم يصدق وان أراد خيراً لم يوفق
 فهو الخاني على نفسه بفعاله الدال على فضيحه بمقاله فما صح من صدقه
 نسب الى غيره وما صح من كذب غيره نسب اليه (ويقال) الكذب جاع
 النفاق وعماد مساوى الاخلاق عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه من
 نفسه وهو امن ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال الشاعر)
 ان النوم أغطى دونه خبرى * وليس لي حيلة في مقترى الكذب
 لا يكذب المرء الا من مهاتته * أو عادة السوء أو من قلة الادب
 * ويكنى في ذم الكذب قوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
 بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة والكذب يهدي الى الفجور
 والفجور يهدي الى النار وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا أن يضعى
 الصدق وقلما يفعل أحب لى من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل (وقيل)
 لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه فان ما عجز الصدق عن اصلاحه
 كان الكذب أولى بفساده (ولقد صدق من قال)
 عود لسانك قول الصدق تحط به * ان اللسان لما عودت معتاد
 موكل بتقاضى ما سئمت له * في الخير والشر فانظر كيف ترتاد
 * ويكنى في معرفة الكذب أن من عرف به مقت اذا نطق وكذب وان صدق
 * قال رجل لابي حنيفة ما كذبت قط فقال له ابو حنيفة اما هذه فواحدة
 أشهد عليك بها * وقال الاصمعي للرجل كذاب أصدقت قط قال نعم قيل
 له عجب قال خفت أن أقول لا فأصدق (وقيل لبعض الحكماء) أيما أشر
 الكذاب أو النمام فقال الكذاب لانه يخلق عليك والنام ينقل عنك (شاعر)
 لى حيلة فيمن يسم وليس في الكذاب حيلة
 من كان يخلق ما يقو * ل خيلتى فيه قليلة

(ومن ظريف أخبار الكذبة) أن رجلا من آل الحرث بن ظالم قال لقد بلغني
أن الحرث غضب يوما فانتفخ في ثوبه فبدر من ثوبه أربعة أزرار ففقت أربعة
أعين من عيون جلسائه (شاعر)

حلفت برب مكة والمصلى * وأبد الواقفين على عكاظ
لا كذب ما يكون إذا تألى * وشدها بأيمان غلاظ
* وافة الكذب النسيان كذا ورد في الباب المأثور والخبر المشهور قال
الشاعر

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل * لدى الناس كذا باوان كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه ذا ذهن إذا كان حاذقا

* (ومن مستقبح خلائق اللوم الصراح اللسان البذي والوجه الوقاح) *
قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم * وقال
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما استب رجلا من الأغلب إلا مهمما * وقال
الاحنف بن قيس ألا أخبركم بأدواء الداء الخلق الدني واللسان البذي
(وقالوا) اللثيم بعد الخني جنة والوقاحة جنة فوجهه صلب ولسانه خلب
(وقالوا) الفاقة خير من الصفاقة (وقال أبو حيان) إن الخصم إذا كان
الهوى مركبه والعناد مطلبه فلن يفلح معه ولو خرجت اليد بيضاء وانقلبت
العصاحية (قال بعض الشعراء) هجوم معاندا

تراه معدا للخلاف كانه * برد على أهل الصواب موكل
(وقالوا) الوقاحة في الرجل تدل على لؤم نجيده وخساسة قدره وقلة خيره
وكثرة شره وقال الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على أحد * إلا تكمل فيه الشر واجتماعا
(وقال بعضهم في ذمه أوقاحا)

لوان أكفانهم من حرأوجههم * قادموا إلى الحشرف ما مثل ما رقدوا
(ولابي العبري مثل ذلك وأحسن في قوله)

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة * فأقدمتها حافر اللاشهب
* أنشدنا ناصر الدين حسن الكافي عرف بابن النقيب لنفسه في أوقاح
فقال

تعالى الله خالقها وجوها * فأخفت من الحيوان حالا
لقد صلبت وخفت من حياء * وغير خالقها حتى استبحالا
وجوه ليت لي منها حذاء * وليت ابغلتى منها نعالا
(وقال الناجم: جـو)

للك عرض مثل من قوارير * ووجه ملهم من حديد
* ليم بعضهم على الوقاحة فقال الوجه ذو الوقاحة من الوجوه الوقاحة
يفي على صاحبه الانفصال ويفتح له الاقفال ويلقطه الارطاب ويلقمه
ما استطاب ويجسره على قول المنطيق ويسر له فعل ما لا يطيق (ثم أنشد)
اذا رزق الفتى وجهها وقاها * تقلب في الامور كما يشاء
(وقال جعفر الصادق) ان الله يغيض السباب الطعان المتفحش قال
الشاعر

من لم يكن عنصره طيبا * لم يخرج الطيب من فيه
كل امرئ يشبهه فعله * ويرشح الكوز بما فيه
أصل النقي يخفى ولكنه * من فعله يظهر خافيه

(جماع ما يتخلق به الاندال من الشيم والخلال) *

(قال بعض الحكماء) أربعة من علامات اللؤم افشا السر واعتقاد الغدر
وغيبة الاحرار واساءة الجوار * وسأل عبد الملك بن مروان الحاج بن يوسف
عن خلقه فتلکا وأبی أن يخبره فاقسم عليه ان لا بد فقال حسود كنود
لجوج حقود فقال عبد الملك ما في ابليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك
خالد بن صفوان فقال لقد اتحل الشر بمذافيه ومرق من جميع خلل
الخير بأسره وتأنق في ذم نفسه وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه وأفرط في
اقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال الموجبة لضراره (وقال أبو تمام)
مساو لو قسم على الغواني * لما أمهرن الا بالطلاق

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أربعة من كن فيه فهو منافق من اذا
حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا اتفق خان (وقالوا)
الليم كذوب الوعد خوّن العهد قليل الرشد (وقالوا) الليم اذا استغنى
بظر واذا افتقر قنط وان قال أخش وان سئل بخل وان سال ألحف

وان أسدى اليه صنيع أخفاه وان استكتم سرا أفشاه فصديقه منه على
حذر وعدوه منه على غرر

* (وما اخترناه في غدر اللئام من درر الأهاجي والمذاثم) *

(ذم أحد بن يوسف الكاتب بن سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال) محاسنهم مساوى
السفل ومساوئهم فضائح الامم ألسنتهم معقودة بالعي وأيديهم معقولة
بالخيل واعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل

لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولا تبدي مخازيهم وان بادوا
* وذم أعرابي قوما فقال أولئك قوم سلخت أفضاؤهم بالهجاء ودبغت
جلودهم باللؤم فلباسهم في الدنيا الملامة وفي الآخرة الندامة * وذم أعرابي
قوما فقال أولئك قوم هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم وأكثرهم تجزيا
على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على النعشاء * وكان عيسى
ابن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء في حال وزارته فلما انصرف عنها إلى أبا
العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلا ما خفيا فقال أبو العيناء لغلامه من هذا
قال أبو موسى فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال لقد كنت أقنع بإيمائك
دون يانك وبلغتك دون لفظك فالحمد لله على ما آت اليه حالك فلمن
كنت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت
قبائحها بالاقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالادبار عنك ولله المنة إذا غنانا
عن الكذب عليك وزنهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت جل النعمة وما
شكرت حق المنعم ثم أطلق يده من عنانه ورجع إلى مكانه فقيل له يا أبا عبد الله
لقد بلغت في السب ما كان الذنب فقال سألتهم حاجة أقل من قيمته فردني
عنها بأقبح من خلقته (قال بعض الأعراب) نزلت بذلك الوادي فإذا ثياب
أحرار على أجسام عبيد اقبال حظهم ادبار حظ الكرام (أخذ هذا المعنى
شاعر فقال)

أرى حلالا نصان على رجال * واعراضا تدال ولا تصان

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

(وسئل) بعض البلغاء عن رجل فقال هو صغير القدر قصير الشر ضيق
الصدر ثيم الثجر عظيم الكبر كثير الفخر (وسئل آخر) عن رجل فقال

لو قذف على الليل لؤمه لانطمت منه نجومه (وسئل آخر) عن رجل فقال
يكاد يعدي بلؤمه كل من تسمى باسمه (وقال حجاج بن هرون) والله ماله
في الشرف أسباب متان ولا في الخير عادات حسان (وذم أعرابي) رجلا
فقال هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر
يرفعه وهمته تضعه (وذم آخر رجلا) فقال أما الوجه فدميم وأما الخلق
فدميم وأما الخيم فوخيم وأما العرض فزيم وأما الحسب فلتيم (وقال
الجاحظ) فلان لا تنجع فيه الرفي ولا تنفذ فيه الحيل ولا يهزه المدح
ولا يحزنه الذم ولا يخجله التقريع ولا يذله التوبيخ ولا يرحم المظلوم فان
استرحته ازداد غلظة ولا يرق لفقره وان تعرض له قتله جوعا (وقال آخر)
فلان غث في دينه قذر في ديناه رث في مروءته سمج في هيبته منقطع
الى نفسه راض عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كتوم لما آتاه الله
من فضله خلاف الجوج ان سال الحلف وان وعده أخلف لا ينصف الاصاغر
ولا يعرف حق الاكابر (وأشدد لابن قادوس)

تأنت بدميم الفعل طلعت * تأنس المقله الرمضاء بالظلم
(وقالوا) فلان كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكةا وصعب مرتقاها
(قال الشاعر) هجوقوما لثاما

هم الكشوت فلا أصل ولا ثمر * ولا نسيم ولا ظل ولا ورق
جنوا من اللؤم حتى لو أصابهم * ضوء السهى في ظلام الليل لا حرقوا
لو صافوا المزن ما ابتلت أناملهم * ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا
(ومن محاسن التلخيص في الذم) فلان له كيد مخنث وحسد نائحة وشرة قواد
وذل قابله وملق داية وبخل كلب وحرص نباش وتنن جورب ووحشة قرد
(قال ابن حجاج في مثل ذلك)

نسيم حش وريح مقعدة * ونفت أنفى وتنن مصلوب
(وله بهجو)

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استعجبت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبى بعلى * ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

(ومن التلصيق) فلان يروغ من الحق وروغان الثعلب ويشمره الى الادناس
شمره الخنزير ويستسلم الى عدوه استسلام الضبع ويدب الى الشر ديب
العقرب وينام عن الخير نوم الفهد ويجبن عن القرن جبن العصفور
ويحبط في الجهل خبط الناقة (ابن عروس - ججو)

كم قال منتقدك أحر زائف * ماذا أقول وقد عصيت الناقد
ولقد عرضت لك يا زعيم بدرهم * فمين يزيد فأوجدت مزايده
سافر بطرفك هل ترى لك شاكرًا * أو ذا كرا أو حاسدا أو حامدا
(آخر)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل
فأذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

(الفصل الثاني من الباب الثاني)

في ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى
اذ لم تسخ فاصنع ما شئت (وقال الشاعر)

اذ لم تصن عرضا ولم تحش خالقا * وتستحي مخلوقا فاشئت فاصنع
(وقالوا) فلان لا يستحي من الشر ولا يحب أن يكون من أهل الخير فلو
أقلت كلمة سوء لم تنسب الاله وان رفعت لعنة لما وقعت الاله (وسئل
معاوية) عن السفلة فقال الذي ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف
كما قال بعض الاعراب وقد سئل عن رجل فقال عليه كل يوم قسامة من فعله
تشهد عليه بلوم أصله وشهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال * وقال
بعض العارفين أفعال المرء شهود لخواصه * وسئل محمد بن الحسن عن
السفلة فقال من يبخل بقطعه الحجام ويضعل في الطريق فعل الطغام * وقال
الاصمعي السفلة من لا يبالي بما قال أو قيل له (وقال يحيى بن أكنم) السفلة
الذي لا يعيبه ما صنع (وقال أبو مسلم) ألام الاعراض عرض لم يرتفع
فيه مدح ولا ذم * وسمع الاحنف رجلا يقول لأبالي بمدحت أو ذممت فقال
يا هذا استرحمت من حيث تعب الكرام

(فن فعلات من خلع في اللؤم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن)

(من أمثال العرب في ذلك) أكفر من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاعت بتريته ذراعاً فرباه وأحسن إليه فلما بلغ الحلم هجوا قبيحاً فنهاه عنه فتركه حتى نام واعتاله (وحكى الاصمعي) أن أعرايس بن جروذ بن جهم جعل يغذيه بلبن شاة له حتى كبر فخرج معها يومئذ إلى الرعي كعادته فحركته الطبيعة الدينية والنفس الذئبية على اقتراس الشاة فلما رأى الأعرابي الشاة فريسة أنشد

عقرت شويهي وجعت قومي * بشاتهم وأنت لها ربيب
غذيت لبانها ونشأت معها * فمن أنبال أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الأديب
* وأغار خيمنة بن مالك الجعفي على بني القين فاستأف منهم ابلاً فاطلقوا خلفه
الاعنة فلم يقدر راع عليه ولا وصلوا إليه فنادوه وقالوا له إن أمامك مفازة ولا
ماء معك وقد فعلت جيلاً فانزل ذلك الذمام والخباء فنزل فلما اطمان وسكن
أخذته سنة فذام فوشبوا عليه وقتلوه

* (ومما يستغرب منه ويستعجب في هذا الباب ويستعذب) *

لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث برز من أصحاب عبد الرحمن
عبد الله بن سواد الحارثي وطلب المبارزة فبرز إليه بعض أصحاب الحجاج فقتله
عبد الله ثم عاد فطلب المبارزة فخرج إليه آخر فقتله ثم عاد فطلب البراز
فخرج إليه آخر فقتله ثم عاد وطلب البراز فقال الحجاج للجراح بن عبد الله
الحكمي أخرج إليه فخرج فقال له عبد الله وكان صديقاً له ما أخرجك قال
ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح وما هو قال أنهزم لك فترجع إلى
الحجاج وقد أحسنت عنده وأما أنا فأحتمل مقالة الناس في انهزامي حياء
لسلامتك فاني لا أحب قتل مثلك من قومي قال افعل فحسم الجراح على عبد
الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح يريد قتله فصاح بعبد الله غلام له وكان
ناحية عنده وكان معه أداة وقال له يا سيدي إن الرجل يريد قتلك فعطف
على الجراح فضر به بعمود على رأسه فصرعه فقال له يا جراح بئس ما جزيتني
به أردت لك العافية وتريد قتلي انطلق فقد تركتك للصداقة التي بيني وبينك
فشنان ما بين الفعلين * قصه أبو بكر الخوارزمي صاحب بن عباد ومده

بقصيدة قال فيها

وما خلقت كفاك الا لاربع * عواند لم يخلق لهن يدان
لشرك أفواه وتنويل نائل * وتغليب هندی وأخذ عنان
فلما بلغ الى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه تقدم ورأس
فقال قصيدة مدحه بها جاء منها

يد تراها أبدا * فوق قيد وتحت فم
ما خلقت بناتها * الا سيف وقلم
نخلع عليه كل ملبوسه وخلق عليه كل من كان في مجلسه من الثياب موافقة
للساحب فصلت له مائة جبة فلم يرضه ذلك وانصرف فهاجاه بقوله
لا تحمدن ابن عماد ولو مطرت * كفاه بالجوحد حتى جازت الديما
لكنها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا يخلو ولا كرما
واتفق ان مات الخوارزمي عقب قوله هذه الايات فلما بلغ صاحب موته
قال

سألت بريد من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لا نعم
فقلت اكتبوا بالخص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكهر النعم
* (ومما يدل على خبث فجار اللئيم الغدر بمن يركن اليه ويستقيم)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا جع الله الاولين والآخرين رفع لكل
غادر لواء وقبل هذه غدره فلان (وقالوا) من نقض عهده ومنع رفته
فلا خير عنده (وقالوا) العذر يصلح في كثير من المواطن ولا عذر لغادر ولا خائن
(شاعر)

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى الا صريح حوادث
ما زالت الابرار تعلق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث
(وقالوا) الغدر من صغر القدر (ويقال) من تعدي على جاره دل على لؤم
فجاره * وقال علي رضى الله عنه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل
الغدر وفاء * ذكر أن عيسى عليه السلام مر باسان بطارد حبة وهي
تقول له والله لن لم تذهب عني لا نفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعاً فاضى
عيسى وعاد فوجد الحية في جونة الرجل محبوبه فقال لها ويحك اين ما كنت

تقولين قالت يا روح الله انه حلف لي وغدر وان سم غدره أقتل له من سمى
 * أعرق الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معديكرب
 فان عبد الرحمن غدر بالحجاج لما ولاه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله
 وكانت بينهم ثمانون وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه (وغدر) محمد بن
 الاشعث بأهل طبرستان وكان عبد الله ولده أياها فصالح أهلها على
 أن لا يدخلها ثم عاد اليهم غادرا فأخذوا عليه الشعب وقتلوا ابنه أبا بكر
 (وغدر) الاشعث بن قيس بن الحارث بن كعب غزاهم فأسروه ففدى نفسه
 بمائتي بعير فأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة فلم يؤدّها لهم حتى جاء الاسلام
 فهدم ما كان في الجاهلية (وكان) بين قيس بن معديكرب وبين مراد عهده
 الى أجل فغزاهم في آخر يوم من الاجل وكان يوم الجمعة فقالوا له انه لا يحل لنا
 أن نقاتل يوم السبت فأخبرهم فلما كان صبيحة السبت قاتلهم فقتلوه وهزموا
 جيشه (وغدر) معديكرب بمهرة وكان بينه وبينهم عهد الى أجل فغزاهم ناقضا
 لعهدهم فقتلوه وفتقوا بطنه وملأوه بالحصى

*) (ومما ينزع لباس الحسب والصيانة رفول المرء في أطمار الخيانة) *

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
 * وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما لم تزل الأمانة مغنما والصدقة
 مغرما (ومن الحكايات في هذا الباب) ما يحكي أن شهرا بن حوشب وكان من
 أجلة القراء وأصحاب الحديث دخل على معاوية وبين يديه خرايط قد جمعت
 لتوضع في بيت المال فقعد على احداهما ومعاوية يراه فلما رفعت الخرايط
 فقدم من عددها خريطة فأعلم الخازن بذلك معاوية فقال هي محسوبة لكم
 ولا تسألوا عن أخذها وفيه يقول الشاعر

لقد باع شهريته بخريطة * فن يامن القراء بعدك يا شهر

* كان للمأمون خادم يسرق طسه الذي يتوضأ فيه فقال له يوما هلا اذا سرقت
 تأتيني بما تسرقه فأشتره منك قال فاشترمني هذه وأشار الى التي بين يديه
 قال بكم هي قال بدينارين قال على أن لا تسرقها فقال نعم فأعطاه دينارين
 ولم يعد الخادم يسرق شيئا لما رأى من حله عنه * وقال المنصور لعامل بلغه
 عنه خيانة يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو المسلمين أكلت مال الله

وختت خليفة الله فقال يا أمير المؤمنين نحن عيال الله وأنت خليفة والمال مال الله فمن أين تأكل إذا فاضلك منه وأطلقه وأمر أن لا يولى عملاً بعددها (سرق) رجل في مجلس أنوشروان جام ذهب وهو يراه فلما فقداه الشرابي قال والله لا يخرج أحد حتى يقتل فقال أنوشروان لا تعرض لأحد فقد أخذه من لا يرده وراه من لا ينم عليه (وأودع) بعض التجار عند قاضي معرة النعمان ودبعة وغاب عنها مدة فلما جاء طالبها بها فأنكرها فاشتفع إليه برؤساء بلده في ردها فلم ير إلا وابه حتى أقربها وأدعى أنها سرقت من حرزه فاستحلقه فحلف فعمل فيه ابن الدويرة الشاعر المعري أيتها منما

لا يصدق القاضي الخون إذا ادعى * عدم الوديعه من حصين المودع
ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو نعى
أو قال قد وقعت فيصدق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع
(وقال ابن حجاج)

وادعوههم الى القاضي عساهم * اذا وقع الجلود يحلقوني
وأضيع ما يكون الحق عندي * اذا عزم الغريم على اليمين
(آخر)

إذا حلقوني بالغموس منحتهم * يميننا كحقن الالحى الممزق
وان أحلقوني بالعناق فقد درى * صحيح فلامى أنه غير معتق
وان أحلقوني بالطلاق رددتها * على خير ما كانت كان لم تطلق
(وقف) بعض الجمان على قبر سارق فقال رحلك الله فلك دكنت أجرة الأزار
حاذ السكين ان نقبت فخرذ وان تسلفت فسنور وان استلبت فخدأة
وان ضربت فقراض ولكنك اليوم وقعت في زاوية سوء وليس كل حبس
تحبس فيه الى التناد على أموال العباد

ومن الصنيع الدال على لؤم الاصول
من كان بسيف جورده على العباد بصول

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقال عليه الصلاة والسلام أعتى الناس على الله وأبغض الناس الى الله وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله تعالى من أمة محمد شيئاً فلم يعدل فيهم (وقال) سفيان

الثوري لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من
 أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد (ويقال) من طال عدوانه زال
 سلطانه (وقال) أمير المؤمنين على رضي الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد
 من يوم الظالم على المظلوم (ويقال) الظلم يجلب النقم ويسلب النعم (وقالوا)
 من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الحرية والملك الى دفاة العبودية والملك
 (ويقال) ليس شيء أسرع الى تغيير نعمة وتجييل نقمة من الاقامة على الظلم
 (وفي الخبر) يقول الله تعالى أشد غضبي على من ظلم من لا يجده ناصر اغبري
 (وقالت الحكماء) شر الملوك الافاك السفاك (وقال) أبو منصور الثعالبي اخلق
 بالملك الظلوم أن يصير غصنة للمرائين وعظمة للراوين (وقالوا) الظلم أسرع
 الى تبديل النعم وتجييل النقم من الطيور الى الاوكار ومن الماء الى الانحدار
 (وقالوا) سبع خطوم خير من وال ظلوم (كان) زياد بن أبيه ممن استطال بهجوره
 وعسفه في ولايته عراق البصرة والكوفة فلما ذل له من فيهما كبرت عليه
 نفسه واستقلها ما لها فكتب الى معاوية اني قد ضبطت العراقين يميني وبقيت
 شمالي فارغة فجمع له معاوية الحجاز واتصلت ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة
 في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذوا بغيره يسألون الله تعالى الاقالة
 منه ورفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شمال زياد كما كفتنا يمينه
 فطعن فيها فشا ورشريحاً في قطعها فقال له رزق مقسوم وأجل معلوم واني
 أكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجسدم وان حتم أبطلك أن تلقى الله مقطوع
 اليد فاذا سألتك لم قطعتها فتقول بغضاً للقائك وفراراً من قضائك فتركها فلما
 خرج شريح من عنده لامة الناس فقال انه قد استشارني والمستشار مؤتمن
 ولولا أمانة المشورة لوددت ان الله قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر أعضائه يوماً
 يوماً وزاره شريح بعد ذلك فلما خرج من عنده قال له مسروق كيف تركت
 الامير قال تركته بأمر وينهي فأقول قوله فاذا هو يأمر بالوصية وينهي
 عن البكاء عليه ومات من تلك سنة ثلاث وخمسين في رمضان وكان مولده
 عام الهجرة ودفن في أرض الكوفة وسنأني على تنف من مولده ونسبه فيما
 يلي هذا الفصل ان شاء الله تعالى (ومن المقرطين في العسف والعنف) يوسف
 ابن عمر الثقفي قلده هشام بن عبد الملك العراق وكان شيطاناً مريداً وجباراً

عنيذا سفا كالدماء معروفا بالظلم والغشم ولما قلده أمره بالقبض على
 خالد بن عبد الله القسري فسار إليه حتى هجم عليه وهو في قصره على حين
 غفلة من أمره فأخذه ثم رقى المنبر وقال يا أهل العراق إن الجحاح كان دخانا
 أنا ناره ولهبنا أنا شراره فعليكم بالطاعة العائدة بمجزيل الثواب وإياكم
 والمخالفة الموجبة لوشك العقاب وقد أعذر من أئذرت نزل (يحكى عنه) أنه
 دخل دار الضرب فعاب درهما فوجده ناقصا حبة فضرب فيها الامناء والصناع
 عشرة آلاف سوط (وكان) الفضل بن مروان وزير المعتصم ظالما غاشعا
 متبججا بالظلم متعبرا متكبيرا كان المعتصم يقول الفضل بن مروان أسخط
 الله وأرضاني فسلطني الله عليه دخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما
 من بعض عماله فصرف وجهه عنه ولوى عطفه فخرج من عنده وهو ينشد
 تجبرت يا فضل بن مروان فانتظر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
 ثلاثة أملاك مضوا السيل لهم * أبادهم التغيير والموت والقتل
 فان تك قد أصبحت في الناس ظالما * ستودي كما أودى الثلاثة من قبل
 فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذي عني بقوله فقيل انه أراد الفضل بن يحيى
 والفضل بن سهل والفضل بن الربيع فتغير وجهه ولم يلبث الا أياما يسيرة حتى
 قبض عليه (وفيه) يقول بعض الشعراء من أبيات هي قوافيها على ألفاظ
 الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ولقد أبدع وأجاد فيها
 فصحت فأخلص النصيحة للفضل * وقلت فبينت المقالة للفضل
 ألا ان في الفضل بن يحيى لعبرة * ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
 وفي ابن الربيع الفضل للفضل زاجر * ان ازدجر الفضل بن مروان بالفضل
 وللفضل في الفضل بن سهل مواعظ * ان اقعظ الفضل بن مروان بالفضل
 اذا ذكروا يوما وقد صرت رابعا * ذكرت بقدر السعي منك الى الفضل
 فأبني جيلا من حديث تكونه * ولاتدع المعروف والاخذ بالفضل
 فانك قد أصبحت للناس قائما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
 من أبيات كثيرة أتيت منها على ما مست الحاجة اليه ووقع الاختيار عليه
 (وقال شاعر في نكبته)

لا تغبطن احوال الدنيا بقدرة * فيها وان كان ذا عز وسلطان

يكفيك من غير الايام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان
ان الليالي لم تحسن الى أحد * الأساءات اليه بعد احسان
(وصف) بعض البلغاء عاملا للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما تركت قضية
الافضها ولا ذهب الاذهب به ولا علقا الاعلقه ولا ضيعة الا أضاعها
ولا غلة الا غلها ولا عرضا الا عرض له ولا ماشية الا امتشها ولا جليلا
الا أجلاه ولا دقيقا الا دقه ولا رقيقا الا أرقه فضحك منه وصرفه عن أهل
ناحيته (ووصف) بعضهم عامل ولاية فقال والله ما الذئب في الغنم بالقياس
اليه الا من المصلحين ولا السوس في الخرز من الصيف الا من العادلين
ولا يزجر الدائم في أهل فارس الا إضافة اليه الا من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابله به الا من الملائكة
المقربين (ووصف) آخر عامل ولاية فقال كان يجبي خراج الوحش ويأخذ
جزية السمك ويطلب زكاة الملائكة ويلتصم جمع الرياح ويروم
القبض على الماء وحصر الحصا وكيل الانهار وتحصيل الهباء ولئن
كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد جلت المصيبة بقوم نزل فيهم
(وادم) البديع الهمداني قاضيا ووصفه بالظلم فقال قاض لا شاهد عنده
أعدل من السكر والحام يدلهم ما الى الحكم ولا ولي أصدق لديه من
الصفر الذي يرقص على الظفر ولا وثيقة أحب اليه من غزاة الخصوم على
الكيس المختوم ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق في وقتي الفلق
والغسق واقسم لو ان اليتيم وقع بين الاسود بل الحيات السود لكأنت
سلامته منها أيسر من سلامته من أصحابه وما ظنك برجل يعادي الله
في الغلس ويبيع الدين بالثمن الجنس واصر لا يتقب الا خراثر الاوقاف
وكردى لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع
والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العدول والشهود (قيل) لبعض
الاعراب ايماء أحب اليك أن تلقى الله ظالما ومظلوما قال ظالما قيل له ويحك
ولم قال ما عذري اذا قال لي خلقتك سويا قويا لم تستعد وأنشد بيت زهير
ابن أبي سلمى

ومن لا يذعن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

* (ومن معائب من رغب عن المكارم القاء الحشمة في ارتكاب المحارم) *

كما يحكى ان نصر بن سيار مر بأبي الهندي وكان شريفا في قومه وهو جميل سكراف فقال له أفست شرفك فقال أبو الهندي لولم أفست شرفي لم تكن أنت والى خراسان (وكان) يزيد بن معاوية يلعب بالسكران لكثرة انهماك على كثرة شرب الخمر ولقب أيضا يزيد الخمر بلفظه ان المسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد المسور حتى القذف ففعل فقال المسور

أشربها صر فأتظن ذنبا * أبا خالد والحديض ضرب مسور

وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضره مجلس شرا به ويطرح له متكا وبسقيه فضلة كاسه واتخذ له أنانا وحشية قدر يضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركبه بهما عليها ويسابق بها الخيل يوم حلبسة الرهان فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي هي الغاية ودخل الحجر قبل مجي الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الأحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

تمسك أبا قيس بفضل زمامها * فليس عليها ان سقطت ضمان

الامن رأى القرد الذي سبقته به * جياذ أمير المؤمنين أمان

(وكان) الوليد بن يزيد بن عبد الملك مما جازته يقام مستزنا مستخفام مستهينا بالخاصة والعامة مدمنا للخمر متلاها بالهوى واللعب مصرعا على ارتكاب الفواحش مستغلا بخلاعته عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

مضى الخلفاء بالامر الحميد * وأصبحت المذقة للوليد

تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأي السديد

ذكر ثقات المؤرخين ان المؤذن أذنه يوما للصلاة وهو في لهوه فأمر جارية من جواربه الفواسق أن تعتم وتسلم وتصلى بالناس فخرجت على هذه الصفة وصلت بهم * وبلغ من تمكده بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان والشاهد عليه ما يقال انه من شعره

الامن مبلغ الرحمن عني * بأنى تارك شهر الصيام

(وقوله)

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر

نشرهم اصرفا ومزوجة • بالسحن والبارد والنفار

(وحكى) أنه استدعى أشعب الطامع من المدينة وألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب واقترح عليه صوتا يرقص به فلما فعل ذلك أعطاه ألف درهم وقيل انه لما دخل عليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قال لا قال فاسجد له فسجد وهو القاتل يخاطب المصنف وقد جعله هدا فاجن تفاعله منه فخرج قوله تعالى واستغفروا وخاب كل جبار عنيد

أنوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مرقني الوليد
والسبب في قوله هذا أنه لما رأى حاله قد انحل نظامها ودولته مدبرة وقد نفدت أيامها فتح المصنف ينظر فيه فالأخرج له واستغفروا الآية
(ومن قوله يخاطب المصنف فعل من بدل وحرف) *

تخوفنى الحساب ولست أدري * أحقأما تقول من الحساب
فقل لله يمنعنى طعامى * وقل لله يمنعنى شرابى
تلاعب بالنبوة هاشمى * بلا وحى أتاه ولا كتاب
فنعاه الله طعامه وشرابه كما أراد في مقاله وسلط عليه من قتله وهكذا عادة الله في أمثاله فقتل يوم الخميس لليتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة بالنجباء وهو قصر على ستة أميال من تدمر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة وقبل تسع وثلاثون وأشهر وكانت مدة خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وقرن به دف وطنبور ولم يزل أثر الدم على الجدران الى أن قدمها المأمون سنة خمس عشرة ومائتين فأمر بحكه (وكان) والبة بن الحباب من الخلعاء المستهزئين وهو الذى ربي أبانواس وأدبه يحكى عنه أنه كشف يوما عن فمحه فقبلها فضرط على لحيته فقال له وبلك ما هذا فقال أما سمعت المثل * جزاء مقبل الوجهاء ضرطه *
فزاذ كلامه عجبا به (يحكى) أن جماعة اجتمعوا في مجلس لطيف بن اياس بشرطون النجرفا فاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم يحيى بن زياد ليلته وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلى فقام مطيع فأذن وقال للقينة تعذنى وصلى بنا واقرئنى فى صلاتك

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا

فتقدمت وصلت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة رقيقة يظهر سائر
جسدها منها فلما وجدت انكشف سترها وبدا هنها فوثب اليه مطيع وقبله
ثم قال

ولما بدا هنها جانما * كرأس حليق ولم يعقد

سجدت عليه فقبلته * كما يفعل العابد المجتهد

فقطعو اصلاتهم بالضحك وعادوا المانه واعنه (ومن أشعارهم) قول أبي نواس

انما الدنيا غلام * وطعام ومدمام

فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

فيؤسألهم ألم يعلم عاقلهم وجاهلهم بأن الله يرى وأن ييده نواصي ما ذرأ وبرأ
ولكن غرهم الامهال حتى ظنوا أنه اهمال فبدلنا الله من سنة الغفلة بقطة
الطاعة وألهمنا من العمل ما نفوز بأجره الى قيام الساعة آمين

* (ومن خلائق العريق في الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرفاعة) *

قال الشافعي "أظلم الناس انفسه اللثيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه
واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (وقال) أبو مسلم ما ضاع الا وضيع
ولا فاجر الا لقيط ولا نعصب الا دخيل (وقال عمر) ما وجد أحد في نفسه كبرا
الا لمهانة يجدها في نفسه (ويقال) الاعجاب يغطي سائر المحاب ويكنى في ذم
الكبر قول الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
قال ابن عيينة حرمهم فهم القرآن (قال) بعض البلغاء الكبر من أخبت سرائر
القلوب وأعظم كائرا الذنوب لا يرى صاحبه أبدا الا فظا غليظا ولا يرى
لاحد سواه في الفضل حفظا حفيظا وكفى به شيمة مشؤمة وخلة مذمومة
أهلك الا ~~ك~~ كابر حديشا وقديما وعاد الكريم من الرجال ذميا ملما
(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من
كبر (وكان) يقال من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ومن أنف من
عمل نفسه اضطر الى عمل غيره (وقالوا) من قل ليه ~~ك~~ كثر حجه (وقال)
أزدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدرك صاحبه أين يضعه فصرفه الى
الكبر وقال الشاعر

وقل لمعتصم بالتيه من حق * لو كنت تعرف ما في التيه لم تتبه
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل منه ككة للعرض فأتبه

(آخر)

رايت القتي زداد نقصا وذلة * اذا كان منسوباً الى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبرهمة * فاني رأيت العجب من صغر القدر
(وأشد) الامام محيي الدين محمد عرف بجاحي رأسه النحوى لنفسه

ومعتقد أن الرياسة في الكبر * فأصبح ممقوتاً به وهو لا يدري
يجرد ذبول الفخر طالب رفعة * ألا فاجعجوا من طالب الرفع بالخر

(وقال معاوية) ان التواضع مع البخل والجهل أزين بالرجل من الكبر مع
البذل والعقل فيا لها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين وباللهامن سيئة
غطت على حسنتين عظيمتين * وقالوا من أصاب حظاً من جاء فأصاره الى كبر
وترفع أعلم الناس انه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة
دونه وأنه ادون ما يستحق * مر المهلب بن أبي صفرة على مطرف بن عبد الله
وهو يتكبر في جبة خرق فقال يا عبد الله هذه مشية يغضها الله ورسوله فقال
المهلب أما تعرفني فقال له ومن أنت قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولئك
نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة
تظم بعضهم هذه الكلمات فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن طاعته * يصير في اللحد جيفة قدرة
وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذرة

(ولا آخر)

يا مظهر الكبر اعجاباً بصورته * انظر خلاك فان البين تريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شب
هل في ابن ادم مثل الرأس مكرومة * باربع هو بالاقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريجها مهنك * والعين صر مصصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فأنك ما كول ومشروب
(ومن ظريف) ما بك من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل

الحضرمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فبين وقد عليه من سادات العرب
 فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به إلى منزل رجل من
 الانصار لينزله عنده وكان منزله بأقصى المدينة قال معاوية تخرجت معه وهو
 راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة قيط يشوي الوجوه وليس لي حذاء فقلت
 له أردفني خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت اني ابن أبي سفيان قال
 قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت فألقني نعليك قال
 لا تقبلان قد ميك وإيكن امش في ظل ناقتي فكفالك ذلك شرفا وان الظل
 لك لكثير قال معاوية فخامرتي مثل ذلك اليوم قط والله خللته أنه من جهنم
 ثم أدرك سلطاني فلم أواخذه بل أجلسته معي على سريري هذا (وحكى) أن
 عمارة بن حزمة وكان متكبرا جدا دخل على المهدي يوما فلما استقر به مجلسه
 قام رجل كان المهدي قد أعد له ليهكم به عمارة فقال مظلوم يا أمير المؤمنين
 قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبي ضيعتي وكانت من أحسن ضياع عمارة
 فقال المهدي قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ماهولي بخضم ان
 كانت الضبعة له فلست أنا زعمه فيها وان كانت لي فتدوهي تهاله ولا أقوم
 من مجلس شرفني به أمير المؤمنين فلما خرج الرجل وانفض المجلس سأل
 عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم (وكان)
 من تبهه أنه اذا أخطأ يمر في خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول تقض و ابرام
 في ساعة واحدة الموت أهون منه (وقال) ابن عبدوس الجهشياري كان
 همارة أعور دميما استعمله المنصور على الخراج و كور دجلة والاهواز
 و كور فارس و قلده المهدي ذلك أيضا * وكان عبد الدولة بن جهمير وزير
 المستظهر بالله متكبرا كثيرا كبيرا يكاد يعتد كلامه عدا وكان اذا كلم رجلا
 كلاما يسرا هي ذلك الرجل بكلامه * ومن الكبر المستبشع والتبه المستشع
 ما يحكي أن ثوابه دعاء كاراف كلمه فلما فرغ من كلامه دعا بماء وغمض به
 استقذا والمخاطبة (وأنشدت) لبعض المتكبرين مفتخرا

أتبه على جن البلاد وانسها * ولولم أجد خلقا انتهت على نفسي
 أتبه فما أدري من التبه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فان زعموا أني من الانس مثلهم * فما لي عيب غير أني من الانس

(ولا بن صابر)

أيها المدعي الفخاردع الفخـ * رلدى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يقد ليله الغما * وروكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب الننا * ومزىل فضيله الباقوت
(وصف) البديع الهمداني متكبر ا فقال كان الدنيا خاتم في خنصره وحساب
خارجها في بنصره وكان الشمس تطلع من جبينه والغمام يندى من يمينه
وكان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته * وقال آخر كان العجب
شقيقه والبذخ رفيقه والنفخ أليفه والصلف حليفه * وقال جعيفران
يجوسعيد بن مسلم بن قتيبة

أتم سعيد لم ولديته * ملوئا بالكبر والديه
ليتك اذ جئت به هكذا * حين خريته أكلته

(آخر)

كبر بلا نسب تيه بلا حسب * نخر بلا أدب هذا من العجب
(والهجو) القطيع القبيح قول بعض الشعراء في أبي جعفر العباس بن
الحسن ان ابن عباس أبا جعفر * يذل للنائك أوراكه
تراه من تيه ومن نخوة * كانه ناك الذي ناكه
* ولهم بعض المتكبرين على الاعجاب فقال التواضع بكسب المذلة والافراط
في الموانسة يوجب المهانة وأنشد

ونفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
(وقال في معناه صالح بن عبد القدوس)

اذا ما أهنت النفس لم تلق مكرما * لها بعد ما عرضتها لهوان

(آخر)

وأكرم نفسي انى ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدى
(واعذر متكبر عن كبره بقوله)

وما لى وجه فى اللثام ولا يد * ولكن وجهى فى الكرام عريض
أهس اذا لاقيتهم وكأنتى * اذا أنا لاقيت اللثام مريض

(الفصل الثالث من الباب الثانى)

(في أن من تخلق باللوم انتفع وعلا على الكرام وارتفع)

قال سعيد بن المسيب الدنيا ملة تميل الى الاندال وقال لولم يزهدي في الدنيا
الا لانها في يد الاندال لكان ينبغي لنا ذلك لاهوانها على الله * وقال الشافعي
في ذم الدهر وسوء معاملته لسرانه وسقياء لهم أكواب حسرانه
محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الا كابر فاسترق رقابهم * وزراه رقا في يد الا وغاد

(ابن الرومي)

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كسئل البحر يغرق كل حي * ولا يتفك بطوفيه جيفه
أو الميزان تخفض كل واف * وترفع كل ذي زنة خفيفه

(آخر)

رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع راية القوم اللثام
كان الدهر موتور خفور * يطالب حقه عند الكرام

(وقال اسامة بن منقذ)

شغل الزمان بأهل النقص يرفعهم * حتى يثمر للوراث ما خزنوا
ألهاء رفع لثام الناس فهو على * ذوى المكارم والافضل مضطغن

(آخر)

يادهر صافيت اللثام ولم تزل * أبدا لآبناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لا محالة زائدا

(آخر)

قل لدهر من المكارم عطل * يا قبيح الفعال جهم المحيا
كم رفيع حططته في خبيث * ووضع ألحقته بالثريا

(آخر)

عجبا للزمان يرفع حرا * مالا يه ويمسح المال نذ لا
فهو مثل الميزان يرفع ما خف ويهوى في الوزانة سفلا

(ولقد أحسن الآخر في قوله)

سالت زمانى وهو بالخفض موانع * وبالجهل مخفوف وبالنقص مختص

فقلت له هل من طريق الى العلا * فقال طريقان الوفاحة والنقص
(ويقال) انضاع الاعالي بارتفاع الاسافل واذا ارتفعت الاراذل هلكت
الافاضل (وقال) قيس بن زهير أربعة لا يطاقون عبدملك ونذل شبيع
وأمة ورثت وقيحة تزوجت (وقال) اردشير ماشى في انتقال الدول أمرت
من رفع وضيع الى مرتبة شريف فان الوضيع اذا ارتفع تكبر واذا انحول
استطال واذا تمكن صال (وقالوا) سوء القتل ولا رياسة النذل (ولترجع)
الى خبر أبي بكر الخوارزمي الذي ورد به شرعة الانصاف وحسم فيه بين
العقلاء مادة الخلاف قال لاصغير في الولاية والعمالة ولا كبير مع العظلة
والبطالة وانما الولاية آتت تصغر وتكبر وباليها ومطية تحسن وتقبح
بمطيتها والصدر بمن يليه والدست بمن يجلس فيه والاعمال بالعمال
كما أن النساء بالرجال (ويؤيد) قوله هذا أن الرشيد بلغه أن موسى بن
عيسى الهادي وكان أميراً على مصر من قبله عازم على خلعه فقال والله
لا عز لني بأخس من علي بابي وقال ليحيى بن خالد اطلب لي كاتباً عفيفاً يصلح
لعمل مصر واكتب خبره فلا يشعربه موسى حتى يتجأه فقال قد وجدته
قال من هو قال عمر بن مهران وكتب له بخطه كتاباً الى موسى بتسليم العمل
اليه فسار وليس معه غير غلام أسود اسمه ابودرة على بغل استأجره ومعه
خرج فيه قيص ومبطنه وشاش وطيلسان وخف فلما وصل الى مصر نزل
خائفاً قام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعن فيه من العمال وأخبار
من كان يجواره في الخمان انه قد ولي مصر واستعمل منهم كاتباً وحاجباً
وصاحباً شرطياً وقلد آخر بيت المال وأمر من تبعه ووثقه أن يدخل معه
على موسى فاذا سمعوا حركة في دار الامارة قبضوا على الديوان فلما أبرم أمره
بكر الى دار الامارة فأذن موسى للناس اذا ناعا ما فدخل في جلته ومن
اتفق معه وموسى جالس في دسسته والقواديين يديه وكل من قضيت حاجته
يمصرف وعمر جالس والحاجب ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته وهو
يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى
فقبله ووضع على رأسه ثم فتحه وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم
قال أقرئ أبا حفص السلام وقل له كن بموضعك حتى نتخذ لك منزلاً ونام

الجند بسـ متقبلونك قال أنا عمر بن مهران وقد أمرني أمير المؤمنين أن أقيمك للناس وأنصف المظلوم منك وأنا فاعل ما أمرني به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر واضطرب المجلس فقبض على الديوان فبلغ موسى الخبر فنزل عن فرشه وقال لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة ما ظننت ان أحدا بلغ من الحيلة والحزم ما بلغت تسلمت مني العمل وأنت في مجلسي ثم نهض عمر الى الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعزل وولى وكان بمصر قوم يدافعون الخراج فأحضر أشدّهم مدافعة فطالبه فاستمعه ثم طالبه الثانية فاستمعه فلما كان في الثالثة فاستمعه خلف أيماناً مؤكدة لا يستأديه الا في بيت المال ببغداد و وكل به من أشخصه الى بغداد تخاف الناس من مثل ذلك فلم ينكسر من الخراج بعدها درهم (وانما) ذكرنا هذه الحكاية لما فيها من التنبيه على أن الرتبة النفيسة اذا وليها ذو القدر الحقيق والنفس الخسيسة لا يكون ذلك قادحاً في جلالته ولا مغيراً لها عن حالتها وانما ذلك بحسب ما ينظر اليها الزمان فربما نظر اليها بسعد أو نظر اليها بحزن فان سعدت وليها من هوأ كبر منها وان حرمت تولاهما من يصرف السعد عنها

* (ذكر من نال المراتب السنية * من ذوى الاعراق الدنية) *

ونقتصر منهم على ذكر ثلاثة وهم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وانما اقتصرنا على هؤلاء لانهم أقاموا دول من كانوا اتوا بهم من الخلفاء فزياد لما وية والحجاج لعبد الملك بن مروان وأبو مسلم لبني العباس (فأما زياد) فقبل فيه زياد ابن أبيه وقيل زياد بن عبيد الثقفي وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبي سفيان وانما قيل ابن أبيه لاختلاف الناس فيمن ينسب اليه وسمية كانت عند كسرى فوهبها لابي الخير قيل من أقبال حمير قد دخل بها الطائف فمرض قطبه الحرث بن كلدة طبيب العرب فتجمع فيه طبه فوهب له سمية فولدت له نضيبا ويكنى أبا بكره ونافعاً ثم كانت تحت عبد الصقية بنت عبد الله بن أسد بن علاج الثقفي وكان يسمى عبيدا فولدت له زيادا ويقال ان أبا سفيان واقعها على كره منها في حال سكره وكانت بغيا فحملت منه بزياد وقيل لعبيد انه لفر اشك فكان عبيد يكنى به * وروى ابن عبد البر في الاستيعاب ان زيادا اشترى

عبيدا بالف درهم وأعتقه فكان يغبط بذلك * وأما السبب في إضافة أبي
سفيان زيادا الى نفسه والحاقة به ما ذكر أن عمر بن الخطاب بعث زيادا
في اصلاح فساد وقع في اليمن فلما رجع من وجهته خطب خطبة لم يسمع الناس
مثلها فقال عمرو بن العاصي لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه
فقال أبو سفيان والله اني لاعرف من وضعه في رحم أمته فقال له أمير المؤمنين
علي كرم الله وجهه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له علي رضي الله عنه
مهلا يا أبا سفيان فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص * يراني يا علي من الاعادي
لاظهر أمره صخر بن حرب * ولم تكن المقالة عن زياد
ولكني أحاذر خيف كف * لها نقيم ولقي عن بلادى
فقد طالت مجاملتي ثقيفا * وتركي فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبي سفيان فلتة فذلك الذي جعل معاوية على الحاق زياد بأبي
سفيان وذلك في سنة أربع وأربعين وشهد عنده زياد بن اسماء وملك بن ربيعة
والمندبر بن الزبير على اقرار أبي سفيان بأنه ولده وكان أبو بكر يقول ما رأيت
سمية أبا سفيان قط (ولما) ألقى معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم
عليه فأنشده قول أخيه عبد الرحمن فيه

الأبلغ معاوية بن صخر * فقد ضاقت بما ياتي اليه دان
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد أن لك من زياد * كال الفيل من ولد الاتان
وأشهد أنها حملت زيادا * وصخر من سمية غير ماني

وهذا الشعر يؤيد قول أبي بكر ويروى أنه ليزيد بن مقرع الحميري وأولها
الأبلغ معاوية بن صخر * مغلفة من الرجل البماني

(وقال يزيد)

إن زيادا ونافعوا أبا * بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * في رحم أمي وكلهم لاب
ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا برزهم عربي

وهذا يشير الى أن الثلاثة أولاد الحرث بن كلدة (وليزيد) بهجوع باد بن زياد

أعباد ما للووم عنك محمول • ولالك أتم من قريش ولا أب

وقل لعبيد الله مالك والد • بحق ولا يدري امرؤ كيف ينسب

(وسأل) رجل الشعي هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا فقال نحن منذ ثلاثين سنة نصلي خلفه ونرجو من الله القبول يعني زيادا وقال زياد لرجل يا ابن الزانية فقال أنسبني بشئ شرفت به أنت وأباؤك (قال المدايني) قدم زياد البصرة مع أخويه أبي بكرة ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلمين العربي والفارسي فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم عن القلم العربي ودرهم عن القلم الفارسي ثم ترفت به الحال وظهرت مرضاته وانتهى أمره إلى أن أدهاه معاوية أخا وولي فارس لعل يرضى الله عنه ثم احتمل مالا وهرب إلى معاوية وجع له معاوية العراقيين وهو أول من جمعاه وجمعاه بعده لابنه عبيد الله وأصعب بن الزبير والمسلمة بن عبد الملك ولعمربن هبيرة ولزيد بن عمر بن هبيرة ولم يجمعاه لاحد غير هؤلاء في أيام بني أمية

* (ومنه كليب ثقيف الحجاج ذو المراء في سفك الدماء واللجاج) *

ولووم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه • قيل إن أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم انك لنهمه وإن كان من أكل البارحة فانك لقدرة انصر في فانت طالق فقالت سخطت عينك ما هو من ذا ولا من ذلك ولكنني استسكت فتخللت من سواكي فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف بن الحكم ابن عقيل فقال اني قد نزلت اليوم عن خير نساء بني ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب دبره وأبى أن يقبل الشدي من المراضع وأعباهم أمره فيقال ان ابليس تصور لهم على صورة الحرث بن كلداء وأشار عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه دمه يومين وفي الثالث يذبح له تينين ويولغوه دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فإنه يقبل الشدي ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي أمته فأكسبه الرضاع الاوّل لوّما والرضاع بغير الطباع فكان في كبره سفا كالدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلين بالطائف وفيه يقول مالك بن الحر ريت يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبدة زياد
زمان هو العبد المقتر بذله * براوح صبيان القرى ويغادى
(وقال آخر) يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلا مكة ماترى * وآخر كالمهر الازهر
هكذا رواه جميع الاخبار بين والصواب ما ذكره الجوى في كتاب البلدان له
قال الكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلمها وأشد شاهدها على ذلك
أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر
وعلى هذا يكون اسمه كليباً وهو الأول به وقد تقدم منه الولوغ وقال آخر
كليب نعازم في أرضكم * وقد كان فينا صغير الحضر

(ورأيت) في بعض كتب التواريخ أن الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده
هل ترى ملكاً يموت قال نعم ولست به انى أرى ملكاً يموت يسمى كليباً
قال أنا والله كليب بذلك كانت أمى تسميني (ومما يؤيد) ما ذكرنا من لؤمه
ما كتب به اليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضى الله عنه
أما بعد فانك طفت لك الامور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت
قدرك وركبت داهية دهماً أردت ان تزورنى بها فان سوغتكها انصبت
قدما وان لم أفعل رجعت القهقري فلعنك الله أخفش العينين منقوص
الجماعتين مسوح الساعدين أصلك الرجلين أراك قد نسيت ما كنت عليه
أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فاذا كرمك اسب آباءك بالطائف اذ كانوا ينقلون
الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم وإيم الله يا ابن المستقرية بعجم
الزبيب لا غمرتك غمر الليث الثعلب ولا ركضت بك ركضة تدخل بها في جعس
أمة فاذا أتاك كتابى هذا فكن لأنس أطوع من عبد لسيدته والآصاين
منى سهم مشكل لكل بناء مستقر وسوف تعلمون (وصف) الحسن البصرى
الحجاج فقال أنا أنا أخفش أعيش بخطرتى مشيته ويصعد المنبر فيقوم عليه
حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقى ولا من الناس يستنى فوفه الله وتحمته مائة
ألف أو يزيدون لا يتول له فائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف
والسوط

(وفيه يقول الاجر بن سالم وأحسن)

ثقيف بقايا من غود ومالههم * أب ماجد من قيس عيلان ينسب
وأنت دعي يا ابن يوسف فيهم * زعيم اذا ما حصلوا متذبذب
ويقال ان الجحاح طلبه فهرب الى هيت فأخذه عامله عليها فقتله وأحرقه
وذراه في الريح (وجرى) بينه وبين بعض الخوارج مشاجرة فقال له الخارجى
لولا يكن من لؤم أهلك إلا أنه ولد مثلك لكفاه فأمر به فقتل (وقال) الجحاح
يوما لعبد الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لاني
لم تلدنى أمة بينى وبين حواء الا هاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر كنت كلبا
من الكلاب (وأقول ولاية) لولاها تبالة فلما رآها استقلها فرجع عنها فقالوا
في المثل أهون من تبالة على الجحاح * وأقول أمره ومصيره الى روح بن زباج
وتضمن ما اتفق من أمره معه وكيفية وصوله الى عبد الملك في المجلدة الثالثة
من التذكرة * وفي كتاب أخبار القديماء وذخائر الحكماء لابي حيان
التوحيدى في سبب تولية الجحاح العراق قال العتيبي لما اشتدت شوكة أهل
العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران أهل العراق
قد علا لها وكثر حطبها فحمرها حار وشهابها وارفعها من رجل ذى
سلاح عتيد وقلب حديد أبعثه لها فقام الجحاح وقال أنا يا أمير المؤمنين
قال ومن أنت قال الجحاح بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم أعاد
الكلام فلم يقم أحد غير الجحاح فقال كيف تصنع ان وليتك قال أخوض
الغمرات واقتحم الهلكات فمن نازعنى حاربته ومن هرب منى طلبته ومن
لحقته قتلته أخلط عجلة بنات وصفوا بك دروشة بلين وتبسم با زورار
وعطاء بحرمان ولاعلى أمير المؤمنين ان يجرب فان كنت للاوصال قطاعا
وللارواح زاعا وللأموال جاعا والأفليس تبدل بي فقال عبد الملك من تأدب
وجد بغيته اكتبوا له كتابه

(ومنه ذوالاصل الدنى والنفس الالية أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية)

كان أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبد العيسى بن معقل فباعه لاخته
ادريس جند أبن دلف واسمه قاسم بن عيسى بن ادريس العجلي وكان قهرمانا
جلس ادريس في الكوفة وأبو مسلم معه يخدسه فرأى بكر بن همام من أبن

موسى حذقا وكيسا فقال لا دريس ما هذا الغلام فقال ثملوك لي قال بعه لي
 قال هولك قال لا بد من ثمنه قال هولك بما شئت فأعطاه أربع مائة درهم وأخذه
 وبعث به إلى ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام
 فدفعه ابراهيم إلى موسى السراج فسمع منه وحفظ عنه وما زال قدره ينبل
 حتى أرسله ابراهيم بالدعوة لبني العباس وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة
 وله من العمر احدى وعشرون سنة وقدم إلى خراسان يدعو الناس إلى
 طاعتهم في أول يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل قرية من قرى مرو
 ووثب دعائه فقال الناس رجل من بني هاشم قد ظهر له حلم ورواء ووقار وسكينة
 فانطلق قسبة من أهل مرو ونسالك وكانوا يطلون الفتنة فأثروا بأبامسلم
 في عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبري خيرا لكم من نسبي ثم سألوه عن أشياء
 من الفقه فقال ان أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن
 إلى دعوتكم أحوج منا إلى اجابة مسئلتكم فاعفونا فقالوا والله ما نعرف لك
 نسبا وما نظنك الا تبق قليلا وتقتل وكان كذلك (ومن الدليل) على لؤم أصله
 ما تقدم عليه به أبو جعفر المنصور وهو أنه كتب إليه بخط منه أمينة بنت
 علي بن عبد الله بن عباس وزعم أنه ابن سليط بن عبد الله فقال له المنصور
 عند تقريره بذنوبه لما اراد قتله اقدار تقيت لا أم لك مرتني صعبا تفر على
 نفسك انك دعي ثم ترغب في بنات العباس (ونقم) عليه أيضا أنه كتب إليه أيام
 خلافته عافانا الله وإيال فبد أن نفسه في الدعاء (ولما) أراد المنصور قتله
 استشار مسلم بن قتيبة في ذلك فقال لو كان فيهم ما الهة الا الله لفسدنا فقال
 حسبك يا أمية قد أصبت الغرض ثم استدعاه ولم يأذن لاحد معه فلما دخل
 عليه وأخذ مجلسه سأله أن يريه سيفه فلما تناوله منه جعل يذكره فعلاته التي
 نقمها عليه وهو يعتذر عنها ثم ركضه برجله فوثب عليه المرصدون لقتله
 فقتلوه وأخرج إلى قواده وجنوده بالجواز والخلع فقسمت بينهم ثم رمى برأسه
 إليهم فتفرقوا ورجعوا قائلين مضى مولانا بابا الدراهيم ان الله واننا إليه راجعون
 وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة (وكان) مولده على رأس المائة وفيه
 يقول أبو دلالة واسمه زيد بن الجونيم جوه
 أبامحرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المهدي حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر أبأول الكرد
 أبأجسرم خوفني بك فانتحي * عليك بما خوفني الأسد الورد
 وقد تقدمت ترجمته وكيفية ما قتله المنصور في المجلدة الثالثة من التذكرة
 التوحيدية (وخطب) المنصور لما قتله فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها
 الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تسروا غش
 الأئمة فإن أحد الأيسر سريرة الأظهر ذلك عليه في فلتات لسانه وصفحة وجهه
 وبواد رقطره أنال من نخسكم حقوقكم ولن نخس الدين حقه أنه من نازعنا
 عروة هذا القميص أو طأناه خب هذا الغمد وإن أبأسلم يبيع لنا على أنه
 من نكث بيعتنا فقد أبأح دمه لنا ثم نكث هو فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه
 على غيرنا ولم يمنعه رعاية الحق له من إقامة الحق عليه (وأنما) اقتصرت
 على ذكر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم لعظيم ما ارتكبوه من الجرائم التي نهى
 الله عن فعلها وأكد في التحذير منها وبالغ في الوعيد عليها وهي قتل النفس
 بغير حق واستباحة حريم مالها التي حرمتها كرمها وهذا لا يرضى فعله
 كفر أهل الكتاب ولا من يعتقد أن إلى الله المرجع والمآب

ومما ينبغي أن يلحق بهذا الفصل تسلي من خفضه الزمان من أهل الفضل

بقلة الكرام وكثرة اللئام وتقلب الأحوال على مدى الأيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة
 (وقالوا) الكرام في اللئام كالغرة في جبهة الفرس أو كالرقة في يد الدابة
 (ويقال) لا يكاد يوجد كريم حتى يخاض إليه ألف لئيم * قال السموأل بن
 عاديا اليهودي

تعبرنا أنا قليل عدينا * فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجارنا لا كثيرين ذليل

وقال ابن المعتز إذا خرفت الدولة وقرب زوالها هبطت بالأخبار ورفعت درج
 الأشرار (وقال) أبو طالب يحيى بن أبي الفرج المعروف بابن زيادة البغدادي
 الكاتب

باضطراب الزمان ترتفع الأنس ذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساجيا وإذا حرك ثارت من قعره الأقداء

(وكان) علي بن الحسين بن علي الوزير المغربي لم يح هذا المعنى بقوله
 اذا ما الامور اضطر بن اعتملى * سفيه يضام العلاء باعتلائه
 كذا الماء ان حر كته يد * طفعا عكر راسب في انائه
 (ومن أحسن) ما ورد في هذا الباب ما حكى أن المعتصم لما أراد أن يشرف
 اشناس التركي عقب فتح بابك أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له فكان فيمن
 ترجل الحسن بن سهل فرأه حاجبه يمشي ويعترف بكى رجلة له فقال له لا يمشي منك
 ما تراه ان الملوك شرقتنا ثم شرفت بنا (ولما عزل) قتيبة بن مسلم وكيعا عن
 رياسة بني تميم قال شاعرهم

فان بك قد عزلت فلا عجب * ضياء الشمس يحجوه الظلام
 (وقال آخر يسلي معزولا)

عزلوه كالذهب المصفى لا ترى * حالا مغيرة له عن حال
 لم يعزلوا الاعمال عنه وانما * عزلوا العنفاء به عن الاعمال
 (آخر)

ان الولاية لا تتم لواحد * ان كنت تنكر ذافا في الاول
 لا تجزعن فلكل وال معزل * فكما عزات فعن قليل تعزل
 ومن أحسن ما قيل في تسلي معزول قول محمد بن يزيد الاموي في مالك بن طوق
 ليهنك ان أصبحت مجتمع الحد * وراعى المحامى والمعالى عن المجد
 وانك صنت الناس فيما وليته * وفترقت ما بين الغواية والرشد
 فلا تحسب الاعداء عزلك مغنما * فان الى الاحرار عاقبة الورد
 وما كنت الا السيف جرد في الوغى * بأحمد سلا ثم ردة الى الغمد
 (آخر)

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
 الا لنقل النعيم من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك
 (علي بن الجهم)

للتدهر اذ بار واقبال * وكل حال بعددها حال
 وصاحب الاثام في غفلة * وليس للايام اغفال
 كم أبليت الدنيا وكم جددت * منى وكم تغنى وتغفال

تشهد أعدائي بأنني فقي * قطاع أسياف ووصال
لا يملك الشدة عزمي ولا * يبطرنى جاه ولا مال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من هذه
الدنيا الا وضعه ولا يضع شيئاً الا رفعه (كتب) مفلس على خاتمه اصبر فالدهر
دول (راجز)

وانما الدنيا دول * كراحل قبل نزل * ونازل قبل رحل
وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشيء طوبى الا وقد خبا له الدهر يوم
سوء (وقال) مطرف لا تنتظروا الى خفض عيش المملوك وطيبه ولكن انظروا
الى سرعة طعنهم وسوء منقلبهم * وأنشدت لابن الاعرابي
رب قوم رنعوا في نعمة * زمنا والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق
ويقال لا يقوم عز الولاية بذي العزل (ويقال) العزل طلاق الرجال • قال
ابن المعتز

وذلل العزل يضحك كل يوم * ويتقرفقنا الوالي المدلل
(وله)

كم نائه بولاية * وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب * وخارها صعب شديد
(ابن زبانه)

لا تغبطن وزيراً للملوك وان * أحله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بأن له يوماً تمور به الارض اطرباً كما مارت لهيبته
هسرون وهو أخو موسى وناصره * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيتته
(ولا آخر)

تخ عن الوزارة لا تردها * فكل الخير فيما لا تريد
ألم ترى وزيراً كل يوم * يساع متاعه فيمن يزيد
(ومن أعجب ما يحكى في تنقل الاحوال) أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل
على ألف بعير ثم روى ثقله في زنبيل وفيه أدوية لعلته تنقل من مكان الى مكان
وروى ثقل الحسن بن سهل في زنبيل فيه نعلان وقيصان واصطرباب ثم روى

ثقله على ألف بعير (قال بعضهم)

هي المقادير تجسرى في أغنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما ترش خيس الحال ترفعه * الى السمال وطورا تخفض العالى
(وتغير) أبو جعفر المصور على وزيره أبو أيوب المرزبانى فقال
ألا ليتنى لم ألق ما قد لقيته * وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا
رأيت علو المرء يدعو لخطا طه * ويضحى وسيط الحال من كان ناجيا
ولهذا قيل الفقر مع الأمن خير من الغنى مع الخوف (وقال) بعضهم مسليا
عن العطله

لعمرك ما طول التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
إذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاعتنم لذة الدعة
وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألأرب ضيق في عواقبه سعه
(آخر)

كن بجمول النفوس قانع * لا تطلب الذكر في المجمع
فلن يزال الفتي بخير * ما لم تشر نحوه الاصابع
(ابن مقلة يقول عندما نكسب)

زمان يمر وعيش يمر * ودهر يمر بكم لا يسر
وحال يذوب وهم يثوب * ودنيا تناديك أن ليس حر
(آخر)

وأحسن ما استشعر المسلمو * ن عند الثواب حلم وصبر
ولله في ~~كل~~ ما يأتى * وأبلى به منه حمد وشكر
(سمع) أعرابي يقول هذا غنى لولائه فناء وعلا لولائه بلاء وبقاء لولائه
شقاء وقيل لابن الجهم بعدما صودر ما تفكر في زوال نعمتك قال لا بد من
الزوال فلان تزول وأبني خير من أن أزول وتبقى (وقيل لأعرابي) صف لنا
الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبي اذا لعب

(الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

في مدح العقل وفضله وشرف اكتسابه ونيله

(قال الله تعالى) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
 (سئل) الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند الاشياء قولاً وفعلًا
 (وسئل) اخرف قال الاصابة بالظنون والتلح فيما كان وما يكون ومراده
 في القسم الثاني التجربة (وقالوا) هو ذلك الاشياء على ما هي عليه من حقيقة
 معانيها وصحة مبانيها (وقيل للحكيم) ما مقدار العقل فقال ما لم ير كاملاً في أحد
 فلا يعرف له مقدار (وقالوا) لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد
 ولكن الناس يتفاوتون فيه كتناوت الازهار في الرائحة والطيب (واختلف)
 الحكماء أيضاً في ماهيته كما اختلفوا في حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعاً
 وغرز في القلب كالنور في العين وهو البصر فالعقل نور في القلب والبصر نور
 في العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد
 الامور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وعمى القلب
 كعمى البصر قال الله تعالى فانهم لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
 في الصدور وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الاعشى من عمى بصره ولكن
 الاعشى من عميت بصيرته (وقال بعض الحكماء) العقل غريزة لا يقدر أحد
 ان يصفها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه
 وعلى كل حال فلا سبيل أن يوصف بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول
 (وقال العتبي) واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان
 العقل عقلا ن عقل تفرده الله بصنعه وهو الاصل وعقل يستفيد المرء بأدبه
 وهو الفرع فاذا اجتمع اقوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة
 البصر أخذ من هذه الايات وتنسب الى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
 ورضي عنه

رأيت العقل عقلي • فطبع ومسموع
 ولا يتفقه مسموع • اذا لم يك مطبوع
 كما لا تتفقه الشمس • وضوء العين ممنوع

ويفهم من خفي ما ذكرناه أن العقل في القلب وهذا القول هو الموجود
 بصحة النظر والمعلوم من جهة الاثر (قول) الله تعالى أفلم يسروا في الارض
 فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانهم لا تعمى الابصار

ولكن تعي القلوب التي في الصدور (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل في القلب به يفرق بين الحق والباطل (وقال) بعضهم هو في الدماغ واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (وقال) عمرو بن العاصي ينغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة ويغتنى طوله لأحدى وعشرين ويغتنى عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعد ذلك تجارب وقال بعضهم * كل شيء مفتقر إلى العقل والعقل مفتقر إلى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله (وقال) بعض الحكماء أربعة تحتاج إلى أربع الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقربة إلى المودة والعقل إلى التجربة (ويقال) هرم السن شباب العقل وقال البستي

ما استقامت قناة رأيي إلا * بعدما عوج المشيب قناتي

(ما اخترناه من محاسن الكلام واسناها في أن العقل أشرف المواهب وأسماها)
قال ابن عباس رضي الله عنه دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا أم المؤمنين أرايت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاؤه والآخر يكثر قيامه ويقل رقاؤه أيهما أحب إليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال لي أحسنهما عقلا قلت يا رسول الله انما سألتك عن عبادتهما فقال يا عائشة انهما لا يسألان عن عبادتهما انما يسألان عن عقولهما فن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس (وروى) البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالجنة الواضحة أفضلهم عقلا (وقال) بزرجهر الإنسان صورة فيها عقل فان أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بإنسان قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى إلى شرف من الإنسان

(وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لا عجب من رزق العقل كيف يسأل الله معه شيئا آخر (وقالت) عائشة رضي الله عنها أفلح من جعل الله له

عقلا (وقال مطرف) ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من العقل
ويقال ماتم دين امرئ حتى يتم عقله وما استودع الله رجلا عقلا الا استنفذه
به يوما (وقال الاصمعي) لو صور العقل لاضامعه الليل ولو صور الجاهل
لاظلم معه النهار (وقال بزرجهر) العقل كالمسك ان خبأته عبق وان بعته
نقق (وقالوا) كل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ولو بيع
لما اشتراه الا العقلاء لمعرفتهم بفضله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حزن بذر وبذر الا آخرة العقل
ولكل شيء فسطاط وفسطاط الابرار العقل (ويقال) العقل وزير رشيد
وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أورداه وقال بعضهم يصف العقل
لله ذرة العقل من رائد * وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب * قضية الشاهد للامر
وان شاء في بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
فدوقوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والظهر

(آخر)

العقل حله نخر من تسربلها * كانت له نسبا تغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

* (ومن قولهم في أن من وهب الله له عقلا كسى من المناقب حله لا تبلى) *

قال أبو هريرة رضي الله عنه لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت
ما فاتني من أنواع التطوع (وقال وهب) مثل العقلاء في الدنيا مثل الليل
والنهار لا تقوم الدنيا الا بهما فكذلك المرء في الدنيا لا يحظ له الا اذا كان
عاقلا (وقيل لا توشروا) أي الناس أولى بالسعادة قال أنقصهم ذنوبا
قبل فن أنقصهم ذنوبا قال أنهم عقلاء (وقالوا) اذا كان العقل في النفس
التيمة كان بمنزلة الشجرة الكريمة في الارض الذميمة يتفجع بثمرها على خبث
المغرس فاجتن ثمر العقل وان أتاك من لئام الانفس (والى هذا) أشار
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في قوله لولده الحسن رضي الله عنه خذ
الحكمة أنى أمتك فان الحكمة تكون في صدر المنافق فلا تزال تحتلج
في صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها (وقال) سعيد بن جبيل لم تر عيناي

أفضل من فضل عقل يتردى به الرجل ان انكسر جبره وان صرع انعه
وان ذل أعزه وان اعوج أقامه وان عنأ قاله وان افتقر أغناه وان عرى
كساه وان غوى أرشده وان خاف أمّنه وان حزن أفرحه وان تكلم
صدقه وان أقام بين ظهري قوم اغبطوا به وان غاب عنهم أسفوا عليه
وان بسط يده قالوا جواد وان قبضها قالوا مقتصد وان أشار قالوا عالم
وان صام قالوا مجتهد وان أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
يزين الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمت أعراقه ومناسبه
إذا أكل الرحمن للمرء عقله * فقد كمل أخلاقه وما آربه

(آخر)

ما وهب الله لامرئ هبة * أشرف من عقله ومن أديه
هما حياة الفتى فان عدما * فان فقد الحياة أجمل به

(آخر)

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في قومه بهيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب
(وقال طاوس) ما قلادة نظمت من درّ وياقوت بأزین لصاحبها من العقل
ولو ناصح المرء عقله لاراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من
العقل

* (ما أبتناه من الكلام الرائع الرائق فيما يتنازه العاقل من المائق) *

قال بعض أهل العلم ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض أتاه جبريل
عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال ان الله يخبرك
واحد من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء في الجنة
ثم مديده الى العقل وقال لذيّنك اصعدا قال لا تصعد قال أتعصيانى قال لا
تَعْصِيكَ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرًا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ (وقال) رسول الله
صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عن ظله ويتواضع
لمن دونه ويسابق الى بر من هو فوقه وينتهر الفرصة اذا أمكنته لا يفارقه

الخوف ولا يصعبه العنف يتدبر ثم يتكلم فاذا تكلم غنم واذا سكنت سلم واذا
اعترضته فتنة اعتمصم بالله * وقال أبو عبادة مادحا
غريب السجاياما تزال عقولنا * مدلهمة في خلة من خلاله
عداه الخبي في عنفوان شبابه * واقبل كهلا قبل حين اكتماله
(وقالوا) من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترل ما لا يعنى
(وفى) حكمة داود على العاقل أن ~~يكون~~ عالما بادل زمانه مالكا للسانه
مقبلا على شانه (وقال) بعض الحكماء أربعة تدل على صحة العقل حب العلم
وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب (وقالوا) ان أردت أن تعرف
عقل الرجل في مجلس واحد فخذته في خلال حديثك بما لا يكون فان أنكر
فهو عاقل وان صدق فهو أحمق (وقالوا) لا تجدد العاقل يحدث من يخاف
تكذبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعذب بما لا يستطيع ان يجازه (وقال)
لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى ~~يكون~~ فيه عشر خصال يكون الكبر
منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل مالدية مبدولا لا يصيب من الدنيا
الا لقوت التواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز
لا يسأم من طلب المعالي ولا يتبرم بطلب الخوائج اليه يستكثر قليل المعروف
من غيره ويستقل ~~كثيره~~ من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه
وانه شر منهم وهذه الخصلة تشيد مجده وتكبت صده وتعلو قدره
وتطيب في العالمين ذكره (وقالوا) العاقل اذا والى بذل في المودة نصره واذا
عادى رفع عن الظلم قدره فيستعين مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله
(وقال) المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراقه يعجبني ان أرى عقل
الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله (وقالوا)
زيادة العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة والله أعلم

شوارد مجموعة في احتياج ذوى العقل والحلم
الى اكتساب فضيلتي الادب والعلم

(أما الادب) فتمال برز جهر العقل يحتاج الى مادة الادب ~~كما~~ يحتاج
الابدان الى قوتها من الاطعمة (وقالوا) عقل بلا أدب فقر وأدب بلا عقل
حتف (وقالوا) عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح (وقالوا) لا عقل الا بأدب

ولا أدب إلا بعقل (وقال افلاطون) عقل بلا أدب كالشجرة العاقرو والعقل مع
 الادب كالشجرة المثمرة (وقال برزجهر) الادب صورة العقل فحسن صورة
 عقلك كيف شئت (ابن المقفع) كما أن الادب لا يكمل الا بالعقل فكذلك لا يكمل
 العقل الا بالادب * وقالوا احرص أن لا يكون أدبك أغزر من عقلك فإن
 من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف في الغنم الكثيرة * ويقال أدبوا
 أولادكم صغاراً تقرأ عينكم بهم كباراً (شاعر)

قد يرفع الادب الاحداث في صغر * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
 ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب
 (وقال) عبد الملك بن مروان لاعب ولد له سبعة وأدبه سبعة واستعجبه سبعة
 فان أفلم قال حبله على غاربه ولا عبرة بقول من قال
 قولاً لمن ينصح ابنه * يرد القول لتذيب
 ضيع الوقت بلا طائل * فيكثر القول ويهزى به
 له الى الله وتدبره * ثم الى الدهر وتجريه
 فانما الاقدار لا بد أن * تأتي بما خط وتجري به
 فليس كما قال فانما الهمل في الامهال ولا عذره في الاهمال وعود الصبا
 أبداً آمناً يحتاج الى الشفيف وطيش الشباب سريع الحرار فلا غناء له
 عن التوقيف (ويحكى) أن أبا الاسود الدؤلي كان له ولد فترك الصلاة يوماً
 ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب الى مؤذبه رقعة وأرسلها معه
 محتومة يقول فيها

ترك الصلاة لا كلب يسعى بها * فحو الفراش مع الخواة الارجس
 فلأنتك غاديا بعصفه * كتبت كمثل صحيفة المتلمس
 فإذا أتاك معذراً بملامة * فعظمه موعظة اللبيب الا كيس
 وإذا هممت بضربه فبدرة * وإذا بلغت به ثلاثاً فاحبس
 واعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما تجتر عني أعز الانفس
 (وأما العلم) فقد رده كبير وفضله كثير ويكنى في شرفه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال خير ليمان بين المالك والمال والعلم فاختر العلم فأعطى الملك
 والمال لاختياره العلم (قال) بعض الحكماء اذا اجتمع العقل والعلم في رجل

فقد استطاب المحيا وسما الى الدرجة العليا وجمع الآخرة الدنيا (وقالوا)
العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة
تجتنى وبه يتوصل الى معرفة الحقائق ويتوصل الى رضا الخالق وهو أفضل
نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه
ولا يفتقر كاسبه ولا ينجيب طالبه ولا تخطط مراتبه (وقال) معاذ بن جبل
تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الا ينس في الوحشة والصاحب في الغربة
والوزير عند الخلاء والقريب بين الغرباء (شاعر)

أجل ما يتغنى يوما ويكتسب * ويجتنى من حلال الدنيا ويتخب
علم شريف عجم النفع قد رفعت * لحامله بأفاق العلا رتب
ان عاش عاش جلا ساميا أبدا * لا يستضام ولا ينسى فيجتب
وان تمت فناء شائع حسن * وبعده رجة ترجى وترتب
(آخر)

العلم أعلى من الاموال منزلة * لانه حافظ والمال محفوظ
(وقالوا) العلم عز لا يبلى جديده وكثر لا يفنى مزيده (وقال) ابن المقفع تعلموا
العلم فان كنتم ملوك كافتم وان كنتم أوساط اسدتم وان كنتم سوقة عشتم
(وقالوا) لو لم يكن من شرف العلم الا أن الملوكة يحكام على الناس والعلماء يحكام
على الملوكة لكني بذلك شرفا (وقال بعضهم)

العلم فيه جلالة ومهابة * والعلم أنفع من كنوز الجواهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه * والعلم يبقى باقيات الاعصر
(ويحتاج) طالب العلم الى ستة أشياء فراغ وجدته وجد واستاذ وطول
عمر ومعونة من الله تعالى وهذا ملاكها الذي لا بد منه ولا غناء لاحد عنه
(نظم ذلك الشاعر فقال)

أصبح لي فليس العلم الابسته * سأنيك عن مجموعها بيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وارشاد استاذ وطول زمان
(وقالوا) العلم ميت يحييه الطلب فاذا حي فهو ضعيف يقويه الدرس
فاذا قوي بالدروس فهو محتجب تظهره المناظرة فاذا ظهر فهو عقيم تناجه العمل

(شاعر)

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب حفظه عليه كما * يحفظ ما عاش ماله ودمه
ومن حوى العلم ثم أودعه * غير محب له فقد ظله
وكان كالمبتنى البناء اذا * تم له ما أراد هدمه

* (الفصل الثاني من الباب الثالث) *

(في ذكر الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد)

(قالوا) العقل أصل لكل محمود من الاخلاق فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع
مع عدم الاصل (وقيل) الحسن بن علي رضي الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا
قال اذا عقله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل (وقال) علي بن عبيدة الزنجاني العقل
ملك والنخس الحسنة رعيته فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها
(وقال) بعض الحكماء الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والانسان
يجمع الكل ابتلاء فان غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل
الملائكة وان غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل
من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب اليه رmse (قال)
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبك الشئ يعنى ويصم * وقالوا الهوى خادع
للاباب صارف عن الصواب صاحبه أعشى مبصر أصم سميع (وقالوا)
الهوى أشأم دليل وألأم خليل وأعشى مال وأعشى موال يكذب العيان
ويقلب الاعيان ويجلب الهوان * وقال أبو بكر بن دريد
وأفة العقل الهوى فن علا * على هواه عقله فقد نجا

(وقال) بعض الصالحين الهوى مركب ذميم يسير بك في مضلات الفتن
ومرتع وخيم يقعدك في واطن المحن ويعلقك في حبال الاحن ويقال
من كان لعنان هواه أم لك كان لطرق الرشاد أسلك * ويقال بغلبة سلطان
العقل على الهوى ينال السوود وقال شاعر

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

(آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(ويقال) عبد الهوى أذل من عبد الرق * وقالوا أذل الناس من عصى
مراده ولم يعط الهوى قياده (شاعر)

إن الردى تبع الهوى * ومن الهوى حلو ومر
اقنع بعيشك ترضه * وأملك هو الوأنت حر
(وقال على بن الحسين المغربي)

مال المطيع هواه * من الملام ملاذ
فاختر لنفسك أماً * عرض وأما التبداد

• وقال حكيم لولده اعص هو الوأطاع من شئت
(قال بعضهم)

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى * فقد شكته عند ذلثوا كاه
وقد أشمت الأعداء حقاً بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله
(آخر وأجاد)

إذا ما دعيتك النفس بومالشهوة * وكان عليها للحرمان طريق
نخالف هواها ما استطعت فانما * هواها عدو وانخلاف صديق
(وقالوا) كم من عقل أسير عند هوى أمير (شاعر)

وعاص الهوى المردى فكهم من محلق * إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
(ولبعضهم)

وما يزع النفس اللبوج عن الهوى * من الناس إلا حازم الرأى كامله
(وقالوا) أعدل الناس من أنصف عقله من هواه ومنع نفسه عما يكون سببا
لبلواه ولحظ الأشياء بعين فكره واضماره فعلم من ورود الأمور عاقبة إرادته
واصداره فيحسن بأفعاله جدا لآوداءه ويأمن في ماله كيد الأعداء كما حكى
أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغذى معه فلما رأى عبد الملك
ظرفه وأدبه قال له هل لك فيما تنادم عليه قال يا أمير المؤمنين لو نى حائل
وشعري مغفل وخلق مشوه ووجهي قبيح ولم أبلغ ما بلغت من أكرامك
إياي لا أشرف أب ولا كرم أم وإنما بلغته بعقلي ولساني فأشددك الله
يا أمير المؤمنين أن لا تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه
وما أحسن قوتنا لخير أرزى مشيرا إلى قول نصيب

أرى الكأس تذهب عقل الفقى * فذهل عن كل مستمتع
ولولا ابتهاجى بكم لم أكن * لأشرب أكثر من أربع
وقالوا سرور فقلت السرور * بأن تتركونى وعقلي معى
(وقال آخر)

رطلان لا أزداد فوقهما * فى الشرب ان حضروا وان وحدى
فليغتفرلى من ينادمنى * انى أحت عواقب الرشد
وأريد ما يقوى به بدنى * وأجانب الامر الذى يردى
وعلى ذكر ما ينتج من شرب الخمر من زوال الذهن وذهاب العقل فحسن قول
من قال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور وقول أبى الفضل
الميكالى

عبرتنى ترك المدام وقالت * هل جفها من الرجال لييب
هى تحت الظلام نور وفى الاك * شباد برد وفى الخدود لهيب
قلت يا هذه عدلت عن النص *ع وماللرشد فيك نصيب
انها للستور هتك وفى الال * شباب فتك وفى المعاد ذنوب
(وقال) رجل لابنه وهو يتعاطى الشراب احذره فانه فى شدة شوقك أرسل
على عقبك أو حذ فى ظهره (وقال) الحصنى ذا كرا هذه العيوب
ونديم بت أعذله * ويرى عدلى من العيب
قلت ان الخمر مخبئة * قال حاشاها من الخبيث
قلت منها لى قال نعم * شرفت عن مخرج الخبيث
قلت للآزمات تشربها * قال طيب العيش فى الرفة

(وقرب من هذا) ما حكى ان الجراح وفد على الوليد بن عبد الملك فلما
كان بعد أيام وقد أخذ ابتجاذبان أذبال المذاكرة فقال له الوليد هل لك فى
الشراب قال يا أمير المؤمنين ليس محظوراً مداخله أمير المؤمنين ولكننى
أمنع أهل على منه وأكره ان أخالف قول العبد الصالح لقومه وما أريد
أن أخالفكم الى ما أنتم اكم عنه فاستحسن ذلك منه وأعفاه (وقال امحق) ابن
ابراهيم الموصلى دخلت على الهادى فقال غنى صوتاً أطرب منه ولاك
حكمتك فغنىته

واني لتعروني لذكر الهزة * كما انتفض العصفور بالله القطر
فقال أحسنت والله وضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا فقال زدني
فغنيته

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدا الحشر
فقال أحسنت ثم ضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا آخر فقال له زدني
فغنيته

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرئك حتى قيل ليس له صبر
فقال أحسنت وشق باقى دراعته من شدة الطرب ثم رفع طرفه الى وقال لي تن
واحتكم فقلت أمتنى عين مروان قال اسحق فرأيت وقددارت عيناه في رأسه
حتى خلتها جرتين ثم قال يا ابن اللخناء أتريد أن تشهرني بهذا المجلس وتجعلني
سمرا وحديش يقول الناس أطربه فوهبه عين مروان أما والله لولا بادرة
جهلك التي غلبت على صحة عقلك لألحقك بمن غبر من أهلك ثم أطرق
أطراق الافعوان فرأيت ملك الملك يني وبينه ينتظر أمره في ثم رفع رأسه
ودعا بآبراهيم بن ذكوان وقال له خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت المال فان
أخذ ما فيه فدعه وإياه قال اسحق فدخلت وأخذت ما يساوى عين مروان
اضعافا (وما أحسن) ما قال بعض البلغاء يصف انسا نابصيرا بالعواقب فلان
يعرف من مبادئ الاحوال خواتيم الاعمال ومن صدور الامور اعجاز
ما في الصدور (وقال آخر) فلان يرى العواقب في مرآة فكره فلا يشبهه عليه
نفعه بظمه * نادرة قيل لبعض الجهانين هل لك في الشراب فقال ان العاقل
يشرب الخمر حتى يشبه بي فأنا اذا شربته فبمن ذا أنشبه (واحسن منها)
ما يحكى ان اهرابي راود امرأة عن نفسها فأنعمت له فلما قعد بين شعبتيها قام
عنها ولم يقض وطرا ولا غنى من غرضه أثرا فقالت له يا هتاه ما الذي عراك
وقد بلغت منك فقال ان رجلا يبيع جنة عرضها السموات والارض
باصبعين بين خنذيك لقليل الخبرة بالمساحة * والعاقل من اهتدى بمشورة
نصائه وكشف لهم عن مستورا غراضه وانجائه (قال الله تعالى) انبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله
فهذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه ما في المشورة من البركة

لا حاجة منهم لرأيهم اذ هو المؤيد في حركانه وسكاته بالوحى من ربه والمستغنى
 بما يلقي في روعه من رأى المصيب عن آراء صحبه (قال) الحسن البصرى ان
 الله عز وجل لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه لحاجة به الى رأيهم
 وانما أراد أن يعرفهم ما بالمشورة من البرصكة (وقال) عليه الصلاة
 والسلام المشورة حصن من الندامة وأمن من الملامة (وقال) عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه الرجال ثلاثة رجل يتطرق في الامور قبل أن تقع
 فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتامل فاذا نزلت به نازلة شاور أصحاب
 الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائس لا يتم رشدا ولا يطيع مرشدا * وقالوا
 مادة العقل من العقول كجادة الانهار من السيول (وقال) أمير المؤمنين
 على كرم الله وجهه نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد
 * وقال حكيم لولده يا بني ان رأيت ان احتجت اليه وجدته ناعما ووجدت هوالك
 يفظان فاياك ان تستبد برأيك فيغلبك حينئذ هوالك (وقالوا) الخطأ مع
 الاستشارة أجد من الاصابة مع الاستبداد (ويقال) اذا استخار العبد ربه
 واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما أحب
 * وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه (وقالوا) عليك بالمشورة فانها
 تأمر بالتي هي أحسن وتهدى للتي هي أقوم * وقالوا لا تستبد بتدبيرك
 ولا تستخف بأمرك فمن استبد بتدبيرك ومن استخف بأمره ذل (وقالوا)
 من شاور الاخلاء أمن من كيد الاعداء * ومن أمثالهم زاحم يعود
 أودع (وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من أبيات)
 وان باب أمر عليك التوى * فشاور ليبيبا ولا تعصه
 وان ناصح منك يومادنا * فلاتأعنه ولا تقصه
 (ولا آخر)

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا
 وأخواتك بريسبت برأيه * وتراه يعتسف الامور مخاطرا
 (بشار بن برد)

اذا بلغ الرأى المشورة فاستتر * برأى نصيح أو نصيحة حارم
 ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوا في قوة للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
(آخر)

لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب اذا بدام ناقص
فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ما حظ رتبته هو ان الغائص
(آخر)

شاو رسوالا اذا نابك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفا حامدا ونائى * ولا ترى نفسها الا بمرآة
(آخر)

نأن وشاور فان الامو * رمنها مضى ومستغمض
فرايان أفضل من واحد * ورأى الثلاثة لا ينقض
(قال بزرجهر) أفره الدواب لا غنى له عن السوط وأعقل النساء لا غنى لها
عن الزوج وادهى الرجال لا غنى له عن المشورة

* (فمن يعتمد عليه في المشورة من تكون النفس بآرائه مسرورة) *

(قالوا) لا تدخل في مشورتك بخيلا في عطاء فيقصر بك ولا جبانة في
حرب فيخوفك ولا حريصا في بذل فيصداك فان البخل والجبن والحرص
طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله (قيل) استشار زياد رجلا فقال حق
المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أراى كذلك
(قال الشاعر)

خصائص من تشاوره ثلاث * نخذ منها جميعا بالوثيقة
ودادخالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقة
فن حصلت له هذى المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه
(وقال آخر)

اذا الامر أشكل انفاذه * ولم ترمنه سيلا نجيحا
فشاو رلامرلة في ستره * اخاله اللبيب الشفيق النصيحا
(آخر)

واذا الامور عليك يوما اشكت * فاعمد لرأى أخ نصيح مرشد
واحفظ نصيحة من بدالك وده * وبرأى أهل الخير جهدا فاهتد

(آخر)

فما كل ذي ودٍّ يوليكَ نصحه * ولا كل مؤت نصحه بليب
ولكن اذا ما استجمع عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب
(وقال) الاحنف بن قيس لاتشاور المعزول فان رأيه مغلول * وقالوا
لاتشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق
ولا المقل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال افلاطون) اذا استشارك
عدوك فخذ له النصيحة لانه قد خرج بالاستشارة من عداوتك الى موالاتك
* ولما نوى ابن أبي مريم قاضي مرو أن يزوج ابنه استشار جارا له مجوسيا
فقال سبحان الله يستفتونك وأنت تستفتني قال لا بد أن تشير علي فقال
ان كسرى رئيس الفرس كان يختار المال وقبصر رئيس الروم كان يختار
الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ومحمد انبيكم كان يختار الدين
فانظر من تقتدي (وقالوا) لاتشاور بخيلا في صلة ولا جبانا في حرب ولا
شابا في جارية (وقال) بعض الحكماء عليكم بمشورة من حلب ضرع دهره
ومرت عليه صروف خيره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة
أورى زنده ولذلك كانت العرب تقتدي برأى الشيوخ وتعتمد في النوازل
على مشورة الكهول لما يوجب فهمهم من اصالة الرأي واصابة الخدس
وصحة النظر مع ما منحوا من حسن الاختبار وسمت الوقار * وقد عدل قوم
عن هذا المرتع ونزعوا غير هذا المنزع فجعلوا للشباب أيسر الاقسام من توقد
القطنة وأوفر السهام من نشاط النفس وقوة المنسة فربما قصرت عن
مقاومتهم الكهول ولبأت اليهم في كثير من تنقيح الفروع والاصول لتوفر
غريزة العقل فيهم وحدة الخاطر التي ترشدهم الى الصواب وتمهدهم
ولهذا قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا * ولا يقسم على عدد السنين
ولو أن السنين تقسمته * حوى الآباء أنصبة البنين
(وكان بعض الحكماء) يقول عليكم بأراء الاحداث ومشورة الشبان لان لهم
اذهانا نقدا القواصل وتحطم الذوايل (وقالوا) آراء الشبان خضرة نضرة
لم يهرغضنها هرم ولا أذوى زهرها قدم ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم

وقال الشاعر

عليكم بأراء الشباب فانها * تتأخج مالم يسيله قدم العهد
فروع ذكاء تستمد من النهى * بأنور في الآراء من قمر السعد
(ومن) أحسن ما قيل في مدح شاب غزير العقل كثير الفضل طاهر الفعل

قول الشاعر

أدركت ما فات الكهول من الحجا * في عنقوان شبابك المستقبل
وإذا أمرت فلا يقال لك أنه * وإذا قضيت فلا يقال لك أنه عدل
(وقيل) بل العاقل من أخذ بالاستبداد في الأمور وأجراها محتاراً على
حكم القضاء المقدور (قال المهلب بن أبي صفرة) لو لم يكن في الاستبداد
بالرأى الاصول السر وتوفير العقل لوجب التمسك به (وقال بزرجهر) أردت
نصيحا أثق به فما وجدت غير ~~فكري~~ واستضأت بنور الشمس والقمر فلم
استضي بشئ أضوأ من نور قلبي (وقال) علي بن الحسين رضي الله عنهما
الفكر مرآة ترى المؤمن سبباً له فيقعاع عنها وحسناته فيكثر منها فلا تقع
مقربة التقرير عليه ولا تنظر عين العواقب شرراً إليه (وقال) عبد الملك
ابن صالح ما استشرت أحدا قط الا تكبر علي وتضاغرت له ودخلته العزة
ودخلتني الذلة فملك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون مهيب في
الصدور وانك متى استشرت تضعضع شانك ورجفت بك أركانك وما عز
سلطان لم يغنه عنه له عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه فأياك والمشورة وان
ضائق عليك المذاهب واشتبهت لديك المسالك وأنشد

فأكل ذى لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بليب

(وقال) عبد الله بن طاهر ما حك ظهري مثل ظفري ولان أخطئ مع
الاستبداد ألف خطأ أحب الي من أن أستشير فألحظ بعين النقص والتقصير
(وما أصدق قول القائل)

ليس احتيال ولا عقل ولا أدب * يجدي عليك اذ لم يسعد القدر

ولا توان ولا عجز يضرب اذا * جاء القضاء بما فيه لك الخير

* وعلى المستبد أن يتروى في رأيه فان أفضل الرأي ما أجادت الفكرة نقده
واحكمت التروية عقده (وقالوا) كل رأى لم تنمخض به الفكرة ليله كاملة

فهو مولود لغير تمام (شاعر)

إذا كنت ذا رأى فكن ذا اناءة * فان فساد الرأى أن تتعجلا
وما العجز إلا أن تشاور عاجزا * وما الحزم إلا أن تهتم فتفعلوا
(وقال شاعر في مستبدة)

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراءه خلقت من التأيد
وإذا دجا خطب تبليج رأيه * صبحها من التوفيق والتسديد
(وقالوا) فلان الخير معقود في نواصي آرائه واليمن منقاد في نواحي أنفجائه
فلان إذا أذكى سراج الفم ~~كر~~ أضاء ظلام الامر (وقال ابن العميد)
العاقل من استنتج في كل أمر خاتمته وعلم من كل بدء عاقبته وطالع بقلبه من
كل غصن ما يخفى منه ومن كل زرع ما يحصد عنه (ولله من قال) مادحا صابرة
الرأى

وذوي قنطارات مستمر مريرها * إذا الدهر لا فاقها اضمحلت نوائبه
بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطب به من كل أمر عواقبه
وأين يفتر الحزم منه وانما * مرأى الامور المشكلات تجاربه
(وقال أبو عمادة المجترى في سليمان بن عبد الله)

يريك بالظن مافاق اليقين به * إذا قلبس دون الظن ايقان
~~كان~~ آراءه والحزم يتبعها * تريبه كل خفي وهو اعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه * وان تم عينه فالقلب يقطن
(ومنها)

يرى العواقب في أثناء فكرته * كان افكاره بالغيب كهان
لا فكرة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان
(وله)

يريك بالظن ما قل اليقين به * والشاهدان عليه العين والاثار
كانه وزمام الدهر في يده * يرى عواقب ما يأتي وما يذر
(آخر)

بدتهته وفم ~~كرته~~ سواه * اذا ما ناب الحطب الخطير
واحرزم ما يكون الدهر يوما * اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من تحيله الجبائل واقتصر بهم اشوار المطالب والوسائل
 (قالوا) بالحيلة يستنزل الطير من جوف السماء ويستخرج الحوت من جوف
 الماء (فن المحكى في ذلك) ماذا كرات رجلين وثبأ على أحد مرأبة كسرى
 أنوشروان فقتلاه ولم يعرف فأنشى ان دولم يقتله ما كان ذلك عارا عليه
 وعجزا ينسب اليه فقال في مجمع من الناس ان من قتل المرزبان لعظيم القدرة
 شديد البأس ولو ظهر لحاز يناء بما يستحق ورفعناه على الناس فلما بلغهما
 كلامه ظهرا وأقرا فقال أنوشروان اني مجازيكما بما تستحقان فانه لا يكون
 جزاء من قتل سيده وغدر به الا القتل وأما رفعكما على الناس فاني أصلبكما
 على أطول جذع أجده ثم أمر ففعل بهما ذلك (واحسن منها) حيلة
 عملت على الاسكندر فخفى عليه الهواب في التخلص منها وهي
 ما حكى عنه أنه كان لا يدخل مدينة عنوة الا هدمها وقتل من فيها فقدم
 على مدينة كان فيها مؤدب له فخرج اليه فأعظمه وأكرمه وأكبره ثم
 قال له ما جاء بك قال أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأعانك عليه لا أنا
 وان أهل هذه المدينة أبوا طاعتك وطمعوا فيك لمكانك منك وأحب أن
 لا تشفعني فيهم وأن تخالفني في كل ما أسألك فيه من أمرهم فلما سمع الاسكندر
 مقالته ظن ذلك نصحا له وان غرض المعلم وافق غرضه وسر بذلك فلما رأى
 المعلم سروره طلب منه العهد على ذلك فعاهده فلما استوثق منه ذلك قال أيها
 الملك اني أرى من الرأي أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها فقال الاسكندر
 لا سبيل الى ذلك ولا بد من مخالفتك قال فارتحل عنها اذا فارتحل (أمر)
 عمر بن الخطاب بقتل الهرمزان فشكا العطش فأتى باناء فيه ماء فلما تناوله
 أظهر رغبة في يده يوههم أنهم من خوف فقال عمر لا بأس عليك حتى تشرب
 فرمى الاناء من يده فكسره فأمر عمر بقتله قال أوليس قد أعطيتني الامان قال
 متى قال أأست قات لا بأس عليك حتى تشرب ولم أشرب فقال عمر قاتله الله
 أخذنا الامان ولم نشعر (ومن ظريف الحيل) ما حكى ان سلمان الفارسي
 خطب بنتا لعمر بن الخطاب ورضي الله عنه فأجابه الى تزويجه فشق ذلك
 على ولده عبد الله وشكاه الى عمرو بن العاص فقال له أما أردته عندك فقال
 ان رددته بما يكره غضب أمير المؤمنين فقال لك علي أن أردته راضيا

ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه وقال هنيأ لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين
يتواضع بتزويجك بنته فالتفت اليه مغضبا وقال انى متواضع والله لا أتزوجها
(وأسر) معاوية عمرو بن أوس الاودى وكان من أصحاب علي يوم صفين
فقدمه للقتل فقال لا تقتلنى فانك خالى فقال من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين
أود صهارة فقال ان أخبرتك يكن نافعى عندك قال نعم قال أليست أختك أم
حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين قال بلى قال فأنا ابنها وأنت
أخوها فاستظرف قوله وخلقى سبيله (وحاصر) سعد بن أبي وقاص حصن تيماء
فطلب من فيه الامان فأجابهم سم الى ذلك فلما تسلمه قتل كل من فيه الاربعة
واحدا (وعزم معن بن زائدة) على قتل جماعة من الاسراء فلما مثلوا بين يديه
قام أصغر القوم وقال أيها الامير أقتل أسراؤنا وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم
بطعام وشراب فلما أكلوا وشربوا قام اليه وقال أيها الامير أقتل أضباؤنا فلم
عليهم وخلقى سبيلهم * ولما قبض على ابن المقنع وكل به رجل يعذبه في مال طلب
منه فلما طال عليه ذلك وخشى على نفسه التلف اقترض من صاحب العذاب
مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به خوفا على ماله (واقحم رجل) على
الاحنف بن قيس مجلسه فلطمه فقال له ما جعلك على ما فعلت فقال لطمنى رجل
من تميم فأقسمت ان اقتص من سيدهم فقال له الاحنف لم تبرئ في عيذك ولست
بسيدي تميم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب الرجل اليه فوجده بين قومه
فاطمه فامر بقطع يده فقطعت فيقال ما قطع يده الا الاحنف الذي جراه على
غيره ولم يؤذبه على فعله وان كانت هذه الحكاية ليست جارية على المعهود من
حلم الاحنف فان النفوس الشريفة تأبى الاسترسال في الاحتمال لما يحصل
في حقها من اهمال الجهال كما قال أبو تمام حبيب بن اوس الطائي معتذرا عن
أدوجه الذب عن سيادته الى الخروج عن عادته

إذا أحوجت ذا كرم تحطى * اليك ببعض أخلاق اللئام

وما خرق التميم وان تعدى * بأبلغ فيك من حقد الكرام

(ولى عبد الملك بن مروان) أخاه بشرا العراق وضم اليه روح بن زبابغ فلما دخل
العراق اغرى بالشراب وثقل عليه ابن زبابغ فقال يوما من يحتمل الى فيه فقال
ثماسة الباهلي انا ثم صار الى دهليز روح وكتب على حائطه

ياروح من الزنا بغير محترمة * اذا يقال لاهل المغرب الباغي
ان الخليفة قد سالت نعامته * فاحتل لنفسك ياروح بن زبناغ
فلما قرأه ما ظن الا ان بعض الجن كتبها فعد الى بشر فاستأذنه في الرجوع الى
الشام فامتنع بشر من الاذن له وجعل يسأله ان يقيم فأبى فأذن له فلما دخل على
عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين قال وماذا فأكبره الخبر
فقال له سهرتك بشروا أهل العراق لما ثقلت عليهم فاحتالوا للراحة منك
(وقدم قوم) غريمالهم الى قاض وادعوا عليه بمال فصدقههم فأمره القاضي
ان يدفع لكل ذي حق حقه فقال ان لي ريعا وقد حان استغلاؤه فان رأوا ان
يؤجلوني أياما حتى أستغله وأؤدى اليهم حقوقهم فلا بأس فسألهم القاضي
ذلك فقالوا والله ما نعلم له سبدا ولا لبدا فقال له القاضي اذهب فقد فاسدك
غرمائك (وحكى) ان رجلا أراد الحج فأودع عند رجل ما لا يقلما رجوع طلبه
منه فجعله اياه فأقى اياها القاضي فأخبره فقال له لا تعلم أحدا أنك جئتني وعد
الى بعد يومين ثم دعا اياها ذلك الرجل المودع عنده وقال له انه قد تحصل
عندنا مال لا يتام وأريد دفعه اليك ليكون وديعه في حوزتك فخص بيتك
واختبأ أقواما ثقات يحملونه معك فرجع الرجل وأصلح منزله ثم دعا اياها
صاحب المال وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أنت
لم ترده على شكونك للقاضي فذهب الرجل اليه وطلب منه المال فردّه عليه
فأخبر الرجل اياها بذلك فقال رجعا كانت الحيلة وسيله الى ذلك المطلوب
ولم يعاود اياها ذلك الرجل المودع عنده فبما وعد به

* (والحازم من أضاف الى تاج رياسته عقودا من جواهر سياسته) *

فانهم قالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة (ويقال) اذا صحت
السياسة ثبتت الرياسة (وصف) أنوشروان سياسته فقال لم أهزل في أمر
ولانهي ولم أخلف في وعيد ولا وعد وأعاقب للزبد لا للغضب وأثيب
للغنى لا للهوى فأودعت قلوب الرعية هيبه لا يشينها منهم هلع ومحبة
لا يشوبها فيهم طمع وعمت بالقول وحذفت الفضول (وقال اردشير)
لاصحابه وقد سمى عنده بانسان انما أملك الطواهر لا التيات وأحكم
بالعدل لا بالرضا وأخفى عن الاعمال لاعن السرائر (ومن كلامه)

لاسلطان الأبرجال ولارجال الأبدال ولامال الأعمارة ولاعمارة الأبدال
(وقالت الحكماء) أسوس الملوكة لرعيته من قاداتها بقلوبها وقلوبها
بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرغبة (وقالوا) قلوب
الرعيه خزائن ملكها فمأودعها من شئ قلبه علم أنه فيها (وقال بزرجمهر)
العقل حديقه سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب لها الطاعة
والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان
يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعيه والرعيه سواد يستعبدهم
العدل والعدل أساس به قوام العالم (وقالوا) ينبغي للملك أن يتفقد أمر
رعيته في كل شهر وأمر خاصته في كل يوم وأمر نفسه في كل ساعة (وقال
أبو منصور الثعالبي) إذا كان الملك واضع يدهم العدل فارس مهاد الفضل
باسط جناح البر منبت نور المحبة تمتد ظل الهيبة مالت عنان السياسة
فقد أرخ الزمان بحسن آثاره وشق على الملوكة شق غباره (ومن كلام بعض
البلغاء) خير الملوكة من كفى وكفى وعفا وعفا (وقال الشاعر في بعض
ولادة بني مروان)

إذا ما قضيت ليلكم بئامكم * وأفنيتم أيامكم بمدام
فن ذا الذي يغشاكم في ملة * ومن ذا الذي يلقاكم بسلام
رضيت من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشر بمدام
ألم تعلموا أن اللسان موكل * بـرح كرام أو بدم لثام

(ويقال) ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاثة تأخير عقوبة المسمى وتجميل ثواب
المحسن والعمل بالإناء فيما يحدث له فان في تأخير العقوبة إمكان العفو
وفي تجميل ثواب المحسن المساعدة بالطاعة وفي الإناء انفساح الرأي
وانضاح الصواب (وسأل المأمون) رسول الروم لما قدم عليه عن سيرة ملكهم
فقال بذل عرفه وسل سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ولبأت اليه رهبة
سهل النوال حزن النهكال فالرجاء والخوف معقودان في يده قال له
فكيف حكمه قال يردع الظالم ويمنو على الظلوم فالرعيه اثنان راض
ومغيبط قال فكيف هيته فيهم قال يتصور في القلوب فتخشع له الابصار
فقال له المأمون لله أبوك لقد أحسنت فيما وصفت (وما أحسن) قول معاوية

اسلم بن زياد لما ولاه خراسان ان أباك كفاك أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا
فلا تسكن على عذرتي فقد اتكأت على كفاية منك وإياك مني قبل أن أقول
إياي منك فان الظن اذا أخلف مني فيك أخلف منك في وأنت في أدنى حظك
فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا ترين نفسك (وقال أنوشروان) الناس
ثلاث طبقات نسوسهم ثلاث سياسات طبقة هم خاصة البرار نسوسهم
بالعطف واللين والاحسان وطبقة هم خاصة الاشرار نسوسهم بالغلظة
والعنف وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة
ولا ييئسهم اللين (وقال) عبد الله بن طاهر

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لثام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل أوفق للنذل
(وقال معاوية بن أبي سفيان) اني لا أضع سبني حيث يكفيني سوطي ولا أضع
سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطعت
قبل له وكيف ذلك قال ان جذبوها أرختها وان أرخوها مددتها (وكان
زياد) اذا ولي رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى بلدك واعلم بأنك
مصرف رأس سنتك وأنت تصير الى أربع خلال فاختر نفسك ان وجدناك
أميننا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان
وجدناك قويا خائنا استعنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك وان
جعلت علينا الجرمين جعلنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أميننا زدنا
في عملك ورغبنا ذكرك وأوطأنا عقبك (وقالوا) اذا كن للمحسنين من
الحق ما لا يقنعه وللمسي من أليم العذاب ما يقنعه بذل المحسن النصيح
رغبة وانقاد المسي الى الحق رهبة (ولا ينبغي) لاحد من الملوك أن يعدل
عن قول أردشير بن بابك المستفاد منه والمستفاد عنه وهو قوله لبعض
موابدته (اعلم) ان الملك والدين أخوان توأمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر
لان الدين هو أسمى الملك وعماده الملك هو قائم سيف الدين ونجاده ولا بد
للملك من أس ولا بد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا
أس له مهسوم (واعلم) أنه يجب على الملك وعلى الرعية أن لا يكون للفراغ
عندهم موضع فان التضييع في فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعية

(ويقال) شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية (وقال
 المؤمن) أسوس الملوكة من ساس نفسه لريته فأسقط عنه مواقع حجتها
 وقطع مواقع حجته عنها (كان الرشيد) في بعض غزواته فالح عليه الثلج ليلته
 فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أمارى ما نحن فيه من الجهد والنصب
 ووعناء السفر والرعية قارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام
 وعليها القيام ولا بد للراعى من حراسة الرعية وتحمل الأذية واليه أشار
 بعض مداحه

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا * لما نهضت لنصرة الاسلام
 ناموا الى كنف بعد لك واسع * وسهرت تحرس غفلة النوام

والعاقل من شغله عيبه عن عيب من سواه
 ولم يطع في جواب السفبه أميرهواه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
 وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه
 والحكمة (وقال عليه الصلاة والسلام) لا تتبعوا ورات المسلمين فإن
 من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن
 يفضحه ولو في رحله (وقال اكنم بن صيفي) استر عيب أخيك ما تعلم من نفسك
 (وقالوا) أحق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه (قيل) لاربع بن
 خنيم مالك لا تعيب أحدا قال لست عن نفسي راضيا فاتفق لعيوب الناس
 ومذاهمهم (وقالوا) من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون
 ومن تتبع مساوى العباد فقد نحلهم عرضه قال الشاعر

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا * فيكشف الله سترا من مساويك
 واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيك
 (وما أحسن قول القائل)

اذا شئت أن تحبسا سلما من الأذى * ودينك موفور وعرضك صين
 فلا ينتطق منك اللسان بسوأة * فللناس سواآت وللناس ألسن
 وعينك ان أبدت اليك مساويا * لقوم فقل يا عين للناس أعين
 فعاشر بانصاف وكن متوددا * ولا تلق الا بالتي هي أحسن

(وقالوا) فلان يصم أذنه عن الفحشاء ويخبر لسانه عن التكلم بها (وقال الشاعر يمدح)

غنى عن الفحشاء أمالسانه * فغف وأما طرفه فكليل

(آخر)

كريم له عينان عين عن الخفا * تنام وأخرى في المكارم تسهر

(آخر)

واذا توأخاك امرؤ بقيقه * فأجبه بالاحسان والاجال

(حكى) أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدلنا على

كثرة عيوبك بما تذكرك من عيوب الناس لأن طالب العيوب انما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذي هو فيه

وما خبير من نخفى عليه عيوبه * ويسد له بالعيب عيب أخيه

(وقالت رابعة العدوية) الانسان اذا نصح الله في نفسه أطلعه الجبار على

مساوى عمله فينشاغل بها عن خلقه

• (والعاقل من جعل اغضاه عن المساوى حسنا اليه من ذم اللثام ياوى) •

يقال ربحا يحفظ العاقل فيبدي الرضا ويغضى عن مثل جمر الغضا (وقيل

لبرز جهر) من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان

الغالب عليه التنازل (وقال أبو بكر الصديق) رضى الله عنه من امتطى زمام

التغافل ملك زمام المروأة (وقالوا) أشرف الكرم تغافلك عما تعلم (ويقال)

التغافل من الكرام يمنحهم الاجلال والاکرام أنشد الباخري في الدمية

لابي الفضل عبد الله بن محمد الحيري رحمه الله تعالى

يا من يعرض بالخنا متوهما * جهلى به مهلا فانك جاهل

كم مرة أغضبت منك على قذى * لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

(آخر)

ويشتنى النذل اللثيم فلا أرى * كفو العرضى عرضه فأجامله

أجر له ذيلي كاني غافل * أضحكه طورا وطورا أخاته

(وقيل) لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء ان أسعته • واسكت كأنك غافل لم تسمع
ولبعضهم معرباً بكرمه ومعرفاً بشيئه

وانى لاغضى عن أمور كثيرة • ومن دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب الناس أنني • جهلت الذى آتى ولست بهماهل
(آخر)

وأغضى عن العوراء حتى يقال لى • بأذنيه وقرعنها حين ينطق
حياء واكراما لعرض أصونه • ولاخير فى عرض بطل يمزق
(آخر)

دعى ملاحاة من هجاني • يا نفس ان تغفلى نصانى
اذا حكيت البذاءة ليه • فها هجاني سوى لسانى

* (وأما ما قبل فى التغاضى والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال) *

(قالوا) أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة السفيه (وقال) بعض
الحكماء السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب (قال
الشاعر)

اذا نطق السفيه فلا تجبه • فخير من اجابته السكوت
فان جاوبته فترجت عنه • وان خليته كذا يموت
(وقال بعضهم)

لا ترجعن الى السفيه حكاية • الاجواب قبيحة حياكها
فتى تحركه تحرك جيفة • تزداد تناماً أردت حراكها
(آخر)

أرى الكف عن شتم السفيه تكرماً • أضرب به من شتمه حين يشتم
(وقالوا) اذا سككت عن الجاهل فقد أوسعته جواباً وأوجعته عذاباً
(ويقال) ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حلیم من أحق وبر من فاجر وشريف
من دنى (شاعر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ • أصبت حلماً أو أصابك جاهل
فأصبحت أماناً لعرضك جاهل • سفیه وأمانك ما لا تعاو
(وقال بعض الاغراب بمدح قومه)

تخالهم وصما وعميان عن الخفا * وخرس عن الفحشاء عند التهاجر
ومرضى إذا الوقوا حياء وعفة * وعند الحفاظ كالليوث الجواذر
لهم دل انصاف ولين تواضع * وعفو عن المولى وحسن تصابر
تخال بهم داء يخافون عاره * وما وضعهم الا اتقاء المعاذر

* (والعاقل من قنع من الدنيا باليسير وحصل فيها من التقوى زاد للمسير) *

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم
فيها يرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها قن حلالها حساب وحرامها
عقاب ومتشابهة باعتاب من طلبها فاته ومن قعد عنها أتته ومن بصريها
بصريته ومن نظر اليها أعتمت (ووصف) ابن السمال الدنيا فقال من نال منها
مات فيها ومن لم يئل منها مات عليها (ووصف) محمد بن تومر الدنيا فقال لحظة
بين عدمين فيها شركاء متشاكسون (وقال حكيم) الدنيا تطلب لثلاثة أشياء
للغنى وللغزول للراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعبه استراح
(وقال) عيسى عليه السلام أنا الذي كبت الدنيا على وجهها وجلست على
ظهرها فإيسر لي زوج تموت ولادار تخرب (وقال) ابن السمال من جرعته
الدنيا حلاوتها بعميله اليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها (وقال) علي
رضي الله عنه الدنيا والآخرة كالشرق والمغرب ان قربت من أحدهما بعدت
عن الآخر (ويروى عنه) أنه قال الدنيا والآخرة ضررتان متى أرضيت
أحدهما أسخطت الأخرى ثم قال لا بل أختان ولا يمكن الجمع بين الاختين
(وقال) عليه الصلاة والسلام الدنيا كم هذه أهون في عيني من عراق جروفي يد
مجدوم (ويقال) عين الدهر تطرف بالمساوى والخلائق نيام بين أجفانها
(وقال) بعض المستقيمين منها وأحسن

أف الدنيا ليست تواتيني * الا ينقضى لها عرى ديني

عيني بخبي تدير مقلتها * تريد ما ساءها لتردني

(مر) محمد بن واسع على قوم فسأل عنهم فقيل له هؤلاء الزهاد قال وما قدر الدنيا
حتى يزهد فيها (وقال) علي رضي الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على
مخالطة الكلاب (وقال) منصور بن عمار الدنيا أولها بكاء وأوسطها غناء
 وآخرها فناء (وقال) لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك ترهبهما جميعا

ولاتبع آخرتك بدنياً فقتصرهما جميعاً (وقال) الفضيل بن عياض لو عرضت
على الدنيا بحدافها حلالاً لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرهما كما
يتقذراً أحدكم الخيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقال) جعل الخير كله في
بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا (وقال) يوسف بن اسباط إن الدنيا لم تخلق
لينظر اليها إنما خلقت لينظر بها إلى الآخرة (وقال) ابراهيم بن أدهم
مساكين الأغنياء طلبوا الراحة فعدموها ووجدوا الزهاد فلم يروها
(ومن المنظوم في ذلك)

تباً لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنها في تصریفها حلم
صفاءها كدر سر أوها ضرر * أمانها غدر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان ما مضى ما مضى أرم
نفل عنها ولا تترك لزهرتها * فأنها نعم في طيها نغم
واعمل لدار نعيم لا تفادله * ولا يضاف به موت ولا هرم
(وقال بعض الزهاد وأحسن)

ومن يحمد الدنيا الشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وإن أقبلت كانت كثيرها مومها
(آخر)

يا خاطب الدنيا إلى نفسه * اتع عن خطبتها سلم
إن التي تخطب غزارة * قرية العرس من الماتم
(وقال أحمد بن عبدربه صاحب العقد)

الانما الدنيا غزارة أيسرة * إذا خضرت منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال الإغرائع * عليها وما اللذات المصائب
فكم سخطت بالامس عين قريرة * وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تسكحل عيناً منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب
(وذكرت) الدنيا عند الحسن البصري فقال

الانما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا حاولت بالامس لذة * فأفنتها هل أنت الاكالم

(آخر)

انما الدنيا كظل زائل * طلعت شمس عليه فاضمحل
كان في دار سواها داره * علته بالمنى ثم ارتحل

(آخر)

اعمر لما الدنيا بدار اقامة * ولما دار انتقال لمن عقل
اذا رفعت حطت وان هي احسنت * أساءت وان أعطت فأيامها دول

(آخر)

مزمومة باللهم مخطومة * سم زعاق سم اخلافا
ولم تزل تقتل الالفها * أ ف لقتالة ألافها

(ويقال) ليس الزاهد في الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه وانبتت منه
ولم تمكنه من متاعها وضافت عليه مع اتساعها وهو مضطر الى ذلك لظهور
عسرته ونفود يسرته وانما الزاهد في الدنيا من أقبلت عليه وحشدت
فوائدها اليه وحسنت له في ذاتها وأمكنته من لذتها فأعرض عنها وزهد
فيها (شاعر)

اذا المرء لم يزهد وقد جمعت له * ضروب من الدنيا فليس بزاهد
(ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الزاهد في الدنيا من يكون
بما في يده الله أغنى منك بما في يدك (وما أكثر انصاف من قال)
نراعي بذكر الموت في حال ذكره * ونعترض الدنيا فقله وندعب
ونحن بنوا الدنيا خلقنا غيرها * وما كان منها فهو شيء محجب
(وقال بعض البلغاء) صاحب الدنيا ساكن راحل وأيامه مرارحل وأنفاسه
رواحل صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحبرة وعبرة صاحب الدنيا
بين العسل والعصا والعصاة والاصاب (حكى) أن سليمان بن عبد الملك قال
لعمرو بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه فقال عمر سرور
لولا أنه غرور وحرم لولا أنه عدم وملك لولا أنه هلك وحياة لولا أنه موت
ونعيم لولا أنه عذاب أليم فظهر في وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم
ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفي سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة
وكانت ولايته سنة ست وتسعين

الفصل الثالث من الباب الثالث
في أن هفوات العقل لا يغضى عنها ولا تقال

(كما قيل)

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة * للسّهو فيها للوضيع معاذر
ذوالعلم بعسر أن تقال عثاره * وتقال عثرته الجهول العائر
واسليمان بن عبد الملك فيما قصده ناه كلام هو النور الملائح والهادى الى
الطريق الواضح (وهو قوله) السكوت عما يعينك خير من الكلام فيما يضرك
والسكوت عما لا يضرك خير من الكلام فيما لا يعينك (وقال) عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه زلة الرجل تجبر وزلة اللسان لا تنق ولا تذر (قال
بعضهم)

يعوت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يعوت المرم من عثرة الرجل
(وقالوا) طعن اللسان أنقذ من طعن السنان وجرح الكلام أصعب من
وقع السهام (وقالوا) رب لسان أتى على انسان

* (ذكر من أرسل سهماً من فيه فأصاب مقتله ولم يكذب خطيه) *

(حكى) أن رجلاً من الفرس وقف الى شيرويه لما قتل ابرويز فقال الحمد لله
الذى قتل ابرويز على يدك وملكت ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه
وكبره وتجبيره وبخله وجهله فانه كان ياخذ بالاحنة ويقتل بالظنة ويخيف
البرى ويذل السرى فلما سمع شيرويه كلامه قال للحاجب اجهل الى فلما مثله
بين يديه قال كم كان رزقك قال ألفين قال والآن قال ما زيد شيئاً قال فإدعك
الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم ترع له ذلك وأمر بترع لسانه
من قفاه (ولما) ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسين بالمدينة في أيام أبي
جعفر المنصور دخل عليه سديف بن ميمون فأنشده أبياتاً يحترسه فيها على
إظهار الدعوة ويطلعن في دولة بنى العباس يقول فيها

انا لنأمل أن ترتد القننا * بعد التبعّد والشحناء والاحن
وتنقضى دولة أحكام قادتها * فينسا كاحكام قوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم نهض ببيعتنا * ان الخلافة فيكم يا بني حسن
فبلغت المنصور الايات فكتب فيه الى عبد الصمد بن علي وكان عامله على مكة

فأخذه وقطع يديه ورجليه وجذع أنفه فلم يمت فدفنه حيا (وكان) دعبل
الخزاعي هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متعاملا لا يبالى ما صنع حتى عرف
بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن جاد الباهري ممن كان دعبل يؤذيه
ويهاجيه أبياتا هجوت فيها المعتصم وذكر قوم أنها له وهي

ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندي في الوفاء ككلهم * لانك ذو ذنب وما أذنبت الكلب
فبلغت المعتصم الايات فأمر بطلبه فهرب الى زويلة بلد السودان بناحية
المغرب فمات بها وقيل بالاهواز * وقيل لدعبل أنت القاتل هذه الايات قال
لا والله ولكن من حشا الله قبره نار ايعنى ابراهيم بن المهدي اشاط بدى لما
هجوته بقولى فيه وهو خليفة

يامعشر الاعراب لا تقنطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف نعطيكم شريجة * لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعبديات لقوادكم * وما به ——— ذأ أحد يغبط
وهو كذا يرزق أصحابه * خليفة ——— مصحفة الربط

(وكان المعتصم) يلقب بالثمانى لانه اتفق له عدد الثمانية في كثير من أموره
ولد في شهر شعبان وهو الثامن من شهور السنة وهي سنة ثمان وسبعين ومائة
وهو ثامن بني العباس مولدا وثامنهم ولاية وكانت خلافة ثمان سنين
وثمانية أشهر وعمر ثمانا وأربعين وغزوانه وقتوحاته ثمان وقتل ثمانية
أعداء وخلف ثمان بنين وثمان بنات وترك ثمانمائة ألف دينار ومثلها
دراهم الى غير ذلك من عدد الثمانية (رجع ما انقطع) * ذكر *
أبو القاسم الايادى أن جماعة من بني أمية دخلوا على أبي العباس السفاح
وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح اليه أبو العباس بالنظر فلما رأى
الغمر ذلك منه أنشده

عبد شمس أبولؤ وهو أبونا * لا تناديك من مكان بعيد
والقرايات بيننا واشجيات * محكمات العرى بعقد وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه عينا وشمالا وقال

لهم اني أريد أن أخلطكم بنفسي واستخلصكم لها فشكلوه على ذلك فبينما هم
يتحدثون اذ دخل عليهم سديف فأنشد السفاح القصيدة التي أوقاها
عمر الدين فاستبان مليا * حتى أتى على آخرها فقال السفاح يا ابن هشام كيف
ترى شاعرا فقال قولنا معجلا لحينه وأرباب بني أمية ان شاعرنا لا شعر من
شاعركم وأكثريانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال
لوتحمل البخت والافئال مثقلة * أحلامهم تركت عقرى الاباهير
لا يعبثون اذا سمجت جحافلهم * زين الجهالس فرسان المنابر
فاجرت عنا السفاح وهاجت به جمة كانت فيه قد سكنت ثم ضرب على فخذه
الغمر وقال

طمعت أمية أن تجاوزها شما * عنها ويذهب زبدها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه * حتى يبيد كفورها وحرونها

ثم قال قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان
فاعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف
والله ما خرجت من الانبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيهم قد نهشت الكلاب
رؤسهم (ولما) بنى زياد بيضاء البصرة وهى أقول بناء بنى بالحص والاجر بالبصرة
أمر أصحابه أن يسمعو امن أفواه الناس ما يقولون فيها ويبلغوه ويأتوه
بالقائل فأتى بانسان قيل انه لما رآها تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية
تعبدون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فقال زياد ما جلك على هذا قال لم
يكن أيها الأمير هذا عن قصد وانما خطرت على قلبي فتلاها لسانى فقال والله
لا عملن فيك بياقى الآية واذا ببطشتم بطشتم جبارين وأمر به فبنى عليه ركن
من أركانها (وكان) أحمد بن يوسف السكاتب كثير السقطات وكان يجالس
المأمون وكان المأمون اذا تبخر لا يستقصى البخور وتخرج الحمرة بما يبقى فيها
فتوضع تحت الرجل والرجل من الجلساء اكرامهم واعتناء بهم فجاءت
النوبة يوما لأحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعه المأمون فقال ألسنا
يقال هذا ونحن نجيز رجلا واحدا من خدمنا بعشرة آلاف درهم وأكثر
ويحك انما قصدنا اكرامك أن نكون أنا وأنت اقتسمنا بخورا واحدا
ولا يأتى الكرامة الا لثيم ثم أمر المأمون أن يطرح فى الحمرة ثلاث مشاقيل

من العنبر ويخربها أجد ويدخل رأسه في طوقه حتى ينقذ ريقها فعمل
به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس إلى منزله
فأت من ليلته

* (ومن أسقط من العقلاء في كلامه فكان سبيامو كد اللوم وويلامه) *

ذو الرمة فإنه وصف لعبد الملك بن مروان ذكاؤه وجودة شعره فأحب أن يراه
فأمر بإحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده قصيدته المذهبة وافتتحها
بقوله

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلام مقربه ينسرب

وانفق ان كانت عيننا عبد الملك يسيلان دائماً فظن أنه عرض به فغضب
فقال له مالك يا ابن اللغناء ولهذا السؤال ثم قطع أنشاده وأمر بإخراجه فأقام
حتى أذن للشعراء مرة ثانية فدخل معهم وقد غير ما قال أولاً وأنشده
ما بال عيني منها الماء ينسكب * حتى انتهى إلى قوله

كحلاء في برح صفراء في نعيم * كأنها فضة قدمها ذهب

فأجازه وأكرمه وقال له لو أنها قبلت في الجاهلية لسجدت لها العرب
(ودخل) أبو النجم الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده
أرجوزته التي أولها * الحمد لله الوهوب المجل * حتى انتهى إلى قوله يصف
الشمس * وهي على الأفق كعين الاحول * ولم يقل الاحول وقطع أنشاده
وارتج عليه وعلم أنه سارلة عاقل نفسي أن تكون غفلة جاهل لأن هشاماً كان
أحول فنال له هشام وبك أتم البيت وأمر بوجع عنقه وإخراجه من الرصافة
(ولمات عبد الملك بن مروان) وذلك في النصف من شوال سنة ست وثمانين
وكان عمره يومئذ ستين سنة وأياماً وقيل اثنين وستين وكانت مدة خلافته
أحدى وعشرين سنة وأياماً سبحانه ابنه الوليد فأنشده هشام أخوه

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهتما

فلطمه الوليد على فقه وقال اسكت يا ابن الأشجعية فانك أحول أكشف تنطق
بلسان شيطان (ودخل) جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعد
ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره فأنشده

انصروا أم فؤادك غير صامح * عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن اللغناء فحصر جريرو وخرج خائباً وفي هذه القصيدة يقول ما دحاجمالم يأت أحد بمثله

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح
(خاصم رجلاً) خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا إلى بلال
ابن أبي بردة وكان أمير الكوفة وقاضيا فقضى على خالد ثم مر به فركب
بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول

صحابه صيف عن قليل تقشع * فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك
منها شوبوب برد ثم أمر به فضرب ما تقي سوطاً وأمر بحبسه فقال له خالد علام
تفعل بي هذا ولم أجن جنابة فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت واقبأ ثقال
وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضرباته فتهكك بلال بعد ذلك
واحضره يوسف بن ممر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد جالساً عنده
فقال له أيها الأميران بلال لا عدو الله ضربني وحبسني ولم أذرق جماعة
ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت إلى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك
وهذا ركانك وأزال جالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديداً بالحجاب
مستخفاً بالشريف مظهراً للمعصية فقال بلال يا خالد انما استطلت على
ثلاث الأمير عليك مقبل وعن معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في
وطنك وأنا غريب فأخذه

* (ومن الهفوات الجارية بحجى التطير المؤذن لفظها بالزوال والتغير) *
قال علوية كنت مع المأمون لما خرج إلى الشام فدخلنا دمشق وجعلنا
نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا قصر من قصورها فوجدناه مفروشا
بالرخام الأخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقى روضة
قد جمعت فيها أنواع الأنهار وفي القصر من أجناس الطيار وما يغني
صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبح
فدعى بالطعام والشراب فأكلنا وشربنا ثم قال غني بأطيب صوت والذه
فلم يمر بخاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * يتنطق رجال أراهم نطقوا
فنظر إلى مغضباً وقال عليك وعلى بني أمية لعنة الله فعلت لي قدأ خطأت

فأخذت اعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين أتلو مني أن أذكر بني أمية
وزرياب عبدهم كان يركب في مائتي غلام ومملوك له وملك ثلثمائة ألف دينار
إلى غير ذلك من الضياع والاثاث وأنا عبدةكم أموت جوعاً فقال ما وجدت
شيئاً تذكركني به نفسك غير هذا ثم سككت ساعة وقال عدل عن هذا وغني
بما اقترحت عليك فلم يحضرني غير هذا الصوت

الحين ساق إلى دمشق ولم * أرضى دمشق لاهلها وطنا
فرماني بالقدح فاخطأني وقال قم إلى لعنة الله وحرقه ثم قام وركب فكان
آخر عهدي به حتى مات ومات المأمون لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب
سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت خلافته منذ قتل الأمين محمد عشرين
سنة وأشهرها وله من العمر ثمان وأربعون سنة ومات المعتصم أيضاً في هذا
العمر وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك عمر عبد الله بن طاهر
وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة إمارته بخراسان تسع
عشرة سنة (ولما) فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه مع جمع من
أعيان جلسائه وندمائيه سروراً به فأراى الناس أحسن من ذلك اليوم فقام
اسحق بن إبراهيم الموصلى وأنشده قصيدة يهنته فيها أولها

يادار غيرك البلي ومحاك * ياليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم وتغامر الناس وعجبوا من بادرته وهفوته مع علمه وفهمه
وطول خدمته للملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيراً فذكر أنه لم يعد
إليه بعد (ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه وخالف به مذهبه)
ما حكى أن جعفر بن يحيى البرمكي بنى داراً وأتق فيها وانتقل إليها فدخل عليه
أبو نواس مع من دخل إليه من الشعراء أهنأها فأنشده

أدار البلي أن الخشوع لبادي * عليك وإني لم أخنك ودادي
فعدرة مني البك بأن ترى * رهينة أرواح وصوت غوادي
ولا أدرا الضراء عنك بجيد * فإنا نأمنها فإنا نل بسعادي
فان كنت مهجوراً القناعة فارمت * يدا الهجر عن قوس المنون فوادي
فان كنت قد بدلت بؤساً بنعمة * فقد بدلت عبيني قدي برقادي
وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برك من راتحين وغاد
فقطير جعفر لها وأظهر الوجوم ثم قال نعت الينا أنفسنا يا أبانواس فلم تكن
الامة بسيرة حتى أوقع بهم الرشيد (وزعم بعض أهل التاريخ) ان أبانواس
قصد التشاؤم لهم لشيء كان في صدره من الممدوح وسبب ذلك أن أبانواس
دخل عليه يوما فلم يش له ولم يدن مجلسه وكلم في وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد
فهش له وأدنى مجلسه وأقبل عليه فحمل أبانواس واغراه الحسد فعمل هذه
القصيدة على طريق التطير وقال المبرد في الروضة ان أبانواس عملها
في الفضل بن يحيى (وحكى الصابي في كتاب الهفوات) أن شرف الملك
أبا سعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنؤنه ويمدحونه
فأنشده أحد الشعراء من قصيدة يعاتبه

وأنت حصنى الذى ألؤذبه * فخاله قد تهتدت شرفه

فقطير من ذلك لمناسبة شرفه بشرف الملك في لقيه ثم أنشدا آخر قصيدة أولها
عقد الصيام يوم الفطر محلول * فقدم الكاس فالتقى بديل معزول
فازداد تطيره وعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فلما كان السابع من شوال
قبض عليه

من استدركه هفوة لسانه من العقلاء ورد بالاعتذار عنه ما نزل به من البلاء
(يحكى) أن المنصور قال حججت سنة احدى وأربعين ومائة وأنا خليفة
ما شئنا لنذر لزمى فانفردت عن الناس فاذا أنا باعمرى كنت أعرفه يتردد
الى مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت يده فقال من أنت قلت رفيقك
الى الشام وأنت تريد مروان بن محمد فرد على السلام وأنشد

أمت نسا بنى أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجود دينام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له والغضب مستول على والرفق به مشير الى كم كان مروان أعطاك
قال أغنانى حتى لا أسأل أحدا بعده أبدا ملكنى الغلمان والجواري والمال
والعقار قلت وأين ذاك قال بالبصرة قال المنصور فلولا أن حق الصعبة منعنى
عنه كنت هممت به وشفيت نفسى منه فقلت له أتعرفنى قال ما أثبتك معرفة

ولأنكر لك من سوء قلت أنا المنصور فأسقط في يده ووقعت عليه الرعدة
ثم قال يا أمير المؤمنين أقتني جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فأقتله
وانصرف ثم طلبته بعد ذلك ليسأمرني فلم أجده فكان البيداء أباده قال
أبو الفرج الاصفهاني وهذا الاعشى هو أبو العباس بن السائب بن فروخ من بني
الليث وقيل من بني الدليل بن بكر له في بني أمية مدائح أجزلوا لهم المنائح
فنها قوله

وكل خليفة وولى عهد * لكم يا آل مروان الفداء
أما تركم شفاء حيث كنتم * وبعض أماراة الامراء داء
وكنتم تحسنون اذا ملكتم * وغيركم اذا ملكوا أساؤا
هم أرض لا رجل لكم وأنتم * لا يديهم وأعينهم سماء
(ولى عمر) رضى الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال
اسقني شربة ألدديها * واسق بالله مثلها ابن هشام
فعزله فلما قدم عليه قال له أنت القائل وأنشد البيت قال نعم والقائل بعده
عسلا يار داء سمحاب * انى لا أحب شرب المدام
فقال له عمر قاتلك الله كذا قلت ورده الى عمله (وأنى) عبد الملك بصلفة بن هبيرة
الشياني وكان ممن أخذ مع الخوارج فأمر بقتله وقال أأست القائل
ومناسويد البطين وقعب * ومنا أمير المؤمنين شبيب
فقال يا أمير المؤمنين انما قلت أمير وفتح الراء فاستحسن ذلك منه وأطلقه
(فانظر) الى حذق هذا الرجل سكن جأشا بحركة أمد عمره من أجلها بالبركة
وذلك بفتح الراء من كلمة وجعل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف
منصوب أبدا وقبل هذا البيت

ألا بلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ما ترعاه منك قريب
فأنك الأرض به ~~بكر~~ بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فأن يك منكم كان مروان وابنه * وعمر و منكم هاشم وحبيب
فناسويد البيت (وقال الحجاج) لعبد الرحمن بن أبي بكر ما مالك قال لقد خمت
على ألف ألف درهم ثم أن عبد الرحمن بن أبي بكر شعر بزلة لسانه وخاف غائلة
الحجاج فداركها مسرعا وقال ولقد أصبحت وما أملك الا خاتمي (وأنى المأمون)

برجل ادعى النبوة فقال له ما اسمك قال أنا جد النبي فقال له لقد ادعت زورا ثم أمر به ليضرب فلما رأى الرجل الاعوان قد أحاطت به قال يا أمير المؤمنين أنا جد النبي فهل تدقه أنت قد دارك المأمون ما بقي من رمق المنة بالمنة وأورى له زندا المحبة بالحننة وهذا الفن كثير لا يحصى ولا يعز وجوده عند الاستقصا

* (الباب الرابع في الحق وفيه ثلاثة فصول) *

الفصل الأول من هذا الباب

في ذم الجهالة والجنون * وما شتملا عليه من الفنون

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا الحقاء فان صحبتها بلاء وفي ولدها ضياع وفي حديث آخر لا تسترضعوا الحقاء فان لبنها يغير الطباع (وقال) عمر رضي الله عنه لم يقم جنين في بطن حقاء تسعة أشهر الا خرج الولد مائقا (حدث الحق) قالوا هو قوله الاصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي وضع له * وقيل هو فقد ان ما يحمد من العاقل * وقيل لعمر بن هبيرة ما حدث الحق قال لا حدثه كالعقل (وقال) أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون فأنت منه في راحة لتركن الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه في تعب لضرورتك اليه وأما العاقل فقد كفيت مؤتمه

* (فن قولهم في ذم الحق واظهار خافيه وأنه داء عضال لا يمكن تلافيه) *

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا حق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أتدري لم رزقت الا حق قال لا يا رب قال لي علم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد (وقيل) من لا عقل له لا دين له ومن لا دين له لا آخرة له (وقال الشعبي) اذا أراد الله أن ينزل عن عبد نعمته فإن أول ما يغير منه عقله (وقالوا) الحق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

(وقال بعض الحكماء) لو جازلوم الا حق على أن يعقل جازلوم الاعشى على أن يبصر (وروى) أن عيسى عليه السلام أتى بأحق ليداويه فقال أعياني دواء

الاجق ولم يعينى مداواة الاكهم والابرص وقال الشاعر
وعلاج الابدان أيسر خطبا * حين تعتل من علاج العقول
(وقال) معلم موسى الهادى له فى معرض التقرير له بأحقق فهشم أنفه فسأله
ابوه المهدي عن السبب فقال قال لى بأحقق ولو قال لى ياجنون لاحتملته
(وقال الشعبي) خطب الحجاج يوم جعة فاطال فقام اليه رجل أعرابى وقال
ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذر لك فأمر به فحبس فأناه أهله وقالوا
انه مجنون فقال الحجاج ان أقرب الجنون خلت سبيله فجاء الى الرجل أهله
وسألوه أن يقرلهم بالجنون فقال لا والله ولا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى
فبلغ الحجاج كلامه فعظم فى نفسه وأطلقه (وقال الاصمعي) قلت لغلام من
أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحقق قال لا والله
قلت ولم قال أخاف أن يجنى على حقى جناية تذهب مالى ويبقى حقى (وقال)
سعيد بن عمار مكتوب فى التوراة ان من صنع لأحقق معروفا فهو خطيئة
مكتوبة عليه (وقيل) اذا قيل لك ان فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حي مات
أو ميتا عاش فصديق واذا بلغك أن أحقق استفاد عقلا فلا تصدق (وقالوا)
الاجق تبنى أمته لو شكته وتبنى زوجته أنها عدمته ويتبنى جاره منه الوحدة
وبريد جلسه منه الوحشة

* (وما اخترناه من حكم أولى التجارب فى ذم التعرف عن هولائى محارب) *

قول عبد الله بن عباس رضى الله عنه مجامعة العاقل فى الغل والوثاق خير من
مجامعة الجاهل على السندس والاستميرى (وقال) الاحنف بن قيس انى
لا جالس الاجق ساعة فأتين ذلك فى عقلى (وقال) لقمان لابنه لا تعاشر الاجق
وان كان ذابجا لانه كالسيف حسن مخبره قبيح أثره (وقال الجاحظ) لا تجالس
الحق فانه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة
العقلاء دهر من الصلاح فان الفساد أشد التهاما بالطباع (وقال بزرجمهر)
مقاساة الاجق عذاب الروح (وقال) مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجة لك
الى أحقق فانه يريد أن يتفعل فيضرك فسكونه خير من نطقه وبعده خير من
قربه وموته خير من حياته (وقالوا) العاقل من جوحيره على كل حال

والاجق مخوف شره على كل حال (وقالوا) صحبة العاقل في لجج البحار
وأهوال القفار ألد من صحبة الجاهل بين جنات وأنهار وألوان أطعمة
وثمار (وقالوا) صحبة الاجق غدرو ومجاورته خطر والبعد عنه ظفر (وقال)
الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هجران الاجق قرينة الى الله تعالى
(وقال) ابن المعتز ان الاجق ضال مضل ان أنس تكبر وان أوحش
تكدر وان استنطق تجلف وان ترك تكلف مجالسته نضر وموالاه تغتر
ومقارنته شقاء ومفارقة شفاء (وقال) علي بن بسام

لا تباسن من اللبيب وان جفا * واقطع حبالك من حبال الاجق
فعداوة من عاقل متجمل * أولى وأسلم من صداقة أخرق
(وقالت الحكماء) العاقل يضل عقله عند مجاورة الاجق (وقالوا) مثل الاجق
كالثوب الخلق ان رفاته من موضع تحرق من موضع آخر (وقال) مسكين
الدارمي

اتق الاجق لا تصعبه * انما الاجق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانحرق
أو كصدع في زجاج فاسد * هل ترى صدع زجاج يرتق
واذا عاتبته كي برعوى * زاد جهلا وتمادى في الحق
(وقالوا) الاجق كالرمل المنهار كلما قومت منه جانبا انهار عليك
جانب آخر

* ما يستدل به من ذم الخلاق على خافي حق الا هو ج والمائق *
(قالوا) مما حكمت به التجربة أن من طالت قامته وصغرت هامته وانسدلت
لحيته كان حقيقا على من يراه أن يقرئه عن عقله السلام (ابن الرومي)
بحجوا لحي

ان تطل لحيه عليك وتعرض * فالنحالي مخلوقة للعبير
علق الله في عذارين محلا * ة ولا يكنها بغير شعير
لورأى مثلهما النبي لا جرى * في لحي الناس سنة التقصير
(وقال آخر)

صاحبنا الخياط ذو لحيه * كأنها في عرضها والكحل

ملحفة للهومضروبة * ووجهه من فوقها كالخيال
 (في التوراة) ان اللحية مخرجها من الدماغ فنأفرط عليه طولها قل دماغه
 ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق (وقالت) أعرايه لقاض
 قضى عليها صغر رأسك فبعد فهمك وانسدلت لحيته فانشمر عقلك وما رأيت
 ميتا يقضى بين حيين غيرك (وقال) المأمون اذا طالت اللحية ترك وسج العقل
 (وقال) مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حق الرجل في أربع طول لحيته
 وبشاعة كنيته وافرط مشهورته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل
 اللحية فقال لهم أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث
 فقبل لهما كنيته قال أبو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وثققد الطير
 فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قيل فأى الطعام أحب إليك
 قال الجانيحين وهو الورد المرابي فأنشده مسمة
 ما بعد كنيته وطول لحيته * ونقش خاتمه شك لمعتبر

* (ومن شهر بالعقل النافر وعرف بالحق الوافر) *

المعلمون (قال الجاحظ) قسم الله الحق مائه جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزءا
 في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس * وقال الشاعر
 كفى المرء نقصا أن يقال بأنه * معلم صبيان وان كان فاضلا
 (آخر)

وان أحمق خلق الله كلهم * من كان بالفصل والتعليم مستغلا
 الله صاغهم حتى وكوّنهم * نوكل وأوجدهم بين الوري سقلا
 ذاعت حماقتهم في الناس واشتهرت * بين البرية حتى أصبحوا مشلا
 (وحكي الجاحظ) قال مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت أصعد نظري
 ففهم عني وأنشدني

ما طارت تحت الخافقين * أقل عقلا من معلم
 ولقد جلسنا في الصنا * عة من قريب رب سلم
 فكأنما ألقم في حجر افانصرف وتركت * وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد
 وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على أثنى ويغدو على طفل
 (ومن أمثالهم) أحمق من معلم ومن راعي ضان * قال المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه
 * والنساء (قالوا) لاتدع أم صبيك تؤذيه فإنه أعقل منها وإن كانت أسن منه بل
 أدبه بزجره وهذبه بجرك (ويقال) عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم
 بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة * ويكنى في ذمهن قول رسول
 الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين وقوله لما بلغه أن القرس
 ملكوا عليهم بوران أن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة * والخصيان (قال الجاحظ)
 في الخصي عشر خصال متضادة لم يخرج من ظهر مؤن ولا يخرج من ظهره
 مؤن وهو أكثر الناس غيرة وأشدهم قادة وهو أضعف الناس معدة
 وأشرهم على الطعام وهو أسوأ الناس أدبا ويعلمهم الأدب وهو أغزر الناس
 دمعة وأقساهم قلبا ما خلا مع رجل الا حذته نفسه أنه امرأة ولا خلا مع
 امرأة الا حذته نفسه أنه رجل (بعض الشعراء) يذم الخصيان

ليس جدا لخصيان في الناس الا * شدة الصبر عند سدة الفقاح
 معشر أشبهوا القروذ وان كن * خالفوها في خلقة الارواح
 (وقد بالغ المتنبى) في هجو كافور الا خشيدي وتعدا دمعا به وأوصافه فلا حاجة
 الى ذكرها في هذا المختصر ولا بد من ايراد شيء منها (فمن ذلك) قوله
 من آية الطرق يأتي نحوك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجل
 جار الاولى ملكك كفاك قدرهم * فعرفوا بك أن الكاب فوقهم
 لاشئ أقبح من حره ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم
 وقوله

العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه في مهاب الحر مولود
 لاتستر العبد الا والعصامعه * ان العبد لا نخاس مناك كيد
 من علم الاسود المخصي مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصبيد
 أم أذنه في يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالقلسين مردود
 أولى اللثام كفا بغير مقدرة * فلا جميل ولا عفو ولا جود
 وذلك أن الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود
 (قبح الله الشعراء) ما أقل حفاظهم وأكثر ما تفاوت بالكذب في المدح والذم
 ألفاظهم يقول هذا بعد أن قال فيه وقد وصف خيلا أركبها اليه

لجاءت بنا انسان عين زمانه * وخت بياضا خلفها وما آقيا
 قوا صد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
 لقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيئا يسيرا وحال بينه
 وبين العهد الوفاء وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع ويسامحها
 في اختيار المتاع ويخلع خلعة تساوى بدرة على عرض يساوى نقرة ويرف
 كريمة من كرام شعره الى من لم تقم عنه كريمة ولم يعرف له قيمة لورأى الطمع
 في بحر النار لخله ولو أتاه الدرهم من دبر كلب لآخذه وما غسله فلا جرم
 ان الناس كما استهسو احواله استهجو افعاله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا
 من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يسجو ويشهد ثم يجرح شهاده
 ويعطى ثم يسترجع عطيته فكم حرسلبه لخواه وكم عرض جرد عنه كساه
 ومن صحفة أكل منها ثم شرق فيها ومن طوية زهدا ثم كف عليها
 (وصف بعضهم) الحصيان ما دحاهم فقال هم الامناء على الحرم البعداء
 عن التهم ولهم التطرف والتلطف والوقار وقلة الضحك وهم طراز الملك
 وجمال الدول وعنوان النعم وكثيرا ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم
 طريق السياسات ودربوهم والحاكمة (يقال) الحق عشرة أجزاء تسعة
 منها في الحاكمة وواحد في سائر الناس (وقالوا) لو أن الحائك قرنا لسطح به
 (وسأل رجل) الأعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس به على غير
 وضوء قيل فما تقول في شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين (وقال) الحسن
 البصري من نظرت في طراز حائك لم يرجع اليه عقله أربعين يوما والسبب
 في زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان
 قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق التي
 سلك فقالت اللهم توهمه فلا يوجد الاثمها وفي رواية أنها قالت اللهم اجعلهم
 سفلة الناس وأقلهم عقلا (قيل) لرجل من الحاكه هل في بلدكم حائك قال
 لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فاذا كلكم حاكه
 (قالوا) فلان مجنون وأجن منه لا يكون فلان اذا رأيت نسيب مجنون
 بنى عامر

* (طرف مما ذم به أهل الجهالة المتسكون بعري الغواية والضلالة) *

يحكي أن أبا الأسود الدؤلي قال إذا أردت أن تقهر عالما فأحضره جاهلا
 (وقالوا) لامعية أعظم من الجهل ولا صاحب أخذ منه (وقالوا) لامعية
 أعظم من الجهل (وقالوا) الجهل في القلب كالا كلمة في الجسد (وقال)
 برز جهر العالم كبير وان كان صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا (وقال)
 جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما الادب عند الجاهل كالماء في أصول
 الحنظل كلما ازداد ريارا ازداد مرارة (وقال) وهب بن منبه يقال إن الجاهل
 إذا تكلم فضحه عيبه وإذا سكت فضحه جهله لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره
 ينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه (وذم) اعرابي رجلا فقال فلان ان
 أعرضت عنه اغتم وان أقبلت عليه اعتزوان حلت عليه جهل عليك وان
 جهلت عليه حلم عندك * البشامي يهجو جاهلا .

لنا جليس تارك للادب * جليسه من نوكه في تعب
 يخالف بغضب في حال الرضا * عمدا ويرضى عند حال الغضب
 كأنه من سوء تأديبانه * أسلم في مكتب سوء الادب

(وقال برز جهر) الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره * وسئل
 أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني اسرائيل ووقعت قصة البقرة
 ما ذبح غيره * شاعر يهجو جاهلا

ليس يدري من الجهالة من ذا * دور البعر في بطون الجمال
 (آخر)

يظن بأن الخلل في القطف نابت * وأن الذي في باطن التين خردل
 (وقالوا) فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء
 من الارض ولا الطول من العرض ينظر الى العلم نظرا المغشى عليه من الموت
 ان أصاب أجهم وان أخطأ صم (وقالوا) فلان خطؤه بعد اجتهد وصوابه
 عن غير اعتماد * وقال الشاعر

يصيب ولا يدري ويخطئ وما درى * وكيف يكون النول الا كذلك
 (وقالوا) الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل
 على غلط الطبع وجود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب
 النفس وخبت الطوية (ويقال) أشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم

جاهل * وكانت ملوك القرم اذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته
مع جاهل * شاعر

واذا بليت مجاهل متهم * يجرد المحال من الامور صوابا
أوليته من السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا
(وفي منشور الحكم) من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل (وقالوا)
لا يرى الجاهل الا مفرطاً ومفرطاً يسئ عمداً ويحسن غلطا (وقيل لبرزجر)
مالك لا تعاقبون الجهال على أن يعقلوا فقال أنا لا تكلف العمى بأن يصروا
ولا الصم بأن يسمعوا (وقال) بعض الحكماء عي الجاهل أشد من عي العين
لأن العمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الأرض أو يسقط فيما انخفض منها
والجاهل ربما عثر فيما لا يستقيل منه ووقع فيما لا يخرج له عنه * ابن الرومي
كالنور عقلا ومثل التيس معرفة * فلا يفرق بين الحق والفساد
الجاهل شخص ينادى فوق هامته * لا تسأل الربع ما في الربع من أحد
(وقالوا) الجاهل يجنى على نفسه وليس شيء أحب اليه منها * استأذن
رجل من ثقيف على الوليد وعنده عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلبسان
بالشطر نج فستر عبد الله الشطر نج فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله
فأخبره ثم قال له أقرأت القرآن قال لا والله يا أمير المؤمنين شغاني عنه أمور
وهنا قال أرويت من الحديث شيئا قال لا والله يا أمير المؤمنين قال أتعرف
الفقه قال لا والله يا أمير المؤمنين فكشف عن الشطر نج وقال شاهك يا أبا
جعفر فقال عبد الله لورفعت فقال العبد فاعندك أحد

* (ومن صفات من عدم خلال النہی واعتراء في عقله اختلال فوهي) *

ان تكلم بجمل وان حدث وهل وان استنزل عن رأي نزل وان حل على باطل
فعل (ومن علامات) الغضب في غير شيء والكلام في غير نفع وافشاء السر
والثقة بكل أحد وأن لا يعرف صديقه من عدوه (ومن علامات) العجلة
والخفة والتواني والضباع والتفريط والغفلة والسهو (ومن علامات) ان
استغنى بطر وان افتقر قنط وان فرح أشروا وبكى خاوا وان ضحك نطق وان
أعطيته كفر له وان أعطاك من عليك (وقالوا) من علامات المائق كثرة
الالتفات وسرعة الجواب وتحريك الرأس اذا مشى واذا اعتبرنا هذه الخلال

الردة وجدناها في كثير من الناس فلانكاد نعرف العاقل من كثرة الالتباس
كما قال عليه الصلاة والسلام ليس من أحد الا وفيه حقة فيها يعيش * وقال
وهب بن منبه خلق ابن آدم أحق ولولا ذلك لما هنأ العيش (نادرة) قيل
لهم لول عدلنا لمجانين فقال هذا يطول ولكني أعد العقلاء * نظر الى هذا المعنى
بعض الشعراء فقال وأجاد

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(الفصل الثاني من الباب الرابع)

في ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة

فمن شهر منهم -م بالملح وعرف واستحسن كلامه النادر واستظرف
جعفران واسمه جعفر وانما صغر للتجيب وهو القائل في نفسه

ما جعفر لا يسه * ولا له بشييه
أضحي لقوم كثير * فكاهم يدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه
والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

ويقال ان هذه الايات وضعها في دعبل فيكون قوله * مادعبل لا يسه
والرواية الاولى هي التي رواها أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى وكان
جعفران متشبه عاقيل له يوما شتم فاطمة وخذ درهما قال لابل أشتم عائشة
وأخذ نصف درهم * واستقبلته امرأة صبيحة فبذرا اليها وقبلها فأكب الناس
عليه يضربونه فأنشد

علقوا اللحم للبزا * ع على ذروني عدن
ثم لاموا المحب فيه * على خلعه الرسن
لو أرادوا عفاقه * تقبوا وجهها الحسن

(ووقف) على بن اسمعيل الهاشمي فقال له أعطني درهما فأمر الغلمان
بطرده فطردوه فولى وهو ينشد

قد زعم الناس ولم يكذبوا * أنك من غير بني هاشم
فقال للغلمان ردوه وأعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

قد كذب الله أحاديثهم * يا هاشمي الأصل من آدم

(وحكي الجاحظ) قال كان جعيفران يماشي رجلا فدفعه الرجل على كاب فقال له ما هذا قال أردت أن أقرئك به قال فمع من أئامنذا الغداة * وتشاجر رجلان في رجل ادعياه فقال أحدهما هو من طفاوة وقال الآخر هو من بني راسب وتحاكما إلى جعيفران فقال ألقوه في الماء فان طفافهو من طفاوة وان راسب فهو من بني راسب قال النسابةون راسب بن سعدان بطن من الازد وطفاوة من ولد اعصر وهو منبه بن سعد بن قيس عيلان وهذه الحكاية نسبها الميداني في كتاب الامثال لهبتقة الليثي المضروب به المثل في التغفل والحق

* (ومن مشاهير مجانين الكوفة المهلول ذو العقل السقيم والذهن المفلول) *

ولد لاصم بن محمد الصباح بنت فساء ذلك وامتنع من الطعام والشراب فدخل عليه بهلول وقال أيها الأمير ما هذا الجزع والحزن جرعت لخلق سوى وهبه الملك العلي - أيسرك أن يكون مكانهم ابن وأنه مثلي فضحك الأمير ودعا بالطعام والشراب وأذن للناس بالدخول عليه للهناء (ومر) بهلول بقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئها فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمعوا إليه قال أحدهم يا بهلول تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرت هافي كنه ثم قال ها تواسمنا فقلوا لم يكن في شرطنا سلم قال كان في شرطي دون شرطكم * وسئل عن مسئلة من الفرائض وهي رجل مات وخلف ابنا وبتنا وزوجة ولم يترك من المال شيئا فقال للابن اليتيم وللبنات الشكل وللزوجة خراب البيت وما بقي من الهمم فبالعصبة * وحمل عليه الصبيان يوما فاجلؤا إلى دار مفتوحة فوجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة فيها من أنواع الاطعمة ما تشتهى النفس وتلذذ العين فرجع وغلق الباب ودخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ إلى دار بعض العلويين فرأى رجلا ضخما بضفيرتين فقال ياذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خراجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فخرج الرجل واغلق الباب وجاء من الصبيان * وحمل عليه الصبيان يوما فاجلؤا إلى مضيق فشد عليهم بالعصبة وهو يقول

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الأمر أدناه من الفرج
 (وسمع البهلول) مجنوناً يقول يوم عيدياً أيها الناس اني رسول الله اليكم
 فلتطم وجهه وقال ولا تنجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال له
 الرشيد يوماً من أحب اليك قال من أشبع بطني قال اني أشبعك فهل تحبني
 قال له الحب لا يكون بالنسيئة * وأحضره يوماً وأجلسه في صحن الدار
 وجلست أم جعفر حيث لا يراها وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له
 الرشيد عدلنا المجانين فقال أولهم أنا والثاني هذه وأشار إلى أم جعفر فقال له
 عيسى يا ابن اللعنة تقول هذا لاخيتي قال بهلول وأنت الثالث يا صاحب
 العريضة فقال الرشيد أخرجوه فقال بهلول وأنت الرابع (وقال) رجل لبهلول
 قد أمر الأمير كل مجنون بدرهمين فقال له امض وخذ نصيبك لئلا يفوتك
 (وقيل) أيما أفضل أبو بكر أو علي فقال أمأوا أنا في كندة فعلى وإذا كنت
 في بني ضبة فأبو بكر وكندة في الكوفة من غلاة الشيعة وبني ضبة أهل نصب
 وهم أصحاب الجمل

بئذ مما يجلب التسلي لقلب المحزون من الفكاهات المحكية عن عليان المجنون
 ذكر أنه وصف للمأمون فأمر باحضاره فلما مشى بين يديه ازدراه وأمر به أن
 يجلس في مجالس العامة ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال عليان
 ان تسخر وامنأنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فها به المأمون وعظم
 في عينه بها (ومر به) رجل وهويأ كل تمر والصبيان يؤذونه فقال للرجل انظر
 الى هذا التمر من رجة الله وهو لاء الصبيان من عذاب الله * وتوابع الصبيان به
 يوماً فقال له رجل هل لك في طردهم عنك قال نعم وأنت معهم (ورآه رجل)
 وهويأ كل تمر في السوق فقال له يا عليان أتأكل في السوق قال من جاع
 في السوق أكل في السوق * ورآه من لا يعرفه فقال له أنت مجنون فقال كل
 الناس مجانين ولكن حظي أوفر * وقال له رجل ما الذي صيرك الى ما أرى
 قال محتوم القضاء * وقال له من لا يعرفه أغريب أنت قال أما عن العقل فنع
 وأما عن البلد فلا * وأدخل بهلول على الرشيد وعنده عليان فكلمهما فأغظا
 له في القول وأمر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثاً
 فضحك الرشيد وعفأ عنهما * ومات أبوه وخلف ستمائة درهم فأخذها القاضي

وحجر عليه ليختبر عقله فجاءه بعد مدة فقال له انك حجرت على لما علمت اني مصاب
في عقلي وانا جائع فادفع لي مائتي درهم حتى أقعدبهم في أصحاب الخلقان أبيع
واشتري فان رأيت مني رشداً جئت الى الباقي وان أتلقتها كان الذي أتلقت
أقل مما بقي فأعطاه مائتي درهم فآخذها ولزم الحيرة حتى أنفدها ورأى القاضي
بعد ذلك فقال يا عليان ما صنعت بالدرهم قال أنفقتها فليزن القاضي أعزّه الله
من ماله مائتي درهم ويردها الى السكيس حتى يرجع المال الى ما كان عليه

(طرف من لطائف أخبارهم الانيقة وتقف من لطائف نوادرهم الرشيقه)

(حكى) أن ثمامة بن أشرس قال بعثني الرشيد الى دار المجانير لاصالح ما فسد من
حاله فرأيت فيهم شابا حسن الرزي كأنه صحيح العقل فقال لي يا ثمامة انك تقول
ان العبد لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبليّة يجب الصبر لديها وأنت
تبيع المطبوخ رأيت لو سكرت وغت وقام اليك غلامك وأولج فيك مثل
ذراع البكر فقل لي أهذه نعمة يجب الشكر عليها أو بليّة يجب الصبر لديها
قال ثمامة فلم أدر بماذا أجيبه فقال مسئلة قلت ما هي قال متى يجد النائم
لذة النوم ان قلت في حال نومه فبحال وان قلت اذا استيقظ فبعيد أن يجد لذة
شيء انقضى ومضى فبنت لا أحير جوابا فقال مسئلة أخرى قلت وما هي
قال انك تزعم أن لكل أمة نذير فانذير الكلاب قلت لا أدري فقال أما
الجواب عن المسئلة الاولى فيجب أن تقول النعم ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها
وبليّة يجب الصبر لديها وبليّة يجب الصبر عنها فهذه من القسم الثالث وهي
البليّة التي يجب الصبر عنها وأما المسئلة الثانية فالجواب عنها انها محال
لان النوم داء ولا لذة مع وجود الداء وأما المسئلة الثالثة وأخرج من كه
حجرا وقال اذا دعا عليك كلب فهذا نذيره ورماني بالحجر فأخطأني وأصاب
الاسطوانة فلما رآه قد أخطأني قال فأتك النذير يا أيها الكلب الحقير فعلت
أنه مجنون وأن عقله مصاب فتركتهم وانصرفت وقمعت من الغنمة بالاياب
(وكان) في بني أسد مجنون يسمى لغدان فتر بقوم من بني تميم الله بن ثعلبة
فعبثوا به فقال يا بني تميم الله ما أعلم في الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال لان
بني أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين وليس
فيكم مقيد (وكتب) بعض المجانين الى عساوة كتابي اليك ثلاث ساعات من

لسبلة الميلاد التي صبحها يوم المهر جان ودجلة تطفح بالماء هياها والحجارة
لا تزداد الا كثرة والصبيان قللهم الله وبدد شملهم لم لا يزدادون الا وقاسية فان
قدرت أن لا تبني الا وحولك حجارة فافعل واستعمل قول الله تعالى وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (وركب)
بختيشوع المتطرب مع المأمون فتعلق به مجنون وقال أيها الطبيب جس تبضي
فجسه وقال له ما تشكي قال الشبق فقال له خذ مسواك أراك وأدخله من
وراك فانه صالح لذلك فرفع المجنون فخذه وضرط وقال خذ هذا جراك
حتى فنجرب دواك فان كان صالحا لذك شكرناك وزدناك ولا يكون لنا طبيب
سواك ففعل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون (ووقف) صباح
الموسوس على قوم فسألهم شيئا فرددوه فولى وهو ينشد

أسأت اذا أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس

(وقال بعضهم) رأيت مجنونين يتنازعا ن رغبة في أثر كل واحد منهما
صاحبه به وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما وأنا أظن أني أربح عليهما أنا آكله
ان لم تأكلاه فقال أحدهما يا أحمق ان معه ادما لا يسوغ الابيه قلت وما هو قال
ضيق الخلق ووجع العنق فولبت عنه ما فقا لا يا مجنون لولا غضاضة الادم
لا كنا ه منذ حين (وسمع) أبو الصقر المجنون سقاء يصيح في يوم حر هذا يوم يسقي
فيه الماء فقال وأي يوم يطعم فيه الخبز (وحكى) علي بن الجهم -م الشاعر قال
مررت بمجنون والناس مجتمعون عليه يعبشون به فلما رأني قصصني دونهم
وأخذ بعنان بغلتي ثم أنشد

لا تحفلن بعشر الشهم الذين تراهم

فوحق من أبلى بهم * نفسي ومن عاقاهم

لوقيس موتاهم بهم * كانوا هم وموتاهم

ثم جال بطرفه في الحلقة فرأى فيها شابا مليح الوجه حسن الهيئة فوثب إليه
ومزق ما كان عليه ثم نظراني وأنشد

هذا السعيد لديهم * قد صار لي أشقاهم

(ووقف) بعض المجانين على باب مسجد فقال فأرادت العامة ضربه فقال
لهم أرايت لو بال ههنا حمارا كنتم ضاربه قالوا لا قال فهبوني حمارا فانه

لا عقل لي فرقوا له وأطلقوه (وقال المبرد) دخلت دار المجانين فوقفت تجاه
مجنون وأخرجت لسانى فحول وجهه عنى فجئت الى الناحية التى حول
وجهه اليها وأخرجت لسانى فحول وجهه الى ناحية أخرى فجئت اليه
وفعلت مثل ذلك فلما أخرجته رفع رأسه الى السماء وقال انظر يا رب من حلوا
ومن ربطوا

* (ما اختير من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم فى سلكه جواهر الجدة والهزل) *
(حدث) ابن حبيب فى كتابه الذى صنّفه فى أخبار عقلاء المجانين بإسناده الى أبى
اسحق ابراهيم الايلي قال رأيت غورثا المجنون يوماً خارجاً من الحمام والصبيان
قيام يضربونه ويؤذونه وهو يكي فقلت له ما خبرك يا أبا محمد قال إذا نى هؤلاء
الصبيان أما يكفينى ما أنا فيه من العشق والجنون قلت ما أظنك مجنوناً قال
بلى والله وعاشق قلت وهل قلت فى عشقك شيئاً قال نعم ثم أنشد

جنون وعشق ذا بروح وذا يغدو * فهذا له حدّ وهذا له حدّ
وقد سكّنت الحشى وتحالفا * على مهجتي أن لا يفارقها الجهد
وأى طبيب يستطيع بحيلة * بعالج من داءين ما منهما بدّ
قال الايلي فوليت عنه فقال قف واسمع ما أقول فإن شرح غرامى على الخلى
يطول فوقفت فأنشد

جنون ليس يضبطه الحديد * وحب لا يزول ولا يبيد
جسمى بين ذاك وذاتنجيل * وقلبي بين ذاك وذات عميد
ثم قال لي انصرف ما سمعته يكفمك * وأخذ يوماً يد المتهم بعشقه فقال له
المعشوق رجاء الخلاص منه كيف أصبحت فقال

أصبحت منك على شفا جرف * متعرّضاً لموارد التلف
وأراك نحوى غير ملتفت * منحرفاً عن غير منحرف
يا من أطال بهجرة أسنى * أسفى عليك أشد من تلقى
(وحكى أيضاً) أن هرون الرشيد مرّ بدير فى ظاهر الرقة فلما أقبلت مواكبه
أشرف أهل الدير ينظرون اليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هرون رعى
بنفسه بين يديه وقال يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات أفأنشدك إياها
قال نعم فأنشده

لحظات طرفك في العدا * تغنيك عن سل السيوف
 و-ريم رأيك في النهى * يكفيك عاقبة الصروف
 وسيول كفك بالندي * بحري يفيض على الضعيف
 وضياه وجهك في الدجى * أبهى من البدر المنيف

ثم قال يا أمير المؤمنين مات أربعة آلاف درهم اشتري بها كيمسا وعراقا فقال
 هرون تدفع له فحملت إلى أهله (وحكى أيضا) قال ادريس بن ابراهيم اللغمي
 سمعني مجنون أنشد في يوم غيم

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * واقامه فال يوم لاشك ما طر
 فقال بديها من غير روية

وقد حجبت فيه السحاب شمس * كما حجبت ورد الحدود المعاجر
 (ومر) ابراهيم بن المدبر بالاهواز وقد صرف عنها فتعرض له ماني الموسوس
 واسمه محمد بن القاسم فأخذ بلجام بغلته وقال

ليت شعري أي قوم أجذبوا * فأغشوا بك من طول العجف
 نظرا لله اليهم دوتا * وحرمانا لذنب قد سلف
 يا أبا اسحق سر في دعة * وامض بمجودا فاعنك خلف
 انما أنت صاحب هاطل * حينما صرفه الله انصرف

فأمر له بسمائة درهم (ونظر) إليه انسان وهو يابك كل غرا ويبلغ نواه
 فقال له لم لا ترمي نواه قال هكذا وزن على * وقيل له في كم يصير الانسان مجنونا
 فقال على قدر الصبيان * ومن شعره

زعموا أن من تشاغل بالذات يوما عن حبه يتسلى
 كذبوا والذي تساق له البد * ن ومن دار بالطواف وصلى
 ان نار الهوى أحر من الجمر على قلب عاشق يتصلى

وأخبار ماني أحلى من مسامرة الاماني لكن استيفأوها ربما يخرج عن
 الغرض ويسدل جوهرها شرطناه بالعرض (وحكى المبرد) قال خرجنا من
 بغداد إلى واسط فلنا إلى دير هرقل فنظر إلى المجائين فنظرنا إلى فتى منهم ناجية
 عنهم فلنا إليه وسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام فقلنا له ما تجد فقال
 الله يعلم أنني كمد * لا أستطيع أبث ما أجد

روحان لى روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
وأوى المقيمة ليس يتقها * صبر وليس يفوتها جلد
وأظن غائبى كشاهدق * بكاتها تجدد الذى أجد
فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى شئ ليرميناه فوليناها ريين فقال سألتكم بالله
الا ما رجعت حتى أتشدكم فان أحسنت قلتم أحسنت وان أسأت قلتم أسأت
قال فرجعنا فقلنا له قل فأنشدنا

لما أنا خواقيل الصبح عيسهم * ورحلوا وسارت بالدى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترفو الى ودمع العين ينهمل
وودعت بينان زانها عسهم * ناديت لاجلت رجلاك يا اجل
ويلي من البين وبل حل بي وبها * من نازل البين جد البين وارتحلو
يا حادى العيس عرج كي فودعهم * يا راحل العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * يا ليت شعري لطول الدهر ما فعلوا
قال فقلنا له ما نوافصاح وقال وانا والله أموت واستلقى على ظهره وتعدد فوات
فما برحنا حتى دفناه رجة الله عليه

* (الفصل الثالث من الباب الرابع) *

فى احتجاج الاريب المتحامق على أن الحق أركى الخلائق

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ عبر
بالافتدة وهى القلوب عن العقول لانها مقرها (وقال) النبي صلى الله عليه
وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفى طريق آخر ان الله يحاسب
كل امرئ على مقداره عقله * وفى بعض الآثار ما جعل الله لرجل عقلا وافرأ
الا احتسبه عليه من رزقه وقيل من زيد فى عقله نقص من رزقه

* (ما قيل فى ان لذادة العيس لا تحصل الا بالجهالة والطيش) *

(ذكر) ان بعض الحكماء مثل من أقر الناس عينا وأحسنهم حالا وأطيبهم عيشا
وأنعمهم بالا فقال من كفى أمر دنياه ولولم يهتم لاخرته * أخذه المتنبى فقال
تصفوا الحياة بجاهل أو غافل * عمل مضى فيها ولا يتوقع
ولن يغالط فى الحقيقة نفسه * وبسومها طلب المحال فبما مع

(ولابى بكر الكاتب)

من رزق الحق فذو نعمة * آثارها واضحة ظاهرة
يحط ثقل الهم عن نفسه * والفكر في الدنيا وفي الآخرة
(وقال حكيم) غمرة الدنيا السرور ولاسرور للعقلاء * وقال الشاعر
الروح والراحة في الحق * وفي زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش في راحة * فليترك الجهل مع الحق
(ومن أمثالهم) ماسر عاقل قط * وقولهم الهم والعقل لا يفترقان * وقولهم
استراح من لا عقل له * وقال بعض الحكماء العاقل في ربة من عقله تجيبه عن
الذات وتصدّه عن الشهوات فتجبري على حكم البشرية فأطاع هواه
واتبع غرضه ومنه قبل زلة عاقل وهفوة ذاك كرفنعود بالله من شرّها
ونزغ إلى الله في الكفاية منها * وقال الشاعر

أرى العقل يؤسف في المعيشة للفتى * ولا عيش إلا ما حباك به الجهل
(وقالوا) الجاهل ينال أغراضه ويظفر بأرابه ويطيع قلبه ويمجى في عنان
هواه وهو يرى من اللوم سليم من العيب تغفر زلاته وتعمد هفواته * وقال
آخر الجاهل رخي الذرع خالي البال عازب الهم حسن الظن لا يخطر خوف
الموت بفرقه ولا يجرى ألم الشقاق على ذكره (وقالوا) الجهل مطية المسرة
والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابى صاحبه
في زمام من عهد اللوم والعتب وأمان من قوارص الذم والسب * وقال
الشاعر

ورأيت الهموم في صحة العقل فداويتها بأمر اض عقلي
(وقال) المغيرة بن شعبة ما العيش إلا في القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل
وألقي عصاه عامدا في بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل في المعنى ذا ثداء عن الآراب وحائلا دون
الأعراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكلم بين الطليق والعاني وأين
المعقود من الشارد وهل من يتصرف على اختياره ويحجب داعي أهوائه كن

يقسر ويحصر ويكره ويجبر (وقالوا) لو لم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام
وورود الحمام اذ هما عين الشجاعة والبسالة وسبيل لتحصيل الرفعة والجلالة
وقال شاعرهم

مالي ولا عقل لاستعجبه أبدا * فالتعليل ينزل دار الذل والهون
لقد تعاقلت دهرًا لا أرى فرجا * ومذتخامت صار الناس يدنوني
(وقال يحيى بن أكنم) ما رأيت العقل قط الا خادما للجهل (وقالوا) كم عاقل
آخر عقله وجاهل صدره جهله (وقال) الشريف أبو يعلى بن الهبارية
تجاهلت لما لم أرى العقل شافعا * وأنكرت لما كنت بالعلم ضائعا
وما نفعي عقلي وفضلي وفطنتي * اذابت صفرا الكف والبطن جائعا
(وما أحسن) قول عبد الله بن المعتز في هذا المعنى مع زيادة للمصنف العقل
كالمرأة المصقولة يرى صاحبها فيها مساوى الدنيا فلا يزال في صحوه مهموما
متعذرا لسرور حتى يشرب الخمر فان أكثر منها غشيه الصدا كله حتى لا تظهر
تلك المساوى فيفرح ويمرح * والجهل كالمرأة الصدية لا يرى صاحبها
الامسرور أبدا قبل الشرب وبعده من هنالك للمصنف (فالعاقل) يستدعى
حالة الجهل الى نفسه لترادف الهموم عليه في العواقب والغرض في اكتساب
المحامد والمناقب فاذا ضاق به اذرعاً ولم يستطع لردائها نزعا احتال على
ذهابها بالشرب لينهل عنه عقال الهموم والاتراح بأبدى المسرات والافراح
(ومن) مستطرف ما نظم في هذا المعنى قول أبي معاذ بن برد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * والعيش في الدنيا غير العاقل
رحلت عيسا من كرائم بابل * فغدوت من عقلي ببعده مراحل

ومن أحسن أقوالهم في أن العقل طريق إلى العنا
وسد يمنع صاحبهم من الوصول للغنَى

(روى) عن الامام محمد بن الحنفية رضى الله عنه أنه قال وكل الله الجهل بالغنى
والعقل بالحرمان ليغتر العاقل وليعلم أن ليس له من الامر شئ (وفي مثل هذا)
يقول نصر بن احمد المعروف بالخبرارزى

سبحان من قدر الاشياء منزلها * وصير الناس مرفوضا ومرفقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه * وأحق جاهل تلقاه مرزوقا
 هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم التحرير زنديقا
 (قال رجل) لبزجهر تعال نتناظر في القدر قال وما أصنع بالمناظرة رأيت
 الظاهر فاستدللت به على الباطن رأيت الاحق مرزوقا والعاقل محروما فعملت
 ان التدبير ليس من العباد (وقيل) أعجب الاشياء نجح الجاهل واكدها العاقل
 حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم
 (قال حبيب بن أوس الطائي)

ينال الفتي من عيشه وهو جاهل * ويكدي التي في دهره وهو عالم
 فلو كانت الارزاق تجري على الحجي * هلكن اذا من جهلهن البهائم
 (التمني)

ذو العقل يشقى في النعيم بفضل * وأخو الحماقة في الشقاء ينعم
 (آخر)

العقل ليس بمسعد خلقا اذا * ما عال حتى يسعد المقدور
 وحكومة الايام يسعد جاهل * فيها ويشقى العالم التحرير
 (آخر)

لو كانت الارزاق يدركها الفتي * بجلادة أوقوة وشراس
 لاخذت أفضلها يبارع همي * وينطلق ويحيلتي ومراسي
 لكنها قسم وليس بمدرك * ما لم يقدره الله الناس
 (حدث ابن حبيب) في كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن علي بن
 عطاء قال كان عندنا رجل عاقل ظريف أديب يسمى عامرا وكان مع كثرة
 أدبه محروما فقبل لي انه قد تحامق فجعلت أطلبه حتى ظفرت به في بعض الطرق
 والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فأنشد عجملا ومرجلا
 يا عاذلي لا تلم أخا حقي * يضحك منه فالحق ألوان
 حقت نفسي لكي أبال غنى * فالعقل في ذا الزمان حرمان
 (وكان) الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال حماقة
 تعولني خير من عقل أعوله ثم أنشد
 عذولوني على الحماقة جهلا * وهي من عقلهم الذواحلي

حتى اليوم قائم بعمالي * ويموتون أن تعاقلت دلا
 * (ومن المنظوم في أن من أفعال الزمان لباس العقلاء أسماء الحرمان) *
 (أبو بعل بن الهبارية)

الجهل أروح للفتى من عقله * يمسي وبصبح آمننا مسرورا
 ترك العواقب جانباً عن فكره * وسعى رواحاً في الهوى وبكورا
 والعقل بعقله على حسراته * ويصده فيرده محسورا
 وزاه مهتماً كثيراً غمه * يحيا أسيراً أو يموت فقيراً
 لماعلاً الجهال في أيامنا * ورقوا ونالوا منزلاً ومريراً
 أخفيت على واطرحت فضائلي * على أكون اذا جهات اميراً
 (آخر)

دع عنك عقلك فالعقول مخارق * لا ينفع الانسان الا جهله
 كم عاقل أمسى عقلاً لعقله * دون المني وغدا فاضولاً فضله
 (آخر)

ولما رأيت الدهر احق جاهلاً * يصيب ولا يدري ويخطئ ولا يدري
 ينيل ويعطى الا حق الغمر سؤله * ويقصد أبناء الفضائل بالعسر
 فيمنعهم من القرى ويذودهم * اذا ورد النوكى تحامقت للدهر
 (عبد القاهر الجرجاني)

كبر على العقل يا خليلي * ومل الى الجهل مبل هائم
 وكن حماراً تعش بخير * فالسعد في طالع البهائم
 (آخر)

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان * والجهول الغفول والصفهان
 فاعنتهم حقلك الذي أنت فيه * تحظ بالكرامات والاحسان
 (آخر)

اذا كان الزمان زمان حق * فان العقل حرمان وشوم
 فكن حقاً مع الحق فاني * أرى الدنيا بدولتهم تدوم
 (آخر)

ان عامافيه تسربت خزا * وترديت في الرجال البرودا

لزمان أبدى النحوس الى الننا * س واخفى عن العيون السعودا
(آخر)

قد كسد العقل وأصحابه * وقتحت للجهل أبوابه
فاستعمل الحق تكن ذاغنى * فقدمضى العقل واربابه
(آخر)

تحامق مع النوكى اذا ما بقيتهم * ولا تلتقهم بالعقل ان كنت ذاعقل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى فعل
فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل
(آخر)

أرى زمنا نو كاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به ~~كل~~ عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل
(وقال) بعض ظرفاء الادباء وهو أبو الحسن الماتق

طلبت الرزق بالخدق * من الغرب الى الشرق
فلم يكسبني العقل * سوى البعد من الخلق
فأدبرت عن العقل * وأقبلت على الحق
نخاف الناس اشعارى * وقالوا أححق الخلق
وجاؤ الابى الجحش * بما شاء من الرزق
فن لام على الحق * فقد حاد عن الحق

ومما ذكر ان الحظ أجدى لصاحب الجبا
وأهدى فى طرق ما ربه من نجوم الدجى

ما حكى أهل التجارب فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعله والمعلول لا مفصل
لا حدهما عن الآخر (وقالوا) افراط العقل مضر بالحد (وقيل) استأذن
العقل على الحد فحجبه فقال اذهب انت بى لا انا بك (قال شاعر)
عش يجود ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالحدود
(آخر)

لا تنظرن الى عقل ولا ادب * ان الحدود حد يقات الجافات
(آخر)

الجسد أنهض بالفتى من عقله * فانهض مجدداً في الحوادث اوذر
ما أقرب الاشيا حين يسوقها * قدر وأبعدها اذالم تقدر
(آخر)

متى ما تزي الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجلبد
وليس الغنى والله من حيلة لفتى * ولكن أحاط قسمت وجدود
(آخر)

لا تنظر الى الجهالة والحما * وانظر الى الادبار والاقبال
كم من صحيح العقل أخطأه الغنى * وعديم عقل فاز بالاموال
(ودعت) أم الاسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو العقول
ولا رزقك عقلاً يخدم به ذوى الخطوط (وخير رجل) بين امرين فإني أن يختار
وقال انا بجدي أوثق منى بعقلي (ومن أمثالهم) أن تجد فلا تكذ (قال) أبو
العلاء أحمد بن سليمان المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رخ وهذا أعزل
(وقال بعضهم)

قالوا أقت وما رزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فاجبتهم ما كل سير نافع * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سيرة تنفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتب الحريص ويحقق
كالبدر يكتسب الجمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يحقق
(آخر)

لا يوجد الرزق بالامعان في الطلب * ولا بكثرة ولا حرص ولا تعب
بل الخطوط التي تعملو بصاحبها * لا بالخطوط التي في سائر الكتب
كم من غلام أديب فيصل ذكر * منهم مهيب كذا السيف ذى الشطب
يمسى ويضحى من الافلاس في تعب * يقب الكف بالنيران والمهب
وآخر جلف طبع لا خلاق له * مذبذب العقل ثور امتن الذنب
لا يعرف الميم من واو اذا كتبها * ولا يعيز بين التين والعنب
قد أقبلت نحوه الايام ضاحكة * وأخدمته الليالي كل ذى حسب

(وللشافعي رضي الله عنه)

بالجسد يدنو كل أمر شاسع * والجسد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا وأثمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
لو كان بالحبل الغني لو جدني * بنجوم أقطار السماء تعلق
لكن من رزق الجاحرم الغني * ضئدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بئس الليب وطيب عيش الاحق
وأحق خلق الله بالهم أمرو * ذوهمة يبلى برزق ضيق
فلم يأمرت بقلبي ضجرة * فأودتها أي لم أخلق
(ويقال) إذا أقبل جد المرء فالأقدار تسعده والاطوار تساعده وإذا أدبر
فالأيام تعاديه والنحوس تراوحه وتغاديه (ويروى) عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال إن السعادة تلحظ الجرف فيدعي ربا وإلى هذا أشار حبيب بن
أوس في قوله

وإذا تأملت الجبال وجدتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم
(وقال آخر) وهو أبداع ما قيل في هذا الباب

وإذا السجادة لاحظت بك بعينها * ثم فالتخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبات * واقتد بهم الجوزاء فهي عنان
وقال ابن نباتة

الافاخش ما ير جي وجدته هابط * ولا تخش من شيء وجدته رافع
فلا نافع الامع النخس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع
(آخر)

إذا كنت مر موقبا بعين سعادة * فلا تخش يوما من رجوع الكواكب
فإن الذي قد قرب الله سعده * بعيد لعمرى من صروف النواكب
(ومن النظر في المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف القبري وروى
إذا صاحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقادله الرقيب

(الباب الخامس في الفصاحة وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب

(في ان الفصاحة والبيان اذ ين ما نحت بهما لاعيان)

قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا (حد البيان) قال الجاحظ في كتابه الذي سماه البيان والتميز البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير حتى يقضى السامع الى حقيقة اللفظ ويهجم على محموله كائنا ما كان (وقيل) لبعض بن يحيى بن خالد البرمكي ما البيان فقال ان يكون الاسم محببا معناه كاشفا عن معزائه (وقال آخر) خير البيان ما صكك ان مصرعا عن المعنى ليسر الى الفهم تلقنه وموجزا لينف على اللسان تعاهده * (فما ورد عن جهابذة هذا العقيان مدح موهبتي الفصاحة والبيان) * قول ابن المعتز البيان ترجان القلوب وصيقل العقول * وقال سهل بن هرون البيان ترجان اللسان وروض القلوب (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالفصاحة في منطقك فانها مع صواب لفظك كالريش البهي في حسن الصورة (ويقال) من عرف بفصاحة اللسان لحفته العيون بالوقار (وقال) هشام بن عروة ما أحدث الناس مرواة اعجب الى من الفصاحة (وقال) بعض البلغاء الفصاحة اوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل واغوى دليل على استكمال الذكاء والتبيل لم تزل تشيد لاهلها في ربوع المجد نفرا وترفع لهم في مراتب العلوم ذكرا وربما سودت غير مسود ورفعت من الخفيض الالهدي الى محل النسر والفرقد (ويقال) بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلععه ملكها على الجلى من أمره والمستور فان العزيز لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه اعلى مكانه واعظم شأنه

(ومما تميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان)

(قال) بعض الحكماء الكلام حد الانسان الى الناطق (وقالوا) الصمت منام والكلام يقظة وقال عبد الملك بن مروان ان الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضيء يجلو الظلم حاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الاغذية (ويقال) حد الانسان انه ناطق فمن كانت وتبته في النطق أبلغ كل بالانسانية أخلق

(وقال) أبو الفرج البغافى رسالة له مدح فيها الكلام الحيوان كله متساو وبعت
الحركة والنموت فالإنسان والبهيمة باشتغال هذا الوصف عليهما سياتى وانما أفضل
العالم الانسى بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب الى
العقل فاذا صحت بهذه القاعدة أن الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع
وأفضل مطبوع فقد وجب أن يكون اكل هذا الجنس فضلا وأجده هذا العالم
فعلا ومن كان قسطه بفضيلة النطق موفورا فحله من ربع البلاغة معمورا
(وقال أيضا) من زعم أن الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد
حكم على الكلام بالنقصان وأحل العلى بحمل البيان ولو كان الصمت أفضل
من الكلام لتعبدنا الله به فيما اتدبنا به بالالهام وكان توحيد الله بجميع
العقول فى غنى عن واسطة أو رسول (وقيل) لبعض الحكماء انما أفضل الصمت
أو النطق فقال ان الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق لبيان الحق وانما مدح الصمت
بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وما عبرت به عن شئ فهو أفضل منه (ويقال)
من فضل الناطق على الصامت ان الناطق يهتدى ضالا ويرشد غاويا ويعلم جاهلا
(وقيل) لزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم الصمت
خير من الكلام فقال لعن الله المساكمة فما أفسدها للسان وأجلبها للى
والله للماراة أسرع فى هدم العلى من السنان فى نبش العرفج (وقال آخر)
الصمت مفتاح السلامة ولكنه قفل الهم (وقال الشاعر)

خلق اللسان لنطقه وكلامه * لاللسكوت وذالخط الاخرس

فاذا نطقت فكأن مجيبا سائلا * ان الكلام يزبن رب المجلس

(وقالوا) اللسان عضوان مرتبه مرن وان تركته حرن (وقالوا) اللسان
اذا كثرت حركته رقت عذبة كالرجل اذا عودت المشى سعت (وقال) خالد
ابن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بجملة مرسله أو حالة
مهملة (وقال أيضا) لسان الفتى أوجه شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه
به يتصل الود وينقسم الحق (شاعر)

لسان الفتى نصف ونصف قواده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال) بعض البلغاء مغرس الكلام القلب وزارعه الفكر وقيمه العقل
وزهره الاعراب وثمره الصواب وجانيه اللسان

* (ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان) *

قالوا اللسان جوهر الانسان من خصائصه ان الله رفع قدره على سائر الاعضاء فانطقه بتوحيده والهمة لتعجيد ومن خصائصه انه اداة يظهر بها البيان وظاهر يخبر عما بطن في الجنان وما لم يفصل بالخطاب وناطق يرد الجواب وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهي عن الفحشاء وشاهد يسأل به عن الغائب وشافع تدرك به المطالب وموثق يلهي الخاطر ومؤنس يزيل وحشة النافر ومعز تسمك به غلة الخليل ومزین يدعو الى الجميل وزارع ينبت الوداد وحاصد يذهب الضغائن والاحقاد

* (ومما ينال به الخامل أعلى الرتب التحلي بأنواع جواهر الادب) *

الادب نوعان نفسي وكسبي فالنفسى بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الافعال الدالة على كرم الطباع والكسبي ما استتقاده الانسان من احسن الاقوال الآخذة بأغنة القلوب والاسماع وهو الذى ترجعت عليه فى هذا الموضع ليقع ذكره فى النفوس أحسن موقع لترمقه لاجله العيون بالاجلال وتجميل النفوس به ليلها اليه بتتابع الادلال وهو الظرف فى اللسان الكائن عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وانشاء النثر وما يتعلق بذلك من علم البديع والمعانى والبيان وما ذكرناه فهو الذى نال به حماد الراوية والاصمعي واسحق الموصلى العلامة الخلفاء والجواري من الوزراء وسمواتشريفهم بالجلساء والندماء (قال) اكثم بن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آله وجسد بلا روح (وقال بزرجمهر) الادب شريف لا ينطبع الا فى مثله (وقال الاحنف) لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف الادب (وقال أنوشروان) عجبت لمن يشهره الادب كيف تدعوه نفسه الى مكرمة (وقال) بعض الاعراب لولده عليه السلام لادب فانه رفع العبد المملوك حتى يجلسه فى مجالس الملوك (وقال) عبد الملك لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا برتم وان كنتم أوساطا فقمتم وان أعوزكم المعاش عشتم استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة (وقال) بعض الاعراب تعلموا الادب فانه زيادة فى الفضل ودليل على العقل وصاحب فى الغربة وأنيس فى الوحدة وجمال فى المحافل وسبب الى درك الحاجة (وقال المأمون) والله لان أموت طالبا

للادب خير من أن أموت قائما بالجهل (ويقال) ذلك قلبك بالادب كما تذكي النار بالخطب (وقال الخليل) بن أحمد من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جالا (وقال آخر) الادب أكرم الجواهر طبيعة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وينجح القصد والوسيلة فالبسوه حلة وتزينوه حلية فانه أنفق معاش وأجل رياس (وقال) الشعبي الادب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كال

* (وما ذكر أن النبي بالادب يلحق الدنيا بذي الاحساب) *

(قالوا) من قعديه نسبه خض به حسبه (وقالوا) من تأدب وليس له حسب الحقه الادب بأهل الرتب (وقد) يستغنى بالادب عن الحساب كما حكى عن سيويه قال تكلم رجل بين يدي المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين فقال نعم الحساب الذي انتسبت اليه (ولهذا قيل) المرء من حيث ينبت لامن حيث ينبت ومن حيث يوجد لامن حيث يولد وبآدابه لا بثبابه وبفضيلته لا بفضيلته وبعقله لا بعقائله وبأبنائه لا بأبائنه وبكلامه لا بجملاله قال الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك محموده عن النسب
إن الفتي من يقول لها أناذا * ليس الفتي من يقول كان أبي

(وقال بزرجمهر) من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضعيا وبعد صيته وان كان خاملا وسادوا ان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (وقالوا) من دأب في طريق الادب أدرك حاجته وملك ناصيته ونبل قدره ونبه ذكره قال الشاعر

لكل شيء زينة في الوري * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضعي الحساب

* (وما أحسن قول بعض الاعاجم يفتخرو ويعتذرو) *

مالي عقلي وهدي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عري
واذا انتمى منتم الى أحد * فانتى منتم الى أدبي

(ويقال) حسن الادب يستقيم النسب (وقالوا) الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والنسب (ويقال) الادب ينوب عن الحساب ولا يتفجع حسب

بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضع القدر ليس له * في العزيت ولا ينفي الى نسب
قد صار بالادب المحمود ذا شرف * عال وذاحب محض وذانشب
يعلى التأدب أقواما ويرفعهم * حتى يساووا ذوى العلاء في الرتب
* (ذكر من دأب في طلب الادب فنال به أعلى المناصب والرتب) *

يكفي دليلا على ما ذكرناه وانموذجا لما وصفناه حال أحمد بن أبي دواد في ترقية
الى بقاع المجد من الخضيض الوهد (يحكى أنه) كان يختلف الى مجامر بشر
المرسى في حالة رثة وهينة رديئة وينصرف عنه في قائم الظهيرة معلقة بحجرة
متباطد فتره فيقبل عند أخله فلما وجه المأمون المعتصم الى مصر التمس
من بشر رجلا من أصحابه يكون في صحبة المعتصم يولييه على المظالم ويكتب
اليه أخباره فقال يا أمير المؤمنين معن قوم لهم فقه ولكن لم يجمعوا اليه
الادب ومعرفة أمور السلطان ثم وصف له أحمد ابن أبي دواد قال انه جمع
الى فقه أدبا وبيانا وعقلا فأرسل اليه وقلده المظالم ففعل ثم حل من المعتصم
مجالا عظيما لاختياره له أيام مقامه بمصر معه (ومنهم) الفضل بن سهل ذو الرياستين
كان أهل بيته مجوسا وتجارا وصناعا فيهم الدهقان وبائع الخمر فيبلغ به
الادب الى أرفع الرتب (ذكر عنه) انه كان يتقلد سيفين أحدهما أجرة الجفر
مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر أسود الجفر مكتوب عليه رياسة التدبير
ولهذا سمى ذو الرياستين وصحب النضل المأمون في حداثته أيام أبيه الرشيد
وهو مجوسى فغلب عليه وحمله على إثارة الادب وطلب الحكمة وكان الفضل
يعلم أحكام النجوم فأخبره انه يرى في طالعها أنه يلى الخلافة سلبا وان تدبيره
يعد عنه شرفا وغربا فيبلغ الرشيد شأنه وخبره فهدر دمه فاستقر حينئذ بداله
أن يظهر فأتى الرشيد وهو في الخلبة فتمثل بين يديه وهو يقول أعوذ يا أمير
المؤمنين برضائك من سخطك واعترف بالذنب وأسلم لله على يدك فقال الرشيد
من هذا قالوا المجوسى الذى هدرت دمه فقال قد وهبناك دمك اذا سلمت له
فأبالك ومعاودة ما بلغنا عنك (ومنهم) محمد بن عبيد الملك الزيات قال له العلاء
ابن أيوب يوما وقد دارت بينهما محاوراة في مناظرة ليس هذا كبل الزيت
ولا علة الجوز قال له ابا التجارة تعبرني قد كنت تاجر او كنت متاخرا فقد منى

الله بالادب واصارني بعد التجارة الى الوزارة وليس المعيب من كان خسيسا
 فارفع وانما هو من كان شريفا فاضع ولو كنت عاملك معاملة الفضل
 ابن سهل واذلتك كما اذلك لم تقدم على بمثل هذا القول الذي لم ينفعك
 فقد كنت تدخل دار الخلافة ولو ذبا لجدران وتببع الايفاء كس الرأس
 غميض الطرف خوفا منه لكني رفعتك في المجلس فوق من هو ارفع منك
 وقدمتك على من هو متقدم عليك فقال له العلاء مهلا انما قلت كلمة مقولة
 وتمثلت بمثل مضروب لم اعتمدك به فأما قولك اني كنت ألوذ بالجدران وأتبع
 الايفاء خوفا من الفضل فقد كان ذلك ولكني لم أكن أراك هناك وان أولى
 الناس أن لا يعبر أحد اباستخفاف الفضل لانت فقال ابن الزيات هذا امر
 من ذلك ونهض من مجلسه وقال اجبوه عني فكان العلاء يأتي بابيه كل يوم
 فيقف حتى ينصرف الناس ثم يمضي فلما رأى ابن الزيات صهره وأدبه صالحه
 وخالصة (وأراد) العلاء بقوله فان أولى الناس أن لا يعبر أحد اباستخفاف
 الفضل لانت ان الفضل رأى عن ابن الزيات سوادا فامر بتمزيقه عليه وقال
 لا تشبه بأصحاب السلطان وأرباب المراتب ثم لم تطل مدة الايام والليالي حتى
 قلد ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين يديه * وكان ابن
 الزيات مليا بعلم الادب كاتباً شاعرا لا يشق في شئ منها غباره ولا تدرك آثاره
 (يحكي) في سبب تقدمه بعد ان كان يتولى قهرمة الدار ويسرف على
 المطبخ انه ورد على المعتصم كتاب البريدي يخبر فيه ان بلاد الجبل نزل بها طار
 عظيم كثر منه الكلا فقال المعتصم لاجد بن عمارة وكان متقلدا العرض
 عليه ما الكلا قال لا أدري فقال المعتصم ان الله وانا اليه راجعون أخليفة
 أمي وكاتب عامي ثم قال من يقرأ لنا الكتاب فعرف بمكان محمد بن عبد الملك
 الزيات فطلبه فلما مثل بين يديه قال له ما الكلا قال النبات كله رطبه وبابه
 فالرطب خاصة يقال له العشب واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع في
 وصف النبات من ابتدائه الى انتهائه فهذا هو السبب لما ذكرناه

* (ومن محادح أهل هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة) *

وصف مسلم بن بلال بن العباس وقد سئل عنهم فقال أولئك قوم بنور الخلافة
 يشرقون وبلسان النبوة ينطقون (ومدح) خالد بن صفوان رجلا ببراعة

المنطق فقال كان والله جزل الالفاظ عزيز مقال اللسان فصيح ما خذا البيان
 رقيق حواشي الكلام بليل الريق قليل الحركات ساكن الاشارات
 (ومدح) اعرابي رجلا فقال فلان اخذ بزمام الكلام فقاده سهل مقاد
 وسافه أجل مساق فاسترجع به القلوب الجاحمة واستصرف به الابصار
 الطامحة (ووصف) ابن المقنع بليغا فقال ما زالت ينابيع حكمه
 تترقق في مغابن الاذان حتى أعشبت به القلوب عقولا (وقد) ألم بهذا المعنى
 المتنبي في قوله

نطق اذا ما القول حط لثامه * أعطى بمنطقه القلوب عقولا

* (ولاي الحق الصابي في الوزير أبي محمد المهدي رحمه الله تعالى) *

قل للوزير أبي محمد الذي * قد أجمزت كل الورى أوصافه
 لك في المحافل منطق يشفي الجوى * ويسوغ في أدب الارب سلافه
 فكان لفظك لؤلؤ متحل * وكأنما آذاننا اصدافه
 (قبيل) فلان اذا أنشأ وشي واذا عبر حبر فلان اذا أنشأ تثرت زهرات
 الآداب من عذوبة لسانه واذا أنشد حركت ذا الوقار طربا باحسانه لله در
 فلان ما أسبغ لسانه وأطول عنانه وأنصح بيانه وأجود اقتنانه
 (أبو عبادة البصري يصف بليغا)

حكم فسائحتها خلال بيانه * متدفق وقليبها في قلبه
 كالروض مؤثقا بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه
 وكانها في السمع معقود بها * شخص الحبيب بد العين محبه
 * (ولبعض شعراء العصر) *

مقال تفديده أوائل وائل * وتفديده أحق بابا عارب يعرب
 هو الزهر الغض الذي في كمامه * أو اللؤلؤ الرطب الذي لم ينقب

(آخر)

قول هو الماء لدمطعمه * وكل قول سواء كالزبد

(وقال) حسان بن ثابت رضي الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بلمنقطات لا ترى بينها فصلا
 كنى وشي ما في النفوس ولم يدع * لدى اربة في القول جدا ولا هزلا

(آخر)

كلام كوقع القطر في المحل يشتق * به من جوى في باطن القلب لاصق

(الفصل الثاني من الباب الخامس)

(فيما يتجلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء)

ولنورد امام هذا الفصل نبذة يسيرة في حد البلاغة وأقسامها والطريق الذي يوصل سلوكه الى معرفة تقصها أو تمامها (قال العتابي) واسمه كلثوم بن عمرو البلاغة اظهر ما غرض عن الخلق وتصوير الباطل في صورة الحق (وقال) على بن عيسى الرمانى أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وكثرا مجازه وتساوت صدوره وأجازه (وقالوا) البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ (وقيل) لبعض البلغاء من البليغ قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبعد واذا أبعد حرك كل نفس بما أودع (وقالوا) لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى لا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (وقال) عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الجمار البلاغة ما رضيت له الخاصة وفهمته العامة

(والعرب سباق حلبة البيان يعترف لهم بذلك فعلماء كل زمان)

قال بعضهم نحن أمراء الكلام فينا وشجبت عروقه وعلينا تدات غصونه فنحن نجني منها ما حلولى وعذب ونترك ما ملو الخ وخبت (وقال الجاحظ) ليس في الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آتق في الاسماع ولا أقود للطباع ولا آتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء (وسئل) بعض البلغاء ايما أشرف العرب أو العجم فقال العرب أحلى وأحلم وأعلى وأعلم وأقوى وأقوم وأنكى وأنكر وأذكى وأذكر وأعطي وأعطف وأحصى وأحصف وأبلى وأبلغ واسمى وأسمع وأشرف وأشرف وأتقى للعار وآتق (وسال كسرى) الحرث بن كلدة لما وفد عليه ما الذي يحمده من اخلاق العرب ويحفظ من مذاهبهم فقال لهم أنفس سخيّة وقلوب جريّة وعقول صحيّة وأنساب صريجة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وأرق من الهواء يطعمون الطعام ويضربون

الهام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يرقع اذا نام

* (فمن وشائع الفاظهم البارعة وبدائع معانيهم الرائعة) *

ما يحكى ان اعرابيا قال عند شجرة في طلب الرزق والله لقد تقلبت بي الاسباب
وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت
منقطع السراب ورضيت من الغنية بالاياب فخاريت الحرمان الافاض
والصح الاغاضا * واءترضت اعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت
السفاح فقالت يا امير المؤمنين قد احسن الله اليك في الحالتين وأعظم عليك
النعم في المترتين سلبك خليفة الله وأفادك خليفة الله فأحتسب عند الله
ما سلبك واشكر له ما منحك (ووقف اعرابي) على قوم يسألهم فقال يا أرباب
الوجوه الصباح والعقول الصباح والصدور الفساح والنفوس السباح
والالسن الفصاح والمكارم الرياح هل فيكم من يسمع كلامي فيعذرني
من مقامى (ووقف اعرابي) بقوم فقال يا قوم أشكو اليكم زمانا كلح لي بوجهه
وأناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال
اعتورتني جديداء بنبال مصائبه عن قسي نوابه فآثر كالي ثاغية أجتدى
ضرعها ولا راغية أرتجى نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد
على حيفه فردوا عليه ولم يفلوه شيأ فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جودا وليس الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم * ولا أراح السوء عن عيالكم

فالموت خير من صلاح حالكم

(ومن كلامهم) في الاوصاف وصف اعرابي امرأة فقال هي السقم الذي
لا يبر منه والبر الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء (ووصف)
آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها (وقال آخر)
سبقنا الحى وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام ونرست اللسان
عن الكلام (وقال آخر) خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها
فأزات أصدع الليل حتى انصدع القجر (وأرسل) اعرابي ولده في حاجة
فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظلما فبكت السماء
وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت (وصف اعرابي مصيبة)

فقال انها مصيبة تركت سود الرأس بيضا ويض الوجوه سودا (وقيل لبعض
الاعراب) • هل عندكم في البادية طبيب قال كلا ان حمار الوحش لا يحتاج
الى بيطار (وقيل لاعرابي) كيف حالك فقال امزق ديتي بالذنوب وأرقعه
بالاستغفار (وقيل لاعرابي) مالك من فلان قال وجهه صبيح وصدره فسيح
وقلبه نصيح ونسب صريح وخلق صحيح وسعي نجيح ووعد مرصيح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل الهادي حلال سحرها بحرام محرر بايل
ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا وللكتاب من أدواء الملوك
شافيا (قلت) الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره واطواده باقلامهم
تبسط الارزاق وتقبض الآجال وباحلامهم تصان المعامل اذا عجز عن صونها
الرجال (وقالوا) الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء (وقالوا)
لو أن في الصناعات صناعة مربية لكات الكاتب بالكل صناعة (وقالوا)
الكتابة قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على
رجاحة العقل • وبالكاتب قامت السياسة والرياسة واليهم التي تدبر الاعنة
والازمة وعليهم يعتمد في حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال (شاعر)
قوم اذا أخذوا الاقلام عن غضب • ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا • مالا ينال بمحدث المشرفيات
(آخر)

قوم اذا خافوا عداوة امرئ • سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتب بيناته • أمضى وأتخذ من رقيق حسام
(قال ابن المقفع) الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب للملوك (ومن فضل
الكتابة) ان صاحب السيف يراحم صاحب القلم في قلمه ولا يراحمه الكاتب
في سيفه

• (فن موجز بلاغتهم ومعجز صياغتهم) •

ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب أما بعد فكأننا في الثقة بك منك
وكأنك في الرقة علينا منا لاننا لم نرجك في أمر الانشاء ولا خضناك عليه
الأمناه (ومن يبلغ مكانتهم) ما كتب به يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد
وقد بلغه تلكوه في يخته أما بعد فاني أراك تقبض رجلا وتؤخر أخرى فاذا

أنا لك كتابي هذا فاعلم على أي مما شئت والسلام (ومنها) ما كتب به عبد الحميد
 لرجل بالوصاية على إنسان حق موصل هذا الكتاب إليك لحقه على
 أذراً لموضعاً لأمه ورأى أهل الحاجة وقد أنجزت حاجته فحقق أمه
 (ومنها) ما ذكر أن المأمون قال لعمر بن مسعدة اكتب إلى عاملنا فلان كذب
 عناية بإنسان في سطر واحد فكتب هذا كتاب واثق بمن كتب إليه معتز بمن
 كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله (ومن بدائعها) ما كتب
 به أبو بكر الخوارزمي جواباً عن هدية وصلت التحفة ولم يكن لها عيب
 إلا أن باذلاً مسرف في البر وقابلها مقتصد في الشكر والسرف مذموم
 إلا في المجد والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد (وكتب) ابن العميد إلى محمد
 ابن يحيى يستعطفه من رسالته وما أحسبنا اشتراكاً في الاسم فقط وشتان
 بين محمد ومحمد فلو كان السماكين لكنت الراح وكنت الأعزل ولو كان النسر
 لكنت الطائر وكنت الواقع ولو كان السعدين لكنت السعور وكنت
 الذابح أخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقي الاسماء في الناس والسكنى * كثيرا ولكن لا تلاقي الخلائق
 (وكتب) أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني بديع الزمان يستعطف أيضا
 أني خدمت مولاي والخدمة رقبتي شاهد وناصحتي والمناصحة للمودة
 أوثق عماد ونادمتي والمنادمة رضاع ثمان وطاعته والمطاعمة نسب دان
 وسافرت معه والسفر والاختوة رضيعا لبان وقت بين يديه والقيام والصلاة
 شريكا عنان وأثبت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص
 مشكورا بكل لسان (وكتب) أبو العيناء إلى أبي الوليد يستجديه مسنا وأهلنا
 الضمر وبضاعتنا الود والشكر فان لم تعطنا فلسنا بمن يلزك في الصدقات
 فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم بسخطون * وأبو العيناء كما قال
 فيه محمد بن مكرم وقد سئل عنه من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء
 إذا أحسن بكرم أو شرع في طمع فقد ظلم (وبعث) ملك الروم إلى المعتصم كتابا
 يتوعد فيه ويتهده فامر الكتاب أن يكتبوا جوابه فكتبوا فلم يعجبه مما
 كتبوا شيئا فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد
 قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر

لمن عفى الدار (ومن محاسن لطائفهم) ما حكى أن الرشيد قال ليحيى بن خالداني
أردت أن أجعل الخاتم الذي في يد الفضل إلى جعفر فأحتشمت منه فاكفنيته
فكتب يحيى إلى الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله قدره وأنفذ أمره
أن ينقل خاتمه من يمينك إلى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قال أمير
المؤمنين في أخي وما انتقلت عنى نعمة صارت إليه ولا غربت عنى رتبة طلعت
عليه فانظر إلى هذه المآثر والمكارم التي هي للجباء غرر وللشغور مباسم
(ومن ملهم) ما كتبه أبو العبر وهو أحد بن محمد بن عبد الله الهاشمي تقليدا
لأبي العجل يا أبا العجل وفقك الله وسددك وإلى كل خير أرشدك وليتكن خراج
ضياح لهواء ومساحة الفضاء وكيل ماء الأنهار وعدورق الأشجار وطرار
الأوبار وصدقات اليوم وقسم الشوم بين الهند والروم وأجريت لك
من الأرزاق ما يقوم بأوداك في الانفاق بغض أهل حص لا أهل العراق
وأمرتك أن تجعل عيالك بنيسان واصطبك بهم حمدان ومطبخك ببحران
وبيت مالك بسجستان وديوانك بغغانه ومجلسك بفرغانه وخلعت عليك
خفي حنين وقيصا من شين وسراويل من دين وعمامة من مخنة عين وجعلتك
على حمار متطوع الذنب والأذنين مكسور السيدين والرجلين فدر في عملك
كل يوم مرتين واجمد الله على ما ألهمنا فيك وقابلنا بالشكر على ما نوليك

ولقد كرم من كلام الخطباء ذوى البراعة واللسن ما كان ذا لفظ بديع

ومعنى حسن بعد أن نورد في شرف الخطابة والخطباء

كلاما يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصها

قال الله تعالى في حق داود عليه السلام مبينا عن شرف ما أجزله في العطاء
وأطاب وآتينا الحكمة وفصل الخطاب (ذكر) أن فصل الخطاب
هو ما بعد في الخطبة وأنه أول من قالها * وقالت العرب إن أول من قالها
قس بن ساعدة الأيادي * وأول من خطب لقمان بعد داود عليه السلام وبه
يضرب المثل في الحكمة والموعظة الحسنة (وفي الحديث) أن شعيبا خطيب
الأنبياء (وفي المثل) أخطب من قس هو قس بن ساعدة الأيادي ولا ياد
وتيم شرف ليس لاحد من العرب لأن النبي صلى الله عليه وسلم روى كلام قس
وموعظته بعكاظ وهذا استنادته بحجزة أماني الرجال وتنقطع دونه الآمال

وبذلك كان خطيب العرب قاطبة (واما تميم) فان النبي صلى الله عليه وسلم
 سأل عمرو بن الايهم عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر فأجابه بكلام مدحه فيه
 بما فيه فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ما قال ورأى أنه غرض منه وانها عثرة
 لا تقال فقال في الحالة الراهنة كلاما دمه فيه بما فيه فصدق في الاول ولم يمن
 في الثاني فحجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة فهمه وتحريره الصدق
 في مدحه وذمه وقال في وصف كلامه ما هو به أخرى عطف على قوله للبیدان
 من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا قال قيس بن عامر مدح قوما بالخطابة
 خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن
 (وقال آخر يفخر بقومه في المعنى)

واني من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صبغت رؤس المنابر
 (وقال) أبو العباس الاعمى واسمه السائب ابن فروخ مادح البني أمية بالخطابة
 في المعنى أيضا

خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس
 لا يعابون صامتين وان قفا * لوأصابوا ولم يقولوا بلس
 (والخطابة) جرالة اللفظ وشدة المعارضة (وقال الجاحظ) رأس الخطابة
 الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها
 تحبير اللفظ والمحبة مقرونة بالايجاز (وقال) ابن أبي دؤاد تخلص المعاني رفق
 والاستعانة بالغريب عجز والتشادق بغض والنظر في عيون الناس عي
 ومس اللحية هلك والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي حكمت فصاحتها بالي لقس
 والقهاهة لسحبان ورجعت خاسئة عن مجاراتها في ميدان البلاغة سوابق
 الاذهان غير أننا نورد منها في هذا المكان قطرة من سخاها الصائب لنصيب
 الغرض المقصود اصابة الهدف السهم الصائب

(خطب) عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس ان لكم معالم فانهوا الى
 معالمكم وان لكم نهاية فانهوا الى نهايتكم الا وان المؤمن بين محققين بين
 أجل قد قضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض

فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن ديناه لاخره ومن الشيبة قبل
 الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعقب
 وما بعد الدنيا دار الالجنة أو النار فيا لها كلمات لو صادفت سمعا واعيا وقلبا
 لجناب الله داعيا (وخطب) أبو بكر الصديق رضي الله عنه عنده موت النبي
 صلى الله عليه وسلم وقد غشي المسلمين بحسبيتهم به ما غشيهم فقال أيها الناس
 من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
 ان الله اختار نفسه ما عنده على ما عندكم رقبته الى ثوابه وخالف فيكم كتاب
 الله وسنته فمن اخذ به ما عرف ومن فترق بينهما أنكر ثم تلى وما محمد الا رسول
 قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قال أشهد ان الكتاب كما أنزل وأن الحديث
 كما حدث وان الله حي لا يموت وان الله وان الله راجعون وكان اذا فرغ من
 خطبته يقول اللهم اجعل خيرا مني آخرة وخيرا على خواتمه وخيرا ياي يوم
 لقائك (وكان عمر) يقول آخر خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على
 غرة ولا تجعلني من الغافلين (وخطب) على رضي الله عنه فقال أما بعد فان
 الدنيا قد آذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار
 اليوم وغدا السباق فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة وان أخوف
 ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل (وخطب) معاوية رضي الله
 عنه في يوم شديد الحر فقال بعد التمجيد ان الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم
 فلم يهلككم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
 مسلمون (وخطب) يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ما شاء صنع
 من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان أمير المؤمنين
 معاوية كان جبلا من جبال الله تعالى مده ما شاء أن يده ثم قطعه حين أراد
 قطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ولا أركيه عند ربه وقد صار إليه
 فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست
 اعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم اذ اكره الله شيا عسره واذا
 أراد امر ايسره (وخطب) سليمان بن عبد الملك فقال ألا انما الدنيا دار غرور
 ومنزل باطل تضل بها يكما وتسكى ضاحكا وتحيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقّر
 متريا وتثرى فقيرا اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كبد الشيطان

كما يجالوضوه الصبح اذا تنفس ظلام الليل اذا عسعس (وخطب) عمر بن عبد
 العزيز فقال أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علايتكم وأصلحوا دنياكم
 تصلح لكم آخرتكم وان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لعريق في الموتى
 وكان يقول في آخر خطبته اللهم ان ذنوبي عظمت عن أن تحصى وهى صغيرة فى
 جنب عفوك فاعف عني . وخطب فى زواج فقال الحمد لله ذى الكبرياء
 وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعوتك الينا
 والرغبة منا فيك أجابت وقد زوجناك على كتاب الله وسنة رسوله اما امساك
 بعروف أو تسريح باحسان (وخطب) السفاح لما قتل مروان بن محمد
 وبوبع فقال ألم ترائى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية
 ثم قال نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ماذا يقول زعماءكم
 يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اذا يقول الله ووفاء
 بما وعد لكل ضعف ولكن لا تعلمون اما اننا قد غفرت لكم الزلة وبسطت لكم
 الاقالة وعدت بفضلى على نقصكم وبجلى على جهلكم فليسكن روعكم
 وانطمئن بكم داركم ولتعظكم مصارع أولئكم فتلک بيوتهم خاوية بما ظلموا
 (وخطب) المنصور فقال أحمده الله حمده واستعينه وأتوكل عليه وأشهد
 أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس
 اتقوا الله فقام اليه رجل وقال اذكرك من ذكرتابه وأنت فى ذكركم يا أمير
 المؤمنين فقال المنصور مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما
 وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قبل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة
 منابت ومن عندنا خرجت وفى رواية قال سمعنا وطاعة لمن سمع عن الله
 وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين
 ثم التفت الى الرجل وقال واما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ولكن
 لمقال قام فلان فقال فعوقب نصبر وأهون به من قائل لو كانت وأنا
 أنذركم أيها الناس اختها فإن الموعظة الحسنة علينا نزلت وفيها ثبتت
 ثم قال رحم الله امرأتى فى دنياه لا تخونه فشى القصد وقال القصد
 وجانب الهجر ثم أخذ بقائم سيفه وقال ان بكم داء هذا شفاؤه وأنا زعيم

لكم بشفائه فلم يعتبر بعد قبل أن يعتبر به فابعد الوعيد الا لايقاع ونما
يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (وخطب) المأمون في يوم عيد
فقال أيها الناس عظم قدر الدارين وتباين جزاء العالمين وطالت مدة
الفريقين الله الله انه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت
والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب
فنحيا يومئذ فقد فاز ومن هوى فقد خاب الخيرة في الجنة والشركة
في النار (فقل) هذه الكلمات ما أجلاها لصد الذنوب وأحلاها رقة عافى
القلوب ولم تزل خلفاء بني العباس يخطبون على المنابر في الجمع والاعباد
وآخر من فعل ذلك منهم الراضي (خطب العمال) قال الشعبي ما سمعت
أحدًا يتكلم الا تمنيت أن سكت مخافة أن يخطئ الا زياد افانه كان لا يزداد
اكثر الا ازداد احسانا خطب فقال أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون
أن تنفعوا منا بأحسن ما تسمعون فان الشاعر يقول

اعمل بقولي ولا تنظر الى عملي * يتفعل قولي ولا يضرك نقصي

كذا وقعت لي هذه الحكاية ثم وجدت بعد ذلك في بعض التعاليق هذا البيت
منسوب للخليل بن أحمد ويجوز أن يكون الخليل أنشده متمثلا به والله أعلم
وقال بعد انشاده البيت اسمعوا قولي هذا وعوه فانما على ما حلت وعليكم
ما حلتكم (وخطب) مصعب بن الزبير لما قدم العراق واليا عليه من قبل أخيه
عبد الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تنزل
عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) وأشار بيده نحو الشام
والحجاز والعراق (ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها أشيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين) وأشار
بيده نحو الشام يريد عبد الملك بن مروان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعل لهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض) وأشار نحو
الحجاز يريد أخاه عبد الله (ونرى فرعون وهامان وجنودهم ممنهم ما كانوا
يخздون) وأشار نحو العراق يريد أجناد عبد الملك (وكان الحجاج) من
الفصحاء البلاء (قال الشعبي) كنت ممن شاهدته على المنبر ما رأيت أحدًا أبين
من الحجاج ان كان ليرى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم

واساءتهم عليه حتى أقول في نفسي اني لاحسبه صادقا واني لاطنهم كاذبين
(خطب) فقال أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء
ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغيرنكم شاهد
الدنيا عن غائب الآخرة وأقصر وأطول الأمل بقصر الأجل قال الشعبي
كلام حكمة خرج عن قلب خرب (وخطب) سليمان بن علي بالعراق لما
قتلت الأمويون فقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها
عباد الصالحون أن في هذا البلاغا تقوم عابدين قضاء مبرم وقول فصل وما هو
بالهزل الحمد لله الذي صدق عبده وأنجز وعده وبعد الاقوم الظالمين الذين
اتخذوا الكعبة غرضا والقيء أرثا وجعلوا القرآن عضيي لقد جاءهم
ما كانوا يستهزئون فكأين من قرية أهلكتموها هي ظالمة فهي خاوية على
عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام
للعبيد أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل
جبار عنيد ثم أخذتهم فكيف كان تكبر فهل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا (وخطب) داود أخوه بالمدينة فقال أيها الناس ختام بهتف بكم
صريحا أما أن لراقدكم أن يتبته كلاب بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
أغركم الأمهال حتى حسبتموه الأهمال هيئات منكم وكيف بكم والسوط
والسيف مشيم ثم أنشد

حتى تبـ — قبيلة وقبيلة * ويعرض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الحدود ورحا سرا * يحسبن عرض نواصي الأيتام
قال الجاحظ داود وسليمان من أفصح خطباء بني هاشم كانا في البيان فرسي
رهان الآن داودا فتمتق لسانا وأروق بيانا وكان لا يتقدم في تحرير
خطبة قط

(وواجب أن يكون بهذا الفصل لاحقا ذم من ظل بمسئق التقيير ناطقا)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم إلى الثرثارون المتفهمون
قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثرثارون الذين يتكلمون بالكلام تكلفا
ويجأوزا وخرجا عن الحد من قوله هم نهر ثرثار لكثرة مائه والمتفهمون
نأكيدوه وما خوذ من قوله هم فهم الغدير يفهم إذا امتلا (وقال) بشر بن

المعتمدين والتعريف فانه يسلك الى التعقيد قسمة تلك معانيك ويمنعك من
اصابة مراميك (وقال) بعض البلغاء أحذركم والتعمق في القول والتكلف
وعليكم بحسن الالفاظ والمعاني المستحقة المستحقة فان المعنى المليح اذا
كسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان في قلب السامع أحلى
واصدره أملئ (وقال) بعض الحذاق اياك والنحو بين العامة فانه كاللحن
بين الخاصة وما أحسن قول أبي عمرو بن العلاء في نحو هذا المعنى

لعمرك ما اللحن من شيتي * ولا أنا عن خطأ ألحن
ولكنني قد قسمت الكلام * أخطب كلا بما يحسن

(وقالوا) خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا عرييا وحشيا (وقال)
أبو الاسود الدؤلي لولده ياني اذا كنت في قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه
سبك فيستثقلوك ولا بكلام هو دونك فيزدروك ويحتقروك

* (فمن يوارد نوادر المتقربين وشوارد نوادر المتفهمين) *

ما حكى عن أبي علقمة النحوي أنه هاج به دم فأنى بحجام فقال يا هذا اشد
قصب المحاجم وأرهف طبسة المشارط وأسرع الوضع وعجل النزاع
وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكهرن آتيا ولا تردن آتيا فقال له
الحجام جعلت فدالت ان هذه الصنعة لا أحسنها وهذه حرب لا يشب نارها
ولا يشق غبارها الا عمرو بن معد يكرب ثم تركه وانصرف ولم يحجمه (ومن
أظرف ما ينسب اليه) ما يحكى عنه أنه هاج به يوما ممرار فسقط على وجهه
وأقبل قوم يعضون ابهامه وقوم يؤذنون في أذنه فظن انهم هم أنه مصروع
فلما أفاق من غمرات غشيته رأهم محققين به فقال مالي أراكم تتكلمون على
تكلمكم على ذي جنة افرقعواعني فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيته
تتكلم بالهندية (اشترى) الفضل بن الحباب جارية فوجدها ضيقة المسلك
فقال يا جارية هل من بساق أو براق أو بصاق لان العرب تبدل السين صاد
وزا يافعالوا صقروا وسقروا فقلت الجارية الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت
حرى قد صار ابن الاعرابي يقرأ عليه اللغة (وأنى) رجل بعض الولاة فقال
أعز الله الامير ان لي ابن أخ أشرا بطرا قد انضوى الى كل سكير وخير عمدا الى
عود فنيخته والى معي فقضيه فطن ووطن حتى فطن به فأحب عقوبته حتى

ينتهي عن ذلك فتقدم الأمير باخضاره فلما مثل بين يديه قال له يا ابن أخي
ألم أطعمك أذا الطعام ألم أسقك أطيب الشراب قال بلى يا عم قال مالك
والتعدي أنجعوه وجثوا عنقه فالتفت إليه الشاب وقال والله يا عم لوقع
السياط على بدني أحب إلي من وقع كلامك في أذني فضحك منه الأمير
وأطلقه (أنشد) العجاج وأعرابي حاضر عند الوليد بن عبد الملك

أمت الغانيات ترمى صدودا * وأراني للغانيات مصيدا
وقال الأعرابي للعباس بن الوليد تغ عنه ثلاث سقط عليك من فيه كلمة
فتشذخ * ومن أجل هذا النادر استنقل التعقيب أهل الرشاقة في الالفاظ
والحلاوة وقادوا طبعهم إلى اللطافة والطلاوة فقالوا متى كان اللفظ
كرما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سائما من التعقيب والتعقيد حبيب
إلى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت له الاسماع
وارتاحت إليه القلوب وخف على السنة الرواة حله وشاع في الآفاق ذكره
(ومدحوا) التارك للتعقيب فقالوا فلان لم يرض بالتكليف مذهبها ولا اتخذ
التصنع مركبا (وقالوا) فلان له ألفاظ لا يشوبها كدر المعنى ولا يطمس
رونقها التكلف ولا يحجوطاوتها التفهيق أعذب من الماء وأبعد من
السما

(الفصل الثالث من الباب الخامس)

(في أن معرفة حرفة الادب مانعة من ترقى أعلى الرتب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد الرجل حذقا في صنعة الا كان ذلك
نقصا من رزقه (وقالوا) المتقدم في الحذق متأخر في الرزق (وقالوا) حرفة
الادب أعدى لصاحبها من الحرب (وقالوا) الرزق عند ذوى الادب أروغ
من ثعلب * ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولني خير من علم أعوله (وقال)
الخليل بن أحمد اذا كثرت الادب قل خيره واذا كثرت خيره كثرت ضيره (وقال)
أبو بكر الخوارزمي في هذا المعنى

ان سر كحرمان * به تصبح مقلبا

فكن ذا ادب جزل * وكن مع ذا نخوبا

* ويقال حرفة الادب لا يسلم من حرمانها أديب (وقالوا) التأديب تعذيب

وأشد الخليل بر أحمد

ما زددت من أدب حرفاً سرتبه * الاتزايدت حرفاً تحت شوم
ان المقدم في حذق بصنعتة * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال ابن رشيق)

أشقى بجدك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهديا
ان كان مستويا ففعلك أعوج * يوما وان أخطأت كنت مصيبا
كالقص ليس بين معنى نقشه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(ابن طباطبا)

أليس عجيبا أنني مع تسبي * وشعري ما أعطيت جدا ولا حدا
واني اذا ما زرت قوما مسلما * حجبت فظنوا أنني ابتغي رفدا
وقد طال افلاسى واحسب مثريا * فأصحت لا يجدى على رأسجدى

(آخر)

قالوا أديب فأين المال قلت لهم * قوسى بلا وتر سهمى بلا فوق
من لا يكون له جدي ساعده * تكون آدابه كالنفخ في البوق

(ولما) خلع المقتدرو بوبيع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله
أدركته حرفة الادب فلم يقيم في الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبسه وهطل
عليه طل الحرمان ووبله فهرب الى دار ابن الجصاص التاجر فاخفى عنده ثم
أخرج منها الى القضاة والشهود العدول مئة بعد أيام يسيرة وذلك في يوم
الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه
ابن بسام من أيات يرثيه بها

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب
مائمه لولا ولا ليت قسقمه * وانما أدركته حرفة الادب

(وقال) أبو عبيدة معمر بن المثنى قال لى أى اذا كتبت كتابا فالحن فيه فان
الصواب حرفة والخطأ فحج أخذه بعض الشعراء فنظمه في قوله

ان كنت يوما كاتبا رقعة * تبغى بها فحج وصول الطلب

ايالك أن تعرب ألفاظها * فتكتسى حرفة أهل الادب

(وقال) أبو عبيدة من أراد أن يأكل الخبز يأدبه فلا يترك عليه البواكى (ولقد)

أجاد أبو إسحق الصائبي في قوله

قد كنت أعجب من مالى وكثرته * وكيف تغفل عنى حرفة الادب
حتى انتنت وهي كالغضبان تلاحظنى * شذرا فلم يبق لى شيئا من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط * واستدركته وأفضت بى الى الحرب
الضب والنون قد يربحى اجتماعهما * وليس يربحى اجتماع الفضل والذهب
* (والسبب فى حرمان الادباء موهبة الحظ وخول النجباء) *

ما ذكره بعض المنصفين منهم فى قوله ان ذا الادب لا يزال متسخطا على دنياه اذ ما
لحالها لما يرى من ميل الزمان للنامه وجهاله فهو لا يمدحهم لعلمه بقصورهم
عن ادراك منظومه ولا يثاب اما بجهل ممدوحه واما من افراط بخله الناتج
عن لومه (وقيل) للحسن البصرى لم صارت الحرفة مقرونة بمن جعل العلم
والادب شعارا والثروة بمن كساه الجهل والحق عارا فقال ليس القول كما
قامت ولا الامر كما زعمت ولكنكم طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال
وهو قليل عند أهل العلم والادب وهم قليل ولونظرتهم الى من تحارف من
أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اقناروا والمال عنهم أشبه تنقارا (وقال)
أبو الحسن على المعروف بابن البغل متخجرا من الجول

الدهر ضد ذوى النضائل كلهم * حتى كأن عدوه من يفهم
لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعير تنع فى الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

(آخر)

يطرى لاهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يحبس من بينها * الا التى تطرب أصواتها
(الحد بلجى)

قل عنى غناء عقلى ودينى * ودخولى فى العلم من كل باب
أدركتنى وذلك أعظم دأى * حسنات من حرفة الآداب
(آخر)

قد عقلنا والعقل شر وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
ان من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا بعد قسمة الارزاق

وربما أعدت حرفة الأدب أهل الوراقة
فأظلمت منها سمائب الحرمان والفاقة

(قال) أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي هفان سألت زرقاء عن حاله
فقال عيشي أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أوهي من
الزجاج وحظي أشد سوادا من العفص إذا خلط بالزاج وسوء حالي ألزم لي من
الصمغ وطعاني أمر من الصبر وشرابي أكثر من الخبز والهم والالم يهريان
في علقة قلبي مجرى المداد في شق القلم فقلت يا أخى لقد عبرت بيلا عن بلاء
فأنشد

المال يستتر كل عيب في الفتي * والمال يرفع كل وغد ساقط
فعلبك بالأموال فأقصد بجمعها * واضرب بكتب العلم وجه الحائط
(آخر)

إن الوراقة والتفقه والتشاغل بالعلوم
أصل المذلة والاضافة والمهانة والهموم
(وأنشدت لابي النصر بن أبي الفتح كشاجم)
غبط الناس بالكتابة قوما * حرموأحظهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظ * سقطت تأوهم فصارت كآبه

(وقال) اسحق بن ابراهيم بن جدويه المعروف بالجدوى
ثنتان من أدوات العلم قد ثنتا * عنان حظي عمارت من نعم
وحبرت لي صحاف الخبر محبرة * تذود عني سوام المال والنعم
والعلم بعلم أني حين آخذ * لعصمتي ناقر خلوي من العصم
(سمع) بعض مجان الأدباء رجلا يقول لا خير في علم لا يدخل مع صاحبه الحمام
فقال نعم إلا أنه متى لم يكن معه دائق يخرج به بقي رهنا (ابن صادة
الاندلسي)

أما الوراقة فهي أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بآبرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان
(وأنشد) أبو منصور عبد الملك بن اسمعيل النعالي في البيعة لأبي حاتم
الوراق

ان الوارقة حرفة هزلت * محرومة عيشي بها زمن
ان عشت عشت وليس لي أكل * أومت مت وليس لي كفن
(وقال الشريف) أبو يعلى بن الهبارية من قصيدته الخمسة التي أوتها
حي على خير العمل * يذم الوارقة

تبارب المحبرة * ياويله ما أدبره
وعيشه ما كدره * ورزقه ما اقتره
ان لم تصدقني فسل

(آخر)

أدى البكا عيني والمآ آي * وظلت ذاهم وذا احتراق
ما ان أرى في الارض والآفاق * أزرى ولا أشقى من الوراق
اذا بداني القمص الاخلاق * يفرح بالحبر والاوراق
كفرحة الجندی بالارزاق

(آخر)

هربت من الوراقه مل عشوطي * فردني الزمان الى الوراقه
وترك المرء حرقته فرارا * لاهر ليس يدريه حاقه

* والسبب في حرمان ذوي النباهة فقدان أهل الفضل والوجهة *

(يروي) ان عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهم ما ذكرت يوما قول أبيد
ذهب الدين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف كخلد الاجرب
قالت لله أبوه ما كان أشعره لقد صدق قالوا وكيف يا أم المؤمنين قالت
كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء
قوم كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم ثم جاء من بعدهم
قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله أعطاه ثم جاء من
بعدهم قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله منعه ثم
بعد ذلك يفخحه فيقول جاء فلان يسألني فلم أعطه ولله در القائل

لا يغررك اللباس * ليس في الاواب ناس
هم وان نالوا الثريا * بخلاء وخساس
كل من يدعى رئيسا * هو في الخسة راس

كم يد تصلح للقطيع فتقدي وتباس

(آخر)

علام تحركي والحظ ساكن * وما قصرت في طلبي ولكن
أرى نذلا تقدمه المساوي * على حرث توخره المحاسن

بجظة

لي حاجة لو أنها قضيت * لعشت في خير وظل ظليل
حياة من مات وموت الذي * ليس إلى أحيائه من سبيل
(دخل) بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وهو في السجن يريد زيارته
فقال له ما تشتهي فقال أن أرى انسانا فأخذ الرجل المرأة وأراه وجهه فيها
فشكر له ذلك ثم أنشده

ما أكر الناس بل ما أقلهم * الله يعلم أنني لم أقل فتندا
اني لا فتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لم أرى أحدا
(وقيل) لسعيد بن المسيب وكان في عينيه ماء ألا تقدرح عينيك فقال حتى
أطربهم ما لي من (ومثل ذلك) ما قاله أبو العيناء معتذرا عن عماء
قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدى لكم يهون
والله ما في الأنام حر * تأسى على فقده العيون
(وسأل رجل) من رجل جار عارية فأخرج له أكافا وقال له اجعله
على من شئت (ومر رجل) بصديق له فرآه واقفعا على الطريق فقال له
ما وقوفك ههنا فقال

(وقيل لأبي العيناء) هل بقي من يلقي قال نعم في البئر (ومر) ببعض السكك
فخبسه انسان يريد العبث به فقال له أبو العيناء من أنت قال ابن آدم فأقبل
يسلم عليه سلام مستوحش وقال عجب والله ما ظننت إلا أن هذا النسل قد
انقطع بشير إلى ضياعه من أهل زمانه

(وقال الشاعر)

المادحون اليوم أهل زماننا * أولى من الهاجين بالحرمان
ذهب الذين يهزهم مداحهم * هز الكفاة عوالى المزان
كانوا إذا مدحوا رأوا ما فيهم * فالأريحية منهم مكان

(وقال بشار بن برد) لقد عشت في زمان وأدركت أقواما لو اختلفت الدنيا
ما تجملت إلا بهم وأنا الآن في زمان ما أرى فيه عاقلا حصيضا ولا فاككا
ظريفا ولا ناسكا عضيضا ولا جوادا شريفا ولا خادما نظيفا ولا جليسا خفيضا
ولا من يساوي على الخبرة رغيضا وأنشد
فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعرف
(ابن الرومي)

أيسر من دهرى ومن أهله * فليس فيهم أحد يرتضى
أن رمت ملحا لم أجد أهله * أورت هجوا لم أجد عرضا
(وله)

قبل لي لم ذمت كل البرايا * وهجوت الأنام هجوا قبيحا
قلت هب أنى كذبت عليهم * فأروني من يستحق المديحا
(بعض العرب)

ذهب الذين أذارأوني مقبلا * هشوا إلى ورجبوا بالمقبل
وبقيت في خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهاشيت في المنزل
(ابن منير الطرابلسي)

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
فسد الزمان فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
(ابن الهباريه)

خذ جمل البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البياذق في الدسوت تفرزت * فالأرى أن تبسطق القرزان

• (الباب السادس في العي وفيه ثلاثة فصول) •

• (الفصل الاول من هذا الباب) •

• (فيما ورد عن ذوى النباهة في ذم العي والفهاهة) •

قال الله تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (وقال الله تعالى)
حكاية عن نجر فرعون على موسى بالبيان في قوله أم أنا خير من هذا الذي
هو مبين ولا يكاد يبين ذكر أهل التفسير أن موسى عليه السلام لما سمع هذا
القول من فرعون قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة

من لسانى يفقهوا قولى فاستجاب الله دعاءه وسمع ندائه فقال قد أوتيت
سؤللك يا موسى وحل الله تلك العقدة وأطلق ملك الحبسة (حدثنا) قالوا
هو معنى قصير يحويه لفظ طويل (وقال) أكنتم بن صيني هو أن تتكلم فوق
ما تقتضيه حاجتك (وقالوا) الى الناطق أعنى من الى الساكت لأن المفهم
يأتى ما لا يرضاه ويطلب فوق ما فى قواه (وقالوا) الى بلاغة يعنى (كما ذكر)
أن ربيعة خطب فاطال وأعجبته نفسه والى جانبه أعرابى قالتفت اليه وقال
يا أعرابى ما تعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الاصابة قال فأتعدون
الى قال ما كنت فيه منذ اليوم قال الشاعر

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * هدر الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت سلامة * ومن التكلم ما يكون خبالا
(وقال كسرى) عى الصمت خير من عى الكلام (وقال الجاحظ) يذم رجلا
بالى والجلين لم أرجبا نأبرأ منه ولا جريا أجنب منه نظم بعض الشعراء
معناه فقال

حصر مسهب جرى جنان * خير عى الرجال عى السكوت

* (فما يشين حسان الصور الى فى البيان والخبر) *

(قالوا) فضل الانسان على الحيوان بالبيان فاذا نطق ولم يفهم عاد بهما
(ويقال) مالى حرواة ولا المنقوص البيان بهاء ولو حك يا فوخه فى عنان
السما (وقالوا) الى داء دواؤه الخرس (وتكلم وجل) عند معاوية وكان
ذا عى فقال عمرو بن العاص سكوت الا لكن نعمة وقال معاوية وكلام الاسحق
نعمة (وقالوا) البيان بصروالى عى والبيان من نتاج العلم والى من
تحتاج الجهل (يحكى) أن رجلا قام الى محمد بن عبد الملك الزيات فقال له انى
مظلومك فقال هذا كلام يحتاج الى شهود ويينة وأشياء غير ذلك فقال
الرجل أصلحك الله الشهود هم اليينة واليينة هم الشهود وأشياء غير ذلك
حصر عى وزيادة هى نقص فى القيام بحجتك فضحك منه وكشف ظلامته
(وقيل لبرز جهر) أى شئ أستر لى قال عقل قالوا فان لم يكن له عقل قال
فان قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن
له اخوان قال يكون شيئا صامتا كالبحر ولا يلحقه ضرر وقال الشاعر

وما حسن الرجال لهم بزين * اذ لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه * له وجه وليس له لسان
(آخر)

والصمت أزين للفتى * ما لم يكن عي بشينه
والقول ذو خطر اذا * ما لم يكن لب يعينه

(وقال الجاحظ) لا يعاب الاخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم
الحصر ويؤنب العي (وصف) أعرابي قوماً بالعي فقال منهم من يتقطع كلامه
قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلج
كلامه الاذان فيحملها عباثاً ثقلاً الى الاذهان قال شاعر نزه لسانه عن العي
وما بي من عي ولا أنطق الخنى * اذا جع الاقوام في الخطب محفل

(آخر)

وقلنا بلا عي وسننا بطاقة * اذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

(ومن علامات العي الواضحة وسمات اللكن القاضية)

(الاستعانة) وهو أن يرى المخاطب اذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه
للمخاطب استمع الى واسمع مني وألست تفهم وافهم عني * ومنهم من يقول
في خلل كلامه اما قولي كذا فاعني به كذا ولا يريد التفسير ولكن بعيد
كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الا قول فيبانه أبدأ يقصر عن ايضاح
اشكاله وان أتى بأنواع الكلام وأشكاله (وذم) بعض البلغاء عيباً فقال
قلبه ميت الفطنة ولسانه بادي النكته ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون
بين التهاقت اذ عضته ولدغته المساجلة والمساورة تناءب للعطاس وتناقل
للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وقرع السن وقتل الاصابع
فعبزه ظاهر وعيه حاضر شاعر في مثل ذلك

ملى تبهرو التفات وسعلة * ومسحة عشون وقتل الاصابع

(ومن علامته) التحنن من غير داء والتناوب من غير رية والاكباب
في الارض من غير علة

(وقال ابن المعتز)

ومن الكبار مقول منتفع * جم التحنن متعب منهوور

* (ومن عيوب اللسان المريبة للاحسان المزربة بقدر الانسان) *

التممة والفأفة والعقلة والحبة والقف والرثة والغممة والطمطمة
واللكنة والغنة واللغة (قال الاصمعي) التمة اذا نعت في التاء فهو تمام
(واذا) تردد في الفاء فهو فأفاء قال الرازي

ليس بفأفاء ولا تمام * ولا كثير المهجر في الكلام

(والعقلة) التواء اللسان عند الكلام (والحبة) تعذر النطق ولم يبلغ حد
الفأفاء ولا التمام * ويقال انها تعرض أول الكلام فاذا مر فيه انقطعت
(والقف) ادخال بعض الكلام في بعض قال الرازي

كأن في فيه لفيضان نطق * من طول تحميس وهم وأرق

(والرثة) ايصال بعض الكلام ببعض دون افادة (والغممة) أن يسمع الصوت
ولا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه (والطمطمة) أن يكون الكلام
شبهًا بكلام العجم وهي جبرية * وقالوا هي ابدال الطاء بالتاء لانهم ما من مخرج
واحد فيقولون السلطان والشيطان بمعنى السلطان والشيطان وكانت في
لسان زياد بن سلى الاعم وكان خطيبا شاعرا كاتبًا (واللكنة) هي
ادخال بعض حروف العرب في بعض حروف العجم وتشترك فيها اللغة لتركية
والنبطية وهي ابدال الهاء من الحاء وانقلاب العين همزة وكانت في لسان
عبيد الله بن زياد وصهيب الرومي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم (وذكر) أن مولى زياد قال أيها الأمير اهدوا لنا همار وهدش يريد
اهدوا لنا حمار ووحش فلم يفهم زياد فوله فقال ما تقول ويك فقال أحد والناس
أرا فقال زياد رجعنا إلى الأول فهو خير (وحكى الجاحظ) ان وازد انقار
القارسي كان له كاتب جلف في لسانه لكنة فأملى عليه يوما في كتاب
انا اعتبرنا الحاصل بالهاء فوجدناه ألفا فكتبها الكاتب كما لفظ بها فلما
أعاد عليه ما أملاه فطن لاجتماعهما على الجهل فقال أنت لا تهسن أن تكتب
وأنا لا أهسن أن أملى فاكتب الحاصل ولا تعجم الجيم (والغنة) أن يشرب
الصوت الخيشوم (والخسة) ضرب منها (والترخيم) حذف بعض الكامة
لتعذر النطق به (واللغة) قال الجاحظ في كتابه البيان الحروف التي يدخلها
اللغة أربعة وهي القاف والسين والراء واللام (فالتى) تعرض للقاف

فإن صاحبها يجعل القاف طاء فإذا أراد أن يقول قلت وقال قال طلت وطال
بمعنى قلت وقال ومنهم من يبدلها كافا فيقول كلت وكال بمعنى قلت وقال
وهي كانت في لسان أبي مسلم وعبيد الله بن زياد * وقال بعض الشعراء في أم
ولده بصفها بذلك

أكثر ما أسمع منها في السحر * تذكرها الاثنى وتأنيت الذكر
والسواة السوء في ذكر القمر

لأنها كانت إذا أردت أن تقول القمر قالت الكمر والكممر جمع كمر
وهي حشفة الذكر (وأما) التي تعرض للسين فانهم يبدلون بها ناء فيقولون بسم الله
إذا أرادوا بسم الله ويثروه الله بمعنى يسره الله وهي مستحسنة من الجوارى
والغلمان وأحسن ما سمع فيها قول بعضهم

وأهيف كالللال شكوت وحدى * اليه بحسنه وأطلت بشي
وقلت له فسدتك النفس صلتى * تفرح حسن الثواب فقال بشي

(ومن قبيل الابدال) ابدال الناء المثلثة بالناء المثناة وكانت في لسان شعبية
وذلك فاش في لغة أهل صعيد مصر وما أقبحهم إذا قالوا ثلاثة آلاف وتلثمائة
وتلاثة وتلاتين وقلت وفي الناس من يبدل الجيم ضادا وهم من أهل صعيد
مصر أيضا فإذا اجتمع لاحدهم جيم وضاد في كلمة مثل ضج وضجر قالوا جض
وبضجر يجعل الجيم ضادا والضاد جيمًا وفي الناس من يبدل الخاء المعجمة حاء
مهملة فيقول في خوخ حوخ وفي خطال حطال وهي مستحسنة من الغلمان
والجوارى (وأما) التي تعرض في الراء فهي أربعة أحرف فمنهم من يجعلها غينا
معجمة فإذا أرادوا أن يقولوا عمرو قال عمع وهي غالبية على لسان غالب أهل
دمشق والعجب أنه إذا اجتمع لهم راء مع غين في مثل رغيف نطقوا بالراء غينا
وبالغين راء فيقولون غريف ومنهم من يجعلها عينًا مهملة فإذا أراد
أن يقول عمرو قال عمع ومنهم من يجعلها ياء فيقول عي ومنهم من يجعلها
زايًا فيقول عمز وهي لغة حبسية ومنهم من يقولها بالطاء أخت الطاء والاولى
كانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي والثانية كانت في لسان واصل بن عطاء
المعزلي وكان لاقتداره على الكلام يتجنب النطق بها حتى كأنها ليست من
حروف المعجم (ومن عجيب ما يحكى عنه) أنه ذكر بشار بن برد بكلام أسهب فيه

وأطلب فلم يأت بكلمة فيها راء وهو ما لهذا الاعمى المكثي بأبي معاذ من يقتله
والله لو أن قتله خلق من اخلاق الغالبة لبعثت اليه من يعج بطنه على
مضجعه يريد بقوله الاعمى يعني الضرير وقال المكثي بأبي معاذ ولم يقل بشار
ولا ابن برد وقال من اخلاق الغالبة ولم يقل المغيرة وقال من يعج ولم يقل
يقرو وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

* (ولبعضهم فمين يلثغ بالراء) *

ويجعل البرقعا في تصرفه * وجانب الراء حتى احتمال للشعر
ولم يقل مطرا والقول بهجله * فقال بالغيت اشفا فام من المطر
ولبعضهم فمين يلثغ بالراء أيضا
ولثغته لو أن واصل حاضر * ليسعهما ما أسقط الراء واصل
(وأما) التي تعرض في اللام فان من أهلها من يدلها يا فبقول أعتيت بمعنى
اعتلت وبدل جمل جي وهي أوضعهن لدى المرواة وقوم يجعلون اللام كافا
وهي قبيحة ولا حاجة بناء الى تكملة بيان هذه الحروف (قال الجاحظ) وليس
المبلاج والتمتام والالثغ والافأفاه وذو الحبسة وذو اللقف والرثة في سبيل
من حصر في خطبته وعي في مناظلتها وخصومته

وقد يكون البليغ عيبا عند سؤال مطلوبه

كالعاشق متى رام شكوى حاله لمحبيه

(سئل) محمد بن أبي دواد متى يكون البليغ عيبا قال اذا سأل ما يتمناه وشكى
حبه الى من يهواه ثم أنشد

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لا فاهاه فغير بليغ

(آخر)

قالت عيت عن الشكوى فقلت لها * جهد الشكاية ان أعيا عن الكلم

(آخر)

وكم من حديث قد خبا ناه للقا * فلما التقينا صرت أحرص أبكا

(آخر)

عى المحب لى الحبيب بلاغة * ولربما قتل البليغ لسانه

(قال بعضهم) موطنان لا آنف من العي فيهما اذا شكوت الى محبوبى عشق

وإذا سألت حاجة لنفسي فإن السائل قديهاب المسؤول ويتبعه مع الهيبة ذل
السؤال (وسأل العتابي) رجلاً حاجة فاقبل في كلامه فقال له مالك من طوق
في ذلك فقال كيف لا يقل كلامي ومعى حيرة الطلب وذل المسئلة وخوف
الرد (وحكى) أن الفضل بن الربيع سار بعد نكبته إلى أبي عباد واسمه ثابت
ابن يحيى يسأله حاجة فارتج عليه فقال يا أبا العباس أهب هذا البيان خدمت
خلفتين فقال أنا تعودنا أن نسئل ولا نسأل فاستعبر لكلامه ورق لحاله وقضى
حاجته

(على بن الجهم)

ان دون السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ارض للسائل الخضوع وللقا * ذف ذنباً مضاضة الاعتذار

* (واما ما يعترى العاشق المشوق من الاخغام عند رؤية المعشوق) *

فكما قال أبو بكر الصنوبري

آية من علامة العشق * اصفرار الوجوه عند التلاق
وانقطاع يكون من غيرى * وولوع بالصمت والاطراق
(آخر)

فما هو الآن أراها فجأة * فابته لا عرف لدى ولا نكر
وأنسى الذى قد كنت فيما أقوله * كما يتناسى لبشار بها الخمر
(عمرو بن ربيعة)

ضل عنى لشدة الوجد عطفى * وجفان الذكاوعى لسانى
ونسيت الذى نظمت من القو * لدهىها وغاب عنى بيانى
(آخر)

أفكر ما أقول اذا التقينا * وأحكم دائماً حجج المقال
فأنساها اذا نحن التقينا * فانطق حين أنطق بالمحال

* (ولبعض الصوفية) *

ينوى العتاب له من قبل رؤيته * فان رآه فدمع العين مسكوب
لا يستطيع كلاماً حين ينظره * كل اللسان وفي الاحشاء تلهيب
(وقال) أبو المعالى شيدله الصبوة والشوق والارتباح والتوق والفراق

والتهافت والقوت والتأسف دواع تستأثر الصبر وتختصر عن وصفها
للمحبوب السنة المحصر

* (ومما يشين البليغ بن أترابه عطل بيانه من حلى اعرابه) *

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا النحوا كما تتعلمون السنن والقرائن
(وكان) أيوب السخيتاني يقول تعلموا النحوفانه جمال الوضيع وتركه هجنة
للشريف (شاعر)

النحو يصلح من لسان الالككن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
فاذا أردت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره * وتراه يسقط من لحاظ الاعين
وترى الدنى اذا تكلم معربا * نال التباهة باللسان المعلن
ما ورث الآباء فيما ورثوا * أبناءهم مثل العلوم فأتقن
(آخر)

لوم يكن في النحو الا أنه * يذر الضئيل من الرجال مهيبا
يحشى التكلم حيث حل كائنا * أضحي بأفواه الانام رقبيا
(وقال) عمر تعلموا العربية فانها تقوى العقل وتزيد في المرواة (وقال) عبد الملك
ابن مروان اللحن في المنطق أقبح من آتار الجدرى في الوجه (وسمع) المأمون
لحنا من بعض ولده فقال ما على أحدكم أن يتعلم العربية يصلح بها لسانه
ويفوق أقرانه ويقوم أوده ويزين مشهده ويقبل جميع خصمه بمسكات
حكمه أيسر أحدكم أن يكون كعبده أو أمته فلا يزال الدهر رأسه بكلمته
(سمع) الاعمش انسايا يلحن فقال من هذا الذي يتكلم وقلبي منه بتالم (وقال)
الحسن البصرى ربه دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لى (وفى الحديث)
ان الله لا يسمع دعاء ملحونا * والعلماء لا يرون الصلاة خلف اللحنه وكيف
لا يكون كذلك وأدنى حركة مغيرة للمعنى مؤدية الى الكفر (قال) سعيد بن
مسلم دخلت على الرشيد فلا قلبى رعبه فلما لحن خف على أمره (بحكى) أنه
لم يسمع من الحسن البصرى ولا من الشعبي ولا من أيوب بن القريه ولا من
عبد الملك بن مروان لحن قط فى جسد ولا هزل (وكان) سيديوه واسمه عمرو بن
قنبر يختلف الى حماد بن زيد يقرأ عليه الحديث فكان يلحن فى قراءته فبرد عليه

حادثاً برمه يوماً لحنه فقال له كم تلحن أمالك مرواة فجل ووجه فلما قام من مجلسه انقطع الى الخليل بن أحمد فقرأ عليه النخوة فهر فيه وفاق وسار ذكره في الآفاق

• (وهذه نبذة مستحسنة من التعريف بنوادرهم المستظرفة في التحريف) •

قال يوسف بن خالد لعمر بن عبيد ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها قال أحسن قال من قفائها قال أصح قال من قفاؤها قال له عمرو ما عالت بهم هذا قل من قفاها واسترح وأرح وكان يوسف يقول هذا أحر من هذا أي أشد حرة (وكان) الوليد بن عبد الملك لحنة خطب الناس يوم عيد فقرأ في خطبته بالبيتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحنامك * ودخل اليه أعرابي وعنده عمر بن عبد العزيز فقال له من أنت ووصل الهمزة فظن الأعرابي أنه يقول مننت فقال المنسة لله ولا مير المؤمنين فقال عمر للأعرابي إن أمير المؤمنين يقول لك من أنت قال فلان بن فلان قال ما شأنك وفتح النون قال جدرى في وجهي وفجج بساقى قال عمرو ويحك إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك وضم النون قال ظماني ختنى قال ومن ختنك وفتح النون قال وما سؤالك عن ذلك يا أمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمران أمير المؤمنين يقول لك من ختنك وضم النون قال فلان وقيل للوليد إن العرب لا تحب أن يتولى عليها الأمن يحسن كلامها فجمع أهل النخوة دخل بيتا ليتعلم فيه النخوة فأقام فيه ستة أشهر ثم خرج منه أجهل من يوم دخل وكان بشر المر يسي عن شهر باللعن دعا القوم فقال قضى الله لكم الحوائج على خير الوجوه وأهناها فأنكروا عليه لحنه فقال قاسم التمار يصح هذا على قول الشاعر

إن سلمي والله يكلاها * ضنت بشى ما كان يرزاهما

فكان احتجاج قاسم أظرف من لحن بشر (وكان) خالد بن عبد الله القسري لحنة وفيه يقول ابن نوفل من أبيات

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق والخطب

(قرأ) سابق الاعمى ولا تنسكوهوا المشركين حتى يؤمنوا فقال بعض المجان ولان آمنوا (ترافع) الى زياد رجل وأخوه في ميراث فقال إن أبوه مات وان

أخينا وثب على مال أبانا فأكله فقال زياد الذي أضعفت من نفسك أضرت عليك مما أضعفت من مالك * وأما القاضي فقال لا رحم الله أباك ولا جبر عظم أخيك قم في لعنة الله وحرقه (وقال رجل) للاعش من أين أقبلت قال من السوق قال وما شريت قال غسل قال هلا زدت ألف فقال له الاعش وه لا زدت في ألفك ألفا (وعكسها) ما حكى أن رجلا قال لسعيد بن عبد الملك تأمر نأبشيا قال نعم بتقوى الله واسقاط الألف (ويحكى) أن خالد بن صفوان دخل الحمام يوما وفي الحمام رجل معه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البیان فقال لولده يا بني اغسل يدك قبل وجهك والتفت الى خالد وقال يا أباصفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له أهلا قط

الفصل الثاني من الباب السادس

في ذكر من قصر بآل لسانه عن ترجمة ما في جناته

قبل لابن المقفع وكان مفعما عن نظم الشعر لم لا تقول الشعر قال الذي أرضاه لا يحب والذي يحب لا أرضاه

وزهدني في الشعر أن قريحتي * بما تستعيد الناس ليس تجود
وقال ابن عبدون الكاتب

قلبي من العلم مملوء جوائبه * وهذا اللسان قليل لا يواينني

* (فمن أرتج عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والمحافل) •

(يزيد بن أبي سفيان) كان أبو بكر رضي الله عنه ولاه ربعا من أرباع الشام فلما وفي المنبر ارتج عليه فقطع الخطبة وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي يانا وأنتم إلى أمير فعمال أحوي منكم إلى أمير قوال ثم نزل وروى هذا الكلام لعثمان بن عفان وعليه أكثر المؤرخين (ومعد) عبد الله بن عامر منبر البصرة في يوم عيد الاضحى فحصر فقال لأجمع عليكم عبا وبجلا ادخلوا سوق الغنم فن أخذ شاة فهي له وعلى ثمنها (ثم معد مرة أخرى) فحصر قالت عينا وشمالا فرأى عتاب بن ورقاء وكان شيخا أصم فقال أما بعد يا أصم فوالله ما غلطني غيرك فلعنها الله من صلعة على به فلما مثل بين يديه أمر أن يضرب

عشرين سوطا ومنعه من دخول المسجد الجامع بعدها (وصعد) عدى بن
 ارطاة المنبر فلما رأى جمع الناس أرتج عليه فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء
 ويسقيهم ثم نزل (وصعد) روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا اليه
 باسماهم ورمقوه بأبصارهم قال نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فان المنبر
 مركب صعب واذا الله يسر فتحه فقلنا تعسر ثم نزل (وخطب) مصعب ابن
 حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتا كم قول
 لا اله الا الله فقالت أم الحارثية عجل الله موتك وأراح منك الهذا دعوناك
 (وصعد) وازع الشكري المنبر يوم جمعة فلما رأى جمع الناس هاجمهم فحصر
 فقال لولا أن امرأتى جلتنى على اثنيان الجمعة ما جمعت وأنا أشهدكم أنها طالق
 ثلاثا ثم نزل (وخطب) ثابت مولى يزيد بن المهلب فارتح عليه فنزل وهو يقول
 فالأأكن فيكم خطيبا فأننى * بسينى اذا جدا الوغى لخطيب
 فبلغ ذلك المهلب فقال لو قال هذا على المنبر لكان من أخطب الناس
 (وخطب) خالد بن عبد الله القسرى فارتح عليه فقال ان هذا الكلام يجرى
 أحيانا ويعسر أحيانا وربما كوبر فأبى وعولج قنبا والثانى لمجيئه خير
 من التعاطى لايه وتركه عند شكره أفضل من طلبه عند تعذره وقد يخطئ
 من الجرى مجنانه وينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول ثم نزل (وارتح)
 على أبي العباس السفاح فنزل ثم صعد وقال أيها الناس ان اللسان بضعة
 من الانسان يكل لك لاله ويرتجل لارتجاله ونحن أمراء الكلام بنا تفرعت
 فروعه وعليها تهملت مصونه وانا لا نكلم هذرا ولا نكلم حصرا بل نكلم
 معتبرين وننطق مرشدين (وذكر المسعودى) ان المعتضد خرج يوم الفطر
 وكان يوم الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين الى مصلى أحده بالقرب
 من داره ليصلى بالناس فكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الثانية تكبيرة
 واحدة فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر فحصر ولم يسمع له خطبة وفي ذلك يقول
 الشاعر يعتذر عنه في هذا المقام

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس في حل ولا حرام
 ما ذاك الامن حياء لم يكن * ما كان من عى ولا الخمام
 (وخطب) داود بن علي فارتح عليه فقال اتقوا الله وافعوا ما أمركم به

وانتهوا عما بها كم عنه ثم نزل واقد جمع في هذه الكلمات بين الحكمة وفصل الخطاب وأحسن لهم في النصيحة وأطاب (صعد) بعض الخطباء المنبر فحصر بعد الحجة فكررها مرارا فقال بعض من حصره على ما أبلانا منك فإنه لا يحمده على المكر وغيره ثم ولى وهو ينشد

ختم الله على لسان عذافر * ختم أفايس على الكلام بقادر
فاذا أراد النطق خلت لسانه * لما حترزكه لصق رقنا فسر

(قال) ابن ذولاق في أخبار ولاية مصر لم يكن الناس يصلون بالجامع العتيق صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثمانمائة أو ثمان صلي فيه العيد أجدب عبد الملك الفهمي المعروف بابن أبي سبج صلاة عيد الفطر ويقال أنه خطب يومئذ في دفتر فكان مما حفظ منه أن قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون فقال فيه الشاعر

وقام في العيد لنا خطبا * يحترض الناس على الكفر

(ومن أرتج عليه من الأئمة في محرابه وكان تركه للصلاة خوف الخجل أحرى به)

رجل صلي بقوم فقرا فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وارتج عليه فجعل يكررها فقال له مزيد والله إنك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان (صلى) سيفويه القاص بقوم فقرا سورة الاخلاص فارتج عليه عن درأس آيتين منها قالت فت الى من خلفه وقال من أراد أن يسمع باقي السورة فليحضر مسجد بني فلان ثم خرج وتركهم (وصلت) أعراية مع قوم فقرا الامام وأنكعوا الايامي منكم ثم ارتج عليه فجعل يرددها مرارا فخرجت المرأة تعد وحتى لحقت باختها وقالت يا أختاه لم يزل الامام بأمرهم ينكحنا حتى خشيت أن يقعوا على (وخرج رجل) من بيته مغلسا فتر مسجد يصلي فيه الصبح فدخل لبصلي فقرا الامام الفاتحة وابتدأ سورة يوسف فلما انتهى الى قوله تعالى فان أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي فرددها مرارا فقال الرجل لي من خلفه فان لم يأذن لك أبوك الى الظهر يطول مقامي معك ويقوتني قضاء حاجتي ثم مضى وتركه (وأرتج) على الحاجب في صلاته فلم يجسر أحد أن يهديه لما ضل عنه فتن قرله تعالى ردوها على فردت عليه فله درهم ما أحسن ما أجال فكره حتى أدركه الفهم العازب ولم تبطل صلاته

بكلامه بل كان من أشرف المواهب (وأحسن منها) ما حكى أن المهدي لما ولي الخلافة صلى بالناس من الغداة في داره فارتح عليه فهيب أن يلحقه ما نسي فلما طال عليه انتظار من يرشده إلى قوله تعالى أليس منكم رجل رشيد فرد الراشد النارد على الناشد : اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب فتقدم الكسائي فصلى فارتح عليه في سورة قل يا أيها الكافرون فلما سلم قال اليزيدي قارئ الكوفة برتح عليه في سورة قل يا أيها الكافرون فحضرت صلاة العشاء فتقدم اليزيدي فارتح عليه في سورة الفاتحة لمسلم قال له احفظ لسانك أن تقول قتبلى * أن البلاء موكل بالمنطق

(حدث) أبو الحسن بن راهويه قال صلى يحيى بن المعلى الكاتب فقرأ قل هو الله أحد فغلط فيها وارتح عليه وكان في المجلس أبو نواس والعباس بن الاحنف والخليع وصريع الغواني فقال أبو نواس

أكره يحيى غلطا * في قل هو الله أحد

(فقال الاحنف)

قام طويلا ساكنا * حتى اذا أعيا سجد

(فقال الخليع)

يزحر في محرابه * زحزح برحلى لولد

(فقال الصريع)

كأنما لسانه * شذبجبل من مسد

وانصلت هذه الحكاية بابي علي بن رشيقي فقال

ونسى الجديفا * مرت له على خلد

هذا ما أورده ابن رشيقي في كتاب العمدة (ثم) اني عثرت عند مطالعني لكتاب بدائع البداهة على زيادة وجب ذكرها وهو ما حكى ان أبا العباس بن الحطيم لما سمع هذه قال

ورام ثيا غيرذا * يقرؤه فواجد

* (ومن أخذ العي بعنان قلعه وظهر كلف التكلف في صفحات كلمة)

ما حكى أن بعضهم كتب إلى بعض العمال على مدينة حلب يخبره أن سلعدين من ثواني المدلين غرقا (مامنا له) اعلم أيها الأمير أعز الله ان سلعدين

أي من كين صنفقا أي غرقا فاهلك من فيهما أي تلقوا فكتب اليه العامل بنا
 على الحكاية يستخف به ورد كتابك أي وصل وفضضناه أي فتحناه وفهمنا
 ما فيه أي علمناه فأدب كاتبك أي اصغعه واصرفه أي اعزله واستبدل به
 أي غيره فانه مائق أي أحق والسلام أي قد نقضى الكتاب (وكتب) بعض
 عمال طاهر بن الحسين اليه كتابا وفيه وقد وجهت الى الامير فوب دياح أحر
 أحر أحر فكتب طاهر اليه قد قرأت كتابك فعملت أنك أحق أحق أحق أحق
 فأقدم أقدم أقدم والسلام (ومما) عابه ابن الاثير من كلام المترسلين القدماء
 وادعى أنه قصور وعي في صناعة الانشاء وهو أشبه شئ بالاقواء والاطاء قال
 في فصل من كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر اذا وردت في كلام
 المترسل مجعنان يد لان على معنى واحد كانت احدهما كافية في الدلالة
 عليه والاخرى من حشو الكلام الذي لا يحتاج اليه (وقد) وجدت كثيرا
 من ذلك في كلام المنلقين من أهل هذا الشأن كالصابي وابن العميد (فن ذلك
 قول الصابي في تحميده) الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بأخطائها ولا تحده
 اللسان بألساطها ولا تخلقه العصور بعرووها ولا تهرمه الدهور بكرورها
 ثم انتهى الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم ير لكفرا أثرا
 الاطمسه ومحاه ولا رسما الا زاله وعفاه فلا فرق بين مرور العصور وكرور
 الدهور وكذلك لا فرق بين محو الاثر وتغفية الرسم (ومن كلامه أيضا من
 كتاب) وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام
 تعتل طور او تصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها
 واسم لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع فعلوم أن الاعتلال والالتباس
 بمعنى والطور والمرة بمعنى والرسوخ والثبوت بمعنى (وله من كتاب) وصلني
 كتابه مفتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقليد لامور المسلمين بما اعراه
 الزكية مجوزة لاستقراره وأرومته العلية مسوغة لاستقراره (ومنه) فلا بد
 من اتفاق أشرف كل قطر وفاضله واعيان كل صقع وأمثله فهذا السبع
 كله متساوي الالفاظ والمعاني فان امارة المؤمنين وتقليد أمور المسلمين
 بمعنى وكذلك الاعراق والارومة بمعنى والتجوير والتسوية بمعنى وكذلك
 الاعيان والامائل والقطر والصقع (ومن كلام ابن العميد في كتاب) وهو

لا يوجه همته الى أعظم مرغوب الاطاع وودان ولا تمتد عزيمته الى مطلوب
الا كان واستكان وكل هذه الالفاظ مستوية المعاني (قلت) وإنما ذكرناه
من هذا الفن كفاية ومقنع على أن الخاطر اذا انشرح انقاد واذا كل تمنع
(ورأيت صوابا) الخاق هذه الحكاية بهذا الفصل وهي ما حكاه دعبل الخزاعي
قال خرجت أنا ورفيقان لي من قرية تسمى طهياتا وهي من قرى بغداد للقتله
فيها فاقنابها يوما فلما أردنا الانصراف قلت لرفيقي ليعقل كل منا في صفة يومنا
شيئا قال فابتدى أنت فقلت * تلنا لذيق العيش في طهياتا *
فقال أحدهما * لما حثتنا القدح احتثانا *
وأرتمج على الآخر فقال * وأم عمرو طالق ثلاثا *
فقلنا له ويحك ما ذنب المرأة فقال والله ما لها ذنب الا أنها قعدت على طريق
القافية

الفصل الثالث من الباب السادس في أن اللسان المكثار لا يأمن افة الزال والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله اذا قلت فأوجز فاذا بلغت
حاجة فلا تتكلف (وقال) بعض الحكماء الاكثار يزل اللسان ويزيل
الاحسان (وقيل) لعدي بن حاتم أي شيء أوضع للانسان قال كثرة الكلام
(وقال) جعفر بن يحيى اذا كثر الكلام اختل واذا اختل اعتل * وقال خير
الكلام ما قل ودل ولم يطل فعمل (وقال معاوية) لعمر بن العاص من أبلغ
الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز (وقال) خالد بن صفوان
نيس البلاغة بحضة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد
الى الجمة (وقال) خير الكلام ما كان عن الحصر بعيدا وللإسماع مفيدا
وهو أن يكون لا مائلا الى الحصر فتضعف الجمة ولا الى الهدر فتتلف
المهجة قال الشاعر

للقول مستمع يري بصاحبه * منه الغلو وقد يري به الحصر
وخير حال الفتى في القول أقصدها * بين الطريقين لا عى ولا هدر
(وقال) هي يذري بك خير من هدر يأتى عليك (قال شاعر)
وصمتك من غيري السا * ن أزين من هدر المنطق

(وقال) عمرو بن العاص الكلام كالذواء ان أقلت منه نفع وان أكثر منه صرع * وقال لولده عبد الله قصر اذا قلت واقتصر اذا طلت واياك والاكثر فانه شين العاقل وحين الجاهل (وقالوا) العنار مع الاكثر (وقال بزرجمهر) من ملكه طول لسانه أهلكه فضل يابه (ويقال) من طال لسانه بطل احسانه قال الفقيه منصور

لا تكثرت نخير الكلام * قليل الحروف كثير المعاني

احتجاج من أمسك عن الكلام من غير خرس

وخاف من الملام فحذروا حترس

(قال الاحنف بن قيس) اللسان قيمة الانسان فمن قومه زادت قيمته * وقال أكنم بن صيفي هلك الانسان في طول اللسان (وقال) سفيان الثوري لأن أرى عدوي بسهمي خير من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمي السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من مباح * فساق اليه سهم حنف مجمل

(وقال ابن مسعود) لسانك سيف قاطع يداك وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد في المقال واياك وما يؤخر صدور الرجال (وقال اعرابي) الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم عاد أسيرافي وثاقها (اجتمع) أربعة من الملوذ على أربع كلمات تواردوا فيها موارد النصائح وأخرجوا دور معانيها من بحار انقراض قال كسرى أنا على ما لم أقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتي واذا لم أتكلم بهام ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرت وان لم تذكر عنه لم تنفعه وقال قيصر لأن أئدم على ما لم أقل أحب الي من أن أئدم على ما قلت فهذه كلمات صدرت عن صدور صافية من كدر الغل وغشه ليتحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونمسه (وقالوا) من أطلق لسانه بما يجب كان أكثر مقامه حيث لا يجب (وقال) صلى الله عليه وسلم ما أعلى العبد شرا من طلاقة اللسان (وقال) لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو أشد من الحجر وأنفذ من الابرة وأمر من الصبر وأحر من الجمر وان من القلوب من ازرع فازرع فيها الكلمة الطيبة فان لم تثبت كلها نبت بعضها (وقال زياد) ان الرجل ليتكلم بالكلمة

يقطع بهار بقية عنز قبل ان يبلغ امامه فيسقط دمه (ويقال) حفظ اللسان
راحة الانسان (وقال) صمصمة بن صوحان طول اللسان يقصر الاجل وخطأ
القول يصيب المقتل (ويقال) من خزن لسانه حقن دمه ومن ملك كلامه
أمن ندمه فاللسان سيف مرهف لا ينبوح حذره والكلام سهم مرسل لا يمكن رده
(وقال بعض الحكماء) الجاعل يستعمل باظهار المعاني قبل احكامها
واخراجها وان لم يحسن أو ان تمامها فاذا سددتها تخطى غرض الصواب
(وقال) الخبر ارزى

اذا مال اللسان المرء أكثر هدره * فذا لسان بالبلاء موكل
اذا شئت أن تحبب اعزير امسلي * فدير وميز ما تقول وتفعل
* (ومما اخترت من كلام الحكماء الاعلام في مدح الصمت وذم الكلام) *
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنت سالم ما سكنت واذا تكلمت فلك
أو عليك (وقال) ابن مسعود ان كان الشوم في شيء ففى اللسان (وقال) أبو
نواس

خل جنينك لرام * وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
ربما استفتحت بالنطق * مغالبى الحمام
انما السالم من الشجب * فاه بلجام
(وقالوا) صمت يعقب الندامة خير من نطق يسلب السلامة (وقالوا) الصمت
زين الحلم وعودة العلم يلزمك السلامة ويصحبك الكرامة ويكفيك
مؤنة الاعتذار ويلبسك ثوب الوفاق (وقال الشاعر)
الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكشارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا
(وقالوا) لسانك كالسبع ان عقلمته حرسك وان أرسلته افترسك (ويقال)
اخرن لسانك كما تحزن مالك واعرفه كما تعرف ولدك وزنه كما وزن نفقتك
وأنتق منه بقدر وكن منه على حذر فان انفاق ألف درهم في غير وجهها
أيسر من اطلاق كلمة في غير حقها (وقال الشاعر)
احفظ لسانك واحتفظ من شره * ان اللسان هو العدو والكاظم

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * فيه يلوح لك الصواب اللامع
والصمت من سعد السعود بطلع * تحياه والنطق سعد الذابح
(وقال) بعض الحكماء عليك بالصمت وان أصبت في القول وبرزت في الفضل
فانه زينة العاقل وحلية الفاضل (شاعر)
احفظ لسانك أن تقول قبتلي * ان البلاء موكل بالمنطق
(آخر)

وزن الكلام اذا نطقت فاعلم * يبدى الرجال من الستور المنطق
(وقالوا) رب كلمة جلبت مقدورا وخربت دورا وعمرت قبورا (شاعر)
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سوا مجازن
(آخر)
احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغك انه ثعبان
كم في المقابر من قيسل لسانه * كانت تخاف لقاء الاقران
(وقالوا) كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجبيل
واقصر منه على القليل واياك وما يسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن
أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش اخوانه تبرأ من الحزبية (شاعر)
يدل على جهل الفتى فضل نطقه * ونطق أخى العقل الرصين قليل
وان لسان المرء ما لم يمكن له * حصة على عورانه لنزبل
(وما أحسن عذر من غص باللام على كثرة صغته وقلة الكلام) *

حيث قال

قالوا انك كثير الصمت قلت اهم * ما طول صمتي من عي ولا خرس
الصمت أحمد في الاشياء عاقبة * وأزين الآن لي من منطق شكس
أنتشر البر فمن ليس يعرفه * وأثر الدر للعيان في الغلس
(ومن الخرافات) الموضوع على السنة الحيوانات في مدح الصمت وذم
الكلام أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث اني لا عجب من
حالي وحالك انا أفصح منك لسانا وأرجح ميزانا وأوضح بيانا وأكبر منك
شبابا وأكثر طيرانا ولي في بحر العبودية سباحة وفي ساحته سباحة
ومع هذا كله فقد أحاط بي الفضوع وأحرمني الجوع الهجوع وأنت
على علالتك في جميع حالاتك تأكل وتشبع وفي نواعم الابدان ترعى

قالت نعم أنت بين العالم منطبعة وعلى رؤسهم مدندة وطول لسانك سبب
سرمانك وأما أنا فاللطف صناعتي والصفت بضاعتي وانما توصلت الى قوتي
بسكوتي

وماله في هذا الموضع من النفوس حسن موقع
حفظ الاسرار أن تدال على الاحرار والاندال

قال الله تعالى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليهما السلام حين قص عليه
رؤياه فعلم منها بدء أمره ومنتهاه يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم
بالحقمان (وكان) عليه الصلاة والسلام اذا أراد غزاة وري بغيرها (ومن
أمثالهم) صدرك أوسع لسرك (ويقال) اذا انتهى السر من الجنان الى
عذبة اللسان فالاذاعة مستولبة عليه وعيون الحوادث تنظر شزرا اليه
(وقال) عمرو بن العاص الصدور خزان الاسرار والشفاه أقفالها والالسن
مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره (وقالوا) اذا ضاق صدرك عن نحوالك
فكيف تستكتمه سواك (وقال) بعض الحكماء سرّك من دمك فلا تجره في غير
أوداجك فانك متى تكلمت به أرقته وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها
فكذلك لا خير في لسان لا يملك سره (وقال آخر) كن على سرّك أحرص منك على
حقن دمك (وقالوا) سرّك أسيرك فان بذلته كنت أسيره (ابن نباتة السعدي)
من السر عن كل مستخبر * وحاذر في الحزم الا الحذر
أسيرك سرّك ان صنته * وأنت أسير له ان ظهر
(آخر)

ولا تخبر بسرك بل أمتنه * وصير في حشاك له حجابا
فما أودعت مثل القلب سرّا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا
(وقال) عمرو بن العاص ما وضعت سرى عند أحد وأفشاه فلمنه لاني كنت
أضيق صدر أمتنه حين استودعته اياه (وقال الشاعر)
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق
اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولا م عليه غيره فهو أحق
(وقال معاوية) الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنقل صداقة

فيذبح سره (شاعر)

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالفسرة
(وكان يقال) الكاتم سره بين احدي فضيلتين الظفر بمحاجته أو السلامة من
شر اذا عته (ويقال) أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يده لصديقه
(وقال آخر) كتمانك سر لك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر
على كتمان السر رأس من الندامة على افشائه (ابراهيم بن خفاجة)
لا تودعن ولا الجناد سريرة * فن الجوامد ما يشيرون ينطق
واذا المحك أذاع سراخه * وهو النصارى به يستوثق
(وقال الاحنف) أدنى اخلاق الشريف كتمان سره وأعلى اخلاقه كتمان
ما أسر اليه قال الشاعر

ولست بمبدل للرجال سريري * ولا أنا عن أسرارهم يسؤل
ولا أنا يوم المحدث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول
(آخر)

تبوح بسر كضيقابه * ونحسب كل أخ يكم
وكتمانك السر من تخاف * ومن لا تخافهم أحرم
اذا ذاع سر لك من مخبر * فأنت اذا لمته ألوم
(وقال كعب بن زهير)

لا تنفس سر ك الا عند ذى ثقة * أو لا فأفضل ما استودعت أسراراً
صدرا رحيبا وقلبا واسعا سمنا * لم تخش منه لما أودعت اظهارا
(وقيل) لا يمسلم الخراساني باي شيء أدركت ما أدركت قال اتزرت بالحزم
وارتديت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فادركت مرادى
وحزت ما في نفسي ثم أنشد

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في دمارهم * والقوم في غفلة بالشام قد ردوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتهبوا * من نومة لم يجهلهم أحد
ومن يدع غنما في أرض مضیعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

* (وأما المزاح وما ورد فيه عن إباحه ومن يجافيه) *

فبروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مزح استخف به (وقال آخر)
تجنب شوم الهزل ونكد المزاح فانهما يابيان اذا قهقما لم يغلقا الا بعد عسر
وخلان اذا القهقما لم يتجاعبا غير ضرر (وقالوا) المزاح يضع قدر الشريف ويذهب
هيبة الجليل (وقال) حكيم لولده يابى اباك والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه
ويحط من المروءة (شاعر)

الارب قول قد جرى من مباح * فسا ق اليه الموت في طرف الحبل
وان مزاح المرء في غير حبه * دليل على فرط الحماقة والجهل
(آخر)

اباك اباك المزاح فانه * يطمع فيك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا
(ويقال) أوكد أسباب القطيعة المزاح وان كان لا غنى للنفس عنه فليكن
بمقدار ما يحتاج الطعام من الملح كما قال أبو العباس البستي
أفد طبعك المكذوب بالهم راحة * براح وعلة بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيت المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح
(وقال) سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزاحك فان الإفراط فيه يذهب
البهاء ويجري السفهاء (ويقال) المزح أوله فرح وآخره ترح (شاعر)
امزح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزح تضاف به الى سوء الادب
لاتغضبن أحدا اذا ما زحته * ان المزاح على مقدمة الغضب
(أبو جعفر الطبري)

لى صاحب ليس يخلو * لسانه من جراح

يجيد تمزيق عرضي * على سبيل المزاح

* (الباب السابع في الذكاء وفيه ثلاثة فصول) *

* (الفصل الاول من هذا الباب) *

في مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان

قال ابن الأنباري في كتابه الذي سماه بالزاهر قولهم فلان ذكى معناه كامل
الفطنة ناقبها من قول العرب ذككت النار تذكو اذا زاد وقودها

(ويقال) مسك ذكي اذا كان طيب الريح (قال جميل)

صادت فوادى بعينها ومبتسم * مكانه حين أبدته لنا برد
عذب كان ذكي المسك خالطه * والزنجبيل وماه المزن والبرد

(فن) انشقت كائن مبانيه عما أخفته من زهرات معانيه فعطفت اليه قلب
شانه بعدما أنف أن يدانيه سعد بن ضمرة قالوا كان كثيرا ما يغبر على بلاد
النعمان بن المنذر وينقص أطرافها حتى عيل صبره وبداضره فبعث اليه
النعمان ان لك ألف ناقة حمراء على أن تدخل في طاعتي فوجد عليه وكان سعد
ابن ضمرة نحيفا قصيرا دميما وكان ملتفا بعبادة فلما رآه النعمان ازدراه
وقال لان نسمع بالمعدي خير من ان تراه فقال سعد أبيت اللعن ان الرجال
لا تكال بالقفران ولا بمسولة يستقي بهامن الغدران وانما المرء بأصغريه
قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل يجنان فقال له النعمان أنت
ضمرة بن ضمرة (ونظر) عمر بن الخطاب الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف
ملتف بعبادة فتركه عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب وذهب
فيه ذلك المذهب العجيب فلم يزل عنده في الذروة العليا الى أن عقده من
الرياسة على عميم ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا (قال) عبد الملك بن عير قدم
علينا الاحنف الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن
ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين أحنف ولكنه كان اذا تكلم
جلى عن نفسه سائر العيوب (خرج) عثمان رضى الله عنه من داره فرأى عامر
ابن عبد قيس على بابيه وقد ألقى رأسه بين ركبتيه وكان عامر شيخا دميما
أسعى فظا فانكره وأنكر مكانه فقال يا أعرابي أين ربك قال بالمرصاد فيقال
ان عثمان لم يفحه أحد غيره (ونظر معاوية) الى النحار بن أوس العدوى
الخطيب النسابة في عبادة في ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه فتبين
للهار ذلك في وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العبادة لا تكلمك انما يكلمك
من فيها وكمال الرجل آدابه لا ثيابه وأنشد

انى وان كنت انواي ملفقة * ليست بخزولامن نسج كان
فان في المجد همامي وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لسان

(وأراد) بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لثلاثة ثوبه وخسة
حاله وأبى أن يكلمه فقال مالكم باعبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتموني
لا طماری ولم تسألوني عن مكنون اخباري ثم أنشد

المري عجبتني وما كلمته * ويقال لي هذا اللبيب اللهزم
فاذا قد حنت زناده ووزنته * بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

(ودخل) كثير بن عبد الرحمن وكان بلقب بزب الز باب لقصره على عبد
الملك بن مروان في أول خلافته فاقصمته عينه ففهم عنه فقال كثير يا أمير
المؤمنين كل عند نفسه واسع الفناء شاخ البناء عالي السناء ثم أنشد للعباس
ابن مرداس

تري الرجل النحيف فتزدريه * وفي أتوا به أسد مضور
ويعجبك الطير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطير
بغاث الطير أطولها رقابا * ولم تطل البزاة ولا الصقور
خساص الطير أكثرها فراخا * وأم الباز مقلادة نزور
ضعاف الاسد أكثرها زبرا * وأضررها اللواقي لا تزير
وقد عظم البعير بغيراب * فلم يستغن بالعظم البعير
بصرقه الصغير بكل أرض * وينزله على الخسف الجرير
يتوخ ثم يضرب بالهراوى * ولا عرف لديه ولا نكير
فما عظم الرجال لهم بزین * ولكن زينههم كرم وخير

فقال عبد الملك قاتله الله ما أطول لسانه وأمد عنانه وأجر أجنانه فقال
اني لاحسبه كما وصف نفسه وأمر له بصله حسنة (وقال) أبو عبيد البكري
في لآئته ان كثيروا كان لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل
على عبد الملك يقول له حين يراه طأطأ رأسك لئلا يصيبه السقف ثم يكابه وفيه
يقول الحزبن الشاعر

قصير قميص فاحش عنديته * بعض قراد باسته وهو قائم

(وكان الجاحظ) واسمه عثمان بن محمد ميم الصورة قبيح الوجه ناقى العينين
يحكي عنه أنه قال ما أخلني أحد قط الا امرأة أخذت يدي وجلتني الى
نجا ووفات له مثل هذا ثم تركتني وانصرفت فبقيت متعجبا من أخذها لي مثالا

فسأت الصانع فقال ان هذه المرأة سألتني ان أصنع لها مثال شيطان تفرع به
ولدها فقلت لها اني لم أر شيطانا قط حتى أعمل على مثاله وطلبت منها مثالا
فقلت أنا أتيتك به فجاءني بك * وقرع عليه الباب يوما فخرج غلامه فسئل
عنه فقال ها هو ذا يكذب على ربه قبل له كيف ذلك قال نظرت في المرأة وجهه
فقال الحمد لله الذي خلقتني فأحسن صورتي لأنه كان اذا كتب وشي
حلل الطروس باقلامه واذا تكلم لفظ الدر من منثور كلامه (وفيه) يقول
أحمد بن سلامة الكتي بهجوه ويدكر قصه

لويصح الخنزير مسجنا ثانيا * ما كان الادون قبح الجاحظ
واذا المرأة جلت عليه وجهه * لم تحل مقلته بهامن واعظ

(وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء في جملة)

من كان مشتاقا الى منكر * فجعظة أنكر من منكر
لوعـ سـذب الله به ناره * أطفأها بردا ولم تزر
وأشد أعرابي

خبرتها أني محب لها * فأقبلت تضحك من منطقي
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان في قرطقي
فالت لها قولي لهذا الفقي * انظر الى وجهك ثم اعشقي

(لقي) أعرابي شيخ قبح الصورة فتاة حسناء فعرض عليها نفسه فأعرضت
عنه وقالت أمخادع غائل أم ركبك هازل قال بل لبيب عاقل محب مائل
فالت فـأصنع بك قبيحا فقيرا شيخا كبيرا قال أستمخ لفقرى ملوك كافي زول
وأصبغ شيبي حلو كافي حول قال فقالت فقبحك الام يؤل فولي عنها
وهو يقول

ترهي على بدلها وشبابها * وتقول لي يا شيخ أنت مخادع
قبح وافلاس وشيب شاسع * وطمعت فينا أخلقك مطامع
فاجبتها الافلاس يذهب الغنى * والشيب يذهب الخضاب البائع
فالت فقبحك ليس فيه حيلة * والقبح ليس له دواء نافع
يامدقها ما كان أصدق حجتي * لو كان يدفع قبح وجهي دافع
رجعنا (قال بعضهم) كنت بفناء الكعبة اذ مر بنا رجل ألع أرسح أخج

كان اتفه بعمرة أشد سوادا من است القدرة عليه ثوبان قطوبان
 فرأيت الناس يهرعون اليه من كل جانب يطلبون السبق في السلام عليه
 فقلت من هذا قالوا هذا سيد فقهاء الجواز عطاء بن أبي رباح وهو صفه آخر فقال
 كان أعورا فطس أشل أعرج ثم عي بعد ذلك (قال) عثمان بن عطاء الخراساني
 انطلقت مع أبي يزيد هشام بن عبد الملك فلما قربنا اذ ابشيع على جدار أسود عليه
 قيص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركاباه من خشب فضحكت
 منه وقلت لابي من هذا الاعرابي قال اسكت هذا سيد فقهاء الجواز عطاء بن أبي
 رباح فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته ونزل هو عن سماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا
 فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام فما استقربهما الجلوس حتى أذن لهما
 فلما خرج ابي قلت له حدثني ما كان منك قال لما قيل له هشام ان عطاء بن
 ابي رباح بالباب أذن له فوالله ما دخلت الا بسببه فلما رآه هشام قال مرحبا
 مرحبا ههنا ههنا ولا زال يقول له ههنا ههنا حتى أجلسه معه على سريره
 ومس بركبته ركبته وعنده اشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له
 ما حاجتك يا أبا محمد قال يا أمير المؤمنين اهل الحرمين اهل الله وجيران رسوله
 تقسم عليهم ارزاقهم وعطيائهم قال يا غلام اكتب لاهل مكة والمدينة
 بعطائهم وأرزاقهم لسنة ثم قال هل من حاجة غير هاتين يا أبا محمد قال نعم يا أمير
 المؤمنين اهل الجواز اهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام تردفيهم
 فضول صدقاتهم قال نعم يا غلام اكتب بأن تردفيهم فضول صدقاتهم
 هل من حاجة غير هاتين يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين اهل الثغور يردون
 من ورائكم ويقاثلون عدوكم تجرى لهم أرزاقهم فانه عليهم فانهم ان هلكوا
 ضاعت الثغور قال نعم يا غلام اكتب بحمل ارزاقهم اليهم هل من حاجة
 غير هاتين يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين اهل نمتكم لا يجي صغارهم ولا يتقنع
 كبارهم ولا يكلفون ما لا يطيقون فان ما يجيونه منهم معونة لكم على عدوكم
 قال نعم يا غلام اكتب لاهل الذمة بأن لا يكلفوا ما لا يطيقون هل من حاجة
 غير هاتين يا أبا محمد قال نعم اتق الله في نفسك فانك خلقت وحده وتوفيت وحده
 وتخشى وحده وتحاسب وحده ولا والله ما معك ممن ترى أحد فأكتب
 هشام ينكت في الارض وهو يكي فقام عطاء فلما كان عند الباب اذا رجل

قد تبعه بكيس لأدري ما فيه دنائير أم دراهم فقال إن أمير المؤمنين امر لك بهذا فقال لا أسألكم عليه أجزا أن أجرى الأعلى رب العالمين فوالله ما شرب عنده قطرة ماء

وأكثر ما يوجد الذكاء المفرط عند العميان
فإنهم عوزوا عن البصر سرعة الحفظ وبطء النسيان

كان قتادة بن دعامة أكنه وكان يقول لقائه سعيد بن أبي عروبة فجنب
بي الخلق التي فيها الخطا فانه ما وصل الى سمعي شئ فأداه الى قلبي فنسيه (ومن)
ولدا كنه بشار بن برد وكان رأس طبقة في الشعراء المولدين وهم أشجع السلي
ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأبو نواس وغيرهم وقال الشعر وله من العمر
أحدى عشرة سنة (ومنهم) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ومن عجيب
حكاياته أن أبازكر يا التبريزي كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عنده أهله
من تبريز فجاء حلقه أبا العلاء فسأل عنه فأخبر أنه غائب في بعض شأنه فقال
له أبو العلاء ما تريد به قال جئت برسالة من عند أهله فقال هاتها حتى نوصلها
اليه قال إنها مشافهة قال فامعناها حتى نوصلها اليه قال إنها بالفارسية
قال لا عليك أن تسمعناها ولا تسقط منها حرفا فأوردها عليه فلما جاء التبريزي
أخبر أن رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة من أهلك فقال لبيكم أخذتموها
منه فاني مشوق لما يرد من أخبارهم فقبل له أنه قال إنها مشافهة فتأسف
لذلك فلما رأى أبو العلاء تأسفه قال له لا عليك اني سمعتها منه وحفظتها ثم أملاها
عليه فجعل التبريزي يضحك مرة ويبكي مرة فسأله أبو العلاء عن ضحكك وبكائه
فقال نارة تخبرني بما يسرني فاضحك ونارة تخبرني بما يحزنني فابكي وعني
أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من جدري أصابه وقال الشعر وله احدى
عشرة سنة (ولبشار)

وعبرني الاعداء والعيب فيهم * وليس بهار ان يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والتقى * فان عي العينين ليس يضير
وأيت العمى أجزا وذنرا وعصمة * واني الى تلك الثلاث فقير
(ولعبد الله بن عباس)

ان يأخذ الله من عيني نورهما * فني قوادى وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فني صارم بالقول مشهور
ولبعضهم يتوجع

عزاكم أيها العين السكوب * وصبرك انما نوب تنوب
وكنتم كريمي وجمال وجهي * وكانت لي بك الدنيا طيب
واني قد شككتك في حياتي * وفارقتني من الدنيا الحبيب
على الدنيا السلام فالشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب

من اخترع من الاوائل حكمة بشاقب فكره
فكانت سببا لتنويه قدره وابقاء ذكره

(اردشير بن بابك) والمحترقات أربعة اثنتان في صدو الاسلام وهما الترد
والشطرنج واثنتان اسلاميان وهما النحر والعروض (فاما الترد) فوضعها
اردشير بن بابك وهو اول ملوك الفرس الاخيرة وأول من وضع الترد وضرربها
مثلا للقضاء والقدر وان الانسان ليس له تصرف في نفسه لا يملك لها نفعا
ولا يدفع عنها ضررا ولا يقدر ان يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعادا ولا شقاء بل هو
مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طور للنفع وطور للضرر وجعلها
أيضا تمثيلا للفظ الذي يناله العاجز بما يجري لديه من الملك والحرمان الذي
يبتلى به الخازم بما دار به عليه الفلك وضعها على مثال الدنيا وأهلها فرتب
الربعة اثني عشر يتابعدها شهور السنة والبروج وجعل القطع ثلاثين قطعة
بعدد أيام كل شهر والدرج التي هي لكل برج ثلاثين درجة ومعناها ان كل
ثلاثين درجة على سبعة أيام ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل لها
تشبيها فوضع وشبهها بالنير وصور فيها أربعة وعشرين يتابعدها ساعات
الليل والنهار في كل ناحية منها اثنا عشر يتاوصر لها ثلاثين كبا تشبيها بايام
الشهر ودرج الفلك ثم عمل قصين شبههما بالليل والنهار وتوصل الى اتصال
ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالقصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار فجعل
لكل فص ستة أوجه بكهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال
لانه عدده نصف وثلث وسدس وجعل في كل جهة من القصين سبع نقط تحت
الستة واحدة وتحت الخمسة ثنتين وتحت الاربعة ثلاثة تشبيها بعدد الايام
وعدد الكواكب السيارة وأنزلهما منزلة القضاء والقدر ثم جعلها محنة بين

ياض بالاحمل

رجلين أنزلهما منزلة الليل والنهار يشير الى أن الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير والشر فكما أن الانسان لا يعلم مما يرد ان عليه من خيرا وشرأ ونفع أو ضرر فكذلك لا يعلم ما يعطيه القصدان أو يسلبانه هل يكون غالبا أو مغلوبا اذ ليس له من الامر شيء وأشار فيها أيضا الى تقلب القدر بالانسان فتارة يكون شريفا ثم يكون مشروفا وبالعكس أو يكون فقيرا ثم يصير غنيا وبالعكس الى ما لا نهاية له من تقلب الاطوار في تغاير الاوطار (ولقد) أحسن السرى الرفاء في وصفها من أبيات

ومحكان على النقوس وربما * لم يحكما فيهن حكما عادلا
اخوان قدوسا على متنيهما * ممة تحت على البلد غوانلا
يلقاهما المرزوق سعدا طالعا * ويراها المحروم سعدا آفلا
فاذاهما اصطجبا على كف الفتى * ضراهما أو نفعاه نفعما عاجلا

(وأما الشطر نج) فان الفرس لما اقتضت بوضع الترد وكان ملك الروم يومئذ يلهي بوضع له رجل من الحكماء يسمى مصصة الشطر نج وضربها مثلا على أن لا قدر وان الانسان قادر بسعيه واجتهاده يبلغ المراتب العلية والخطط السنية وان هو أهملها صارت به من الخول الى الخفيض وأخرجته من روض العيش الاريض ومما جعله دليلا على ذلك أن السيدق ينال بصرته وسعيه منزلة الفرزان في الرياسة وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها درجات ومراتب وجعل الشاه المدبر الرئيس والفرس والفيل مر كويان له والفرزان وزيره والبيادق رعاياه فكما ان الواحد من الرعية اذا أعطى الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عون له على أن ينال رتبة الفرزان فكذلك الفرزان اذا علت همته وتمكنت قدرته طمعت نفسه الى نيل رتبة الشاه وقاتله وكذلك ما يليها من القطع (ويقال) في سبب وضعها ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه أخرجه الى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلم بموته فوضع لهم بعض حكماء الشطر نج وبين لهم فيها ما خفي عنهم من مكاييد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والتجدة والقوة والجلد والشجاعة والباس

فمن عدم شيأ من ذلك علم موضع تقصيره ومن أين أتى بسوء تدبيره لان خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف المهج والاموال واعلم ان في ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأي جالب للعطب والهلك والتقصير سبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع الى الانكشاف وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدي الملك فلما لعب بها قال الغالب للمغلوب شاه مات فقطن الملك للمراد وأمر أن يعزى بولده غمرة القواد (ويقال) ان صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له ~~مكون~~ سرها قال له اقترح ما تشتهي قال أن تضع حبة بر في البيت الاول ولا تزال تضعها حتى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطيني فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال كنت أظن بر جاحة عقلك وتوقد فكرك أن تطلب شيأ نفيسا فقال أيها الملك انك لما صرفتني الى التمني لم يحظر بيالى غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فانعم له الملك بما سأل وتقدم باحضار الحساب وأمرهم بحساب ذلك فاعملوا في بلوغ قصده مطايا الافكار حتى لاح لهم فهم صدقه فعرفوه بعد الانكار فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البرماني للعكيم بمراده ولو كانت الرمال من أمداه (وذلك) انهم وضعوا حبة في البيت الاول وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربعة وفي الرابع ثمانية وفي الخامس ستة عشر وهكذا ولولا خشية التطويل لذكرنا تضعيف عددها ونهاية مددها ولم اهتمل ذلك فاني وجدت بعض الخذاق حصرها بالاعداد الهنسية

ونظمها في بيت من الشعر فذكرت ذلك استحسانا لوجازته (فالييت)

ها واهبط وصفر بعده زجزه وثن صفرا وقل دد زود دحا

١٨٤٤٦٧٤٤ ٠٠٧٣٧ ٠٩٥٥١٦١٥

والعدد ١٨٤٤ ٦٧٤٤٠٠٧٣٧ ٠٩٥٥١٦١٥

(وقال السري) من الايات التي تقدم ذكرها في صفة الترديف الشطرنج وقد احسن في قوله

وكتبنا زيج وروم اذ يكا • • • • •
 في معرك قسم النزال بقاعه • • • • •
 لم يسفح فيه دما وكائنا • • • • •
 تبدى لعينك كلما عاينتها • • • • •
 قرنين جالا مقبدا ومخاتلا

فكان ذاصح يسير مقوما * وكان ذانشوان يحظر مائلا
فأعجب لها حرا باتيرا اذا التظت * فضل الرجال ولا تثير قساطلا

(وقالوا) ان اصل شطرنج شش رنك ومعناه ستة ألوان لان شش عندهم ستة
ورنك لون فكانهم قالوا ستة ألوان فالشاه لون والقرزان لون والقبيل لون
والرخ لون والقرس لون والبيدق لون (واما) ما اخترع في الاسلام فالنحو
والعروض (فاما النحو) فان علي بن أبي طالب رضى الله عنه هو الذى ابتكره
واخترعه (وقالوا) فى أصل وضعه له ان أبى الأسود الدؤلى كان ليلة على سطح
بيته وعنده بنت له فرأت السماء ونجومها وحسن تلوأ نوارها مع وجود
الظلمة فقالت يا أبت ما أحسن السماء بضم النون فقال أى بنية نجومها وظن
أنها أرادت أى شئ أحسن منها فقالت يا أبت انما أردت التعجب من حسنيتها
فقال قولى ما أحسن السماء فلما أصبح دعا على رضى الله عنه وقال يا أمير
المؤمنين حدثنى فى أولادنا ما لم نعرفه وأخبره بالقصة فقال هذا بمنى الطلة العجم
ثم أمره فاشترى صحفا وأملأ عليه بعد ايام اقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل
وحرف جاء المعنى وبجمله من باب التعجب وقال انم نحو هذا فكان ذلك اول
ما ألف فى النحو ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبى الأسود ان الاشياء
ثلاثة ظاهرة ومضمرة وشئ ليس بظاهر ولا مضمرة قال فجمعت منها الاشياء وعرضتها
عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان
ولم اه كرا كن فقال لى لم تركتها فقلت لم احسبها منها قال بل هى منها فزددتها
فيها ثم جاء بعد أبى الأسود ميمون الاقرن فزاد على ما ألفه أبى الأسود ثم تلاه
فى ذلك عنيسة بن معدان الذى يقال له عنيسة القليل فزاد فيه ثم جاء عبد الله
ابن أبى اسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزاد فى ذلك ثم الخليل بن أحمد
وكان على بن حمزة الكسافى رسم فى ذلك رسوما أخذها عنه الكوفيون ثم
أخذ ذلك سيبويه عن الخليل وكل من جاء بعده فنم بمركا به يغتفون ويتقدمه
عليهم يغتفون (واما العروض) فأول من اخترعه وابتدعه الخليل بن أحمد
وأبوه أول من سمي أحمدا فى الاسلام وهو أول من وضع العروض واستخرج
غرائبها واستنبط عجائبه وجعله ميزانا للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ
له من التفاعيل ثمانية أجزاء لا يخرج شعر موزون عنها صيرها له كالمناويل وهى

فعلون فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعلاتن مفاعلتن متفاعلن مفعولات
وهذه المئا قبل مركبة من سبب ووتد (فالسبب) نوعان خفيف وثقيل
فالخفيف متحرك بعده ساكن نحو ما وهل والثقيل متحرك كان نحو لم وجم
اذا سألت (والوتد) نوعان مجموع ومفروق فالمجموع متحركان بعدهما ساكن
نحو دعا ورمى وسعى والمفروق متحركان بينهما ساكن نحو كيف وجعل
البيت الشعر مثال بيت الشعر لان البيت من الشعر لا يقوم الا بالاسباب وهي
الاطناب والاولاد التي تضرب في الارض وتربط فيها الاطناب فيقوم البيت
وانما مثل ذلك لان في الشعر حر وفامضطربة يطرأ عليها الزحاف فسميت أسبابا
لاضطرابها تشبها بأسباب البيت الشعر وفيه حروف ثابتة لا يطرأ عليها
الزحاف فسميت أولاد الثباتها * والى ما قصده الخليل في هذا التمثيل أشار
أبو العلاء المعري في قوله

والحسن يظهر في شئين رونقه * بيت من الشعر أبيت من الشعر
ويفسر الناس هذا البيت بأن بيت الشعر يحتوي على المعاني كاحتواء بيت
الشعر على الصور وسمى نصف البيت الاول صدرا والنصف الاخير عجزا
وأخر جزء في الصدر عروضاً وآخر جزء في العجز ضرباً * وحصر أقسامه
في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر جزءا وهي المختلف والمؤتلف
والمختلف والمشتبه والمتفق (فالطويل) وهو أصل دائرة المختلف مبني على
فعلون مفاعيلن ثمانية أجزاء وسمى طويلا لانه أكثر الشعر عددا حروف
وعدد حروفه سبعة وأربعون حرفا وربما كان مصدرا فجاء على ثمانية وأربعين
حرفا (والمديد) وهو مبني على فاعلاتن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمي مديدا
لامتداد سببه فصا سبب في أول جزء ابتدائه وسبب في آخره (والبسيط)
وهو مبني على مستفعلن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمي بسيطا لان بساط
الابواب في أول أجزاءه في الدائرة وهن يفككن من دائرة المختلف (والوافر)
وهو أصل دائرة المؤتلف وهو مبني على مفاعلتن مفاعلتن فعل ستة أجزاء
وسمى بذلك لانه استوفى عدد أجزاءه في الدائرة فهو موفور الحركات ناقص
الحروف (والكامل) وهو مبني من متفاعلتن متفاعلتن ستة أجزاء وانما
سمى بذلك لكمال أجزاءه وحركاته وحروفه ولم ينقص منه شيء كما نقص

من الوافر ومنها انه جاء على اثنين وأربعين حرفاً منها ثلاثون متحركات فلما
كثرت حركاته وزادت على سائر الأجناس سمي كاملاً وهما يفكان من دائرة
المؤتلف (والهزج) وهو أصل دائرة المجتلب وهو مبني على مفاعيلن مفاعيلن
سنة أجزاء وهو مشتق من هزج الصوت وهو التردد لانه يتوالى في آخر كل جزء
سبيان فتواليهما هو الهزج (والرجز) وهو مبني على مستفعلن مستفعلن
سنة أجزاء سمي بذلك لأن في كل جزء منه سبعين فهو مربع لا يضطرب به والرجز هو
أن تتحرك قوائم البعير مرة ونسكن أخرى (والرمل) وهو مبني على فاعلاتن
فاعلاتن ستة أجزاء وهو مشتق من السرعة في السير وهن يفكان من دائرة
المجتلب (والسريع) وهو أصل دائرة المشتبه وهو مبني على مستفعلن
فاعلاتن ستة أجزاء وسمي بذلك لسرعته على اللسان (والمنسرح) وهو
مبني على مستفعلن مفعولات ستة أجزاء سمي بذلك لان سرعته في سهواته
(والخفيف) كالرمل في السرعة وانما غوير بينهما في التسمية وهو مبني على
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ستة أجزاء (والمضارع) وهو مبني على
مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن ستة أجزاء وسمي بذلك لمضارعة الهزج وقبل
المجتث وقبل المنسرح وقبل الخفيف ولكل قول من هذه الأقوال حجة
مذكورة في كتب العروض يضيق عنها الوقت ويفوت الغرض المقصود
في هذا الكتاب (والمقتضب) وهو مبني على مفعولات مستفعلن ستة
أجزاء سمي بذلك لانه اقتضب من المنسرح وقبل من السريع (والمجتث)
وهو مبني على مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وسمي بذلك لانه اجتث
من الخفيف كما اقتضب المقتضب من المنسرح وهن يفكان من دائرة
المشتبه (والمقارب) وهو رب دائرة المتفق لا يشركه فيها غيره وهو مبني
على فعول ثمانية أجزاء وسمي بذلك لتقارب أوتاده من أسبابه لانه سبب ووتد
ووتد وسبب فأسبابه كأوتاده وأوتاده كأسبابه (وزاد الاخفش) بجزء آخر
وسماه الخب وهو مبني على فعول ثمانية أجزاء وهو عند الخليل غير
مستعمل ويسمى المتدارك والمخترع ورر كفن الخليل وهو والتقارب
يفكان من دائرة المتفق (نادرة) حكى أن الخليل كان له ولد جاف فدخل
عليه يوماً فوجد أباه قد أدخل رأسه في حب وهو يقطع بيت شعر فخرج صارخاً

قوله على مستفعلن
فاعلاتن الخ صوابه
على مستفعلن
مستفعلن مفعولات
الخ كما هو ظاهر اه

قوله على فعول الخ
الاولى على فاعلن
لانه الاصل اه
معجمه

يقول أدركوا أبي فقد جن فدخل اليه أصحابه وأعلموه بما قال ولده فانشد مخاطباً له

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلت أنك جاهل فعذرتك

ومن يبدع فصاحة البلغاء وصنيع بلاغة القصصاء
في وصف ذي الذهن الوفاة والطبع السليم المنقاد

وصف بعض البلغاء ذكياً فقال فلان يعلم من مفتتح الامر خاتمة ومن يديه عاقبة فلان له بصيرة حاضرة وروية مستأمره كل علم في سكتاته وكل دهاء في حركاته فلان له رأى كاهن وطنة منجم متى حصل في عارض مشكل وأمر معضل دله فؤاده على الهداية وأتمنه من الجهالة والغواية فلان عنده مشكل الامر مشكول أخذه من قول حبيب يرى الحادث المستعجم الخطب معجماً * لديه ومشكول اذا كان مشكلاً (ولعنان جارية الناطقي في جعفر بن يحيى)

بديته وفكرته سواء * اذا اشتبهت على الناس الامور
وصدرفيه اللهم اتساع * اذا ضاقت من الهم الصدور

(وصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدرفيه ألف قلب (وصف) مهمل بن هرون رجلاً فقال ما رأيت أكثر فهماً بالليل ولا أحسن تفهماً للقيق منه (وصف) الباخرزي أطر وشا يفهم ما يكتب له على ظهر الكف فقال اذا خط له صاحب عرض يئنه على ظهر كفه وقف على المراد ورضى نيابة البنان عن الانبوب المغموس في المداد حتى كأن لكل شعرة من يده واعيام صغياً بأذنه وذلك لعمري كالرقم على بساط الماء بالخيال أو كالتنقش على قائم الهواء بالهباء ومن عجيب أمره انه في الصمم بحيث أقول في غيره

وأصلح في منفذ سمعه * صمام من الصمم المطبق
فلو تنفخ الصور في عصره * لا قلت حيا ولم يصعق

(وصف) اليوسفي غلاماً بالذكاء فقال كان يعرف المراد باللفظ كما يعرفه باللفظ ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر أقرب الى داعيه من يد متعاطيه

حديد الذهن ثاقب الفهم يغنيك عند الملامة ولا يحوجك الى الاستزادة
 (قال أبو نواس) يصف نفسه في محبة مخدومه بالذكاء
 اذا جعل اللفظ الخفي كلامه * جعلت له عيني لتفهمه اذا
 (وقال) الشريف ابن طباطبا يمدح صاحباه بهذه الصفة
 لي صاحب لا غاب عني شخصه * أبدا وظلت تمتعاً بوداده
 فطن بما يوحى اليه كأنما * قد نبط هاجس فكري بفؤاده
 وكل الناس الاذكياء عيال على زياد بن أبيه (حكى عنه) انه كان يوماً جالساً في
 مجلس عمر فأملى عمر على كاتبه كتاباً سرافكتب الكاتب خلافه فقال زياد
 يا أمير المؤمنين انه كتب غير ما أمليته فتناول عمر الكتاب فوجد الامر كما قال
 زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجلاً فبك وحركة قلبه فلم أر
 بينهما اتفاقاً

(الفصل الثاني من الباب السابع)

في ذكر داهية الاذكياء البديعة وأجوبة تفهم المفهمة السريعة

(قالوا) البديهة قدرة روحانية في حلقة بشرية كما أن الرؤية
 صورة بشرية في حلقة روحانية (ويقال) بالاحسان في البديهة تفاضلت
 العقول (ويقال) ميسور الرأي عند البديهة خير من الاطناب بعد
 الفكرة (فمن أبدع) في بديته من الفضلاء من غير ما سؤال ولا ابتلاء
 (أبو نواس) وذلك أنه اجتمع ندماء الاثمين في مجلس أنس وخلاعة وهو فيهم
 فخرج عليهم الاثمين في زينة مخمورا والجواري يحملته على سرير فلما
 رآه أبو نواس قال ان آية ملكه أن يأتيهم كم التابوت فيه سكينه من ربكم
 وبقيته مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فله حسن انتزاع
 هذا الرجل ما أبدعه وأبرعه وفكره ما أصدعه وأسرع له قد جاوز شأوا
 الاختراع في الانتزاع وتعدى الغاية وصرف العقول لاسـتـهـسان ما أشار
 اليه بهذه الآية لان أباه هرون الرشيد وعمره موسى الهادي وهو وارثهما
 (وصعد) سليمان بن عبد الملك يوم جمعة المنبر ويقال الوليد وعليه أكثر
 المؤرخين فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قالوا البيعة يا أمير المؤمنين فأمر
 بهدمها فهدمت فبلغ ذلك ملك الروم فكتب اليه ان هذه البيعة أقترها من

كان قبلك فان كانوا اصابوا فقد اخطأت وان تصكن اصبحت فقد اخطوا
فسأل سليمان من خواص دولته الجواب فأعياهم فقال القرزدي عن اذن
أمير المؤمنين قال قل قال يكتب اليه ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
فسر بذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم (وخطب) قتيبة بن مسلم على منبر
خراسان عندما قدمها واليا فسقطت العصا من يده فتطير من ذلك فقام بعض
الاعراب فسخها وناولها اياها وقال أيها الأمير ليس كما ظن العدو وساء
الصديق ولكنه كما قال الشاعر

فألفت عصاها واستقر بها النوى * كما قرعينا بالاياب المسافر
فسرى عنه ما كان وجده من الغم وأمر له بخمسة آلاف درهم (وخرج)
طاهر بن الحسين لقتال علي بن عيسى بن ماهان وفي كنه دراهم يفرقها على
الضعفاء وسها انهما في كنه فأسبل كنه فتبددت فتغير لذلك وتطير منه فانشده
شاعر كان معه

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابها منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروقه * لا خير في امساكه في الكرم
(ودخل) أبو الشعمق واسمه مروان بن محمد على خالد بن يزيد بن مزيد
الشياني وقد قلده المأمون الموصل فلما دخل الموصل مر ببعض الدروب
فاندق منه اللواء في بعض أبوابها فتطير خالد من ذلك فقال أبو الشعمق يسليه
عن الطيرة

ما كان من دق اللواء لطيرة * تخشى ولا سوء يكون مجلا
لكن هذا الرمح أضعف منه * صغر الولاية فاستقل الموصل
فسرى عنه ما كان وجده وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك فزاده ديار
ربعة فاعطى خالد أبو الشعمق عشرة آلاف درهم
(ومن سئل من الاذكياء فأجاب وأنت سرعة بديته بالشئ العجيب) *
ما يحكى أن المأمون دخل يوماديواته فربغلام جيل على أذنه قلم فأعجبه حسنه
فقال من الشاب فقام وقال الناشئ في دولتك والمؤمل لخدمتك والمتقلب
في نعمتك الحسن بن رجا فاستحسن كلامه وأمر له بمائة ألف درهم
(ودخل) محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون فسلم فقال من أنت قال

سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك فاجبته وسأله عن
 حاجته فقضاها له (وقال أبو عبادة البصري) دخلت يوما دار الفتح بن
 خاقان فوجدت الشعراء في دهلزداره وبينهم صبي صغير السن قصير القامة
 فقلت ما أنت باعلام فقال شاعر فتبسمت بحبامته ثم قلت أجز
 ليت ما بين من أحب وبينى قال من البعد أم من القرب قلت من القرب فقال
 مثل ما بين حاجبي وعيني فقلت فان أردناه من البعد فقال
 مثل ما بين ملتقى الخافقين فأخذت يده وأوصلته الى الفتح وأخبرته بما دار بيني
 وبينه فعجب منه وأجازه (لام السفاح) خالد بن برمك على كثرة عطائه وصلاته
 فقال له خالد لم أرى شكري يحيط بنعم أمير المؤمنين فاستعنت بالسنة الناس
 عليها (ومثلها) ما حكى ان الواثق قال يوما لاجد بن أبي دواد وقد فجز من كثرة
 حوائجه يا أجد قد أخلت بيوت الاموال من افراطك في الطلب للأئذين بك
 فقال يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك ومالى
 من ذلك الا عشق اتصال اللسان بخلود المدح فيك فقال الواثق والله يا أبا عبد
 الله ما منعنا ما يزيد في عشقك ويقوى من همتك وأمره ان يجري على عادته
 في عرض حوائجه (وكان) الفضل بن يحيى يرسل الى القاسم بن اسحق البصرى
 مع جوائزه رقاعا محتومة فيرد الجواب برقاع منشورة فنقم عليه وكره ذلك منه
 فكتب اليه القاسم رقاعا تشتمل على بر ورقاعى تشتمل على شكر فانت فكم
 برلوانا انشر شكرى فكل منافع ما وجب عليه وندب اليه (وقد) حاجب بن
 زرارعة على باب كسرى وكان قد منع تميم ريف العراق فقال لحاجبه قل للملك
 ان بالباب رجلا من العرب يريد الوفود عليك والمثول بين يديك فاعلم الحاجب
 كسرى بما قال فاذن له فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال سيد العرب قال
 ألسن القاتل للحاجب انك رجل من العرب قال نعم قلت ذلك قبل وصولي
 اليك ومثولى بين يديك فلما وقف تشرفت بخدمتك وحظيت برويتك
 فقد صرت سيد العرب فقال كسرى زه وأمر أن يحشى فيه جواهر ورمى اليه
 وسادة تكرمه له فأخذها ووضعها على رأسه فتقامر عليه من كان حاضرا
 من المراقبة واستجمل فقال له كسرى ليس هذا مكانها انما هي للجالوس عليها
 فقال علمت أيها الملك والى كنى لما رأيت عليها صورتي انما هي لوضعها على

أشرفه أعضائي ليتسرف بها فقال كسرى زه وأمر أن يسود فسود (وروى كبير) راكبا ومحمد بن علي الباقر رضي الله عنه يمشي معه فقيل اترك محمد يمشي فقال هو أمرني بذلك فطاعني له في الركوب أفضل من عصياني له في المشي (ودخل) عدى بن أرطاة على شرح القاضى فقال انى رجل من أهل الشام قال بعيد - حقيق قال وانى قدمت بلدكم هذه قال خير مقدم قال وانى تزوجت قال بالرفاء والبنين قال وان امرأتى ولدت غلاما قال يهنوك الفارس قال وقد كنت شرطت لها صداقا قال الشرط املك قال وقد أردت الخروج بها الى بلدى قال الرجل أحق بأهلك قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك (ودخل) عروة بن الزبير يستأجر العبد الملك بن مروان وقد فتحت ازهاره واينعت ثماره وبسقت اشجاره واطردت انهاره وتغردت اطياره فقال له عبد الملك ما أحسن هذا البستان فقال أنت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤى أكلك كل حين (وقف المنذر) على عجوز من العرب فقال ممن أنت قالت من طيئ فقال ما منع طيئا أن يكون فيهم مثل حاتم قالت الذى منع الملوكة أن يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها وامر لها بصله (وركب الرشيد) وجعفر بن يحيى يسيره فرأى الرشيد فى طريقه اجمالا مقبلة فسأل عنها فقيل له هدايا خراسان بعث بها على بن عيسى بن ماهان وكان الرشيد ولاده اياها بعد الفضل بن يحيى فقال الرشيد لجعفر أين كانت هذه ايام اخيك قال فى منازل اصحابها يا امير المؤمنين (نادرة) ولى المنصور سليمان بن راشد الموصل وضم اليه ألفا من العجم وقال له قد ضمنت لك ألف شيطان تذلل بهم الخلق فلما أتى الموصل عاثوا فى البلاد وقطعوا السبل فاتته خبرهم الى المنصور فكتب اليه أكرمت النعمة يا سليمان فأجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل المنصور وعذره وصرقهم عنه (وقال المتوكل) لابي العيناء ما أشد ما مر عليك فى ذهاب بصرك قال فوت رؤيتك يا امير المؤمنين (وحكى) أن الحجاج طاف ليله فظفر برجلين سكرانين فقال من أنتم فقال احدهما

انا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فتهم قيام حولها وقعود

وسأل الآخر فقال

أنا ابن من ذلك الرقاب * ما بين مخزومها وهاشمها
تأنيه بالرغم وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبيهما فإذا أبو الأقرن باقلا في وأبو الآخر حجام فقال
الحجاج أطلقوهما لانيهما لالتسبهما لئن أخطأ النسب فإخطأ الأدب (وقد)
أخذ بعض الشعراء قول الثاني فقال يمدح حجاما في معرض التهكم
والاستهزاء

أبوك حر الجاد عاتقه * كم من كى أدى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يس من نأثر على وجل

* (ومن رشق من الفهما بسهام المقال فزبرها بعارضة أحد من النصال) *

عروة بن الزبير وذلك أنه دخل على عبد الملك بن مروان يوما فلما استقر به
المجلس تجاذب المجلساء اذبال المذاكرة وتساقوا كواب المحاورة فذكر
أخاه عبد الله فقال كان أبو بكر يفعل كذا وكذا وكان أبو بكر يقول كذا
فقال له إنسان تكنيه عند أمير المؤمنين لا أم لك فقال الى يقال لا أم لك
وأنا ابن عمار الجنة يعني ان صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم جدته وعائشة أم المؤمنين خالته واسماء ذات النطاقين امه (ودخل)
شاب على المنصور فسأله عن والده فقال مرض والذى رجه الله يوم كذا ومات
رجه الله يوم كذا وتركت من المال رجه الله كذا فانتهره الربيع وقال بين يدي
أمير المؤمنين توالى بالدعاء لايك فقال الشاب لا ألومك يا ربيع لانك لم تعرف
حلاوة الالباء فضحك المنصور ونجل الربيع وذلك ان الربيع كان مولى للمنصور
لا يعرف له اب (قال أبو الفرج الاصفهاني) كان الربيع يدعى أنه ابن يونس بن
أبي فروة وبنو فروة ففعلوا ذلك ويرغمون انه لقيط وجسد منبذوا وكفله يونس
فلما كبر وهبه يونس للمنصور قبل الخلافة فلما ولي الخلافة جعله حاجبا ثم جعله
وزيرا وقال ابن عبدوس الجهمي ساري هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة
واسم أبي فروة كيسان مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان وكان يونس
شاطرا بالمدينة فعلق أمة قوم بالمدينة ووقع عليها فجاءت بالربيع فاستعبد

له الامير عن أنت قال من نعيم قال الذين يقول فيهم الشاعر
 نعيم بطرق اللوم أهدي من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
 (أخذت امرأة) في زنا فطيف بها على جل فقال لها بعض الجحان كيف خلقت
 الحاج قالت بخير وكانت أمتك في النفر الاول * وقال رجل للفرزدق كيف
 عهدك بالحر قال منذ ماتت عجوزك * وقال عبد الله بن طاهر لرجل ما بال
 شذلك معوجا قال عقوبة عاقبتني الله بها الكثرة ثاق عليك بالباطل (اجتمع)
 أبو حنيفة النعمان بن ثابت وشيطان الطاق ابراهيم بن هرون عند المهدي
 بعد موت جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه وعن آباءه فقال أبو حنيفة
 لشيطان الطاق بعرض به مات امامك فقال له أبشر فان امامك من المنظرين
 الى يوم الوقت المعلوم فقال المهدي لله درك لقد أجدت وأمر له بعشرة
 آلاف درهم * وما زح المتوكل أبا العيناء فقال هل أبصرت طالبا حسن
 الوجه فقال يا أمير المؤمنين وهل يسئل اعشى عن مثل هذا قال انما سألتك
 عما سلف اذ كنت بصيرا قال نعم رأيت منهم يغدا منذ ثلاثين سنة فتى
 مارأيت أجمل منه ولا لطف شمائل قال المتوكل نجده كان مؤجرا ونجده
 كنت قوادا عليه قال أبو العيناء وتفرغت لهذا يا أمير المؤمنين اتراني كنت
 ادع موالى وأقود على الغرباء قال اسكت يا مأمون قال مولى القوم منهم
 قال المتوكل كل أردت ان اشتقى منهم به فاشتقى لهم منى (وقال رجل لمغنية)
 اشتهى ان أقتلك قالت ولم قال لانك زانية قالت فكل زانية تقتل قال نعم
 قالت فابدأ بمن تعول * لقي خالد بن صفوان الفرزدق وكان كثيرا ما يداعبه
 وكان الفرزدق دميما فقال له ايا فراس ما أنت بالذى لما رأيته أكبره وقطعن
 ايديهن فقال الفرزدق ولا أنت أبا صفوان بالذى قالت الفتاة لا يها في حقه
 يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (رأى أبو نواس) غلاما
 جيل يعيش في بعض السكك فقال له ما تصنع الحور بين الدور فقال الصبي
 ما يصنع الشيطان بين الشيطان (وحبس) عمرو بن العاص عن جند العطاء
 فقام اليه رجل جبري وقال أصلم الله الامير اذ لم تعطنا شيئا فأتخذ جندا
 من حجارة لا يأكلون ولا يشربون فقال له عمرو واخسأ يا كلب فقال الجبري
 ان كنت كما ذكرت فانت اذن أمير الكلاب

* (ومن تهكم في خطابه واعتمد الهزل في جوابه) *

ما حكى ابن خالد بن الوليد لما قدم اليامة نزل عسكره على قصر من قصور الحيرة يقال له قصر بني بقرية فسألهم أن يعنوا له رجلا من عقلائهم وذوي انسابهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقرية فاقبل يدب في مشيه فقال خالد بعثوا اليينا شيئا لا يفهم شيئا فلما وصل اليه قال أنعم صبا فقال خالد ان الله اكرمنا بتحية خير من هذه ثم قال له أين اقصى أثرك قال ظهر أبي فقال من أين خرجت قال من بطن أمي قال علام أنت قال على الارض قال قيم أنت قال في ثيابي فقال له تعقل قال نعم واقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شيء لقتلني قال كم سنك قال ست وثلاثون قال خالد ما رأيت كالذيوم أسألك عن شيء وتجيبني عن غيره قال ما أجبتك الا عما سألت قال كم عمرك قال ثمانمائة وخمسون سنة فجعل لا يسأله عن شيء الا اجابه (وقال الحاج) لرجل من الخوارج أجمعت القرآن قال ما كان مفترقا فاجعه قال اذ تحفظه قال ما خشيت فراره حتى أجفظه قال ما تقول في أمير المؤمنين قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملى وتلقاه بدعى (وكان المنصور) قد ألزم الناس بلباس قلائس طوال وان يطيلوا جائل سيوفهم وان يكتبوا عليها فسيكفيهم الله وهو السميع العليم وذلك في سنة خمس وخمسين ومائة وفي هذه السنة وفد الشافعي رضي الله عنه فدخل عليه (١) أبو دلالة واسمه زيد بن الجون في هذا الزى فقال له كيف أنت يا أبادلالة قال كيف حال من صار وجهه في وسطه وسيفه في استه ونبت كتاب الله وراء ظهره فضحك منه وأمر بتغيير ذلك الزى (وماتت) حمادة بنت عيسى عمه المنصور فخرج في جنازتها قرأى أبادلالة واقفعا على شفير قبرها فقال ما أعددت لهذه الحفرة يا أبادلالة قال عمه أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة فتدفن فيها فغلب المنصور الضحك حتى ستروجه به بطرف رداءه حيا من الناس (قال فتى لايه) زوجني قال أو تحسن أن تعمل قال نعم أقيم ابري وأسدد طعني وألصق عانتى واشد ضمي فقالت امه لايه تعلم أسخن الله عينك من ابني فديته (عرض رجل) يقال له أبو البقر وكان نظريفا مطبوعا ماجنا على موسى بن عبد الملك فقال والله ما اعرف هذا فقال والله انك لا اعرف به من

(١) اى على المنصور

الترك باليوم والغزاة باليوم والعرب بالشيخ والقيصوم ولكنك ضجرت ضجر
الحب من الرقيب فقال أنت أبو البقر قال أنا أبو القوم الذين بين يديك فضحك
منه وقضى حاجته (وتعرض) أبو العير للمتوكل والمتوكل مشرف من قصره
الجعفرى وقد جعل في رجله قلتسوتين وعلى رأسه خفا وجعل سراويله قميصا
وقيصه سراويل فقال للمتوكل على بهذه المنلة فلما مثل بين يديه قال له انت
شارب قال لا بل عنفة يا امير المؤمنين قال انى أضع رجلك فى الادهم وانفك
الى فارس قال ضع رجلى فى الاشهب وانفنى الى وابل قال اترانى فى قتلك
ماثوم قال لا بل ما بصل يا امير المؤمنين فضحك منه ووصله

* (ومن ليم على قبيح فعالة فسدده بمغالطات مقالة) *

ما ذكر ان رجلا كان له أرض الى جانب أرض رجل آخر فكان الرجل
ينسج كل سنة قطعة منها الى أرضه فقال له يوما ما هذا النقصان فى أرضي
والزيادة فى أرضك قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال فمن أين أتيت النقص
قال يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسوكم (وسئل) بعض
الوعاظ لم تنصرف أشياء فلم يفهم ما قيل له فقال لسائله يا هذا اقتف آثار
المهتدين ولا تسأل سؤال المهلدين أما سمعت قول من يحيى الموتى ويميت
الاحياء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء لقد ارتكبت بمخالفتك ذنبا
عظيما فاستغفر الله ان الله كان عفورا رحيم (وقرأ قارى) فى روضة تحبزون (١)
فقال ما جن خشك ارام حوارى فقال ما اراد وافقها ما تشتهى الانفس
وتلذذ الاعين (وقال) يحيى بن اكرم لشيخ من أهل البصرة بمن اقتديت فى تحليل
المتعة قال بعمر بن الخطاب قال يحيى كيف هذا وعمر كان اشد الناس فيها لان
الخبر الصحيح أتى عنه انه صعد المنبر فقال الله ورسوله احل لكم متعتين واني
محرمهما عليكم واعاقب من فعلهما قال فحن نقبل شهادته ولا نقبل بحريمه
(وحكى) ان الفضل بن الربيع قال كنت اقرأ كتابا وورد على والى جاي رجل
مدنى ينظر فيه فقلت له ما تصنع ويحك قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من نظر فى كتاب اخيه المؤمن بغير اذنه فكأنما اطلع فى النار ولنا
اشياخ تقدمونا فأردت اعرف اين مكانهم منها فاشغلنى الضحك منه عن

(١) أى جعل
على الماء نقطة
وعلى الرائحة نقطة
هـ

الانكار عليه (ولما) قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير رنجت مكة بالبكاء
فامر الحجاج الناس ان يجتمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
وقال يا أهل مكة بلغني بكاءكم على ابن الزبير وكان من اخبار هذه الامة حتى
رغب في الخلافة ونازع أهلها فيها فلعل طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان
شيأ مانعا للعصاة لنت آدم عليه السلام حرمة الجنة لان الله خلقه بيده ونفخ
فيه من روحه وأمسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة
بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنسة أكبر حرمة من الكعبة
(وجلس نحوي) الى جانب منبر واعظ فلحن الواعظ فقال له التحوي أخطأت
بالجنسة فقال الواعظ بديها أيها المعرب في أقواله اللاحن في أفعاله مالى
أراك نائمنا كرا أكل ذلك لانك رفعت ونصبت وخفضت وجزمت
هل ارفعت الى الله بيدك في جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الملمات
وخفضت نفسك عن الشهوات وجزمتها عن اتباع المحرمات أو ما علمت
انه لا يقال يوم القيامة ألا كنت فصيحاً معرباً وانما يقال لك لم كنت عاصياً
مذنبا فلو كان الامر كما زعمت والخطب كما حكمت لكان هرون أحق بالرسالة
من موسى اذ قال الله تعالى اخبارا عنه واخى هرون هو أفصح مني لسانا
فجعل الرسالة في موسى لفصاحة تبيانه لالفصاحة لسانه فالفصاحة فصاحة
الجنان لفصاحة اللسان ثم أنشد

مجازف في الفعال ذوزلل * حتى اذا جاء قوله وزنه
قال وقد أعجبته لفظته * نيا وعجبا أخطأت بالجنه
فقلت أخطأ الذي يقوم غدا * ولا يرى في كتابه حسنه
(ومن أطرف ما قيل)

يا مدلى الناس باعرا به * أى فاحذروني اننى ملسن
ان كان في أقواله معربا * فانه في فعله يلحن

(نظر رجل) الى مخنث يتفح لحيته فعنفه فقال له أنتحب أن يكون في استك
قال لا فقال شئ لا تحبه أن يكون في استك كيف احب ان يكون في وجهي
(وقيل لمخنث) لم تتفح لحيته فقال لسانه وانت أيضا لم لا تتفحها * وسمع
بعضهم قارئاً يقرأ الاكراشد كقراونفا فقال له ويحك انما هي الاعراب

فقال كلهم يقطعون الطريق عليهم لعنة الله وسخطه

* (الفصل الثالث من الباب السابع) *

فمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

(ينبغي لنا) أن نذكر مقدمة تنبع عنها حقيقة ما ترجنا عليه وساقنا الغرض اليه وهي أن الانسان اذا كان ذا فكر ثاقب وقرينة وقادة ربما تشكل له فيها خيالات وهمية وأمور خدسية تؤيدها اصابات اتفاقية خرافات للعوائد الفعلية كالحقيقة اذا زاد شعاع باصرها عن حد الاعتدال ربما أدركت من المراتب ما لا يمكن العبارة عنه فكان كالنقص والاختلال وكذلك السمع أيضا من شدة حادة الحاسة ربما عرض له طنين لكثرة ما يبعي من السمعات كما قلنا في ادراك حدة البصر من المراتب فتقرطس سهام تلك الخيالات الفكرية أعراض الاقدار ولا يعلم صاحبها أن الله أجراها بإرادته شريكي عنان عبرة لاولي البصائر والابصار فن لم يجعل الله له نورا فادته فرغمة طبعه الى القول والعناد وحسنت له أن يتصف بغير صفات العباد أو يقول أن السعادة اذا كانت مناطة بأفعال الانسان في حركاته وسكناته مساعدة له في سائر حالاته حتى انه اذا باشر متعسرا تيسر أو صعبا هان أو شديدا الان ربما سوت له خيالات شيطانية ان تلك الأفعال انفعلت بقدرته لا بالقدرة الالهية فتخرج النفس بدعاويها عن صفاتها البشرية واطوارها الطينية كما فعل النمرود وفرعون ومن تابعهما بتخيلاتهم الفاسدة من أصحاب المقالات وأرباب المحالات وكل منهم عبد صنم هواه فأضلوه وأغواه ورفاه يدعواه أصعب مرتقى فهو يبه الى أسفل دركات الشقا * (فهم) ممن نازع الله رده فاشمت به مخالفيه وأعداه المقنع الخراساني واسمه عطاء وكان أعور قصارا من أهل مرو وكان لا يدع القناع عن وجهه لئلا يرى قبحه وكان يعرف بسرعة السحر والتبرنجيات والهندسة وكان أصل معتقده الحلول والتناسخ فادعى الربوبية في قومه فتابعوه وقالوا بقوله واسقط عن تبعه الصلاة والزكاة والصوم والحج (فن) مفصل أباطيله أنه زعم أن الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا حل في آدم ثم من آدم في نوح ثم الى صورة بعد صورة من صور الانبياء والحكماء حتى وصل

الى صورة أبي مسلم الخراساني فخل فيها ثم منه اليه فعبده قومه وقاتلوا
دونه واتخذ وجهها من ذهب لثلاثي قبح وجهه فلا يعبد ولهذا سمي المقنع
* وكان ظهوره في خلافة المهدي وحيد بن قطبة والى خراسان
يومئذ واشتدت شوكته ودامت قنته أربع عشرة سنة وكانت بما وراء النهر
بنواحي الصغد وابلاق وما داناها من بلاد الترك ولما تآدى أمره أنفذ اليه
المهدي عسكرا فقاتله فكانت الحرب بينه وبين جموعه سجالا فلما أحس
بالغلبة صنع له أخدودا من نار وألقى نفسه فيه وقبل أمر أن يغلى له سكر
وقطران ثم ألقى نفسه فيه فذاب ولم يبق له أثر فأزاد أصحابه بذلك ضلالا
وقالوا قدر فعلى السماء وذلك في سنة ستين ومائة من الهجرة * (ومن كان)
يقول بالحللول وأجمع معاصريه على ضلالة ما يقول حسين الحللاج وهو
الحسين بن منصور ويكنى أبا محمد وأبا عبد الله وأبا سعيد وأبا مغيث
وكان ظهوره في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر (فما) أورده
المؤرخون الثقة من كلامه المنتقد عليه قوله أنا الحق وقوله ما في الجبة إلا الله
وقوله أيضا

سبحان من أظهر ناسوته * سر سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا محتجبا ظاهرا * في صورة الأكل والشارب

(ومن كلامه لمن تابعه) من عذب نفسه في الطاعة وصبر عن اللذة والشهوة
وصفا حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية حل فيه روح الإله كما حل في عيسى
عليه السلام ولا يريد أن ذلك شيئا إلا كان كما أراد ويكون جله فعله فعل الله
* وكان يظهر أنه سني لمن كان من أهل السنة وشيعي إن كان من أهل الشيعة
ومعتزلي لمن كان يعتقد الاعتزال وكان مع ذلك شعبيا يستعمل المخاريق
حتى استهوى به من لا تحصيل عنده ثم ادعى الربوبية وقال بالحللول وعظم
افتراؤه على الله وكان يدعى أنه المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود
وكان لا يحسن من القرآن شيئا ولا من الحديث ولا من الفقه ولا من الشعر شيئا
وكان عنوان كتبه إلى أصحابه من الهوهورب الأرباب إلى عبده فلان
وكانوا يكتبون إليه يا ذات الذات بامتهى غاية الغايات شهدائك
مصور فهاشئت من الصور وانك لتصور في صورة الحسين بن منصور الحللاج

ونحن نسجير بك وزر جورجتك يا علام الغيوب فانصل خبره بعلي بن عيسى
الوزير فاحضره وأحضره الفقهاء فسألوه فلم يجدوه يعرف شيئا وأسقط
في كلامه فأمر به فضرب وصلب حيا في الجانب الشرقي ثم في الجانب الغربي
ليراه الناس ثم حبس في دار الخلافة مدة ثم أطلق ثم ظهر في سنة تسع وثلاثين
بعد أن دخل الهند وما وراء النهر وبلاد تركستان وخراسان ومجستان
وكرمان وقارص وبلاد الجبل والعراق وكان كثير التلقون له في كل بلد اسم وكنية
ولقب يلبس تارة المسوح وتارة الدراعة وتارة الثياب المصبغة وتارة
القوطة والمرقعة وتارة العباءة وأشكل حاله على الناس فقاتل ساحر وقاتل
مشعبد ومنهم من ثبت له الكرامات وذلك لما يظهر عنه من خوارق العادات
فلما ظهر في المرة الثانية اختدع جماعة من أصحاب المقتدر وكان وزيره يومئذ
أحمد بن العباس فعرض حاله على الفقهاء فافقوا بقتله خسة وثمانون بفتاوى
وافقت رأى المقتدر ومن أفتى بقتله القاضي أبو عمر ومحمد بن يوسف المالكي
وأبو العباس أحمد بن شريح الشافعي وأبو بكر بن فورك وداود الظاهري
فأمر به فضرب مائة سوط وقطعت أطرافه وصلب حيا ثم ضرب عنقه من
الغدولف في رداءه وأحرق بالنقط وذرى رماده في دجلة فلما فعل به ذلك جعل
أصحابه يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوما وادعى بعض أصحابه أنه
لم يقتل ولم يصلب وإنما ألقى شبهة حالة القتل والصلب كعيسى عليه الصلاة
والسلام وقد جل الغزالي إطلاقه التي تنبوعها مسامع العقلاء وترفضها
مسامع العلماء جلا حسنا وتأولها تأويلا بدعيا وقال هذا من فرط المحبة
والوجد ذكره في كتابه المسمى مشكلة الأنوار والله تعالى عالم الإعلان من أمره
والإسرار وكان وقتله في يوم السبت (١) لثلاث بقين من ذي القعدة (٢)
الحرام سنة تسع وثلاثمائة (وظهر) في أيام الرازي بالله على بن محمد السلماني
المعروف بابن أبي القراق وكان غالبا في التشيع يقول بالناسخ والخلول وكان
من وافقه وخلق بركة الاسلام ابن أبي عوانة الكاتب وابن الفرات وابنه
الحسن والحسن بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب فوشى بهم
إلى الراضي فاحضرهم وصكان الحسن بالرقعة فسألهم عما رواه فانكروه
فأمر أن يحمل ما في بيت أبي القراق من الأوراق فوجدوا خط الحسن

(١) في نسخة الثلاث

(٢) في نسخة الحجة

وابن أبي عوانة يخاطبانه بالالهية فامر الراضي ابن أبي عوانة أن يرفع ابن
أبي القراقر فلما نهض لذلك أظهر عرشه في يده وودنا الى راسه فقبلها وقال
استغفر لك يا الهى وخالفى وراضى فقال الراضى لابن أبي القراقر اليس
قد أنكرت مانسب اليك من ادعائك الالهية فقال والله ما أمرته بذلك
فأمر الراضى بهما فصلبا حين أيا ما ثم قتلا وأحرقا وبعث الى الحسن من قتله
بالرقة وذلك في ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ومنهم من ارتقى بأدعائه النبوة مرتقى صعبا
فصير جسمه للطير مرغى وللهوام نهبا

أول من ارتكب هذا المخطور وامتطى فيه صهوة الغرور بعدما نسع نور
صبح الرسالة ظلام ليل الضلالة مسيلة وهو مسيلة بن حبيب بن ثمامة بن اثال
ابن حبيب بن حنيفة بن عجل وكان صاحب نيرنجيات وهو أول من أدخل
البيضة في القارورة * وسجاح وهي سجاح ابنة الحرث من بني يربوع ثبات
وزعمت ان الوحي يأتيها وتابعها كثير من العرب ورؤساء الجزيرة (قال) ابن
أبي الزلازل في كتاب أنواع الاسجاع كان من حديث سجاح اليربوعية بنت
سويد بن خلف بن اسامة بن العنبر بن يربوع انه لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه ثبات سجاح وخرجت من تغلب
قتبعها منهم فاس كثير ومن النمر بن قاسط واياها وسارت بهم الى بلاد بني قميم
فقاتل الامرء منهمكم والمملك ملككم وقد بعثت نبيمة فقالوا لها مري بنا بأمرك
فقاتل ان رب السحاب والتراب يأمركم ان توجهوا الركاب وتستعدوا
للذهاب حتى تغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فسارت بنو حنظلة الى بني
ضبة وهم من الرباب وسارت سجاح ومعها بنو تغلب والنمر واياها الى حفير قميم
ولما بلغها حديث مسيلة بن ثمامة قالت لهم عليكم باليامة زفوا زفيف حمامة
فانها دار ثمامة نلقى مسيلة بن ثمامة فان كان نبيا ففي النبي علامة وان كان
كذبا فلقوموه الندامة فانها عبرة مدامة لا يطقكم بعدها ملامة فخرجوا معها
وتبعها عطاردين حاجب وعمر بن الاهتم والاقرع بن حابس وشيب بن ربيعي
وغيرهم من سادات العرب حتى نزلوا بالصمان فلما بلغ مسيلة مسيرها اليه بمن
جامعها خافها وهاجها واهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه فأمنته

وأذنته في القسوم عليها فجاء إليها وفدا في أربعين من بني حنيفة وكانت
راسخة في النصرانية فقال مسيلة لاصحابه اضربوا لها قبة وجروها لعلها تذكر
الباء ففعلوا وأرصدوا حول القبة أناسا منهم الحراسة فلما دخلت عليه حدثته
وحادثها وقالت ما أوحى اليك قال أوحى الي أني أتركيف فعل ربك بالحبيلى
أخرج منها تسعة تسعي من بين صفاق وحشى قالت ثم ماذا قال أوحى الي
ان الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتزوج فيهن غراميلنا
ايلاجا ثم فخرجها اذا شئنا اخراجا فيتجن لنا سخا لانتاجا قالت أشهد أنك
نبي قال هل لك أن أتزوجك فأذل بقومى وقومك العرب قالت نعم فقال

الاقومى الى النيك * فقد هي لك المضع
فان شئت فنى البيت * وان شئت فنى المخذع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثليته * وان شئت به أجمع

قالت به أجمع فهو لشمل أجمع صلى الله عليك قال كذلك أوحى الي فأقامت
عنده قليلا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت وجدته على حق
فبعته وتزوجته فالوا فهل اصدقك شيأ قالت لا قالوا ارجعي اليه فبيع بمثلك
أن ينسكح بغير صداق فرجعت اليه فلما رآها قال لها مالك قالت اصدقني
صداقا قال من مؤذنك قالت شبيب بن ربيع الرباسي قال على به فلما جاء قال
قد وضعت عنكم صلاة الغداة وصلاة العتمة وجعلت ذلك صداقا لها فناد
في أصحابك ان مسيلة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به
مجد صلاة الفجر وصلاة العشاء الاخرة فكان عامة بني تميم لا يصالونها
(وكان مما شرع لهم) من أصاب ولدا من امرأة لا يعود يطؤها الا أن يموت الولد
وحرم النساء على من ولده ولد ذكر (وفيه وفي سجاح) يقول قيس بن عاصم

المنقري

أضحت نيتنا انى يطاف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرا
فلعنبة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك اغرا
أعنى مسيلة الكذاب لاسقيت * اصداؤه ماء من حينما كانا
ولما بعته العرب وارثت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

الى اليمامة فقاتل بنى حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والانصار
وانهزم مسيلة ومن بقي معه فادركه وحشى بن حرب فقتله وأسلت سباح فيما بعد
وحسن اسلامها ووحشى هذا هو الذى قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد
ووحشى يومئذ كافر وقال عند قتله لمسيلة يا معشر العرب ان كنت قتلت
بهذه الحربية أحب الخلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قتلت بها اليوم
أبغض الخلق الى رسول الله فهذه بتلك * وكان خروجه لعنه الله آخر سنة عشر
من سنى الهجرة قبل حجة الوداع وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلام عليك اما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض
ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يفتدون أى يجحفون فلما قرئ كتابه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى مسيلة الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كتاب مسيلة
بخط عمرو بن الحارود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بخط أبي بن كعب ذكر
ذلك ابن عبدوس الجهشباري ثم كان من أمره ما ذكرناه آنفا (ومن ثبنا وزعم)
ان الوحي يأتيه الاسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب وكان يلقب ذا الحمار
بالخاء المبهمة لانه كان يخمر وجهه أبدا وقيل بالخاء المهملة لانه كان له حمار
يقول له اسجد فيسجد وابرك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد
من حجة الوداع توعدك قبلغ ذلك العنسي فادعى النبوة وكان يعرف شيئا من
الشعبذة والنيرنجيات ويرى منها عجائب فتبعته مذج وقصد نجران فأخرج
منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء وغلب على الطائف الى عدن الى
البحرين واستفحل أمره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى من
باليمن من المسلمين ان اقتلوا الاسود العنسي اما مصادمة واما غيلة وكان باليمن
قوم من القرس يسمون الانباء اسلموا مع بادام وكان بادام عاملا للقرس على
اليمن فلما اسلم ولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده واقتره عليها فلما
مات فرق النبي صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من أصحابه وكان
الاسود لما قتل شهر بن بادام وملك صنعاء استصنى زوجته فاتفق الانباء معها
على قتله غيلة وواعدتهم على ليلة كانت عادته يشرب فيها وذلثم على مكان

ينقبونه يصلون منه اليه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرم
ضوضاء فقالوا زوجته ما هذا قالت نزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا مظهرين
شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع
العمال الى أعمالهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافي
الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن
عمر أنا الخبير من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها
فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من أهل بيت مبارك قيل
من هو قال فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت مدة العنسي من أولها الى آخرها ثلاثة أشهر * (ومن) * امتطى مطا
هذا الفرر فرمته الايام من تعذيبها بالشرر المختار بن أبي عبيد الثقفي
وكان قد جمع ليطلب ثارا لحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف
له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا في ظاهره ثم تنبأ وزعم أن جبريل
يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا الى العراق
فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين
(وتنبأ) أبو الحسين المتنبى في بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب
وغيرها فخرج اليه لؤلؤا مبرح من قبل الاخشيدي فقاتله وأسره وشرده
من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد ان يلف فستل
فيه فاستنابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها بطلان ما ادعاه ورجوعه
الى الاسلام وأن لا يعود الى مثله (وتنبأ) حائك بالكوفة وأحل النجر فقال
رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يرى الا كنهه والابرص فأتى به
والى الكوفة فاستنابه فأتى أن يتوب ويرجع فأتته امه تبكي فقال لها تنجي
ربط على قلبك ككمار ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه فسأله أن يرجع
فقال له تنح يا آزر فأمر الوالى بقتله فقتل وصلب (وظهر) في أيام أبي مسلم
نهماق بن المجوسي وكان قد غاب عن أهله سبع سنين في الصين فاصاب من طرفها
قبضا نحو به قبضة الرجل فجاء محمقا فظهر في ناووس تجاور بلده وادعى أنه
كان من فوعا في السماء والله نبي فضل به خلق كثير وجاء بسبع صلوات
وحرم الميتة وتزوج الام والاخت وبنات الغم وبنات الاخ وهذا مما يخالف

دين المجوسية وفرض عليهم السبع في الاموال وحظر أن يتجاوز بالمهر أربع مائة درهم فاجتمع موازنة المجوس الى أبي مسلم وقالوا هذا افسد علينا ديننا ودينكم فانفذ اليه أبو مسلم من أخذه وقتله وصلبه (وآدى) رجل النبوة في زمن خالد ابن عبد الله القسري وعارض القرآن فأقن به خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال يقول الله تعالى انا أعطيناك الكوثر وتلا السورة الى آخرها وقلت انا أعطيناك الجاهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر فضربت رقبتة وصاب فربه خليفة الشاعر ف ضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأناض من لك أن لا تعود

(ومنه من ادعى انه الامام المنتظر فصير عبرة لمن أمعن في العواقب النظر)

ظهر في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين في قرى البصرة رجل ادعى انه على ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن أبي طالب واستعمل الزنج الذين يعملون في السباخ وأطمعهم في موالهم ووعدهم انه يملكهم ما في ابدى موالهم فاجتمع له خلق كثير وجمع غفير وعبر دجلة ونزل قرية تسمى الديارية وزعم ان صحابه أظلمته ونودي منها اقصد البصرة فملكها وانه يطلع على ما في ضماير أصحابه وما يفعل كل واحد منهم فلما كان يوم عيد الاضحى من هذه السنة صلى بهم وخطب لهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله أنقذهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وشن بهم الغارات على اطراف بلاد العراق فاجلى أهل الضياع منها واستفحل أمره وقصد البصرة فلما سلكها سنة تسع وخمسين وقتل من فيها من الرجال والنساء والصبيان وأحرق المسجد الجامع وبني مدينتين على شاطئ دجلة وحصنهما بالاسوار والخنادق فانتبذت اليه العساكر من بغداد وبراء وجمرا فكانت الحرب بينه وبينهم سجالات الى ان كانت الدائرة عليه في صفر سنة سبعين ومائتين ونسبه الذي ادعاه لم يكن صحيحا والصحيح أن اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد قيس وكان ظهوره في أيام المهدي وقتله في أيام المعتد على يد أخيه الموفق (وظهر) في أيام خلافة المعتد سنة ثمان وسبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة ورجل أحر العينين يسمى كرمية فاستنقلوا

هذه اللفظة فحفظوها وقالوا قرمط فكان يظهر الزهد والتقشف وكثرة الصلاح
 فاجتمع اليه اهل القرية وعظموه فلما تمكن منهم اعلمهم انه الذي يشيرون اليه
 النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سيخرج لكم من اهل بيتي رجل اسمه كاسمي
 يملا الارض عدلا كما ملئت جورا فلما اطاعوه اعلمهم ان الصلاة المفروضة
 عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة فشكوا اليه كثرتها وانه تعطلهم
 عن اشغالهم فسوفهم اياما ثم اتاهم بكتاب يقول الفرج بن عثمان يقول فيه انه
 المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو محمد بن الحنفية وهو جبريل
 وذكر ان المسيح تصوره على صورة انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة
 وانك الناقة وانك الدابة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه
 ان الصلاة اربع ركعات ركعتان قبل الفجر وركعتان قبل الغروب
 وان الاذان في كل صلاة اربع تكبيرات ويتشهد مرتين ثم يقول أشهد أن
 آدم رسول الله أشهد أن لوطا رسول الله أشهد أن ابراهيم رسول الله أشهد أن
 موسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية
 رسول الله (ومن شراعه) ان الصوم يومان في السنة يوم المهرجان ويوم
 النوروز وان النبيذ والخمر غير حرام ولا غسل من جنابة ويؤكل كل ذي ناب
 وذى مخلب وان القبلة الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين ويستترك
 في المرأة جماعة من الرجال فأجابه زهاء من عشرة آلاف رجل واتخذ منهم
 اثني عشر نقيبا وقال لهم أنتم كحواري عيسى ثم ان هذا الشقي المذكور
 اختفى وأقام رجلا يعرف بأبي القوارس واسمه خلف بن عثمان داعيا للمذهب
 فتعطل على المعتضد الخراج من سواد الكوفة ونقضوا أيديهم من طاعته
 وشفوا العصا بغير الفقه فأرسل اليهم مسكا غلام أحمد بن محمد الطائي
 في عشرة آلاف فارس فظفروهم وقتلهم وأخذوا بالقوارس أسيرا
 وحمله الى المعتضد فامر به فقلعت اضراسه وخلعت أعضاؤه ثم قطعت يده
 ورجلاه وضرب عنقه وصلب بالجانب الشرقي سنة تسع وثمانين ومائتين
 (وفي شهر ربيع الآخر) من هذه السنة مات المعتضد وله من العمر سبع
 وأربعون سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأياما
 ثم قام فيهم آخر يسمى علي بن عبد الله فعاش في بلاد الشام عيشا ذريعا وأخرب

مداو قري كثيرة وكان بينه وبين طفيع بن حفا الاخشيدى صاحب
مصر والشام حروب كثيرة اجلت عن قتل الاخشيد القرغاني فخرجت اليه
الجيش من مصر فخاربوه فقتل في بعض الحروب على دمشق سنة تسعين
وما تين وكان يسمى صاحب الجبل فقام بعده أخوه ويسمى أجد وتلقب بذي
الشامة لشامة كانت في وجهه وأقام له داعيين سمي أحدهما المدثر وزعم انه
المدكور في القرآن وسمى الآخر المطوق فاشتدت في العناد شوكته وسلطت
على العباد فمكثته وسار الى دمشق فصولح عليه اجمال فرجع عنها في سنة
تسعين وكانت عادته اذا فتح بلدة اعنوة قتل من فيها من الرجال والنساء
والولدان والبهائم فضاقت المسلمون به ذرعا فاستغاوا بالملكنتي فجهز لهم جيشا
عظيما وقدم عليهم الحسين بن جندان والقاسم بن عبيد الله الكاتب وأمر
الجيش بالسمع والطاعة له فواقعهم في شهر المحرم سنة احدى وتسعين فانهزم
وأسلم من كان معه فقتلوا واهرب معه المدثر والمطوق والجاتهم الهزيمة والخوف
الى قرية من أعمال الفرات تسمى دالية فانكروهم أهلها واستفصخوا أحدهم
عن أمرهم فجمعهم في كلامه فعوقب حتى أقر فاخذهم متوليها ورجلهم الى
الملكنتي وكان بالركة فرحل بهم الى بغداد فدخلها ومن معه من الاسراء
في شهر ربيع الاول وأمر ببناء دكة في المصلى العتيق ارتفاعها عشرة أذرع ثم
أصعدوا عليه واقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم ضربت رقابهم بين يديه
ثم أمر بالقرمطى فضرب مائتي سوط وكويت خواصره ثم قتل وصلب على
الجسر الاعظم (ثم ظهر فيهم) رجل يسمى زكروية بن مهوريه في سنة ثلاث
وتسعين ونعت نفسه بالمهدي فقطع الطريق على الحاج ونهب القوافل وقتل
أهلها وسبي حريمهم فبعث اليه من بغداد جيشا فخارب به بذي قار وهو موضع
بين الكوفة والبصرة فانهزم واخذ أسيرا جريحا في شهر ربيع الاول سنة
أربع وتسعين فحمل الى بغداد فأتى في الطريق في شهر ربيع الآخر (ثم)
ظهر فيهم رجل يسمى علي بن شبيب ويعرف بالمبرقع فخارب وانهزم وأخذ
أسيرا وأدخل بغداد على جل وضرب عنقه (ثم ظهر فيهم) أبو سعيد الحسن
ابن يوسف بن كودر كان الخيامي بالبحرين فقتله خادمان له صقليان في سنة
عشرة وثلاثمائة فقام بعده سليمان بن الحسن الجباري فعاث في البلاد وأفسد

وقصدمكة شرفها الله تعالى فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلثمائة
 في خلافة المقتدر فقتل من وجد من الحاج في المسجد الحرام ورمى بالقتلى
 في بئر زمزم وعري الكعبة وقلع بابها وأخذ الحجر الأسود فبقى الحجر عندهم
 اثنتين وعشرين سنة الأشهر ثم رده مكسورا على يد سنان بن الحسن بن
 سنان في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ونصب في مكانه يوم التحر من
 السنة المذكورة وكان محمد بن أبي بذي له في خمسة آلاف دينار فأبوا
 وكان موت سليمان في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة (ثم) لما دخل المعز لدين الله
 مصر بعد أخذ جوهر مولا لها وذلك في سنة اثنتين وستين وثلثمائة في أيام
 المطيع قصد القائم فيهم يومئذ رجل يعرف بابن غزوان فخرج اليه جعفر بن
 فلاح فالتقاه بالرملة فقاتله وهزم عسكره وقتله في سنة تسع وستين وثلثمائة
 (ثم) قام فيهم رجل يسمى حسناو يعرف بالاعصم فلك الشام وأخرج منه
 عمال المعز فأنهزموا بين يديه فتبعهم إلى مصر وملك الصعيد وأسفل الأرض
 ووصل إلى مصر ونزل بعسكره عليها فخرج إليهم القائد جوهر فخار بهم
 فاقتلوا قتالا شديدا وقتل من العسكر خلق كثير وذلك يوم الجمعة غرة شهر
 ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ثم انصرفوا وتركوا الحرب يوم
 السبت ورجعوا يوم الأحد وهم واثقون بالظفر فلما التقى الجمعان أعطى الله
 النصر لعساكر القائد جوهر وانكشفت القرامطة بالانهزام وساروا إلى
 البحرين على نية العود إليها وإلى الشام فوجدوا بني حمدان قد ملأوا شعبا
 وأوديته ورفعوا به قواء الدين والوَيْتَه ولم يجمع الله للاعصم على شق
 عصا الإسلام شملا ولم يعض له بعد في الإسلام قولاً ولا فعلاً وتفرق أصحابه
 في البلاد أيدي سباً واسترجع منه الدهر ما نهب وسبي وكانت مدة دولتهم
 ستاً وثمانين سنة وهذا الذي ذكرناه يشترك في القول به أصحاب الآراء
 والمقالات الخابطون في عشواء الجهالات كأصحاب النحل والملل المتسكين
 بآرائهم مع ما فيها من الفساد والخلل كالعترلة والحشوية وغلاة الرافضة
 وسائر الفرق الإسلامية غير الفرقة الناجية التي هي لعواطف لطف الله
 راجية وكل منهم قد أضله الله على علم فنعوذ بالله من الغواية بعد الهداية
 ومن الحور بعد الكور ومن الإنكار بعد الاستبصار أنه سميع قريب

(الباب الثامن في التغفل وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب

في ذم البلادة والتغفل من ذرى تعالى والتنزل

ومعنى التغفل الغلط في الوسيلة والطريق الى المطلوب مع صحة القصد فالتغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد وورميته في الوصول الى الغرض غير صحيحة كما قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتياجه وكثر اليهم احتياجه وتعاورنه أسمة الشكوك واشتهت عليه مناهج السلوك (وقالوا) التغفل تحريف الشيء عن مواضعه مع يقين ان ذلك صواب كما ذكر ان أحمد بن أبي خالد عرض القصص يوما على المأمون وهو بين يديه فتر بقبصة مـ كتب عليها فلان اليزيدى فصحفه وقال الثريدى فضحك المأمون وقال يا غلام تريد ضخمه لابي العباس فانه أصبح جافعا فقبل أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحق وضع على يانه ثلاث نقط كما تنافى القدر فقال المأمون عد عن هذا فان النقط شهود الزور والجوع اضـ طرك الى ذكر الثريد فلما أتى بالثريد احتشم أحمد من أكله فقال له المأمون بحق عليك الامأأ كلت فترك القصص ومال الى الصحفة وأكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع الى القصص فتر بقبصة عليها مـ كتب فلان الحمصى فقرأها الحمصى فضحك المأمون وقال يا غلام جام خبيص فان غذاء أبى العباس كان ابر فقبل وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه الرقعة أحق من الاول فتح الميم فصارت ككانها ستان قال دع عنك هذا فلو لا حق هذا وصاحبه مت أنت جوعا فاني بجام خبيص فاني أن يا كل من كثرة الاستحياء فقال له المأمون بحق عليك الامأأ نحوه واكات فاحرف اليه وأكل منه ثم غسل يده وانصرف الى القصص واحترق في قراءتها وثبت في حروفها فاحرف حروفها حتى أتى على آخرها.

وقد اخترت من مدام المتغفلين مما حسن وراق

در را ضمنتها اصداف هذه الاوراق

ذم أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مسخلة وقد أمل عليه شيئا فنجز عن

ادوا كذا فقال والله ما فهم ولو فهم لوهم (وقال الجاحظ) كان كيسان مسقلى
أبى عبدة يكتب غير ما يسمع ويستفتى غير ما يكتب ويقرأ غير ما يستفتى أمليت
عليه يوما

عجبت لم شرعدلوا * بعثتم أبا عمرو

فكتب أبا بشر واستفتى أبا زيد وقرأ أبا حفص (وسأله) أبو عبدة عن رجل من
شعراء العرب ما اسمه فقال هو خدش أو خراش أو رياش أو خاش أو شئ
آخر وأظنه قرشيا فقال له أبو عبدة من أين علمت أن نسبه في قرية قال رأيت
اكتشاف الشينات عليه من كل جانب (وذكر الجاحظ عنه) أنه شهد على رجل
عند بعض الولاة فقال سمعت بأذني وأشار إلى عينه ورأيت بعيني وأشار إلى
أذنه أنه أمسك بتلابيب هذا الرجل وأشار إلى كفه وما زال يضرب خصره
وأشار إلى فكه فضحك الوالى وقال أحسبك قرأت كتاب خلق الانسان على
الاصمعي قال نعم مرتين (وذم) بعض البلغاء فدمافقال لا يفهم ولا يفهم
وينقض ما يبرم ولا يعلم ولا يتعلم ويستصغر من يتعلم (وسأل) أبو عون رجلا
عن مسألة فقال على الحبيرم اسقطت سألت عنها أباي فقال سألت عنها جدك
فقال لا أدري (وقالوا) فلان يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع ويكتب
غير ما يحفظ ويقرأ غير ما يكتب (وقالوا) فلان ذو بصيرة عيأ عند تأمل
الثواب وتجربة صمأ عند تشابه النوائب * وقال شاعرهم جهور رجلا

جهول غاص في لحم وشحم * ولم ينسب الى عقل وفهم

اذا لبس البياض فعدل حص * وان لبس السواد فعدل فحم

(ومن تقاصر فهمه) عن ادراك الصواب البادى فتناول بتمه لسان الحاضر
والبادى أحمد بن الحبيب وزير المستنصر ووزرا أيضا للمستعين عمل أبو العيناء
كأبى ذمه حكى فيه ان جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكل منهم يكره
ابن الحبيب لما كان فيه من القدماء والجهالة والتغفل فتجادبوا أطراف
الملح في ذمه فقال على بن بسام كان جهله عامر العقله وسفهه قاهر الحلمه
وقال لمعة الرايض لو كن دابة لتقاعس في عنائه وحزن في ميدانه وقال
آخر كنت اذا وقع لأظه في سمى أحسست النقصان في عقلى وقال بعض

كأبه كنت أرى قلم ابن الحبيب يكتب بما لا يصيب ولو نطق لانتق بنوك
عجيب وقال ابراهيم بن المدبر كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون
فأكب عليه فقلت له أراكَ راغباً في الهليون فقال انه يزيد في الباه (وسئل)
عنه أبو العينا بعد هذا التصنيف فقال ان دنوت منه غرتك وان بعدت
عنه ضرتك فحياته لا تنفع وموته لا يضرت (وقال آخر) لو غابت عنه العافية
لتسبها (وكان) ابن الحبيب اذا ناظر شعب وحلب وربما فرس من ناظره
اذا ألخم عن الجواب وخفي عنه الصواب واستولت عليه البلادة وعرى
كلامه عن الافادة * وفيه يقول محمد بن الفضل

قل للخليفة يا ابن عم محمد * أشكل وزيرك انه ركال
قد أجم المتطلون مخافة * منه وقالوا ما نروم محال
مادام مطلقه علينا رجله * أودام للترق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه * ولرجله بين الصدور محال
امنع من ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال
(وحكى عنه) أنه رأى جرادا كثيراً يطير فقال لجاسائه لا تغتموا الى أحسبه
كأنه ميت وفيه يقول بعض الشعراء يهجوهم من أبيات

حمار في الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب في زياد
نخل عن الكتابة لست منها * ولو اطخت ثوبك بالمداد

(وقد) هجا أبو العينا أسد بن جوهر ونحافه هذا المعنى فقال

نفس الزمان لقد أتى بهجاء * ومحارسوم الظرف والآداب
وإني بكتاب لو انبسطت يدي * فيهم رددتهم الى الكتاب
جيل من الانعام الا انهم * من بينها خلقوا بلا أذنا
لا يعرفون اذا الجريدة جردت * ما بين عياب الى عتاب
أو ما ترى أسد بن جوهر قد غدا * متشبها لاجله الهكتاب
لكن يمزق ألف طومار اذا * ما احتجج منه الى جواب كتاب
فاذا أتاه سائل في حاجة * رد الجواب له بغير جواب
وسعت من غث الكلام ورثه * وقبيحه باللحن والاعراب
ثكتك أمتك هبك من بقر الفلا * ما كنت تغلط مرة بصواب

(ولا آخر بهجوكاتب خراج)

لوقيل كم خمس وخمس لارتأى * يوما وليتبه يعتد ويحسب
يرمي بمقلته السماء مفعلا * ويظل يرسم في الزراب ويكتب
ويقول معضله عظيم أمرها * ولئن فهمت فان فهمي أعجب
حتى اذا خدرت أنا مل كفه * عذار كادت عينه تنصوب
أوفى على نشر وقال ألا اسمعوا * قد كدت من طرب أجن وأسلم
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان قالهما الخليل ونعلب
فيه خلاف ظاهر ومذهب * اكن مذهبا أصح واصوب
وخواطر الحساب فيها كثرة * وأظن قولي فيهم لا يكذب
* (ومن كان صوابه) * عن غير اعتماد وخطؤه بعد ترووا جهاد
شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركي وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم
ولا يفهم وانما علم علامات كان يكتبها في التوقيعات (قال) الحسن بن
المخلد كنت يوما عند المستعين ومعنا أوتامش اذ دخل شجاع بن القاسم
وسراويله قد خرج من خفه حتى وقع على قدمه وهو يسجبه ويدوسه فقال له
المستعين ويحك يا شجاع ما هذه الحالة فقال الساعة يا سيدي داسني كلب
فخرقت سراويله وشبابه فضحك المستعين وقال لا وتامش مثل هذا ينبغي أن
يستعمل في الكتاب (ومن ظريف ما يخبر عنه) أن أجد بن عمار عمل شعرا
مختلف القوافي ولا معنى له مما يليق بفهمه وعقله متعمدا ذلك ليضحك منه
اخوانه ووقف اليه وقال أيها الوزير ليس الشعر صناعتي ولكنك أحسن
الي وإلى أهلي بما اوجب علي شكرك فعملت أياتا أمدحك بها ففضل
بسماعها فقال له أغناك شرفك عن التكسب بالشعر وانشاده فقال لا بد أن
تفضل وتأذن لي فأذن له فأنشد

شجاع لجاح كاتب لائب معا * بكلود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبص مستقر مقوم * كثيرا أثير ذو شمال مهذب
بليغ ابغ كل ما نئت قلته * لديه وان أسكت عن الامر يسكت
فطين اطين أمره لك زاجر * خفيف لصيف كل ذلك يعلم
أديب لبيب فيه فهم وعفة * عليم بشعري حين أنشد يشهد

كریم حاتم قابض متبسط * اذا جئته يوم المآل البذل يسبح
فسر بذلك وشكره على انشاده ووصله بعشرة آلاف درهم وأجرى له ألف
درهم في كل شهر * وكان محمود الوراق عني هذا المذكور بقوله من أبيات
بانا طراير نوبعني راقدا * ومشاهد الامر غير مشاهد
أو بأتمام بقوله

ولو نشد الخليل له لعفت * بلادته على فطن الخليل
أو قول هذا القائل فيه فلان لا يتببه ولو أدخل في الكور ونفخ عليه الى أن
ينفخ في الصور (وحكى الجاحظ) في كتاب البيان أن المأمون كان يستقل
سهل بن هرون فدخل عليه يوما والناس جلوس وقد أسبلوا براقع الغنله على
وجوه الفطن والمهم عنهم قدر حل والتبلد فيهم قد قطن فلما فرغ المأمون
من كلامه أقبل سهل على الناس وقال مالكم تسمعون ولا تعون وتفهمون
ولا تفهمون وتشاهدون ولا تعجبون والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير
مثل ما يفعله بنو مروان في الرمن الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم
لكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فاستحسن المأمون منه ذلك وأنزله
منزله الاولى * وكلام سهل يحفل مدح فصاحة المأمون وذم البلادة التي
أزلت جلساء المنزل الدون واثباته في حقهم بالذم أوجب علينا وألزم

الفصل الثاني من الباب الثامن

فمن تأخرت منه المعرفة ونوادرا أخبارهم المستظرفة

وواجب أن نبدأ بأخبار من أساء في التفقه والعبادة ولم يحسن خطابه
في السؤال ولا الإجابة (قال عامر بن شراحيل الشعبي) عبادة النوصي
أشد على المريض من مرضه فانهم حو الروح وطلبة ملك الموت (دخل)
جصى على عروة بن الزبير يعود لما قطعت رجله لالم أوجب عليه فعل ذلك
من أكلة اصابتها فقال أقطعت رجلك قال نعم قال جيد قال أوجعك شديد
قال نعم قال جيد ثم قال لا تغتم فانك لو رأيت نوابها التمنت ان الله قده قطع
رجلك ويديك وأعمى بصرك وودق صلبك فكان مصاب عروة بما نذره المزيدي
في نكده أكثر من مصابه بما قطع من رجله ويده (وأين) هذا الجلف من
عيسى بن طلحة بن عبيد الله فانه دخل على عروة هذا يعود لما قطعت رجله

فقال والله ما كُنّا نعد لك للصراع ولا للتسابق ولكن نعدك للخير ونوالك
 المساق ولئن أعددنا الله أقلك لتدابق لنا أكثرك سمعك وبصرك ولسانك
 وعقلك ويديك واحدي رجلبك فقال يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني
 به (ودخل آخر) على مريض يشكو من رأسه فقال لاهله لا ضرا إذا رأيت
 المريض هكذا فاعملوا أيديكم منه (وعاد آخر مريضا) قال له ما بك قال وجع
 الركبة قال ان جري اذكريتنا ذهب عني صدره وبقي عجزه وهو
 وليس لداء الركبتين دواء * فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره
 (وعاد) آخر مريضا فقال لاهله أكرم الله فقالوا انه لم يمت بعد قال يموت ان شاء
 الله (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله لا تفعلوا في هذا كما فعلتم بالآخر
 مات وما علمتموني به (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله أحسن الله عزاكم
 فقالوا انه لم يمت قال قد عرفت ولكني شيخ كبير لا أستطيع النهوض في كل
 وقت وأخاف أن يموت فأعجز عن الجهن لا عزية لكم به (وعاد رجل الشعي) فأبرم
 ثم قال له ما تشتهي قال اشتيت ان لا أراك (وعاد آخر مريضا) فقال له ما تشكي
 قال وجع الخصرة قال والله كانت علة أبي فأت منها فاعليك بالوصية يا أخي
 فدعا المريض ولده وقال يا بني أوصيك بهذا الاتدعه يدخل على بعد هذه (وعاد)
 آخر مريضا فلما رآه أنشد ممتلا بما أملى قلبه الغبي على لسانه العبي
 تموت الصالحون وأنت حي * تحطاك المنايا بالاعوت

(وذكر المسعودي) ان عمرو بن العاص لما قدم من مصر على معاوية أنشده
 هذا البيت فاجابه عمرو

اترجو أن أموت وأنت حي * ولست بميت حتى تموت

(دخل) عبد الله بن أبي عتيق ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر على عائشة
 رضي الله عنها يعمودانها فقال لها كيف حالك يا أمة جعلني الله فداك قالت في
 الموت قال الآن لا جعلني الله فداك فاني كنت أظن ان في الوقت فسخة
 * (وممن) * عرف بالتغال واشتهر وفاق فيه أهل زمانه ومهر أبو عبد الله
 الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري كان رئيسا في المتوفهين ورئيسا
 للعجلانيين وجد الجند فهو ذو جودة ويسار وعدم العقل فسيان البين واليسار
 وكان عند المقتدر من خواص أحبته وعنه الكلمة المطاعة في دولته

ثم نقيم عليه فصادره فأخذ منه ستة آلاف ألف دينار وغير ذلك من مواش
 واثاث وعقار ومن نفائس الاعلاق والذخائر ما لا يوجد قبله عند عقلاء
 الاخير * ومما يدل على كثرة ماله ان المعتضد لما عقد نكاحه على قطر الندى
 بنت أحمد بن طولون بعث الى ابن الجصاص ليتولى جهازها فلما فرغ منه
 دخل على ابن طولون ليودعه فلم يذكر له ما صرف وكان مبلغه أربع مائة ألف
 دينار فسأله ابن طولون عنه فدافعه فأبى ذلك وقال لا بد منه فذكر له فقال له
 راجع طومار لك لعلك نسيت شيئا فراجع فإذ فيه تكك قيمتها عشرون ألف
 دينار لم يدخلها في حسابه فأطلق له الجميع فأنظر الى مال يتفق من عرضه
 أربع مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار كم يكون أصله * فن ملح أخباره
 وملح آثاره ما حكى ان انسا سئل عن صفته فقال رأيت شيئا طويلا طويلا
 اللحية خفيف العارضين صغير الرأس تشهد صورته عليه بالنوك (و-كي)
 عنه أنه دخل عليه على بن القرات يتحدث وهو غافل عنه ساء تارة ينحس وتارة
 ييهت فقال له **كم ذا السهو والنعاس** فقال يا سيدي عندنا في المحلة كلاب
 لاتد عنا تنام من كثرة عسايحها وهراشها فقال له ابن القرات لم لانا من
 عبيدك تضربهم يا فاني أحسبها جراء فقال لا تقل ذلك ايها الوزير فان كل كلب
 منها مثلي ومثلك (نوع منها غيره) تغذى أبو السربال عند سليمان بن عبد الملك
 وهو يوشذولى عهداً بيه فقدم امامه جدياً وقل كل من كليته فانه تزيدي
 الدماغ فقال لو كان كما يقول الامير لكان رأسه مثل رأس البغل (وقال)
 بعضهم دخلت على ابن الجصاص يوماً والمصنف في حجره وقد بل **ككاغده**
 بدموعه وأذل نفسه بتضرعه وخشوعه فسأله ما الذي دهالك وأزال بهالك
 فقال أكلت مع الجوارى الخفيض فتعديت امر الله وخالفته وكنت لا اعرف
 ان الله نهى عنه وحذر منه قلت وما الذي اوصى الله به ونهى عنه وحذر منه
 قال أكل الخفيض مع الجوارى قلت وكيف قال الله في ذلك قال ألم تسمع قوله
 تعالى يسألونك عن الخفيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في الخفيض ولا تقربوهن
 وقرأها ما بانحاء ثم قال يا أخى هل تعرف لى من توبة اغسل بها هذه الحوبة
 قلت التضرع في الدعاء بالاقالة والابتهال الى الله بصدق المقالة فقام وكشف
 عن رأسه وحسر عن ذراعيه ورفع يديه وقال اللهم انك تجرد من ترجمه

سواى ولا أجد من يعذبنى سواك فتركته وانصرفت متعجبا من هذه الحال
موقنا ان الجدل لا يكون بسعى المحتال (وسمع يوما) يقول فى سجوده سجدة لك
يا ضى وسوادى خاضعا ضارعا ماضا بالبطرأمة ومن أناهل أنا لا عبدك وابن
عبدك الزانى ابن الزانية حتى لا يغفر له (ومما يشبه هذا القول لغيره) ما حكى
ان شعبيا العلافى كان لا يصوم ولا يصلى ويقول من أنا حتى أصوم وأصلى
انما يصلى المتكبرون الذين أريد منهم التواضع ويصوم الشبايع حتى
يعرفوا قدر ما فيه الجبايع وكأله اقتدى فى قوله بما حكى ان الرستمي كان
عنده قوم من التجار فحضرت الصلاة فنهض ليصلى فنهضوا معه فقال ما لكم
ولهذا وما أنتم منه الصلاة ركوع وسجود وقيام وقعود وانما فرض الله
هذا على المتكبرين والمتكبرين والملوك الاعاجم مثلى ومثل ذى الاوتاد
وغرود وأنوشروان واستم من هؤلاء ما لكم ولها لكنه المغرور اقتدى به
فى القول دون العمل وحمل أوزار الجهل وبشر والله ما حمل (وأهدى)
ابن الجصاص الى العباس بن الحسن الوزير نبقا وكتب معه
تفصيات بأن تبقى * فاهديت لك النبقا
فكتب له الوزير ما تفصليت ولكن تبقرت

* (ذكر من اخطأ فى سؤال أو جواب وظن ان كلامه عين الصواب) *

ذكر ان انسانا كان يكثر الجلوس فى حلقة الشافعى وكان ذاروا وهيبة
وكان الشافعى يجله ويكرمه فسأله يوما أى وقت يحرم على الصائم الاكل فقال
الشافعى عند طلوع الفجر قال فان طلع الفجر بعد طلوع الشمس فقال الا نعد
الشافعى رجله ومدّها ولم يحتشم منه (وقال الجاحظ) دخل رجل على الشعبي
وبين يديه الفقهاء فقال بعدما أطل جالوسه أيها الشيخ انى أجد فى تقاى خلة
أفترى ان أحمم فقال الشعبي الحمد لله الذى رفع منزلتنا فقولنا من الذقة الى
الحجامة واكرما تقع هذه النوادر من القصاص (سئل بعضهم) عن أربعين
ما شبة نصفها ضان ونصفها معز كيف تخرج زكاتها فقال يخرج عنها رأس
نصفها ضان ونصفها معز (وقيل لبعضهم) ان نصرانيا قال لا اله الا الله لا غير
ما يجب له وعليه قال يؤخذ منه نصف الجزية ويؤمر باده نصف ما على المسلمين
من القرائض والسنن وان مات دفن بين مقابر اليهود والنصارى كما قال الله

تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فهو من المذبذبين (وأني) بعض القصاص
 ينصراني يريد أن يسلم فقال قم عني أتريدون أن توقعوا بيني وبين عيسى بن مريم
 يوم القيامة (وسئل) بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا
 لوطيا نعوذ بالله من فعله فانكر عليه الناس ولامه بعض أصحابه بعد انصرافهم
 واعلم ان لوطا نبيا مرسل بعث الى قوم كان ذلك القبيح فعلهم وان لوطا منهم
 عنه فندم على ما قاله فلما كان في المجلس الآخر سئل عن فرعون فقال دعونا
 من حديث الانبياء واسألوا الله السلامة قوم لا رأيناهم ولا رأونا كيف
 تتكلم في اعراضهم (وسئل بعضهم) ما تقول في خلق القرآن فقال دعونا
 من القرآن هو مخلوق غير مخلوق (وسئل آخر) وكان ناصبيا عن معاوية
 فقال معاوية ليس بمخلوق لانه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتب الوحي
 من الوحي (وحكى) سعيد بن خالد اليماني قال كان عبدنا قاض يسمى أبا خالد قال
 في دعائه يوما يا ساتر عورة الكبش لما علم من فضله وصلاحه وهاتك عورة التيس
 لما علم من قدره وبخوره استر علينا وارحنا واهتك ستر أعدائنا فقيل له
 وما فضيلة الكبش قال لانه كبش ابراهيم الذي فدى به ابنه ولا يذبح في العقيقة
 غيره قيل له فاذهب التيس قال يشرب بوله وينزع على الشاة التي لم تستحق النزول
 ويؤذي الناس بتن ربحه ويعلم الناس الزنا وهو عيب على أصحاب الله يقال
 جاء فلان في لحية التيس (وقرأ فاري) في مجاس سيفوية ان فرعون وهامان
 وجنودهما كانوا خاطئين فقال لمن حضره ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم اجعلنا
 منهم (وقال) الفضل بن اسحق الهاشمي سمعت قاصرا قد قرئ في مجلسه
 بنجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيفه (وكان) سيفوية
 ممن يتلاوط فيبينما هو يقص على الناس اذا قبل جماعة صبيان حسان كأنهن
 الباقوت والمرجان فقال يا أصحابنا اقبل العدو وارفعوا أيديكم وقولوا اللهم
 ولنا أدبارهم وكبهم على وجوههم وأرنا سواتهم ويمكن رماحنهم
 ظهروهم انك على كل شيء قدير وسيفوية بضم الفاء وفتح الباء هكذا ضبطه
 الأمير أبو نصر بن ما كولا في كتاب الأكمال

(ومن تأخرت معرفته من الحكم وتقدم جهله في القضايا والاحكام)

حكى أن عاملا منصور بن النعمان كتب اليه من البصرة اني أصبت سارقا سرق

نصاباً من حوز فاعلم فيه فكتب منصور اليه اقطع رجله ودعه يكذب
بيده على عياله فأجابه العامل ان الناس ينكرون هذا القول الله تعالى في
القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهم ما جازما كسباً ما نكالا من الله
والله عزيز حكيم فكتب اليه ان القرآن نزل من السماء ونحن في الارض
والشاهد يرى ما لا يرى الغائب (وتقدم) رجل الى بعض القضاة بمخضم فقال
ان هذا باعني ثوباً وجدت فيه عيباً وسألته ان يعطيني فأبى فالتفت اليه القاضي
وقال أقله عاقل الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبلوا فان الشياطين
لا تقبل (وقيل) لقاضي حص كيف فتحكم على اللوطي قال بنصف حكومة
الزاني قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الانصف ما يحمل الجمل وهذا حكم
مفهوم (وادعت امرأة) على زوجها مهرها عند بعض القضاة فأنكر فأمر
القاضي أن يجلد احدين قيل له ولم حكمت بهذا قال لانهم اذنيا ان لم يكن
بينهما مهر قيل فلا يجب على المرأة قال بلى ان النخلة اذا لم يحمل رأسها أحرق
أصلها (وتقدم جماعة) الى قراقوش وكان عاملاً لصلاح الدين على مصر
ومعهم قبيل وثور ورجل مكشوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور صال
على هذا الرجل فقتله وهذا مالكة وهو العاقلة فنسكر ساعة ثم أمر بالثور أن
يشنق ويطلق صاحبه قيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا في زمن فرعون
ما فعل غير هذا فانه القاتل ولا يحمل ان أقتل غير القاتل وهذه الحكاية
ذكرها القاضي الاسعد بن عماد في كتابه الذي وضعه وسماه الفاشوش
في احكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شياً كثيراً والعهد عليه في ذلك
فيما حكى والله أعلم (وكان) نصر بن مقبل عاملاً للرشيدي على الرقة فأتى برجل
من اطرافهم وجد نسك شاة فقال أيها الامير ان هذا والله ملك يميني وقد قال الله
تعالى أو ما ملكك ايمانكم فاطلقة وأمر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت
تصلب قالوا أيها الامير اننا بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحد ود لا تعطل
وان عطلتها فبئس الواي أنا فأنتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل فدعاه
فلما مثل بين يديه قال له ممن أنت قال مولى لك بفضحك منه ثم قال له كيف
بصرك بالحكم قال يا امير المؤمنين الناس والبهائم عندي فيه سواء ولو وجب
الحد على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحدتها ولم تأخذني في الله لومة لائم فعزله

الرشيذ وأمر أن لا يستعان به في عمل فلم يزل معطلا إلى أن مات (وكان) الربيع
ابن عبد الله العامري واليا على اليمامة فباعه أن كلبا قتل كلبا لا آخرين
فأمر أن يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بأن الله حق لقاءه * وإن الربيع العامري رقيق
أفاد لنا كلبا بـكـلب ولم يدع * دماء كلاب المسابين تضيع
(وكان) أبو الضحاك ميمون قدولى القضاء ببعض الأهواز فأتى برجل قد سرق
لخده ثمانين وأتى برجل قذف فقطع يده فقال فيه محمد بن مساور
قد ذهب العلم وأشياعه * إلا أبا الضحاك ميمونا
يقطع كف القاذف المفترى * ويجلد السارق ثمانينا

* (ومن التغفل الواقع من الشعراء في مدائح السادات والكبراء) *

قال الخفاجي في كتاب سر الفصاحة ينبغي للشاعر ذي التميز في نفسه والتبريز
أن لا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا يعبر في الذم بالالفاظ
المستعملة في المدح بل يستعمل في جميع الأغراض الالفاظ اللائقة بها
في موضع الجـد الالفاظ وفي موضع الهزل الالفاظ ألا ترى أن الإنسان إذا
مدح ذكر الرأس والهامة والكاهل وإذا هجأ ذكر الأخادع والقفا والقذال
وان كانت معان الجمع متقاربة فقبيل بالشاعر وغيره أن يقول للملك وحق
قذالك مكان وحق رأسك لأن الاستعمال مختلف في الالفاظ وان كان في المعنى
غير مختلف (فن السقطات المعدودة في ذلك قول أبي نواس)

جاد بالاموال حتى * حسبوه الناس حقا

وكقول أبي تمام

ما زال يهدي بالمكارم داثبا * حتى ظننا أنه محموم

وكقوله

يا أبا جعفر جعلت فداكا * فاق كل الوجوه حسن قفاكا

إلى غير ذلك من شعر المولدين والمحدثين والعصريين فالحق ويهدي ومحموم
من الالفاظ اللائقة بالهجاء * وقد سقط المتنبي في افتتاحه قصيدة مدح
بها كافورا الاحشدي اذ قال

كفى ملء داء أن ترى الموت شافيا * وحسب النابا أن تكون أمانيا

(قلت) وقد أشبه ما عيب ما حكى أن زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور
أنشدتها فاصدمن الأعراب فقال

أزبيدة ابنة جعفر * طوى لسائك المشاب

تعطين من رجلك ما * تعطى الا كف من الرغاب

فوثب اليه خدمها وهموا بضربه فنهت - من ذلك وقالت أراد خيرا فأخطأ
وهو أحب اليها من أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك آذى من عين غيرك فظن
انه اذا قال هكذا كان أباغ اعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل وعاب الفضل
ابن يحيى على أبي نواس قوله في قصيدة مدحها

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هوا كم لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل ما زدت على أن جعلتني قوادا فقال انه جمع الفضل لاجمع
تواصل * وقد تابعه أبو الطيب المتنبي في قوله من قصيدة يمدح بها سعيد بن كلاب

على الأميرى ذلى فيشفع لى * الى التى صبرتني في الهوى مثلا

(وعيب) عليه أيضا قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان

ليت انا اذا ارتحلت لك الحيم * وانا اذا انزلت الخيام

فانه أنزل نفسه منزلة الأنملة وعبر عن همته بالقلة يجعلها مركوبة ولم يكن ذلك
حتى ألبس الممدوح شعاره وأكسبه عاره يجعله راكبا تارة ومركوبا أخرى
واقصف بصفات المدح التى هو بها أخرى فأساء الادب وأخطأ الطريق وعدم
الرشد وعين التوفيق (ودخل بعضهم) على رئيس الرؤسا أبي الغنم فأنشده
قصيدة جاء منها

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعملك الجلوس على السرير

(ونمامه) أتذكر اذ لباسك جلد شاة * واذ نعلك من جلد البعير

فقال له رجل من الجلساء أتقول مثل هذا للرئيس لأمر لك فقال والله ما ظننت
انى قلت عيبا غير انى مدحت الرئيس بما مدحت به فضحك منه ووصله وهذا ان
البيتان ذكرهما الجاحظ في كتاب البيان والتبيين لأعشى همدان وأنشده
قبلهما

فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الأمير

أميريا كل القالود سرا * وبطم ضيقه خبز الشعير

(وحدث) أحمد بن اسمعيل بن الحبيب قال دخلت على سليمان بن وهب بإيات
أعزبه فيها عن أمه فأخذت في انشادها فقال أنا أعزك الله في مصائب قد
انثالت على من كل جانب قلت وما هي أطال الله بقاله قال ماتت أمي وغير
رسمي ورثي ميتي بمثل هذا الشعر ورثي لي رقعة مكتوب فيها

لام سليمان علينا مصيبة * مجللة مثل الحسام البواتر
وكنيت سراج البيت بأم سالم * فاضى سراج البيت بين المقابر
فاستغلت بلضحك عن البكاء وباتسلى عن العزاء وكان الشعر لابي أيوب
واسمه صالح بن شهر يار ابن أخت أبي الوثير (ومدح بعضهم أميرافقال)
أنت الامام الاربيحي * الواسع ابن الواسعة
فقال له من أين عرفت هذا قال سمعت الناس يثنون عليك بذلك

(ومن شواردهذا النوع وافراده ماينبغي بغرض المأمل ومراد) *

ماحكى أن عبد الله بن رواحة رآه امرأته على بطن جارية له فخرجت وشهدت
شفرة ثم دخلت اليه تريد قتله فوجدته قد خرج من عندها فقال لها مهيم فقالت
أما لي لو وجدتك حيث كنت لوجأت به ابطنك فقال لها إن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهانا أن يقرأ أحدنا القرآن جنباً قالت اقرأ فأناشد

أنا رسول الله يتلو كتابه * كما لاح مشهور من الصبح ساطع
أني بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به مسوقات أن ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا ما استقرت بالجنوب المضاجع
فلما سمعت مقالها قالت آمن بالله وكذبت بصري فاخبر بذلك عبد الله
ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه (وأسر)
عتاب بن وراق جماعة من الخوارج فوجد فيهم امرأة فقال وأنت يا بدوة الله
عن مرق من الدين وخرج على المسلمين أما سمعت قول الله تعالى

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغايات بحر الذبول
فقلت حسن معرفتك بكتاب الله دعانا إلى الخروج عليك يا عدو الله وصعد
المئبر بأصهبان فخطب وقال في الثناء خطيبته وذلك كما قال الله في كتابه العزيز
ليس شيء على المنون ينافي * غير وجه المسبح الخلاق
فقال له رجل ليس هذا قول الله انما هو قول عدى بن زيد قال فقم والله ما قال

عدي (ومثل ذلك) ما حكى أن علي بن زياد الأيادي قال في بعض خطبه أقول
لكم كما قال العبد الصالح ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
فقام إليه انسان وقال ما هذا أقول عبد صالح انما هو قول فرعون فقال من قال
هذا فقد أحسن (وأم رجل) من الظرفاء يقوم اياما وكانوا من التغفل بمكان
فكانوا يطعمونه الخبز والسكك لا يزدونه عليهم شيئا فصلي بهم يوما الصبح
فقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا
أثمتكم كما تحابل لها فان لم تجدوا الحياء فشحما فان لم تجدوا شحما فبيضا ومن
لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وقرأ في الركعة
الثانية فان لم تجدوا يضاف شحما واطبخوه سكاجا فان لم تجدوا شحما فلبنا
ولا تحمضوه فحميضا ومن يفعل ذلك فقد اقترى اثما عظيما فلما فرغ من صلاته
جاؤه واعتذروا اليه من التقصير في حقه وأنهم لم يكن عندهم علم بان الله أنزل
في الوصية بالائمة شيئا وسأله في أي سورة هذه الآيات فقال لهم في سورة
المائدة (وكان) بعض الحق يتعشق جارية فهمام بهادها لا يقدر على الوفاء
اليها فزاره يوما فنام وتركها فقالت له ويحك ما دعاك الى النوم وقد ظفرت
بني ههواه فقال يا سيدتي أتناوم لعل أرا لك أيضا في المنام كما قال الشاعر

واني لاستغشى وما بي نعمة * لعل خيالا منك يلقى خيالها

وكتب آخر الى محبوبته ان رأيت أن تزورينا عصمنا الله وإياك فافعلي
فكتبت اليه يا أحق مني عصمنا لا نجتمع أبدا (ووقع) بين سليمان بن مروان
الاعمش وبين زوجته وحشة فسأل بعض أصحابه الاصلاح بينهما فدخل
اليها وقال ان أبا محمد شيخنا وفقهنا فلا يرهق فيه عموشة عنيبه وتنابطيه
ويخسر دقيه وجود كنيه وجوشة ساقيه وذلك بمرأى من الاعمش ومسمع
منه فقال له الاعمش كف لأم لك فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه
(وذكر) أن عبد الله بن فضالويه وكان عامل قزوين أنشد يوما

يوم القيامة يوم لا دواء له * إلا الطلاء والالطيب والطرب

فقال له من حضره اخطأت انما هو يوم الحجامة فقال أعذروني فاني لأعرف
أيهما (باع) بعض المتجلفين بستانا واشترى بثمنه حمارا فقال له صاحب له بع
ما كان بعلمه السما في عوضك الشعر واشترى ما كان بعلمه الشعر في عوضك الماء

(ومن هذا الباب) تجلف أبي غبشان وكان ساذجا للكعبة فإنه باع الكعبة بزق
خمر حتى ضرب به المثل في التجلف فقبل أخسر صفقة من أبي غبشان وتجاف
سلم الخاسر فإنه باع مصعفا واشترى بثمنه طنبورا فضر به المثل فقبل أخسر
من سلم

الفصل الثالث من الباب الثامن في أن أنواع التغفل والبله ستور على الأولياء مسبله

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا
منهم ولا نسأ من نساء عسى أن يكن خيرا منهن (وقال) صلى الله عليه وسلم
رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره (وقال) عيسى عليه السلام
للمحاوريين كونوا بلها كالحمائم حلما كالحيات (وقال) رسول الله صلى الله عليه
وسلم اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله (قال العلماء) هم البله في طلب
الدنيا لا يكاس في طلب الآخرة

* (فمنهم علبان الذي كان قاله مع الخلق وقلبه مستغرقا في اسرار الحق) *
يحكي عنه أن رجلا قال له من العاقل وهو يهزأ به فقال من حاسب نفسه
وراقب ربه (وقال) حفص بن عتاب قاضي الكوفة مررت بعلبان وهو
جالس في السوق فلما رأيته قال من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والنار في الآخرة
فليتمن ما هذا فيه قال ابن عتاب والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه أن أحيى لم تلدني
أو أني مت قبل أن ألي القضاء (وقال) لابي الوفاء قد مررت به رأيتك أسمنت
دابةك وأهزأت دينك أما والله إن أمانك لعقبة كؤد لا يجوزها إلا المخفون
(وعن) ابن أبي فديك قال رأيت علبان وقد دلى رجله في قبر وهو يلعب
بالتراب فقلت له ما تصنع ههنا قال أجالس أقواما لا يؤذونني إن حضرت
ولا يغتابونني إن غبت فقلت قد غلا السعير فهل تدعو الله فيكشف عنا الضر
فقال والله لا أبالي ولو حبة بدينار إن الله أخذ علينا العهد أن نعبدك كما أمر
وأن عليه رزقنا كما وعد ثم صفق يديه وقام قائلا

يا من تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

وتروى هذه الحكاية عن به أول الآتي ذكره (وقال) الحسن بن سهل بن منصور

رأيت الصبيان يرمون عليان بالحجارة فادماه حجر منهم فقال
 حبي الله توكت عليه * من نواصى الخلق طرأ في يديه
 ليس للهارب في مهربه * أبدا من راحة الا اليه
 رب رام لي بالحجار الاذي * لم أجذب دامن العطف عليه
 فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على
 غمي ووجعي وشدتي فيفرح هؤلاء موهيب بعض البعض (ومن شعره)
 أفلح الزاهدون والعابدون * اذلوا لهم أجاجوا البطونا
 أفرحوا الا عين لقريرة شوقا * فضى ليلهم وهم ساجدون
 حيرتهم مخافة الله حتى * زعم الناس أن فيهم جنونا

(ومن كانت نفسه عن الشبهات مكفوفة بهلول المعبد ومن مجانين الكوفة)

قال عبد العزيز المتكلم رأيت بهلولاً يوماً باكر افقلت يا بهلول كيف أصبحت
 قال بخيرا انتظر اناء من يوجب الاجر ويحط الوزر ويشد الازر ثم قال لي يا عبد
 العزيز احسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (ولما دخل
 الرشيد الكوفة خرج الناس لينظروا اليه فناداهم بهلول ياهرون ثلاثا فقال
 الرشيد من يجترئ علينا في هذا الموضع فقبل له بهلول فرفع طرف السجف
 وقال ان فقال يا أمير المؤمنين رويانا بالاسناد عن قدامة بن عبد الله العامري
 قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بحجر العقبلة لا ضرب ولا طرد ولا
 قيل بين يديه اليك اليك وتواضعك في شرفك هذا خير من تجبرك وتكبرك
 قال فبكى الرشيد حتى بدت دموعه على الارض وقال أحسنت يا بهلول زدنا
 برحمتك الله قال رويانا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أئمة رجل آتاه الله مالا
 وسلطانا ورجالا فانفق من ماله وعنف في جاله وعدل في سلطانه كتب في ديوان
 الله من الابرار قال الرشيد أحسنت يا بهلول وأمر له بجائزة فقال ارددها على
 من أخذتها منه فلا حاجة لي بها قال يا بهلول ان كان عليك دين قضيته عندك
 قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء أهل الرأي بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين
 بالدين لا يجوز قال فهل لك أن أجرى عليك رزقا يقوم بك ويكفيك فرفع طرفه
 الى السماء وقال يا أمير المؤمنين أنا وانت عيال الله ثم تركه ومضى وهذه
 الحكاية لذوى العقول كافية وللقلوب من أدواء الذنوب شافية

• (ومن مشاهير هذه الطائفة سعدون الطالب للعلا والرغب عن الدون) •

روى خالد بن عبد الله الطوسي قال لما حج هرون الرشيد فرش له من جوف العراق الى مكة لبودهر عزيرته فشي عليها القضاء نذروا عليه فاستند يومًا الى ميل من تعب ناله واذا بسعدون قد عارضه وهو يقول

هب الدنيا واتيكا * أليس المرن ياتيكا

فما تصنع بالدنيا * وظل المبلى بكفيك

الا ياطال الدنيا * دع الدنيا لشانكا

كما اضحكك الدهر * كذا الدهر ييكبك

فبكى هرون وقال الويل لنا ان لم يعف الله عنا (وقال) عيسى بن علي رأيت سعدونا والصيادين يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه فقال لي بعض الصيادين انه يزعم انه يرى ربه فقلت له ما تسمع مقالة الصيادين فقال يا أخي مذعرت الله ما فقدته ثم قال

زعم الناس أنني مجنون * كيف أسألو لي نوا ومصون

علق القلب بالكافي الدياجي * وهو بالله مغرم محزون

(وعن) عطاء بن سعيد قال كتب سعدون الى والينا أما بعد يا هذا ان لم تسخ من الخلق فاسخ من الخالق واحذر سم ما من سمامة فان سمامة لا تحظى ولا يغرنك حله عندك فانه ان عاقبك اهلك وهتك ثم كتب عنوانه ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (وقال) اسمعيل بن عطاء صررت بسعدون فلم أسلم عليه فنظر الى وقال

يا ذا الذي ترك السلام تعمدًا * ليس السلام بضائر من سلام

ان السلام تحية مبرورة * لست تحمل قاتلهم مغرما

(وروى سعدون يكتب بفهم على جدار)

ما حال من سكن الثرى ما حاله * أمسى وقد رثت هناك حباله

أمسى ولا روح الحياة تصيبه * أبدا ولا لطف الحبيب يناله

أمسى وقد درست محاسن وجهه * وتفرقت في قبره أوصاله

واستبدات منه المحاسن غيرة * وتقسمت من بعده أمواله

ما زالت الايام تلعب بالفضى * والمال يذهب صفوه وحلاله

(وكان) اذا اشتد به الجوع رمق بطرفه الى السماء وقال

أفتركني وقد آليت حلقا * بانك لا تضيق من خلقتنا

وأنت ضامن للرزق حتى * تؤدى ما ضمننا وما قسمنا

فاني واثق بك يا الهى * ولكن القلوب كما علمنا

* (ومن) * محاسن أخبارهم واحسن آثارهم التي هي للقلوب المعجلة

ربيع وللصدور الصدئة غيث مريع ما حكى أن سمعون قال لرجل يعظه

اجعل قبرك خزانة لك واحشها من كل عمل صالح فاذا وردت على ربك سررت

ما ترى * ومن كلامه اذا بسط الجليل بساط العقود خلت ذنوب الاولين

والآخرين تحت حواشيه واذا بدت ذرة من عين الجود ألحقت المسيئين

بالمحسنين (ومن شعره)

لئن أميت في نوبي عديم * لقد بلبا على حر كريم

فلا يزنك ان أبصرت حالا * مغيرة عن الحال القديم

(وقيل) لشقران من الحكم قال الذي لا يتعرض للعذاب الاليم قيل وما

العذاب الاليم قال البعد عن الرب الكريم (وقال) بعضهم رأيت فليتنا

والصبيان حوله يؤذونه ويرمونه بالحجارة وهو يقول ولئن صبر وغفران ذلك لمن

عزم الامور (وقال) أبوهم مام اسراييل بن محمد القاضي رأيت سابقا المعنوه

وهو يكتب على حائط بالفهم هذه الايات

نظرت الى الدنيا بعين مريضة * وفكرة معنوه وتاميل جاهل

فقلت هي الدنيا التي ليس مثلها * وناقست منها في غرور وباطل

وضيقت أياما طولا كثيرة * بلذات أيام قصار قلائل

(وقيل لمجنون) فيم يسمي هذا الخلق قال في طلب ما لا يكون من الدنيا قيل فما

يطلبون قال الراحة وذلك ما لا يجدون

* (الباب التاسع في السجاء وفيه ثلاثة فصول) *

* (الفصل الاول من هذا الباب) *

في أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائيل

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا بجد الله

عليكم ألا ان السجاء شجرة في الجنة أغصانها مدلاة في الارض فمن أعلق

بغصن منها أدخله الجنة ألا وإن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة رواه
 أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بإسناد متصل في كتاب الخلافة (وقال)
 صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده إذا عثران
 السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
 ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل (وقال) صلى الله عليه وسلم الخلق
 كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله (وروي) أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أتى بأسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً
 فقال على رضى الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد
 فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلاة والسلام نزل على جبريل صلى الله عليه
 وسلم فقال اقتل هؤلاء واترل هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) صلى الله
 عليه وسلم أحب العباد إلى الله من حب إليه المعروف وإنما سمى المعروف
 معروفاً لأن الكرام عرقته فالقته والسخاء سخياً لأن سخاء نفس الرجل بما في يده
 يصون به عرضه عن ذم اللثام وتركه ما في أيدي الناس يغلق عنه باب الملام
 وهو أن جمعهما فقد وهب أشرف أخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص
 والعام (ويقال) في مدح مثل هذا فلان بما له متبرع وعن مال غيره متورع
 (ويقال) مراتب العطاء ثلاث سخاء وجود وإيثار فالسخاء اعطاء الأقل
 وامسالك الأكثر والجود اعطاء الأكثر وامسالك الأقل والإيثار اعطاء
 الكل من غير امسالك لشيء وهذه أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح
 وأولها فإن إيثار المرء غيره على نفسه أفضل من إيثار نفسه على غيره وكفى
 بهذه الخلقة شرفاً مدح الله تعالى أهلها في قوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
 بهم خصاصة ومن يوق شغ نفسه فأولئك هم المفلحون (وقالوا) الجواد من
 لم يكن جوده لدفع الأعداء وطلب الجزاء كما قال عبد الله بن جعفر أمطر
 معروفك فإن أصاب الكرام كافؤاله أهلاً وإن أصاب اللثام كنت له أهلاً
 * (فما) * ورد عن ذوى الأفضال في الحث على العطاء والنوال ما ذكر عن
 عبد الملك بن مروان أنه كان يقول لبنيه يا بني أمية إن المؤمن الكريم يتقى
 عرضه بما له فلا يتجاولوا إذا شتمت فإن خير المال ما أفاد جداً أو ثقي ذماً ولا يقولن
 أحدكم أبداً بمن تعول فأنما الناس عيال الله تكفل بارزاقهم فمن وسع

وسع عليه ومن ضيق ضيق عليه ثم تلا قوله تعالى وما انفقت من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين فيما لله العجب ما أشد ما بين قول هذا الخليفة فعلة وخالف
سخاؤه بخله وكيف قسم خليفته بين الإيجاب والسلب وخص لسانه بالمدح
وقلبه بالثلب (وقال) زهير بن جذيمة لولده عليكم باصطناع المعروف واكتسابه
وتلذذوا بطيب نسيمه ورضاه وارضوا مودات الرجال من أثمانه قرب رجل
قد صفر من ماله فعاش هو وعقبه في الذكر الجليل (وقال) شاعر في مثل هذا
إذا كنت ذا حظ من المال فاكتسب * به الاجر وارفع ذكرا أهل المقابر
(الفقيه منصور يري)

سألت رسوم القبر عن ثوى به * لأعلم ما لاقى فقات جوانبه
أتسأل عن عاش بعد وفاته * بمعروفه اخوانه واقاربه

(وقال) أبو نصر الميكالي

الجود رأى موفق ومستد * والبذل فعل مؤيد ومعان
والبرأ كرم ما وعته حقيبة * والشكر أفضل ما حوته يدان
وإذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان
(وقال) بعض الأعراب الدراهم مياسم تسم حمدا وزما فن حبسها كان لها
ومن أنفقها كانت له * أخذ شاعر هذا المعنى فقال

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذي هو مال كده
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركة

(وأوصى) قيس بن معد يكرب بنيه فقال يا بني عليكم بهذا المال فاطلبوه أجل
الطلب ثم أخرجه في أجل مذهب فصولا به الأرحام واصطنعوا به الكرام
واجعلوه جنة لا عراضكم ووسيلة تصلون بها إلى أغراضكم تحسن في النار
مقاتلكم فان بذله تمام الشرف وثبات المرواة وأنه ليسود غير السيد ويقوى غير
الأيدي حتى يكون في الناس نبلا وفي القلوب مهيبا جليلا (وقال الجاحظ) ليس
شيء الذولا أسر ولا أنعم من عز الأمر والنهي ومن الظفر بالأعداء ومن تقليد
عقود المنز في أعناق الرجال لأن هذه الأمور هي نصيب الروح وحظ الذهن
وقسمة النفس فان أحببت أن يراد في الإحسان اليك وان يثبت لديك ما أنعم
الله به عليك فاقض حاجة من قصدك وابسط لهما لبشر وجهك وبالمعروف

يدك (وقال) الجحاج في بعض خطبه لا يملن أحدكم المعروف فان صاحبه يعوض خيرا منه اما شكر في الدنيا واما ثواب في الآخرة (وكان يقال) المعروف كنز لا تأكله النار وثوب لا يدنس العار (وقال الاحنف بن قيس) ما ادخر الا ثابا للابناء ولا أبقت الاموات للاحياء أفضل من المعروف عند ذوى الاحساب والآداب (وكان يقال) انما مالك أواللعاجة أو للورثة فلا تكن أعجز الثلاثة (وقال) بشار بن برد من قصيدة مدح بها خالد بن برمك أخا لدان المال يبنى لاهله * جمالا ولا يبنى الكنوز مع الحمد فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقيها ان العواري للرد

(المتنبي)

وأحسن شئ في الورى وجه محسن * وأمين كف فيهم كف منعم وأشرفهم من كان أشرف همة * وأعظم اقدا ما على كل معظم لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءه مجرم

(بعضهم)

اذا المال لم يتقع صديق ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم فعقباه أن تختاره كف وارث * وللباخل الموروث عقي التندم

(محمود الوراق)

تمتع بمالك قبل الممات * والافلام مال ان أنت متا شقيت به ثم خلفته * لغيرك يحقا وبعدا ومقتنا يجود عليك بزور البكاء * وجدت له بالذى قد جمعنا وأوهبته كل ما في يدك * وخلالا رهنا بما قد كسبنا

* (ويستظم في سلك هذه الايات ما يروى من واعظ الحكايات)

(يحكى) ان هشام بن عبد الملك لما احتضر رأى أهله يبكون عليه فقال لهم جادلكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب يا سوء حال هشام ان لم يغفر الله له (بعضهم)

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل * فلتخبر وقتك أن ترى مسؤلا واعلم بانك عن قليل صائر * خبرا فكن خبرا يروق جيلا (الشريف الرضى)

أحق من كانت النعماء سابعة * عليه من أسبغ النعماء على الأمم
وأجدر الناس أن تعنوا لرقاب له * من يسترق رقاب الناس بالنعم

* (الحض على انتهاز فرصة الامكان في اسداء المرجو من الاحسان لمن كان) *

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه
لا يدري متى يغلق عنه) (وقال) حكيم الدنيا غرارة ان بقيت لك لم تبق لها (وقال)
عبد الله بن شداد لابنه يابني عليك باصطناع المعروف فان الدهر ذو صروف
والايام ذات نوائب تقضى على الشاهد والغائب كم من ذى رغبة صار مرغوبا
اليه وكم من طالب صار مطلوبا بالديه (شاعر)

ليس في كل ساعة وأوان * تنبها صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
واغتنمها اذا قدرت عليها * حذرا من تغير الزمان
أحزم الناس من اذا احسن الدهر * وتلقى الاحسان بالاحسان
(ابن النقيب الكافى)

الحمد ايسر ما اجتناه المجتنى * والمجد ارفع ما ابتناه المبتنى
فاذا وليت وكان امرك نافذا * فادخر صنيعاى الولاية وابتنى
من قبل أن يسعى لها فتفوته * وتقول عند فواته ياليتنى
(ابن هندو)

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فان درى السكون متى يكون
(آخر)

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذ كفضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لالك عند الناس حاجات
*(ومن) * أحسن ما قيل من الايات فى انتهاز الفرصة بالمعروف واغالة
المكروب والملهوف قول سالم الانبارى

تمتع من الدنيا بساعتك التى * ظفرت بها ما لم تعقك العوائق
فما يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الا تى به أنت واثق

* (احتجاج المتبجح بالمعروف على السائل المجهول والمعروف) *

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يحمل تلك فقد عرض تلك النعمة للزوال (وقيل) لعبد الله ابن جعفر وكان جوادا اقتصد في العطاء فان من ذهب ماله ذل فقال ان الله عودني بالافضل على وعودته بالافضل على عباده فأخاف ان أقطع العادة فيقطع عني المائدة ثم تلا قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وقيل) أحسن الناس عيشا من حسن عيش غيره في عيشه (وقيل) لعبد الله ابن طاهر وكان جوادا أنفق وأمسك بعض الامساك فقال ان سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان أبدا * نظم به بعض الشعراء فقال

أرأيت تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذلك الجيلا
وكيف يسود أخو فطنة * بمن كثير ما يعطى قليلا
(آخر)

ما اجتمع المال وحسن الثناء * مذ كانت الدنيا لانسان
وأى هـ ذين تخبرته * ضنا به فآله عن الثاني
(آخر)

صون الفتى عرضه عما يدنس * وصونه ما حواه ليس يجتمع
المال يتلفه دهر او يرجعه * اليه والعرض لا يمضي فيرتجع
(أبو تمام من أبيات)

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرئ والدرهم
ولم أر كالمعروف يرعى حقوقه * مغارم في الاقوام وهي مغانم
(وقال) ابن عباس لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فانه يشكر له عليه
من لم تصطنعه اليه (شاعر)

اني اذا أمكنتني ساعة سعة * زينت بالبذل أو صافي وأحوالى
اما شكور فزى لي اعائه * أو الكفور فعرضي صنت بالمال
(آخر)

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها شكورا وكفور
ففي شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما جحد الكفور

(آخر)

(آخر)

وأفضل ما دخرت على الليالي * صنائع عند مصطنع شكور
 * (ومن) * المقامير التي لا تزاء فيها ولا خلاف بسط الوجه وبذل القرى
 للاضياف * أقول من شرع سنة قري الأضياف سيدنا ابراهيم الخليل عليه
 السلام كان اذا لم يجد من يأكل معه يخرج الى الطرقات ليأتي بمن يأكل
 معه ثم تبعته العرب على سنته وأول من وضع المواثيق على الطرق سيدنا عبد
 الله بن عباس وكانت نفقته في كل يوم خمسة دنانير قال شاعر يمدح من هذه
 صفته

البحر بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره

(وفي مثله) يقول الشاعر في خالد بن برمك

تأبى خلائق خالد وفعاله * أن لا يجيب لكل أمر غائب
 واذا حضرنا الباب عند غذائه * أذن الغذاء لنا برغم الحاجب

(وقال بعضهم)

أبيت خيمص البطن غرثان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
 وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل قرا الليل من دونه لبسى
 حذار مخازاة الاحاديث في غد * اذا ضمني وحدي الى صدره رمسى

(آخر)

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والزمان جديب
 وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(آخر)

أوقد فان الليل ليل قتر * والريح ماسر لريح مصر
 عسى يرى نار لمن يمر * ان جلبت ضيفا فانت حر

(آخر)

يسترسل الضيف انسا في منازلنا * فليس يعلم خلق أينما الضيف
 والسيف ان قسته يومنا نباشها * لم تدر من عز منا من ذاهو السيف

(آخر)

قالت سلمي لحالك الله من رجل * ما تحفظ العهد والميثاق والذمما

وحرمه الضيف ما ان خنت عهدكم * وقد حلفت يمينا برة قسما
لو يعلم الضيف عندي قدر منزله * لتاه حتى يرى لا يرجع الكلام
أقول للأهل والقربى وقد حضروا * ففوا قليلا فان الضيف قد قدما

(آخر)

لحما الله من يمسي بطينا وجاره * لقرط الخوى محنى الضلوع خبيص
لعمرك ما ضيفي على تبين * وانى على ماسره الحريص

(ابراهيم بن هرمة)

يبتون في المشتى خفاصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن بقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار في الظلماء ألوبة حرا

(وتبعه ابن المعتز فقال)

وليل يود المصطلون بناره * ولو أنهم حتى الصباح وقودها
وفعت به نارى لمن يتغنى القرى * على شرف حتى أتاها وقودها

(آخر)

ومستجبع بعد الهدى برقدة * بشقراء مثل البحر باد وقودها
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بوارد نار منجد من يرومها
فان شئت اوتنا في الحى مكرما * وان شئت بلغناك أرضا رومها

(آخر)

لا تبع دن قوى وان كانوا خوى * فلتنعم ماوى الضيف والجيران
الضيف فيهم لا يحول رحله * والجار مضمون من الحدثان

(آخر)

الضيف اكرم ما استطعت محله * وتلقه بتودد وتهلل
واعلم بان الضيف يوم ما مخبر * بمبيت ليلته وان لم يستل

(وصية كريم بالسودد عليه) قال بعض البلغاء سودد بلا جود كملك
بلا جنود (وقالوا) جود الرجل يحبيه الى اضداده وبخله يغيظه الى أولاده
(وما أصدق من قال)

اذ لم يكن للمرء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود القوم من هو مثلهم * بلا منة منه عليهم ولا يد

(وقال)

(وقال) بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومكافأة ومحبة وثواب البخل حرمان
واقلاف ومذمة (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان للنعمة اجنحة
فان أمسكت بالاحسان قرت والافرت (وقال) محمد بن الحنفية رضي الله
عنه ان افضل المال ما افاد شكرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولورأيت
المعروف لرأيتوه حسنا جيلا (وقال) المؤمنون لان اخطئ معطيأ أحب الي
من ان أصيب مانعا

العرف زينة ذى النهى وذخيرة * يلتق جوائزها بكل مكان
ما ضاع معروف أتيت الى امرئ * فقد اوراق يذيعه بلسان

{ ذكر الاجواد المعروفين ببذل الاموال }
{ والموصوفين باصلاح فساد الاحوال }

أسخاهم وأجودهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * في الحديث
الصحيح انه ما سئل شيأ قط فقال لا فان يكن عنده اعطى وان لم يكن عنده
استدان اعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى الاقرع بن حابس
مثناها واعطى اعربيا غنما بين جباين فانطلق الاعرابي وقال لقومه اسلموا
فان محمد ا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (وقال) أنس
ابن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله
فوضع في المسجد ثم خرج فصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فبارأى
أحدا الا أعطاه منه فجاءه عمه العباس فقال يا رسول الله انى قاديت نفسى
وقاديت عقيلأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خذ فخذ فى ثوبه ثم ذهب
ليقوم فلم يستطع فقال يا رسول الله مر من يرفعه على قال لا قال فارفعه أنت
قال لا فترمنه ثم احتمله على كاهله وذهب فما زال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا انعجابا من حرمه وما قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى فرق المال جميعه

* (وممن) * هرت الوفود ارجاء نادية وغمرت بالجود فواضله وأباديه أجواد
العرب فى الجاهلية الذين ضرب بهم المثل فى الجود ثلاثة لارابع لهم وهم
كعب بن مامة الايادى وهرم بن سنان النمرى وحاتم الطائى وقد جمعهم بعض
الشعراء فى بيت واحد فقال مادحامن أبيات

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم * وحاتم جود كفيه لماذكروا
(ومن أجواد العرب) عمرو بن عبد مناف فإنه أول من هشم الثريد وجع قومه
عليه فسمى لذلك هاشما وفيه يقول الشاعر

عمرو العلاء هشم الثريد اقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
هو يقال في المثل ما أحد كهائهم وان هشم ولا تكاتم وان حتم (وأجواد العرب
في الاسلام) عبد الله بن عباس وأخوه عبيد الله * فنما ثور عن عبد الله
أن رجلا أراد مضارته فأتى وجوه قريش وهم جلوس في فضاء الكعبة
وقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فأقوه وقت الغداة حتى ملؤا
البيت فسألهم عن مجيئهم فأخبروه الخبر فأمر قوما بشراء فاكهة وأمر قوما
بالخبز وقوما أن يطبخوا وقدمت الفاكهة اليهم فامروا من أكلها حتى
قدمت الموائد فأكلوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لو كبله أوجد مثل هذا كل
يوم إذا أردناه قال نعم قال فلي تغدوا عندها كل يوم (وأما عبيد الله) فإنه كان
لفرط جوده يسمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق وكانت
تنفق في كل يوم خمسمائة دينار وكان إذا خرج من دوره طعام إلى رحابه
ومساجده لا يرذ اليها منه شيء فان لم يجد من يأكله ترك مكانه فربما أكلته
السباع وكان هو والناس في ماله سواء من سأله أعطاه ومن لم يسأله ابتداء
فلا يرى أنه يفتقر فيقتصر ولا يرى أنه يحتاج فيدخر (وكان يقال) من أراد
الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس فالجمال للفضل والفقه لعبيد الله
والسخاء لعبيد الله (ومن الأجواد) عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا أعش
كنت عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقيم من مجلسه حتى فرقها
وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وكان كثيرا ما تصدق بالسكر فقيل له
في ذلك فقال اني أحبه وقد قال الله تعالى لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون
واعتق ألف عبد كان إذا رأى عبدا من عبده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له
انهم يخذعونك فقال من خدعنا بالله اتخذنا له (ومن الأجواد) الحسن
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اعطني عشرة آلاف
درهم فأخذه واطلق به إلى منزله فأعطاه عشرة آلاف درهم وخرج لله
من ماله مائة ألفين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه أعطى ثعلبا وأمسك ثعلبا

(ومن أجود العصابة العشرة رضى الله عنهم) عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن العاص كانوا رضى الله تعالى عنهم إذا رأوا أموالهم كثرت وزادت نقصوها بإبلاء البر والسداد المعروف خوفاً من أن تحملهم تقومهم على البطر والطغيان وإن تلهمهم بكثرة ما عن الاشتغال بعبادة الرحمن (فمن المأثور عن عثمان بن عفان) أنه اشترى بئر رومية بأربعين ألف درهم وادفعها على المسلمين وأنفق في جيش العسرة عشرة آلاف دينار ذهباً فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها بيده ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ولا تسألني ما عمل بعد اليوم * وأصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاؤا إلى أبي بكر وقالوا يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تثبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا العثمان بن عفان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونهم فاذا هي ألف بعير موسوقة براوزيتا وزيبافاً ناخت يباب عثمان فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا انك تعلم ما نريد بعننا من هذا الذي وصل اليك فانك تعلم ضرورة الناس اليه قال حبا وكرامة كم تربحوني على شراي قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو وما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذي أعطاك قال إن الله أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين * ومن المأثور عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أنه كان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج كل يوم فايدخل بيته منه درهم واحد بل يتصدق بذلك كله (ومن المأثور عن عبد الرحمن بن عوف) أنه باع أرضاً من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسم ذلك في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وبعث إلى عائشة رضى الله عنها من هذا المال بأربعين ألف درهم فقالت سقى الله ابن عوف من سلسيل الجنة * وحمل مرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة مائة

فرس في سبيل الله ثم جل مرة أخرى على ألف وجسمائة راحله في سبيل الله
وشاطر الله تعالى ماله ثلاث مرات وأمر أن يتصدق بعده وبته بثلاث ماله فعوفي
فتصدق به بنفسه وجلس ليلة في بيته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب جريدة بتقريب جميع ماله على فقراء المهاجرين والانصار حتى كتب
قيمه الذي على يده هذا الفلان وهذا الفلان ولم يترك شيئاً من ماله الا كتبه فلما
صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ناو له الجريدة فنزل جبريل عليه
السلام وقال يا محمد يقول الله لك اقرأ السلام مني على عبد الرحمن وبأمر
أن ترزله جريده وقل له ان الله قد قبل صدقتك وهو وكيل الله ووكيلك فيها
فليصنع في ماله ما شاء ويتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل ولا حساب
عليه * وروى أنه أعتق ثلاثين ألف عبد * ومن المأثور عن سعيد بن العاص
رضي الله عنه أن رجلاً سأله فقال اغلامه أعطه خمسمائة فغضى الغلام ثم رجع
اليه مستهماً ديناراً ودرهما فقال ما كنت أردت الا دراهم أما اذ قد رجعت
فصيرها ديناراً ففعل الرجل بيكي فقال له ما يكيك قال أبكي على أن تأكل
الارض مثلك * وروى عنه أنه عزل عن المدينة فانصرف ليلة من المسجد الى
منزله وحده فرأى رجلاً يتبعه فقال له ألك حاجة قال لا ولكن رأيتك وحدك
فوصلت جناحك فقال وصلاح الله يا ابن أخي اطلب لي جلد او ادع لي مولاى
فلاناً فأتاه به فكتب له مائة عشرة آلاف درهم وأشهد عليه مولا بهما وقال اذا
جاءت غلنا دفعنا اليك ذلك فأت سعيد في تلك السنة فجاء الرجل بالصك الى
ولده عمر وفامضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم * ولما احتضر سعيد قال لابنيه
لا يفقد أحصائي بعد موتى غير وجهي أجروا عليهم ما كنت أجري واصنعوا
اليهم ما كنت أصنع بهم واكفوهم مؤنة الطلب فان الرجل اذا طلب
الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائضه مخافة أن يرد عنها والله لرجل
بات يتمال على فراشه وأكم موضعه الحاجة أعظم منة عايكم منكم بما تعطونه
* وروى أيضاً أنه لما احتضر قال لابنيه أيكم يتكفل لي بثلاث فقال ابنه
عمر وأنا قال اقض عني ديني وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدتها الا للكريم
سددت خلته أولئيم وقيت عرضي منه قال على دينك يا أبت قال قد بقيت
اقتنان قال وما هما قال ينامي لا تزوجهن الا الاكفاء ولو نقلن من خبز الشعير

قال أفعل قال وبقيت واحدة هي أشد من علي قال ما هي قال ان فقد أصحابي
وجهي فلا يفقدون معروف يابني ثلاث ضقت بهم ذراع رجل اغبر وجهه
في التردد للتسليم علي ورجل ضاق في مجلسي فتزحزح لي ورجل نزل به مهمة
من الامور فبات متمللا علي فراشه يتقلب من أمره ظهر البطن فلما أصبح رآني
موضعا للحاجة فلم أكفنه ولو خرجت من جميع ما أملك (ومن الاجواد)
طلحة بن عبيد الله التميمي فرق في يوم واحد مائة ألف درهم * وقال قبيصة بن
حاتم صحبت طلحة بن عبيد الله فآرايت أعطي لجزيل من غير مسئلة منه وهو
احد مشاهير الطلحات الذين يضرب بهم المثل في الجود وكانوا ستة ويسمى هذا
طلحة القباض * وطلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر التميمي أيضا وهو طلحة
الجود * وطلحة بن عبد الله بن عوف أخى عبد الرحمن بن عوف الزهري ويسمى
طلحة النداء * وطلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو طلحة
الخير * وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ويسمى طلحة الدراهم * وطلحة
ابن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات وسمى بذلك لانه كان أجودهم
وقيل سمي بذلك لانه وشب في عام واحد ألف جارية فكادت كل جارية منهم
اذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها * وعن الحسن قال باع طلحة بن عبد
الله بن خلف الخزاعي أرضا بسبع مائة ألف درهم فبات ذلك المال عنده ليلة
فبات أرقا مخافة ذلك المال حتى أصبح فقرقه (ومن أجواد الصحابة) معاوية بن
أبي سفيان قال عبد الله بن عمر ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجود من معاوية وهو أول من أعطي ألف ألف في صلة وكان يعطيها للعسك
والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ولما مات معاوية وولى ابنه
يزيد دخل وفد عبد الله بن جعفر على يزيد فقال له يا أبا امر المؤمنين ان والدك كان
يصل رجلي في كل عام بألف ألف درهم فقال يزيد نعم وكرامة أعطوه ألف ألف
وألف ألف وألف ألف فقال له عبد الله بأبي أنت وأمي يا أبا امر المؤمنين وما قلتما
لاحد غيرك قال يزيد لا جرم انى أضعفها لك فلك عليها ألف ألف أخرى فخرج
عبد الله بأربعة آلاف ألف درهم فقيل ليزيد أقطع لرجل واحد أربعة آلاف
ألف درهم فقال للمتكرو ويحك انما أعطيتها لاهل المدينة وما هي في يده الا عارية
ولم تزل عطيات الخلفاء ألوف الألوف وكان آخر من فعلها من الخلفاء المنصور

ومن الزرارة الحسن بن سهل (ومن غرر) حكايات معاوية في العطاء أنه حج
فلما انصرف من المدينة قال الحسين بن علي ل أخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم
عليه فقال ان علي ديننا ولا بد من اتيانه فركب في أثره حتى لحقه وسلم عليه
وأخبره بدينه فبينما هما يتماذنان اذ مر بجنتي قد أعياه جملة وقوم يسرقونه
لبطقوا به المحول فقال معاوية ما شأن هذا البعير فذكر والله أنه أعياه
ما عليه من المال قال وكم عليه قالوا ثمانون ألف دينار فقال اصرفوها
لابي محمد (ومن الاجواد) عبد الله بن جعفر الطيار وكان يسمى بجرالهود
بلجوده ويقال انه لم يكر في عصره أجود منه (ومن المأثور عنه) انه وقف على بابه
يوما وكان أرباب الحاجات ينظرون خروجه فنهضوا اليه فاطلب أحد حاجة
الاقضاء له وكان فيمن حضر نصيب الشاعر فلم ينظر الى ما يسمع عنه تقدم اليه
وقبل يده وأنشد

ألفت نعم حتى كأنك لم تكن * عرفت من الاشياء شيئا سوى نعم
وعاديت لاحق كأنك لم تكن * سمعت بلا في سالف الدهر والام

فقال له عبد الله ما حاجتك قال هذه راحلي تمرني عليها قال أخرج ثم أوسقها
له براترا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثياب فقال قائل
لعبد الله يا ابن الطيار أعطني هذا العطاء كله لمثل هذا العبد الأسود فقال ان
كأن أسود فان شعره لا يبيض وان كان عبدا فان ثنائه لجروهل أعطيناه
الارواح ملقضي وطعاما يفي وثيابا تبلى وكان يعتق في غزاة كل شهر مائة عبد
(ومن حكاياته) أنه ابتاع حائطا فخل من رجل أنصاري بمائة ألف درهم فرأى
ابنائه يبكي فقال له ما يبكيك قال كنت أطلب أنا وأبني أن نموت قبل خروج هذا
الحائطا من أيدينا ولقد غرست بعض نخلة يسيدي فدعا أباه ورد عليه الصك
وسوغة المال (ومن الاجواد) عرابه الاوسي يحكي عنه أنه اجتمع جماعة فناء
العبادة تذاكر والاجواد فقال أحدهم أجود الناس عبد الله بن جعفر
وقال آخر أجود الناس قيس بن سعد بن عبادة وقال آخر أجود الناس عرابه
الاوسي فقال رجل من الجماعة ليمض كل واحد منكم لصاحبه ياله حتى تنظر
ما يعطيه وتحكم على العيان فقام صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله في
الركاب يريد سفره فقال له يا ابن بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل

ومنقطع به فأقام ثني رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تحل عن السيف فانه
 من سيف علي بن أبي طالب قوم علي بألف دينار فجاء بالناقة بما عليها من
 مطارف خرو أربعة آلاف دينار وأعظمها السيف ومضى الآخر الى قيس
 ابن سعد فوجده نائما فقال له غلامه هو نائم فاحجك قال ابن سبيل ومنقطع به
 قال حاجتك أيسر من ان أوقفه هذا كيس فيه سبعة مائة دينار والله ما في دار
 قيس اليوم غير هاخذها واض الى معاطن الابل بعلامة كذا الى من فيها
 فخذ راحلة وعبد او امض الى شأبك قبل ان تيسا لما اتبه أعلمه غلامه بما صنع
 فأعقبه وقال له هلا أيقظتني فكنت أريده ومضى صاحب عرابة فلقب به قد
 خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبيدين وقد كف بصره فقال يا عرابة
 ابن سبيل ومنقطع به فتخلى عن الغلامين وصفق بيديه وقال أوام والله ما تركت
 الحقوق لعرابة ما لاخذ العبدين فقال الرجل ما كنت بالذي أقص جناحك
 قال ان لم تأخذهما فلهما حرا فان شئت فخذوا ان شئت فأعقب ورفع يديه
 عنهما وتركهما وأقبل يلتبس الحائط بيده فاخذ الرجل الغلامين وجاء بهما الى
 أصحابه فاجمعوا على أن عرابة أجود الثلاثة لانه جهد من مقل وان الغير
 اعطى من سعد وفي عرابة يقول الشماخ

رأيت عرابة الاوسى يسهو • الى العليا منقطع العرين

اذا ما راية رفعت لجهد • تلقاها عرابة بالعين

(ومن الاجواد) عبيد الله بن أبي بكره واسمه نضيم كناه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم به ولا فراطه في الجود كتب عبد الملك بن مروان الى الحاج ان لا توليه
 عملا فانه أربحي (ومن حكاياته) أنه أوسع له رجل في مجلس فلما قام قال للرجل
 الحقني الى منزلي فلفقه فأمر له بعشرة آلاف درهم • وابتنى دارا بالبصرة
 أنفق عليها عشرة آلاف دينار فدخل عليه فيها بعض أصحابه واستحسنها
 فقال هي لك بما فيها من الفرش والاثاث والريق فقال الرجل بعمرها الله بك
 وبعثك بها فقال والله لآقبلنها فقبلها • وولاه عبد الله بن زياد حجتان وأمره
 بهدم ما فيها من بيوت الاشراف فهدمها وأخذ ما فيها من الاموال المعدة
 للنفقة على سدته فكانت أربعة آلاف درهم فما أتى عليه الحول حتى
 استدان (ومن الاجواد) اسماء بن خارجة مما يهكي عنه أنه رجع يوما الى داره

فراى فتي بالسباب جالس فقال ما أجلسك ههنا قال خير قال والله انخبرني قال
جئت سائلا أهل هذه الدار ما آكل فخرج الى منها جارية اختطفت قلبي
وسلبت عقلي فانا جالس لعلها تخرج ثانية فانظر اليها قال أفتمعرفها اذا رأيتها
قال نعم فدمعنا في الدار من الجوارى وجعل يعرضهن عليه واحدة بعد
واحدة حتى مررت الجارية فقال هذه فقال قف مكانك حتى أخرج اليك ثم دخل
الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى انما أبطأت عليك لانهم لم تكن لي
وانما كانت لبعض بنياتي ولم أزل بها حتى ابتعتها منها خذ يدها فقد وهبتها
لك وهذه الالف أصلم بها شأنك (ومن الاجواد) يزيد بن أبي صفرة وله حكايات
شهدت بكرم نجاره ونكب عن لحاقه فيها كل كريم فلم يجاره (منها) أنه دخل
عليه الكوثر بن زفر الكلابي حين ولاء سليمان بن عبد الملك العراق فقال
له يعني ابن زفر أنت أكبر قدرا من أن يستعان عليك الابن ولست تصنع
من المعروف شيئا الا وهو أصغر منك وليس العجب منك أن تفعل ولكن العجب
منك من أن لا تفعل قال سل حاجتك قال تحملت عشرين ديات وقد هاضني ذلك
قال قد أمرت لثيها فقال الكوثر أما ما سألك لوجهي فأقبله منك وأما الذي
بدأتني به فلا حاجة لي به قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال رأيت الذي رمته
بيذل مستلقى ابانك وبذل وجهي لك أكبر من معروفك عندي فكرهت الفضل
لك علي فقال يزيد فانا سألك كما سألتني أسألك بحقك لما أهانتني له من انزال
الحاجة بي الا قبلتم فافعل (وأقول) من عمل البىار ستمانات وأجرى الصدقات
على الزمنى والهدومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن
عبد الملك * وهو أقول من تكبر من الخلفاء وانف أن يدعى باسمه كما كان يدعى
من قبله من الخلفاء ويكفيه منقبة بناؤه جامع دمشق الذي هو أحد عجائب
مباني الدنيا (ومن الاجواد) معن بن زائدة الشيباني ويكفيه أن يقال فيه
حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج وسنورد شيئا من اخباره في
الفصل الثاني من هذا الباب (ومن الاجواد) الذين توارثوا الكرم خلفا
عن سلف بنو برمك وهم ستة خالد وولده يحيى وأولاده أربعة وهم الفضل
وجعفر وموسى ومحمد (فاما خالد) فلم يرزل يرتضع ثدى الخلافة صبيبا الى أن بلغ
من الكبر عتيا (من جوده) أنه لم يكن لاحد من أصحابه ولد الا من جارية قد

وهبها له ولأدارا لامن دورا تفق على بنائها ماله وكان القصاد يسمون قبل ايامه
بالسؤال فكره هذه التسمية ورأى انها نقص فيهم وقال ان فيهم من له بيت
وشرف وعلم وأدب فسماهم بالزوار وكانوا يقصدونه في المواسم للهنا بها
فيكتبون اسماءهم وتعرض عليه فيخص كل واحد منهم على حدته ويسأله
بما يحب اليه حتى يعطيه بقدر ماله ومنزله * وتقدم اليه رجل فقال له بماذا تمت
فقال والله ما بي من مائة ولا حزمة ولا وسيلة ولكن رغبته اليك بحسن الظن
فيك والتية بكرمك وما بلغني من جودك فقال ما ههنا أحد اولى منك بالعطية
فأجزل صلته * ثم سأل آخر فقال حرمتي بالاميرأته جمعني واياه مسجد بجرجان
يوم كذا في شهر كذا ففصلنا فيه فقال حزمة لا تدفع وأمر له بصلة وفيه يقول
بشار بن برد

لعمرك قد أجدي على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدي
حلبت بشعري راحتيه فدرتا * على كادرا السحاب على الرعد
أخالد ان الحمد يتي لا هله * جالا ولا تتي الكنوز مع الكد
فأطم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العواري للرد
(ثم) كان ابنه يحيى سالكا في سنه آخذا في الجود بفرائضه وسننه فقبه يقول
سلم الخامس

يا أيها الملك الذي * أضفى وهمته المعالي
أنت المنوء باسمه * عند الملأ الثقال
ثم الذي أمواله * عند المحامد خير مال
لله درك من فتى * ما فيك من كرم الخلال
يحيى بن خالد الذي * يعطى الجزيل ولا يبالي
أعطاك قبل سؤاله * وكفالك مكروه السؤال
ملك خلا من ماله * ومن المرواة غير خال
واذا رمالك بموعد * كان النوال مع المقال
(وأولاده) سادوا فسادا وأسس وجادوا فزادوا المن بما غرس فلهم طارف
السجاء وتليده وكهل النساء ووليد فالفصل في جوده وزااته وجعفر
في بلاغته وفصاحته وموسى في فجده وشجاعته ومحمد في مروأته وبعد همته

وفيه يقول الشاعر

أولاد يحيى أربع * كالاربعة الطبائع
فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع
لكن الفضل كان لتلقى العفاة أبسطهم
وأمدتهم بالانعام يدا لاسيمان ترنم شاعر بمدحه أو شدا وفيه يقول الخياط
المدني

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى * ولم أدرك الجود من كفه بعدى
فلا انا ما قد أفاد ذروا الغنى * أفدت وأعداني فالتفت ما عندي
(وفيه يقول سلم الخاسر)

سأرسل يتاقدوسمت جبينه * يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والجود في كل بلدة * أقام بهم الفضل بن يحيى بن خالد
(وفيه يقول مروان بن أبي حفصة وجمعهم على التسق)

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد * وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلا منك في الناس شائعا * فسمالك فضلا فالتقى الاسم والفعل
وزادك فضلا أن أهلك في الوري * كرام اذا أزرى بذى الشرف الكهل
ولم يبق فيك الجود للبخيل موضعا * فأصبح يستعدى على جودك البخيل
اذا كذبت اسماء قوم عليهم * فاسمك صديق له شاهد عدل
(وفيه يقول الحسن بن مطير رجه الله تعالى)

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة * ففضله والله بالناس اعلم
له يوم يؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس انم
فيعطرون الجود من كفه الندى * ويعطرون البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم
ولو أن يوم البؤس خلى شماله * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

• (ومن قام يديع مدحه اللسان من ذوى الانعام والاحسان) •

وصف اعرابي رجلا فقال ذا الرجل اشترى عرضه من الاذى فهو وان أعطى
الدنيا بأسرها رأى بعد ذلك ان عليه حقوقا منها (ومدح) اعرابي قوما بالجود
فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل اعراضهم فالجود فيهم زائد والجود لهم

شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفسهم إذا طلبت إليهم ويباشرون المكروه
باشراق الوجوه إذا بنى عليهم (ومدح) آخر جلاق قال ما رأيت الرزق أبغض
أحد أبغضه (وقالوا) فلان دواء الفقراء سئل أعطى وإن لم يستل ابتداءً
(وقالوا) فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل (ومن كلام الثعالبي)
فلان يحيى القلوب ببقائه قبل أن يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلوات
وجوب الصلاة فلان لو أن البحر مدده والسمحاب يده والجبال ذهبه
لقصرت عما يهبه (وقالوا) فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل واذن صماء
لا تصغي للعذل (وأما المنظوم في هذا فكثر) فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم إذا نزل الغريب بارضهم * ردوه رب صواهل وقيان
لا يبتكون الأرض عند سؤالهم * لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يسطون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأن حسن الألوان
(آخر)

نزلت على آل المهلب شائبا * بعيدا عن الاوطان في زمن محل
فأزال بي أكرامهم وافتقادهم * والطافهم حتى حسبتهم أهلى
(آخر)

لوقيل للعباس عم محمد * قل لا وأنت محمدا قالها
إن المكارم لم تزل معقولة * حتى فككت براحتك عقالها
وإذا الكرام تسايروا في بلدة * كانوا كواكبها وأنت هلالها
ما أن أعدت من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها وخالها
(الخطبة)

تزور أصرأ يعطى على الحمد ماله * ويعلم أن الشح غير محمدا
كسوب ومتلاف إذا ما القيت به * تهلل واهتز اهتزازا مهندا
متى تأتاه تعشوا في ضوء ناره * تجد خير ناره عند خيره موقدا
(أبو العتاهية)

وانا إذا ما تركت السؤال * فلم نبغ نائله يتدبنا
وان نحن لم نبغ معروفه * فعروفه أبدا مبتغينا
وقال مسلم بن الوليد ما دح من أبيات

قبل أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفتح الارزاق
واذكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
بلقالمنه ثناؤه وعطاؤه * بذكاه رائحة وطيب مذاق
كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها قد شاع في الآفاق
(مروان بن أبي حفصة)

له صحائب جود في أناملها * امطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في العسر ان يسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى اذا عدن أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب
وما أحسن قول الكميث بن خالد بن عبد الله القسري
ما أنت في الجود ان عدت فضائله * ولا ابن مامة الا البحر والوشل
أنسيتنا في الندى أمثال أولنا * فانت للجود فيما بعد نامثل
(آخر)

فضح الغمام نواله أو ما ترى * فضح البروق على الغمام الهاطل
(وقال عامر بن الظرب العدواني ما دحا لقومه)
أولئك قوم شيد الله فخرهم * فخافوقه نفروان عظم الفخر
اناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأبدىهم بيض وأوجههم زهر
يصورون احسابا ومجدا موثلا * يبذل أكف دونها المزن والبحر
سموا في المعالي رتبة فوق رتبة * أحلتهم حيث النعائم والنسر
أضاعت لهم أحسابهم قضاة لث * لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلولامس الصخر الاصم أكفهم * لقاض ينابيع الندى ذلك الصخر
شكوت لهم آلامهم وبلاهم * وما ضاع معروف يكافئه شكر
ولو كان في الارض البسيطة منهم * لمغبط عاف لما عرف الفقر
(آخر)

يبيتون في المشاخابا وعندهم * من الزاد فضلات تعدلن يقرى
اذا ضل عنهم ضيقهم رفعوا له * من النار في الظلماء ألوية تجرا
(آخر)

سهل الحجاب اذا حلت بيا به * طلق البدن مؤدب الخدام

واذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدرايمهما أخوالا وحم
(وقال محمد بن هاني الاندلسي)

أعطى وأكثروا ستقل هبانه * فاستحبت الانواء وهي هوامل
فاسم الغمام لديه وهو كهور * آل واسماء البحار جداول
لم تحل أرض من نداء ولا خلا * من شكر ما بولي لسان قائل
(آخر)

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر
اذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له في ذرى المعروف نعيم كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر
(آخر)

أصبح أهل الأرض زواره * فقال له نهب لزواره
كأنما أدري بين الوري * مجارى الارزاق من داره
(بكر بن النطاح)

أقول لمرئاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * واسداء المعروف عند عداته
ولو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطرحياته
لوم يجزى في العمر قسما الطالب * وجاهله الاعطاء من حسناته
لجأ بهم من غير كفر لربه * وأشركه في صومه وصلاته
(آخر)

يا أيها الملك الذى لنواله * ظل تفرس دونه الآمال
أنعمت حتى ليس يقصد قاصد * وبذلك حتى قلت السؤال
وجعت اشتات المكارم والعلا * فاهنا وأنت الواهب المفضل
(على بن الجهم في المتوكل)

يسر مرأى امام عدل * تغرق في بحره البحار
مؤمل يرتجى ويخشى * كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه * مادار بالانجم المدار
لازال في الملك ذا اعتباط * ما طرد الليل والنهار

يداء بالجود ضررتان * عليه كلتا هما تغار
لم تأت منه اليمين شياً * الأتت مثله اليسار
(المتنبى)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقروا لاقدام قتال
تملك الحمد حتى ما للمقتصر * في الحمد حياء ولا ميم ولا دال

ومما ينبغي أن يكون لاحقا بما ذكرناه ومتمما للغرض الذي أردناه
نوعان لهما في هذا الموضع لمن تأتا لهما أحسن موقع

(النوع الاول في ذم من أتبع الاحسان بالتعدي والامتنان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى (وقال)
عليه الصلاة والسلام يا أيكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويعيق
الاجر (وقالوا) المنه تهديم الصنعة (ويقال) تعداد المنه من ضعف المنه
ومنه قول عمر رضي الله عنه في ذم من ان شوى أخوه حتى اذا انضج رمد
(شاعر يذم منافا)

أفسدت باليمن ما أوليت من حسن * ليس الجواد اذا أسدى بمنان
المن يهدم ما شيدت من كرم * هل يرغب الحر في هدم لبنيان
(وقالوا) لا خير في المعروف اذا أحصى (وقالوا) ما يعتد لا يعتد (ويقال)
أحسن العطاء موقعا ما لم يشب بمن ويتشد في مثله

أحسن من كل حسن * في كل وقت ووزن

صنعة مشكورة * خالية من المن

(وينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه)

لا يحملن لمن يمن من الانام عليك منه

واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جنة

من الرجال على القلو * بأشد من وقع الاسنة

(وقال) بعضهم لا عرابي ان فلانا يزعم أنه كسالى فقال ان المعروف اذا امتن
به كفر واذا ضاق قلبه اتسع لسانه (وقال لقمان) من عتد نعمه محق كرمه
(وقالوا) اذا طوقت امرأ جوهرا حسنا لك فلا تجعل المنه به حظ لسانك
فينحل معقود نظامه ويصير بدرة الى السراير بعد تمامه (وقالوا) خير المعروف

ما لم يتقدمه مطلق ولم يتبعه من ولقد أحسن قائل هذين البيتين
 إذا زرعت جيلافا سقه غدقا * من المكارم كي ينولك الشجر
 ولا تشبه بمن فالذى نقلوا * من عادة المن أن يؤذى به الثمر
 (ويقال) عليك حق لمن أجريت عليه المعروف أن تستره ولا تظهره وتقدمه
 ولا تؤخره وتستقله ولا تستكره ولا تتبعه منا ولا تبطله بأذى (وقال) موسى
 شهوان يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بترك المن

حمزة المبتاع بالمال الثناء * ويرى في بيعه أن قدغب
 وإذا أعطى عطاء مفضلا * ذا أخاء لم يكدره بمن
 (وقال) إبراهيم بن العباس الصولي مفتخر بترك المن
 أفترق بين معروفي ومنى * وأجمع بين مالي والحقوق
 (وكان يقال) الأيادي ثلاثة يديضاء ويدي خضراء ويدي سوداء فاليد البيضاء
 لا تبدأ بالمعروف والخضراء المكافأة عليه والسوداء المن به
 (شاعر)

أرا لثومل حسن الثناء * الم يرزق الله ذاك البخیلا
 وكيف يسود أخافضة * بمن كسيرا وبعطي قليلا
 * (ومن أطرف الحكايات) * وألطف الفكاهات ما يحكى أن الأشعث بن قيس
 قال لرجل أسدى اليه معروفا فلم يشكره عليه ما شكرت معروفي عندك فقال
 الرجل إن معروفيك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر * ولیم بعضهم
 على منه بمعروف اسداء فقال إذا كفرت النعمة وجبت المنة * ولیم آخر فقال
 إذا جحد الاحسان وجب الامتنان

النوع الثاني

في أن من تمام المعروف ترك المطلب به واعانة المستجدي على حصول مطلبه
 قال جعفر الصادق نظرت الى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث تهجيله وستره
 وتصغيره فانك اذا جعلته هنأته واذا سترته تمته واذا صغرنه عظمت مدح
 بعضهم من هذه خلقته فقال

زاد معروفيك عندي عظما * انه عندك مستور حقير
 تناساه كان لم تأته * وهو عند الناس مشكور كثير

(آخر)

أمتد كرم معروف تريد حياته * فاحياؤه حقاً مائة ذكره
 وصغره يعظم في النفوس محله * فتصغره في الناس تعظيم قدره
 (وقال) عمرو بن العاص ما استبطأني صاحب حاجة قط لاني لأعد شيئاً قط
 حتى أعدله نجازاً ولا ائتمنع شيئاً حتى أعدله عذراً (ويقال) اياك والمطل بالمعروف
 فانه مفسدة للمروءة مهذمة للصنيعة ممحقة للشكر داعية للذم * شاعر
 يا صانع المعروف لا تطلن * يزداد ذوا الحاجة في حاجته
 فشر معروفك ممطوله * وخير ما كان في ساعته
 لكل خير يرتجي آفة * ومطلك المعروف من آفته
 وسأل رجل رجلاً فاعتذر إليه وهمل صرفه فقال أصبت في الشكر من حيث
 أخطأت في الرد لاني صرفتني وفي الزاد بقية وفي النفس رفق وفي الوجه
 بقية ماء الحياة * شاعر

جود الكرام اذا ما كان عن صدة * وقد تأخر لم يسلم من الكدر
 ان السحاب لا تجدي إوارقها * نفعا اذا هي لم تطر على الاثر
 وماطل الوعد مذموم وان سمعت * يدا من بعد طول المطل بالبدر

(آخر)

كم جزيل من النوال اتاني * بعد مطل وكان غير حزين
 أي تفرق بين الكريم اذا استبطأت معروفه وبين البخل

(آخر)

رأيت المطل ميداً طويلاً * يروض طباعه فيه البخل
 يراود عن جداء نفس سوء * يرى أن الندى حل ثقیل

(آخر)

تجمل جود المرء أكرمة * ينشر عنه أطيب الذكر
 والحر لا يعطل معروفه * ولا يلبس المطل بالحر
 (وقالوا) المنع بالعذر الجميل خير من المطل الطويل (وقالوا) المطل مرض
 المعروف والانجاز برؤه والمنع تلقه (وقالوا) المسؤل حرجي يعدو مسترق
 بالوعد حتى ينجز (وقالوا) من مروءة المطلوب اليه أن لا يلجئ الى الالحاح

عليه (وقالوا) الاسراع بالرد خير من الابطاء بالوعد (أبو تمام)
 وخبر عدة المرء مختصراتها * كما أن خير الليالي قصارها
 وإن الليالي الصالحات كآرها * إذا وقعت تحت المطال صغارها
 وما العرف بالتسويق إلا كحلة * تسلبت عنها حين شطارها
 (آخر)

إذا قلت في شيء نعم فأنه * فإن نعم دين على الحسروا
 والافضل لا واسترح وأرح بها * لكيلا يقول الناس أنك كاذب
 (وقالوا) لولا أن انجز الوعد فضيلة معدومة في أكثر الناس لما وصف الله
 سبحانه وتعالى نبيه اسمعيل بصدق الوعد (شاعر)
 إن الخواص ربحاً أودى بها * متطلب يقضى له محلولها
 فإذا قصدت لطالب الحاجة * فاعلم بأن تمامها تعجيلها

الفصل الثاني من الباب التاسع
 في منع الاما جدا لاجواد وملح الوافدين والقصاد

• (فما يجب أن يقدم فيما يمناه تلتطف الراغب لينال ما تمناه) •

(يقال) التلطف في السؤال سبب لتحصيل النوال (وقالت) الحكماء لطف
 الاستسحاق سبب النجاح (وقال العنابي) إذا طلبت حاجة إلى ذي سلطان فاجل
 في الطلب اليه وإياه والالحاح عليه فإن اللعاحة تكلم عرضك وتريق ماء
 وجهك فلا تأخذ زعوضاً عما أخذ منك وأعلّ الحاح يجمع عليك أخلاق
 الوقاح وحرمان النجاح ولقد أحسن الأدب القائل
 وإذا طلبت إلى كريم حاجة * فلقاؤه يكفيك والتسليم
 فإذا رآك لم يعرف الذي * حملته فكانته ملزوم
 (نقض بعضهم هذا بقوله)

حت الجواد على الندي وتقاضه * بالوعد واجله على الانجاز
 ودع الوثوق بطبعه فلربما * نشط الجواد بشوك الملهماز
 (وقال بعضهم مقبلاً عذر من منع)

وإذا طلبت إلى كريم حاجة * فأبى فلا تقعد عليه بمحاجب
 فلربما ضن الجواد ومابه * بجعل ولكن سوء حفظ الطالب

(فن أحسن بدائع ما تلتطف به من استراح من الكلام الخادع لذوى السباح)

ما حكى أن زياد بن أبيه نظر إلى أعرابي يأكل على مائدة أكلوا ذر يعاوه من
أقبح الناس وجهها فقال يا أعرابي كم عمالك قال سبع بنات أنا أجل منهن وهن
أكل مني فضحك زياد وقال لله درك ما أطف جوابك افرضوا لكل واحدة
منهن مائة دينار وجهلوا الهن ذلك وقد روى الأصمعي هذه الحكاية وذكر أنها
جرت لسعيد بن المحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو يشد
إذا كنت مرتادا السحابة والندى * فبادر زيادا أو أخا زياد
يجبك امرؤ يعطى على الحمد ماله * إذا ضن بالمعروف كل جواد
ومالى لأثنى عليه وانما * طربني من معروفه وتلاذى
(وحكى) أن نصيبا قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين إن لي بنات
نقضت عليهن من سوادى فضحك منه وأمر له بصلته (وقال) المأمون للعتابي
سلني فقال يد الشبالنوال انطق من لسانى بالسؤال (وقصد) بعض الشعراء
معن بن زائدة الشيباني يستجديه فاذن عليه فلم يأذن له الحاجب وكان معن
في بستان له فعمد الشاعر إلى قطعة خشب وكتب عليها

أيا جود معن ناج معنا بما جئني * نحالي إلى معن سوا الرسول
وأرسلها في ساقية تصل إليه فلما وصلت إليه وقرأها اذن له ووصله بعشرة
آلاف درهم (وأمر) المأمون محمد بن حازم أن يرتجل بيتين من الشعر فقال
أنت سماء ویدی أرضها * والارض قد تأمل غيث السماء
فازرع يد اعندی محمودة * تحصد بها منى حسن الثناء
فاستحسن ذلك منه وأعطاه عشرة آلاف درهم (سأل) أعرابي عبد الملك
ابن مروان فقال له سل الله تعالى فقال قد سأله فالحالي عليك فضحك منه
وأعطاه (وقدم) على محمد بن يزيد بن المهلب رجل كان قد ازدراه فأجازه فقال
ألم تكن قد أتيتنا فاجزنا لك قال بلى قال فاردك قال قول الكمية فيك
سألناه الجزيل فإنتلكي * واعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم أحسن ثم عادا
مرارا لا أعود إليه الا * تبسم ضاحكا وثني الوسادا
فاضعف له ما كان اعطاه وقد نسب ابن عبدوس هذه الايات لزياد بن عمرو

العنكي في عبد الرحمن بن زياد في كتاب الوزراء له (ودخل) اهرابي على خالد
ابن عبد الله القسري فقال

أخالد اني لم ازرك لحاجة * سوى اني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فأيهما تأتي فأنت عماد
فقال له خالد سل حاجتك قال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحفظنا منها
قال حططتك ألفا فقال خالد ما أعجب ما سألت وما حططت فقال لا يعجب
الامير سألته على قدره وحططته على قدرى فضحك منه وأمر له بما طلب (وسأل
رجل) أسد بن عبد الله فقال اني لا أسالك من حاجة ولكن رأيتك تحب من
أعطيت فأحببت أن تحبني فأعطاء عشرة آلاف درهم (وقصد) تمام بن حبيب
ابن أوس الطائي عبد الله بن طاهر بعد موت أبيه أبي تمام فاستنشد فأنشده
حيال رب الناس حياكا * اذ يجمال الوجه رواكا
بغداد من نورك قد أشرقت * وأوراق العود يجذواكا
فأطرق عبد الله ساعة ثم قال

حيال رب الناس حياكا * ان الذي أملت أخطاكا
أنيت شخصاً قد خلا كيسه * ولو حوى شيأ لا عطاكا
فقال أيها الامير ان بيع الشعر بالشعر بافا جعل بينهم ما فضلا من المال فضحك
منه وقال لئن فاتك شعرايك فافاتك طرفه وأمر له بصله (وقف رجل) لعبد
الله بن طاهر في طريقه فأنشده أن يقف له حتى ينشده ثلاثة أبيات فوقف وقال
له قل فأنشده

اذا قيل أي فتى تعلمون * أهش الى البائس والتائل
واضرب للهام يوم الوغى * واطعم في الزمن الساحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقى الى الساحل
فأمر له بخمسين ألف درهم (وكتب) أحمد بن أبي طاهر الى اسمعيل بن بلبل
رقعة يذكر فيها اختلال حاله وفي آخر الرقعة

يا سيدي لم يزل * غيبا لك كل مؤمله
ان كنت أملك درهما * فكفرت بالمنقوش فيه
فبعث اليه بثلاثة آلاف دينار (حكى) أن أعرايا وفد على معن بن زائدة

فلما مثل بين يديه قال عن الرجل قال رجل من العرب وهم أصلك وقومك
فلا تغلني بالسؤال عما هم فيه من سوء الحال قال فما حاجتك قال نأى بلدى
وكثرة ولدى وضعف جلدى وقلة ذات يدي فأتيتك يا مغيث اللهياف وجابر
الضعيف أملا لجودك راجيا لزودك قال فهل من قرابة تقمت بها أو يدتة توسل
بمثلها قال أنت أفضل من أن يبتدئ مثلي يد إلى مثلك أو يتوسل إليك بغير
فضلك أو تتحمل الحيل عليك بذلك وقد قلت في ذلك شعرا قال هاته فأنشد
أيا جود معن ناج معن حاجتي * فإلى المعن سؤ الشفيع
قال اذا لا أشفعه فيك فقال الاعرابي ما أنت يا بخيل فأوجه الذم اليك
ولا أوليت ما يحسن ثنائى عليك ثم انصرف وهو يقول

بأى الخصلتين عليك أثنى * فإني عند منصرفي سؤل
أبالحسنى وأيس لها ضياء * على فمن يصدق ما أقول
أم الاخرى تكون قتلك عار * على من دأبه الفعل الجبل
فرق له وأجرل صلته (وفد) على أبي دلف قاسم بن عيسى العجلي مستجديا فاقام
ببابه مدة لا يصل اليه فكتب في ورقة هذه الايات

ماذا أقول اذا أتيت معاشرنا * صفرا يدي من عند أروع مفضل
ان قلت اعطاني كذبت وان أقل * ضن الجواد بما له لم يحصل
أم ما أقول اذا سئلت وقيل لي * ماذا أفدت من الامر بالمجزل
ولانت أعلم بالمكارم والعلا * من أن أقول فعلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فإني * لا بد أعلمهم — وان لم أسأل
ودفعها فلما وقف عليها أبودلف أمر له عن كل يوم اقامه ألف درهم وكتب خلف
الرقعة

أعجلتسنا فإنا لك عاجل برتنا * نرزا ولو أمهاتسنا لم نقتل
نخذ القليل وكن كأنك لم تسأل * ونكون نحن كأننا لم نسال
(ويحكى) ان أباد لامة دخل على المنصور فأنشده

بانت نعاتبني من بعد رقدتها * أم الدلالة لما حاجها الجزع
وفات اتباع لنا فخلوا من درعا * كما لجير اتنا فخل ومن درع
خادع خليفنا عنها بمسئلة * ان الخليفة لا تسأل ينخدع

فأمر أن يقطع ألف جريب عامرة وألف جريد عامرة فقال أبو دلامة
 أما العامرة فقد عرقته في الغامرة قال ما لا يدركه الماء ولا يبقى إلا بالكافة
 والموتة فقال أبو دلامة أشهدك يا أمير المؤمنين ومن حضر أني أقطع عبد
 الملك بادية بني أسد فضحك المنصور وقال يا عبد الملك اكتب عامرة فقال
 أبو دلامة للمنصور انذن لي في تقبيل يدي فلم يفعل فقال مامنة عني شيا هو أهون
 علي عيالي من هذا (وكان) المنصور يدخل البصرة في أيام بني أمية
 مستتراف يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه
 ازهر الكوفة فرحب به وقرب منزله وقال له ما الذي أقدمك علينا قال جئت
 طالبا فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له قد قضيت حاجتك فاخذها وانصرف
 ثم عاد اليه في قابل فلما رآه قال له ما جاء بك قال جئت مسلما فاعطاه عشرة آلاف
 درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما فاخذها وانصرف ثم رجع اليه بعد عام فقال
 له ما الذي أقدمك علينا قال عائدافوصله بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا
 طالبا ولا مسلما ولا عائدا فاخذها وانصرف ثم عاد بعد سنة فلما رآه قال له ما الذي
 أتى بك قال دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين جئت لا كتبه فضحك المنصور
 وقال انه غير مستجاب لاني دعوت الله به أن لا يرني وجهك فلم يستجب لي
 وقد أمر نالك بعشرة آلاف درهم وتعال متى أردت فقد أعيتنا فيك الحيلة
 وكان المنصور مجتلا جدا وسند كرشيا من اخباره في باب الخلاء أن شاء الله
 تعالى (وقصد) الحكم بن عبدك الشاعر اسماء بن خارجة فأنشده

أغقيت قبل الصبح نوم مسهد * في ساعة ما كنت قبل أنامها
 فرأيت أنك رعتني بوليدة * مغناجة حسن لدى قيامها
 ويسدرة حلت الي وبغلة * شهباء ناجية تصك لجاءها
 فسألت ربي أن ينيبك جنة * عوضا يصيدك بردها وسلامها

فقال له أصبت كل شيء رأيته عندنا إلا البغلة فانها دهما فقال أدكرني أيها
 الأمير فاني مارأيتهما إلا دهما فضحك منه اسماء وأمر له بكل ما سأل (وحكى)
 أبو الفرج الاصفهاني أن هذه الحكاية جرت لابن عبدك مع بشر بن مروان
 أني عبد الملك والله أعلم بالصحيح من ذلك (ودخلت) امرأة من هوازن على
 عبيد الله بن أبي بكر فوقفت بين السماطين وجعلت تلمظه وجهها مرة وتستره

أخرى فلما أبصرها علم أن لها حاجة فقال جلسائه ما عليكم أن تقوموا
حتى تقول هذه المرأة حاجتها فتقدمت وقالت اصلح الله الاميراني ايتك من
أرض شاسعة ترفعني رافعة وتخفضي واضعه للمات قدا كلن لحي وبرين
عظمي وتركني اغص بالجريض فضاقي من البلد العريض وقد جئت بلدا
لا أعرف فيها أحدا لا قرابة تكنفي ولا عشيرة تعرفني بعد أن سألت أحياء
العرب من المرجوات له المعطى سائله فارسلت اليك ودلت عليك وانا أصلحك
الله امرأة قد هلك عنها الوالد وذهب عنها الطارف والتالد ومثلك يسد الخلقة
ويزيح العلة فاما أن تحسن صفدي وتقيم أودي واما أن تردني الى بلدي
فقال بل أجمع لك كل ما ذكرت ثم أمر لها بعشرة آلاف درهم وزاد وكسوة
وراحلة (أصاب) الناس مجاعة على عهد هشام بن عبد الملك فدخل عليه
درواس بن حبيب العجلي مع جماعة من قومه فقال يا أمير المؤمنين تتابع
علينا وعلى الناس سنون ثلاثة اما الاولى فاكلت اللحم واما الثانية فاذا بت
الشحم واما الثالثة فصت العظم وفي ايديكم فضول أموال فان تكن لله
فاعطفوا بها على عباده وان تكن لهم فعلاهم تحبسونها عنهم وتنفقونها اسرافا
وبداروا الله لا يحب المسرفين وان تكن لكم فتصدقوا بها عليهم ان الله يجزي
المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فقال هشام لله أبوك ما تركت لنا واحدة
من ثلاث وأمر بمائة ألف فقسمت في الناس وأمر لدرواس بمائة ألف درهم
فقال يا أمير المؤمنين لكل واحد من المسلمين مثلها قال لا ولا يقوم بذلك بيت
المال قال فلا حاجة لي بما بيعت على ذمك فالزمه بها فلما عاد الى منزله قسم تسعين
ألفا في أحياء العرب وحبس عشرة آلاف له ولقومه فبلغ ذلك هشام فقال لله
درء ان الصنعة عند مثله تبعث على مكارم الاخلاق * ومثلها ما يحكي أن عبد
الملك بن مروان حبس عن الناس العطاء فدخل عليه اعرابي فقال يا أبا الوليد
بلغني أن عندك مالا فان كان لله فاقسمه على عباده وان يكن لك فتفضل به عليهم
وان يكن لهم فادفع اليهم أموالهم وان يكن بينك وبينهم فقد اسأت شركتهم ثم
ولى فقال عبد الملك اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه فأمر الناس باعطياتهم

* (ومن أبرع من القصادي المدح واجاد فاستحق به الصلة ممن سمع وجاد) *
دخل النابغة على النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن اصرى القيس بن عمرو

ابن عدى اللغى فحياء تحية الملوك ثم قال ايضا خرك ذوقا ش وانك سائس
العرب وغرة الحسب واللات لا مسك أين من يومه ولعبدك أكرم من قومه
واقفك أحسن من وجهه وليسارك أجود من يمينه ولظنك أصدق من بقيته
ولو عدك أبليج من رفقده ولخالك أشرف من جده ولنفسك امنع من جنده
وليومك أزهر من دهره ولفترك أبسط من شبره ثم أنشد

أخلاق مجدك جلت مالها خطر * في البأس والجود بين الحلم والخفر
متوج بالمعالي فوق مفرقه * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
اذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يجلي زمان الحمل بالمطر
فتهلل وجه النعمان سرورا ثم أمر أن يحشى فوه دررا وبكسى أثواب الرضا
وهي جباب أطواقها الذهب في قضب الزمرذ ثم قال النعمان هكذا فلتمدح
الملوك وذوقا ش المذكور هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يحص بن مالك
وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله بالنعمان وله فيه مدائح كثيرة مذكورة
في ديوانه وفائش مشتق من المقايضة وهي المفاخرة قاله الاصمعي في اشتقاقه
(ودخل) أبو العتاهية اسمعيل بن قاسم بن سويد الغنبري العتيبي على عمرو
ابن العلاء مولى عمرو بن حريث الذي يقول فيه بشار بن برد من أبيات
اذا أرتكك جسام الامور * قلبه لها عمرائم ثم
فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم
فأنشده أبياتا يقول منها

اني أمنت من الزمان وريسه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من احلاله * لحدوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشبهكم لانها * قطعت اليك سباسب اورمالا
فاذا أتيت بناتين مخفة * واذا رجعتين يار جعن ثقالا
فأمر عمرو من حضر مجلسه أن يخلعوا عليه فخلعوا عليه حتى لم يقدر على
النهوض لما عليه من الثياب فلما خرج حسده من كان يبابه من الشعراء فبلغ
عمرا الخبر فقال على تبهم فلما دخلوا عليه ومثلوا بين يديه قال لهم ما أحسد
بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ان أحسدكم يريد مدحنا فينسب في قصيدته
بخمسين بيتا فيبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعره وتعرى طلاوة رونقه

وأبو العتاهية بدأ يذكرنا وختم بمدحنا ثم أرسل إلى أبي العتاهية أن أقم
حتى أنظر في أمرك فأقام أياماً فلم ير شيئاً وكان عمرو ينتظر ما لا يجي إليه من
بعض أعماله فأبطأ عليه فكتب إليه أبو العتاهية هذه الآيات

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * أنى مدحتك في صهي وجملاسي
أنى عليك ولى حال ~~تكذبني~~ * فيما أقول فاستحي من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حال عندها راسي
فقال عمرو ولحاجبه كففه عنى أياماً ففعل فلما طال على أبي العتاهية الانتظار
كتب إليه يستخذه

أصابك علينا جودك العين يا عمرو * فحن لها بسفي القاتم والنشر
أصابك عين من سخائك صلبة * ويارب عين صلبة تفاق الحجر
سنزقيك بالاشعار حتى نملها * وإن لم تفق منها رقبنا بالأسور
فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله كم عندك قال سبعون ألفاً قال ادفعها له
واعذرني عنده ولا تدخله على فاني استحي منه (ولقد) أحسن ابن الرومي
في مدح من رأى أنه قصر في عطائه فاعتذر منه

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى * عفوا ويعتذرا اعتذرا والمذنب
(وما وقفت) فيما طالعت من كتب الأدب على أحسن من قول القائل
معتذرا من تقصيره في معروف أسداء

لو انبسطت فيما تؤمله يدي * لجدت به عفوا ولو أنه الدنيا
ولكنني والله والله والذي * إليه الحجج يقطعون الفلاس عبا
طويت هموما لو أصيب ببعضها * يد الدهر ما استطاعت لايسرها طبا
خذ العفوا واعتذر صاحباً لو ينقصه * يبرو بالدين أغلامك لاستحيا

(آخر)

خل إذا جتته يوماً لتسأله * أعطاك ما ملكك كفاه واعتذرا
يخفي صنائعه والله يظهرها * إن الجميل إذا أخفيت به ظهرا
(وحكى) بحظة البرمكي قال أنشد مقدس الخلق طاهر بن الحسين بن مصعب
ابن زريق مولى طليحة الطلمات الخزاعي فدحه فلم يشبه وتغافل عنه حتى ركب
في خراقة فعارضه وقال له بحق رأس أمير المؤمنين ألا سمعت مني ثلاثة آيات

فأمره بإيقاف الحراقة وقال هات الآيات فأنشده

عجبت لحراقة بن الحسيه * من كيف تسير ولا تغرق
وبحران من فوقها واحد * وآخر من تحتها مطبق
وأعجب من ذل العبدانها * إذا مسها كيف لا تورق

فأمره عن كل بيت بألف دينار (وكان) طاهر بن الحسين من الأجواد إذ ذكر
أنه جالس في مجلسه يوم ما فنظر في قصص ورقاع فوقع عليها باصلا وأحصيت
فكانت ألف ألف درهم (ركب الرشيد) في بعض أسفاره ناقة فطلع عليه
اعرابي فأنشده

اغشنا تحمل الناقسة أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر * أم الدنيا أم الدنيا
الاكل الذي قلت * قد أصبح مأمونا

فأمره بعشرة آلاف درهم (قام رجل) بين يدي خالد بن عبد الله القسري
فقال أصليح الله الأمير قد قلت فيك بيتين ولست أنشد هما حتى تعطيني قيمتهما
قال وكم قيمتهما قال عشرون ألفا قال أنشد هما فأنشده

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصال حين يعجود بالحبوباء
بنبيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الآباء

فأمره بعشرين الفا وان يجلد خسين سوطا وان ينادى عليه هذا جزاء من
لا يحسن قيمة الشعر (وقف اعرابي) لمعن بن زائدة في طريقه فأنشده

يا واحد العرب الذي * أضحي وليس له نظير
لو كان مثلك في الوري * ما كان في الدنيا فقير

فأمره بألني درهم (ومن حكاياته) أن رجلا قال له اني جعلت فضلك سببي
اليك وكرمك وسيلتي عندك قال سل قال ألف درهم قال معن قد أرجحتني
أربعة آلاف درهم وانى حدثت نفسي ان أعطيك خمسة آلاف فقال أنت أكبر
من أن ترجع على مؤمك فأعطاء خمسة آلاف درهم (وأنشد اعرابي)

كبت نعم يبابك حين تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب
وقلت الا عليك يباب غيري * فانك لن ترى أبدا يبابي

فأعطاء ألف دينار (وحدث بعضهم) قال كناع بن زيد بن مزيد فاذا بصائح

في الليل يابز يد بن مزيد فقال علي بهذا الصائح فلما جى به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم فقال نقبت دأبي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتمنيت به فقال له وما قال الشاعر فأشدد

إذا قبل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يابز يد بن مزيد فلما سمع مقالة هش له وقال له أنعرف يابز يد بن مزيد قال لا والله قال أنا هو وأمر له بقرص أبلق كان معجبا به وبمائة (قام اعرابي) بين يدي داود بن المهلب وقال اني قدمد حنك فاسمع قال علي رسلك ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج ثم قال قل فان أحسنت حملناك وان أسأت قتلناك فأشدد

أمنت بداود وجود عيونه * من الحدث الخشي والبؤس والفقر وأصبحت لأخشي بداود كبوة * من الدهر لما أن شددت به أزرى له ~~حكم~~ دواود وصوره يوسف * وملك سليمان وعدل أبي بكر فتي تفرق الاموال من جود كفه * كما يفرق السلطان من ليله القدر فقال له قد حملناك فان شئت على قدرنا وان شئت على قدرك قال بل على قدرى فأعطاء خسين فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامر قال لم يكن في ماله ما يفي بقدره فقال له داود انت في هذا أشعر منك في شعرك وأمر له بمثل ما أعطاه (وقدر جل) على بعض الامر افسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فقضاها حتى قضى له سبع حاجات فلما خرج من عنده قيل له ما فعل بك قال ما أدري ثم قال

لكن أخبركم عنه بنادرة * لم يأتها قبله له عرب ولا عجم قرا عليه كتابا منه كتابه * الى أخ وجبت منه له ذم حتى اذا ما مضت لافي رسالته * قال استمع ثم لا يعضي بك الصم لا تسكتين بلا فيها الى أحد * شق الكتاب ومر فليكسر القلم (وقد أعرابي) على مالك بن طوق وكان زرقى الحال رث الهيئة ففزع من الدخول اليه فأقام بالرحبة اياما فخرج مالك ذات يوم يريد الزهة حول الرحبة فعارضه الاعرابي ففغعه الشرطة ازدرابه فلم يثن عنه حتى اخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الامير انا عائد بك من شرطك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من حاجة قال نعم أصلى الله الامير قال وما هي قال أن تصفى الى بسبعك وتنظر الى

بطرفك وتقبل على بوجهك قال نعم فأنشده

ييا بك دون الناس أنزلت حاجتي * وأقبلت أسعى نحوه وأطوف
ويعنني الحجاب والليل مسبل * وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولي بالقلوس كأنهم * ذئاب جيع بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا * وأصرف عنه اتى لضعيف
ومالى من الدنيا سواك وما لمن * تركت ورائى مربع ومصيف
وقد علم الحيمان قيس وخندف * ومن هو فيها نازل وحليف
تخطبت اعناق الملوك ورحلتى * اليك وقد أخت على صروف
فجئتك ابغى الخبير منك فهزنى * ييا بك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعل لى نحو ياك عودة * فقلبي من ضرب العبيد مخوف
فاستخرجك مالك حتى كأديسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله من يعطيه درهما
بدرهمين وثو بایشوين فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى
نحرا الأعرابي واختلط عقله لكثرة ما أعطى فقال هل بقيت لك حاجة يا أعرابي
قال أما اليك فلا قال فالى من قال الى الله أن يقيمك للعرب فانها لا تزال بخير
ما بقيت لها (وحكى) أبو بكر الماردانى قال كنت أسير الامير أبا الجيش
خارويه بن أحمد بن طولون وكان قد خرج الى الصيد بدمشق اذ تلقاه اعرابي
فأخذ بعنان فرسه وقال

ان السنان وخذ السيف لو نطقا * لا أخبر عنك فى الهيجا بالعجب
أقبلت مالك تعطيه وتنهبه * يا آفة الفضة البيضاء والذهب
فقال يا غلام اعطه ما معك فأعطاه خمسمائة دينار فقال يا أمير المؤمنين زدنى
فقال لمن معه من غلمانه اطرحوه ما معكم من المناطق والسيوف فحصل له منهم
ما عجز عن حمله (وقال) علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر
فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم قد طال مقامهم على بابهم ولم
يؤذن لاحد منهم فبينما هم جلوس اذ خرج يريد الصيد فأقت حتى رجع من
صيده فلما قارب دخول البلد خرجت اليه ووقفت على نشزعال من الارض
وأومأت اليه برقعة فوقف فأنشده

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجودي منك المبتاع

قلد وقتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الاسماع
 كسدت علينا بالشام وكلما * كسد المتاع تعطل الصناع
 فأتيتك تحملها اليك تجارها * وطمعها الآمال والاطماع
 حتى أماخونا نحو بابك والرجا * من دونك السعاسر والبياع
 فبذلت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
 وطلبت هذا الخلق في طلب العلي * والناس بعدك كلهم اتباع
 فلما فرغت من انشادها ساو قللا ثم وقف فاستمعادها مني فلما دخل داره
 واستقر به الجلوس استدعاني فأعدها فقال لمن كان عنده من خواصه وغلثانه
 واتباعه من أحبني فليضاع عليه نخلع على مائة خلعة ووصلني بعشرة آلاف
 درهم (وحبس) الحاج بن يوسف يزيد بن المهلب لباقي عليه كان بخراسان
 وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم فبينما هو قد جباها له ذات يوم اذ دخل
 عليه الاخطل فأنشده

أيا خالدا ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
 وما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمرين بعدك عود
 وما السرير بعد بعدك بهجة * وما الجواد بعد جودك جود
 فقال يا غلام اعطه المائة ألف درهم فانا نصبر على عذاب الحاج ولا نخيب
 الاخطل فبلغت الحاج فقال لله در زيد لو كان تاركا للسفهاء يومالتركة اليوم
 وهو يتوقع الموت (ومن أخبار يزيد) أن الفرزدق دخل عليه وهو محبوس
 فلما رآه مقبدا قال له

أصبح في قبلك السجادة والشعور ووجل الديار والحسب
 لا بطران ترادفت نسيم * وصابر في البلاء محتسب
 فقال له يزيد ويحك ما أردت بعد حتى وانا على هذه الحالة فقال الفرزدق
 وجدتك رخيصا فأحببت ان أسلفك بضاعتى فرمى اليه بنخاتم كان في اصبعه
 قيمته ألف دينار وقال هور بحك امسكه الى أن يأتبك رأس المال (ودخل)
 جعفران واسمه جعفر بن علي كركرى على أبي دلف فأنشده

يا أكرم الامة موجودا * وبأعز الناس مفقودا
 لما سألت الناس عن سيد * أصبح بين الناس محمودا

قالوا جميعا انه قاسم * أشبه آباء له صيدا
لو عبد الناس سوى ربهم * لكنت في العالم معبودا
فقال له أحسنت يا غلام أعطه ألف درهم فقال أيها الأمير وما أصنع بها
مر الغلام يأخذها ويعطيني منها كل يوم عشرة دراهم الى أن تنفذ فقال أبو
دلف أعطوه الألف ومتى جاءكم أعطوه ما سأل فاصب جمع يقران على يده
يقبلها وقال

يموت هذا الذي أراه * ويصكل شيء له نفاد
لو أن خلقه خلود * عمره المفضل الجراد

(المختار من غرر نوى الكلام في استنباز ما تأخر من صلوات الكرام)

(بحكى) أن الأحنف بن قيس قدم على معاوية فقام شهرا لا يسأله فمما جاء فقال
يا أمير المؤمنين انك ترعبني مرعى وبسلا وتوردني ظمأ طويلا أفيأس
ورواح أم حبس ونجاح فقضى حاجته (ودقف) اعرابي على رجلي يستجديه
فقال اني امطيت اليك الرجاء وسرت على الامل ووفدت بالشكر وتوسلت
بحسن الظن فحقق الامل وأحسن المثوبة وأقم الاود وبجل السراح
(وقال بعض الشعراء يستجنز)

جعلت قد الدؤد وجب الزمام * وقد طال التلبث والمقام
وقد أذف الرحيل الى بلادى * فرأيتك لا عدمتك والسلام
(المتنبى)

لقد نظرتك حتى حان مر تحلى * وذا الوداع فكن أهلا لما شئت
(وكتب آخر يستجدي) بنا الى معروفك حاجة ولك على صلتنا قوة فانظري
ذلك بما أنت له أهل ونحن له أهل (وطلب العنابي) من صديق له حاجة فقضى
له نصفها ومطله ياقها فكتب اليه

بسطت لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتدادك مطلق
فان أنت لم تنجز عداي تركتني * وباقي لسان الشكر بالأس مطلق
(وقال أبو تمام حبيب بن اوس الطائي)

ان ابتد المعروف بمجد باسقى * والمجد كل المجد في استقامه
هذا الهلال يروق ابصار الورى * حسنا وليس كحسنة لقامه

(وكتب بعضهم يستجيز) حقيق على من أزهري بقول ان يثر بفعل والسلام
(وفد) بشار بن برد على يحيى بن خالد فامتدحه فوعده خالد ومطله فتصدى له
في طريقه وهو يريد الجامع وأخذ بعنان بغلته وأثد
أظلت علينا منك يوما مصابة * أضاء لها برق وابطار شاشها
فلا عيها يجلي فيبأس طامع * ولا غنيها يهيم فتروى عطاشها
فقال لن تنصرف السهابة حتى تبتك يا أبا معاذ وأمر له بعشرة آلاف درهم
(ولبشار أيضا يستجيز)

هزرتك لاني وجدتك ناسيا * لأمري ولكني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعده سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا
(ولبشار أيضا)

فيك للعبد شعبة قد كفتني * منك عند اللقاء المتقاضى
فاذا المجد كان عوني على المر * تقاضيته بترك التقاضى
(المفجع البصري يستجيز)

أبها السيد عش في غبطة * ما تغنى طائر الايك الغرد
لى وعد منك لا تنكركه * فاقضه أنجز حر ما وعد
أنت أحييت بمذول الندى * سن الجود وقد كان همد
فاذا صال زمان أوسطا * فعلى مثلك مثلى يعتمد
(أبو الحسن بن أبي البغل)

وعدت فأنجز ولا تبلى * بكذا التقاضى وذل السؤال
ومن وجه حرير الزمان * بانيابه مثل برى الخلال
فان ضاق مالك عن رفده * فجاهك أوسع من كل مال
(ابن الرومي)

يا من تزيت الدنيا بطلعه * وأصبحت منه في حلى وفي حل
أوراد بحرك مثلى ومنصرفي * في الواردين بلا عسل ولا نهل
وأنت تعلم أن الصبر من صبر * فامرجه بالنجح ان النجح من عسل
(قصده) أحمد بن الجليل سليمان بن حبيب بن المهلب مستجيذا فأخر عنه مدة
فكتب اليه مستجيذا

ورد العناة المعطشون فأصدروا * ربا وطاب لهم لديك المكرع
وارالتمطر جانباً عن جانب * وقناه ارضي من سمائك بلقع
النقص منزلتى تؤخر حاجتى * أم ليس عندك لى الخير مطمع
(أبو تمام الطائي)

سحاب خطائى جوده وهو صيب * وبجر عداى سيله وهو مضم
وبدرا ضاء الارض شرقاً ومغرباً * وموضع رجلى منه اسود مظلم
(آخر)

مالى ظمئت وبجر جودك زانراً * مهل مشارعه على الورد
ما كان أجمل بالجميل ملبسى * وأعفى طلب القنائه زادى
لولا زمان ازمنت حالى له * نوب تراوح قارة وتغادى
وادرى فراخ ضاق بى أوكارها * وكذا البغاث كثيرة الاولاد
(آخر)

أمرت بأن أقيم على انتظار * لرايك انه رأى الاصيل
وراقبت الرسول وقلت انى * سيأتينى فاجاء الرسول
فليس لغير امرك لى مقام * ولا عن غير ذاك لى رحيل
وقد أوقفت عزى والمطايا * فقل شيئاً لأفعل ما تقول
(المعري)

عليك مؤيد الدين اعتقادى * فلا تنحج الى كذب الاعادى
تمادى المظل والالآمال درع * وطول الانتظار من الحداد
وقد أزف الرحيل وأنت كهفى * ومن جدوال راحلى وزادى
زفقت اليك أبكاً والمعانى * فزف الى أبكار الابدادى
(آخر)

يا جابر العظم اذا العظم انكسر * وناعش الجدا اذا الجدا عثر
أنت ريسعى والريبع ينتظر * وخير أنواع الريبع ما بكر
(أبو تمام)

على بفضلك فادفعولنا جتى * فأنت مسيلقى عقيب ثنائى
فامن على بنهج ما أملتته * ياسيدى ومعولى ورجائى
(آخر)

أجرني لأعدمتك من طالك * ودعني من صدودك واعتلاك
لقد كثرت عداتك ثم طالت * فهل وعد يكون لها فذلك
(ابن الرومي)

كم ظهر ميت مقفر جاو زته * فخلت ربعا منك ليس بمقفر
جود بجود السيل الآن ذا * كدروا نذالك غير مكدر
القطر والاضى قد انسطاوى * أمل ييلك صاتم لم يقطر
عام ولم ينتج نذالك وانما * تتوقع الحبلى لتسعة أشهر
حسلى بجروا حذا غرقك فى * بجراحيس به بسبعة أبحر
(ومن) * أحسن ما استجدى به الأجواد وبلغ به غاية الأمل والمراد ما كتب
به كلثوم بن عمرو العتابي الى صديق له يستغفله ما بعد اطل الله بقاءك وجعله
يمدبك الى رضوانه والجنة فانك كنت عند نار وضة من رياض الكرم تبتهج
النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكانغفيا من النجعة استمما لزهرتها
وشفقة على خضرتها وادخار الثمرتها حتى أصابتنا سنة كأنها من سنى يوسف
فكذبنا غيومها وأخلفتنا بروقها فاتجعتك وانى باتعاعى اياك الشديدا المقة
بك عظيم الشفقة عليك مع على بانك غاية أمل القصاد واعذب منا هل الورد
وأقول ما قال حماد بن محمد

ظل اليسار على العباس محدود * وحظه أبدا بالسعد معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللجنيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكلمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال فلا تمنعك قلته * فكل ما سدت فقرافه هو محمود
قال فشا طرده ماله حتى احدى نعليه ونصف قبة خاتمه (وكتب آخر) الوعد
أيسر مغارم الجود وأخف محمول على عاتق الكرم المرفود والمتقنع به قد
أسلف المثل آماله واوسع لخطو الندى محاله وارثوى يسارق المزن قبل المطر
واكتنى بورق الغصن دون الثمر فأى عذر للسماح اذا خرجه طالبه وحى عنه
جانبه وقد وجد المسلك الى المطلوب سهلا والطالب لما يتعلق به الوعد أهلا
شاعر

لا أقضيك الى السماح لانه * لك عادة لكنما أنا مذكر
 وكن السحاب اذا غسلك بالحياء * رغبوا اليه بالدعاء فيه طر
 (أخى) على بن الجهم رجل فسلم عليه وقال له وعدتني وعدا ان رأيت أن تنجيه
 فافعل فقال ما أذكر هذا الوعد فقال له الرجل صدقت فأنت لا تذكر لأن من
 قصده لم يمتلئ كثير وأنا لا أنسى لأن من أسأله من ذلك قليل فأعجبه كلامه وقضى
 حاجته فأنشد

فلقد قصدتك راجيا في حاجتي * ما يرتجيه الطالب الملهوف
 فسررتني وبررتني بنجاحها * وكذا يكون الجود والمعروف
 (آخر)

بدأت بتسهيل وثبتت بالرضا * وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم
 وحققته لى ظنى وانجزت موعدى * وابعدت لاعتنى وقربت لى نهم
 (آخر)

يامن سهرت الليالى فى الدعاء له * حتى انتهى أمره السامى على الام
 انظر الى تبعين لو نظرت بها * الى الليالى نجت من قبضة الظلم
 حتى أقول لصرف الدهر كيف ترى * تقابل السادة الاحرار بالخدم
 (آخر)

ان أنت لم تحدث الى يدا * حتى أقوم بشكر ما سلفا
 لم أحظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا
 وفيما ذكرناه من هذه الملح كفاية اذ المحاسن لا يفضى الباحث عنها الى غاية
 ولو استقصينا ذكر ما أمطرته لكف الاجواد من مصائب الجود لخرجنا
 من الفخوة عن الغرض المقصود

* (وما) * يحسن الحاقه بهذا الفصل اطلاق اللسان بشكر أهل الاحسان
 والفضل * قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين انه
 شكر اصطناع المعروف وفي الحديث المشهور والتبا المأثور من ذكر معروف
 فقد شكره ومن ستره فقد كفره (وقال) عليه الصلاة والسلام من كانت عنده
 نعمة فليكافئ عليها فان لم يقدر فليمن فان لم يفعل فقد كفر النعمة (وقال)
 اتمان لابنه يابنى المعروف غل لا يفكه الا شكر او مكافاة (وقالوا) المعروف رق

والمكافأة عتق وقال الشاعر

كلما قلت أعتق الشكر رقي * صيرتني لك المكارم عبدا

فائن عمر الزمان حتى أؤدى * شكرا حسنك الذي لا يؤدى

(ويقال) الشكر وان قلّ ثمن كل نوال وان جلّ (ويقال) الشكر نعمة لتنام

النعمة (وقال) أبو بكر الخوارزمي اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك

بالشكر (وقالوا) موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجده

لم يرم وان فقدته لم يقم (وما أحسن قول من قال) الشكر غرس اذا أودع أذن

الكريم أثمر بالزيادة وحفظ العادة والسعيد من اذا أظلمته نعمة لم يلقه

بسكرها عن شكرها (وقالوا) لابقاء للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا

شكرت (ابن المعتز) شكر لنعمة سألقة يقيض لك نعمة مستأنفة (وقال)

أبو بكر الخوارزمي قد أراحني الشيخ يدره لكن اتعبني بشكره وخفف

ظهمي من ثقل المحن لا بل أثقله بأعباء المنن واحيانا بتحقيق الرجاء لا بل

أما تني بقرط الحياء فان الله عتيق بل رقيق وأسير بل طليق (ومن كلامه)

اللهم ارزقني زمانا أوسع من زمانى ولسانا أفصح من لسانى وبنانا أبقى

من بنانى حتى أقضى بالشكر حقوق اخوانى فلا يذل الایجود ولا جود

الامن موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق مكانه ولم يساعد زمانه فكيف

يكافى من قلت بسطته وبجزت قدرته وقطعت عن مسافة همته جدته (ولما)

بلغ صاحب اسمعيل بن عباد موت أبي بكر الخوارزمي قال

سألت بریدا من خراسان مقبلا * امات خوارزميكم قال لى نعم

فقلت اكتبوا بالخص من فوق قبره * الا لعن الرحمن من يكفر النعم

والذى أوجب قول صاحب لهذين البيتين أنه بلغه ان أبا بكر الخوارزمي قال

فيه هذين البيتين

لا تمدحني ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجلود حتى جاوز الدنيا

فانها خطرات من وسأسه * يعطى ويمنع لا يخلو ولا كرما

فلما كفر بما أسدى اليه صاحب بن عباد من المعروف ذكر هذين البيتين

بعد موته

ذكر من تبيح بذكر المعروف الذي أسدى اليه

وأقر بعجز لسانه عن شكر المنعم والثناء عليه

(الثعالبي) شكرى لا يقع في نعمه الظاهرة موقع النقطة من الدائرة لا شكرتك
ملء القلب واللسان شكر حسان الى غسان لا شكرتك شكر الاسير
لمن أطلقه والممول لمن اعنته لا شكرتك شكر الرياض للديم وزهير لهرم
(وقال آخر) لو استعرت الدهر لسانا والريح ترجانا لاشيع احسانه حق
الاشاعة لقصرت عنه يد الاستطاعة (قال) الامير أبو الفتيان محمد بن حيوس
وأحسن كل الاحسان

سأشكر ما دام اللسان بطبعي * صنوفا أنت من جودك المتتابع
توالت على من لا يدل بخدمه * عابك ولا بد لي اليك بشافع
(وقال) ابراهيم بن المهدي مخاطبا للبحسن بن سهل وقد شفيع له عند المأمون
رددت مالي ولم تضن علي به * وقبل ردك مالي قد حققت دمي
لن بجدتك ما أوليت من حسن * اني لفي اللوم احظي منك في الكرم
(آخر)

مواهب لو أني تكلفت نسخها * لأفلس في اقلامها ومداها
(آخر)

ولو ان لي في كل منبت شعرة * لسانا يث الشكر كنت مقصرا
(ابن عمرون)

طوقتني منك الجميل قلندا * وبررتني حتى حسبتك والدا
والله لو حل السجود لنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا
(آخر)

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة * أعلى من الشكر عند الله في الثمن
اذا منحة ككها مني مهذبة * حذوا على حذو ما أوليت من حسن
(آخر)

لقد أفرطت في برى * وقد قصرت في الشكر
وشكرى عند احسانك كالقطرة في البحر
(آخر)

اتظنني انسى اباديك التي * أهديت الى من الزمان امانا
لا والذي جعل المحبة محنة * وهوى النفوس مذلة وهوانا

(وحبس الرشيد) العتابي على ذنب اقترفه لم يحتمله منه ولا أغضى له عنه فتناساه
في الحبس مدة فشفع فيه خالد بن يزيد بن مزيد فأطلقه فكتب العتابي اليه يشكره
مازلت في غمرات الموت مطرطا * قد زال عني لطيف الفكر من حيلي
فلم تزل دائماً تسمى بلطفك لي * حتى اختلست حياقي من يدي أجلى
(أبونواس)

قد قلت للعباس معذرا * من ضعف شكره ومعتزفا
أنت امرؤ أحللتني نعما * أوهت قوى شكرى فنهضت ضعفا
لانسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا
(آخر)

يا زينة الناس والدينا وما جعت * بالامر والنهي والقرطاس والقلم
بالله أقسم لو ملكك السنة * تبت شكرك من فرقى الى قدى
لما ريت بما أوليت من منى * ولأنهضت بما أسديت من نعم

الفصل الثالث من الباب التاسع

في ذم السرف والتبذير اذ فلهما من سوء التدبير

(قال) الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا (وقال) صلى الله عليه وسلم من السرف ان تأكل كل
ما شئت (وقال) صلى الله عليه وسلم آفة الجود السرف * والسرف اسم لما
جاوز الجود (وقالوا) السرف هو أن يكون الرجل لا يبالي فيما يشتري أو يبيع
أو يغبن أو يغبن فيبيع بوكس ويشترى بفضل * وهذا كما قيل الحر يتغابن
في ابتاع الجدد ولا يتغابن في الشراء والبيع (وقيل) لعبد الله بن جعفر انك
تعطى الكثير اذا سئلت وتضيق في القليل اذا عولمت فقال أجود بما الى
وأضن بعقلي (وقالوا) السخاء خلق مستحسن ما لم ينته الى سرف وتبذير فانه
من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وإنما يسمى مبذرا مضيعا (وقال
معاوية) ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع (وقالوا) يوشك من أنفق
سرفا أن يموت أسفا (وقالوا) ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ودمره ولا دخل
تدبير في قليل الا كثره وأثمره (وقال) معاوية لولده يزيد انك ان أعطيت مالا
في حق الحق يوشك أن يجي الحق وليس معك ما تعطى فيه * وقالوا تطول ولا

تطاول (وقال) أبو بكر رضي الله عنه اني لا بغض أهل بيت يتحققون رزق الايام في اليوم الواحد (وقالوا) السرف في الانفاق يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش (وقال) عبد الله بن الزبير في محاورة جرت بينه وبين ابن عباس ان السرف من طينة السخاء ولكنه جاوز الحق وما بعد الحق الا الضلال (وكان) أبو الاسود الدؤلي يقول يا بني اذا بسط الله عليك فابسط واذا أمسك عنك فأمسك ولا تجاوده فانه أكرم منك وأجود * واسم أبي الاسود ظالم ابن عمرو يعد في التابعين والمحدثين والشعراء والنحويين والبخلاء والعرج والمفاليح والبحر (وقالوا) التدبير ينمي السير والتبذير يدمر الكثير (وليم) هشام بن عبد الملك على الامسالك في العطاء فقال انا لا نعطي تبذيرا ولا تمسك ثقة - برا نعمنا نحن خزانة الله في بلاده وأمنائه على عباده فاذا شاء أعطينا واذا كره أمينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا فاقلا ولا ردنا سائلا

* (وربما) * عوقب المذنب لافلاس وصير بالفقر مثله بين الناس (قال الاصمعي) قصه رجل من أهل الشام منزل ابراهيم بن هرمة فاذا بنت له صغيرة تلعب بالطين فقال لها ما فعل أبوك قالت وفدت الى بعض الاجواد في الناعم من عهد فقال لها قولي لامك تحرك لنا ناقة فاني وأصحابي أضياؤها فقالت والله ما نملكها قال فشاة قالت والله ما نبيدها قال فدجاجة قالت والله ما هي لنا في منزل قال فاعطينا بيضة قالت من أين البيضة اذ لم تكن الدجاجة قال فباطل ما قال أبوك حيث يقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * يستهل الشؤبوب أو جل
لا تمتنع العودا لنصال ولا * أتباع الاقربىة الاجل
لا غنى في الحياة مثلها * الى دراك العلاء ولا بلى

قالت فذلك الفعل من أبي أصارنا أن ليس عندنا شيء فتركها ومضى (وكان) عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يعمون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس وضيق اليد الى ان سأله رجل فقال له ان حالي متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان ولكني أعطيتك ما أمكنني فأعطاء رداء كان عليه ثم دخل منزله وقال اللهم استرني بالموت فما أتى بعدد عونه الا أيام حتى مرض

ومات رضى الله تعالى عنه (وقد) أبو الشعمق على محمد بن مروان بنيسابور
يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها صار الى منزله فأخبر أنه في دار الخراج
مطالب فقصده ودخل عليه وهو قائم في الشمس وعلى عنقه صخرة عظيمة فتغير له
فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طال ما * قدم الرجال عليهم فتمتوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا
(فقال أبو الشعمق)

الجود فلسهم وغير حالهم * فالיום ان سئلوا النوال تبخلوا
(دخل) مالك بن دينار على أبي عون في الحبس وكان قد ضربه بلال بن أبي بردة
بالسياط وإذا في الحبس جماعة من عمال السلطان في الحديد فلم يلبث أن حضر
غداؤهم فجعل الخدم ينقلون ألوان الاطعمة فقبل له يا أبا يحيى فلم فقال لا أريد
أن آكل مثل هذا ولا أن يوضع في رجلى مثل هذا وأشار الى القيد (وكان)
للاعمش صديق متصرف في عمل السلطان فبقى عليه مال فحبس فيه فزاره
الاعمش متغمما له فلما دخل عليه رأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتغذى منها
فقال والله ما لازمت الوثائق الا بأسرافك في الانفاق فلوقنعت نفسك وعفت
يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك * ولهذا الافلاس أكثر الناس كلامهم
في التحذير من عواقب التبذير وما أحسن قول الفقيه منصور رحمه الله
توب وكسرة وخبز * وبيت كن وأمن
الذمن كل ملك * عقباه ضرب ومجن

* (ومما) يعتد من الاسراف في البذل اصطناع المعروف الى اللئيم والنذل
(قالوا) حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن
الحفظ ومن بذل مكان الامساك فهو مبذر ومن أمسك مكان البذل فهو
بخيل (وقالوا) من الحزم أن تعلم أن مالك لا يسع الناس كلها فتوخ به أهل الحق
عليك وان كرامتك لا تسع المقلين فاخصص بها أهل الفضل والمروءة ومن غسه
الحاجة اليك والاعطاء بعد المنع أجل من المنع بعد الانعام (وقال لقمان)
المعروف كن فانظر من تودعه (وقال) عبد الملك بن المقفع ان مالك لا يسع
الناس فاخصص به ذوى الصكر من أهلك وخاصتك ودع الاجانب جاثبا

(وقال) صالح بن عبد القدوس سامحه الله

لا تجذب بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
انما الجود أن تجود على من * حول البذل منك والجود أهل

(آخر)

لا تصنع المعروف في ساقط * ذاك صنيع ساقط ضائع
وضعه في حرّ كريم يكن * عرفك مسكاً عرفه ضائع

(وقالت الحكماء) أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللثام (وقالوا)

الاحسان الى اللّثيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بسيط الهواء
(وقالوا) زوال الدول باصطناع السفّل (وقالوا) كن جواداً في موضع الجود

فإن أجود جود الحزّ الأنفاق في وجه البرّ (وقال بعضهم) لا حسرة أعظم من
نعمة أسديت الى غير ذي حسب ولا مروءة (وقال آخر) لا تصنعوا الى ثلاثة

معروفاً اللّثيم فإنه بمنزلة الارض السجّة لا يظهر فيها البذر وذلك لا يظهر فيه
المعروف والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت معه انما هو مخافة خشه

والاحقّ فإنه لا يدري قدر ما أسديت اليه ولا يشكر له عليه (قال الشاعر)
لعمرك ما المعروف في غير أهله * وفي أهله الا كبعض الودائع

فستودع ضاع الذي كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في كفر الا يادي وشكرها * الى أهلها الا كبعض المزارع

فزرعة أجدت فأضعف زرعها * ومزرعة أكدت على كل زارع
(وقالوا) واضع المعروف في غير أهله كالمرسج في الشمس والزارع في السج

(قال الشاعر)

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلا في كماله في مجير اتم عامر

أعدّها لها ما استجارت بيته * أحاليب ألبان اللقاح الدوائر

وأمنه ككها حتى اذا ما تمكنت * فترته بأنياب لها وانطافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بغير معروف على غير شاكر

(آخر)

عليك بذى الاقدار فاكسب ثناءهم * فمالك في غير الاكرام ضائع

وما مال من أعطى الكرام بناقص * ولكنه عند الكرام ودائع

(آخر)

إذا ما بدأت امرأ جاهلاً * بغير فقصر عن حمله
ولم تلقه قابلاً للجمل * ولا عرف العزم من ذله
فسمه الهوان فإن الهوان * دواء لذي الجهل من جهله
(وقالوا) العاقل يتخير لمعرفه كما يتخير الباذر ما راكم من الأرض لبذره (وقالوا)
رأس الرذائل اصطناع الاراذل وقال الشاعر

متى تسد معروفاً إلى غير أهله * رريت ولم تطفر بحمد ولا أجر

* (ما احتج به سراة الاشراف في تحسين التبذير والاسراف) *

قد كآ قد منى في أول فصل من هذا الباب جملة مما ورد عن الكرماء في الخس على
انتهاز الفرصة بالانفاق ثقة بالخلف من الكريم الرزاق ما فيه كفاية فلم يقنعنا
ذلك فذكرنا في هذا الموضع ما استدر كاه لبيم لنا الغرض المقصود فيما نخوناه
من كل مستحسن بديع لسر البراعة بلسان البراعة بديع (من ذلك) قول الله
تعالى وهو اصدق القائلين وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين
* وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينادى مناد كل ليلة اللهم اجعل لكل منفق
خلفاً ولكل ممسك تلقاً * وقوله صلى الله عليه وسلم لم أنفق بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلاً ولا ولقد أجاد على ابن ذكوان في قوله

أنفق ولا تخش اقلاً لا فقد قسمت * بين العباد مع الآجال ورزاق

لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وحكى) ان علي بن موسى الرضا رضى الله عنه وعن ابائه الكرام فرق في يوم
عرفة وكان بخراسان ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل
هو المغرم لا تعدن ما ابتغيت به أجراً أو كرم ما غرماً * وكان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يدخر شيئاً لغد (وقال) بعض الحكماء أنفق في الحقوق ولا تنكس
خازناً غيرك فان اغتمت على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك
فانه من لم يعمل في ماله وهو موجود عمل في ماله وهو مفقود (وقال بزرجمهر)
إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تنفي وإذا أدبرت عنك فأنفق منها
فانها لا تبقى (ظاهر بن الحسين ناظم هذا المعنى)

لا تجعلن دنيا وهي مقبلة * فليس يذهب التبذير والسرف

فان قلت فاحرى أن تجود بها * فالجدة منها اذا ما أدبرت خلف
 (ويقال) انفق وأسرف فان الشرف في السرف (وقيل) للمحسن بن سهل
 وكان معطاء لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وهذا من بديع الكلام
 وذلك انه عكس على المنكر كلامه فكان جوابا لله وردا عليه من غير أن يزيد فيه
 ولا ينقص منه (وقال) الراضى بالله يخاطب لأعماله على السرف
 لا تكثرن عدلى على الاسراف * ربح المحامد متجرا لاشراف
 لجرى كآبائى الخلاق سابقا * واشيد ما قد است أسلافى
 انى من القوم الذين اكفهم * معتادة الانلاف والاخلاف
 (آخر)

قامت تلوم على بذل النوال ولى * به ولوع فقلت اللوم فى الباقي
 لا تجزعى ان ترى بي فاقه أبدا * فن خراثن رب العرش انفاقى
 (آخر)

الا لآلمنى على بذل مالى * فصولى اعرضى بمالى جمالى
 وصونى لمالى بعرضى فساد * لعرضى ودينى وجاهى ومالى
 (الصولى)

لا تسلمو منى فهمك ان أترى وهمى مكارم الاخلاق
 ليس يستطيع حفظ ما ملكك كفاء من ذاق لذة الانفاق
 (وقال المأمون) لمحمد بن عباد بلغنى أن فيك سرفا فقال يا أمير المؤمنين منع
 الجود سوء الظن بالمعبود فتال المأمون لا يحسن السرف الا بأهل الشرف
 (وقال الجعفى يمدح معطاء أسبل الكرم عليه غطاء)
 كرم دعنتك به القبائل مسرفا * ما سرف فى المكرمات بمسرف
 (وقال آخر يحض على الاسراف فى الصنائع)
 ذهاب المال فى جد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

(الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة قصول)

الفصل الاول من هذا الباب

فى ذم الامسالك والشح وما فيه من الشين والقبح

فرقوا بين الشح والبخل (فقالوا) الشح أن تكون النفس مركزة مريضة على

المنع كما قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وهو اللؤم وأما البخل فهو المنع نفسه (فما جاء في البخل) قول الله تعالى
ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم
سبطون ما بخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يـكـنـزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم
تذوقوا ما كنتم تكزون قال بعض أهل المعاني انما خص هذه الاعضاء دون
غيرها بالذكرا لان السائل اذا سأل البخل زوى عنه وجهه فان ألم عليه ازور
عنه بشق جنبه الذي يليه فان الحف ولاه ظهره (وروى الخطيب) أبو بكر
أحمد بن علي بن ثابت باسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله الجنة عدن قال لها تزييني فتزينت ثم قال لها أظهري انهارك
فاظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل
ونهر الخمر ثم قال لها أظهري حورك وحليك وحملك وسررك وجمالك ثم قال
لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخل
أورده في كتاب الخلائه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من
الانصار من سيدكم قالوا الجعد بن قيس على بخل فيه فقال عليه الصلاة
والسلام وأي داء أدوا من البخل (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والشح
فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم
فقطعوا ارحامهم (وعنه) عليه الصلاة والسلام قال اقسم الله بعزته وعظمته
وبجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخل (وقال) علي بن أبي طالب البخل
يتجمل الفقر لنفسه يعيش في الدنيا يعيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب
الاغنياء (وقال حكيم) لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم
ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاسوء الظن برهم في الخلف
لكان عظيمًا فان الله تعالى يقول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه * وكفى بالبخل
معرة أن يمنع نفسه اكساب الحسنات مع اقتراره اليها ويحرمها مباح
الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوى وان أجفت به العلة وأهمل

دفع المكاره عن نفسه وقد نيط به المذلة لكثرة الاشفاق على الاتفاق فهو لا يلقى في الدنيا شكورا ولا يلقى في الآخرة أجرا مدخورا (وقالوا) البخل من سوء الظن وخول الهمة وضعف الروية وسوء الاختيار والرهدي في الخيرات (وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما البخل جامع المساوي والعيوب وقاطع المودات من القلوب (وقال) سقراط الاغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمار يحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعر (وحده) قالوا هو منع المسترفد مع القدرة على رفده (وكان) أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخل ويقول بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن فمن هذه حاله لا يكون مأموئا (وقال) بشر بن الحرث الخافي لا غيبة لبخل ولا شرطى تسخى أحب الى من عابد ببخل (وقالوا) صديق البخل من أطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه (وقيل) النظر الى البخل يقسى القلب (وقالوا) البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس الى التلف (وقالوا) اتق الشح فإنه ادنس شعار وأوحش دثار (وقالوا) البخل يملأ بطنه والجوار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع (شاعر)

ومن الجهالة بالمكارم أن ترى * جارا يجوع وجاره شعبان
(ويقال) من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم (وقال الرازي)
من يجمع المال فلم يجده * ويجمع المال لعام جده * يهن على الناس هو ان كلبه
(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخياله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله * فأكرمت نفسي أن يقال ببخل
(وقالوا) البخل لا يستحق اسم الحرية فإنه يملكه ماله (وقالوا أيضا) البخل لا مال له انما هو لماله (وقال) قيس بن معديكرب لبنه يابى اياكم والبخل فإنه من اكتسب ما لا فلم يصن به عرضا يبحث الناس عن أصله فان كان مدخولا هرتوه وان لم يكن مدخولا ألزموه ذنبا رموه ومقتوه واكسبوه عرفا هجينا حتى يهجنوه والبخل داء ونم الدواء السخاء (وقال) الحسن البصري لم أر شيئا بماله من البخل لانه في الدنيا مهتم بجمعه وفي الآخرة محاسب على منعه غير آمن في الدنيا من هبه ولا ناج في الآخرة من انعمه عيشه في الدنيا عيش

الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء أخذته من كلام أمير المؤمنين
 علي رضي الله عنه (ودخل) رضي الله عنه على عبد الله بن الأحمم بمودته
 في مرضه فراه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في زاوية من بيته ثم التفت
 إليه وقال يا أبا سعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة
 ولم أصل منها رجاء قال تكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان
 وجفوة السلطان ومكاثرة العشرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من
 دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا إلى هذا أناه شيطانه فخوفه روعة
 زمانه وجفوة ساطانه بما استودعه الله إياه انظروا إليه كيف خرج منها
 مذموم ما مدحورا ثم التفت إلى وارثه وقال أيها الوارث لا تخدع عن كخدع
 صويحك بالأمس أتاك هذا المال حلالا فلا يكون عليك وبالاً أتاك عفووا
 صفوا ممن كان جوعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه بلج البحار
 ومفاوز القفار لم تكدح لك فيه عين ولم يعرف لك فيه جبين إن يوم القيامة
 ذو حشرات وإن من أعظم الحشرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها
 حسرة لا تقال وتوبة لا تنال

• (ما اخترت من محاسن كلام الفضلاء وتأنيبهم في ذم اللثام الأشياء) •

كتب بعض الأدباء إلى صديق له يثبته في قصد بعض الرؤساء تأملا لثامه
 وكان معروفا بالجل (فأجابه) كتبت إلى تسألني عن فلان وذكر أنك
 هممت بزيارته وحدثتك نفسك بالقدم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فإن
 حسن الظن به لا يقع إلا بخذلان من الله وإن لطمع فيما عنده لا يخطر على
 القلب إلا من سوء التوكل على الله والرجاء لما في يده لا ينفى إلا بعد اليأس
 من روح الله لأنه رجل يرى التقدير الذي نهي الله عنه هو التبذير الذي يعاقب
 عليه وإن الاقتصاد الذي أمر الله به هو الاسراف وإن بني إسرائيل
 لم يستبدلوا المن بالعدس والسوى بالبصل إلا لفضل حلومهم وقديم علم
 نوارثهم عن آبائهم وإن الضيافة مرفوضة والهبة مكروهة والصدقة
 منسوخة وإن التوسع ضلالة والجود فسق وجهالة والسخاء من همزات
 الشياطين كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الأولى التي نسخ الله جميل
 أخيارها ونهى عن اتباع آثارها وكان الرجفة لم تأخذ أهل مدين السخاء

ذنب اليهم ولا أهلكت الريح العقيم عاد الا لافضال كان فيهم وهل يخشى
العقاب الاعلى الانفاق ويرجو الفؤاد بالامسالك ويعيد نفسه بالفقر
وبأمرها بالخل خيفة أن ينزل به قوارع الظالمين أو يصيبه ما أصاب الأولين
فأقم رحمتك الله بمكانك واصبر على خطب زمانك واض على عسرتك فعسى أن
يبدلت الله خيرا منه زكاة وأقرب رحا (وكان) محمد بن يحيى بن خالد مبعلا
بالنسبة لايه وأخوه جعفر والفضل فمثل الجازع مائته فقال فقر في فقر
وصحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة
وبين اللون واللون فمرة نبي قبل فن يحضره قال خير خلق الله وشرهم قبل من
هم قال الملائكة والذباب قبل له أنت به خاص وثوبك مخرق فقال والله لو ملك
يتامن بغداد الى الذوبة تملوا ابرا ثم جاء يعقوب النبي ومعه الانبياء شفعا
والملائكة شفعاء يسألونه اعارة ابرة فيخيط بها قبض يوسف الذي قد من دبر
ما فعل أخذه الشاعر ونظمه في قوله

لو أن قصر لي يا ابن أغلب ممتل * ابراضيق بهار حاب المنزل
وأناك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قبضه لم تفعل
(آخر بهجو بخيلا)

لو أن دارك أمطرت عرصاتها * ابراضيق لها رحاب المنزل
وأناك يوسف يوم قد قبضه * يرجو نوالك في ابرة لم تفعل
(وقبل) لابي القاسم حين تغذيت عند فلان قال لا ولكني مررت بيا به وهو
يتغذى قبل له وقد عرفت ذلك قال رأيت غلمانا بأيديهم قسي البندق يرمون
سها الطير في الهواء (وذم اعرابي قوما) فقال لهم يوت ندخلها حبوا الى غير
نمارق ولا وسائد فصيح اللسان برد لسائل جعدا لا كف عن النائل (وذم
اعرابي قوما) فقال ما كانت النعمة فيهم الا طيفا فلما اتت بهم والها ذهبت عنهم
فقال شاعر وكانه ألم بهذا المعنى في قوله

خنازير ناموا عن المكرمات * فأبقتهم قدر لم ينم
فيا قبضهم في الذي خولوا * ويا حسنهم في زوال النعم

(نزل) اعرابي برجل فقال له بعض قومه لقد نزلت براد غير محطور ورجل
يقدمك غير مسرور فاقم بئدم أو ارتحل بئدم (وقال) المتوكل لابي العلاء

من الجمل من رأيت قال موسى بن عبد الملك بن صالح قال وما رأيت من بخله
قال رأيت به يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر
من الاساءة (وقال بشار) من استضاف فلانا استغنى عن الكنيف وأمن
من النخمة (وذم آخر بخيلا) فقال ضن بقله وجاد بنفسه (وذم اعرابي
بخيلا) فقال جعد البنان شحج الكف مقفل اليد لا يسقط من كفه الخردل
وان استولى على أصابعه الجندل قال الشاعر

تحلى باسماء الشهور فكفه * جادى وماضت عليه المحرم
(وقالوا) فلان ماه ورطب فيعتصر ولا يابس فيكسر مانع للموجود سي
الظن بالمعبود فلان منعوت على الجمع والمنع لا يعد العيش الا ما جمعه والحزم
الامامنه فلان بن لبون لادر فيحلب ولاظهر فيركب (وذم) اعرابي رجلا
بالجمل فقال لقد صغر فلانا في عيني كبر الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا رآه
ملك الموت اذا أتاه (بشار بن برد)

اذا سلم المسكين طار فؤاده * مخافة سؤال واعتراه جنون
(ومن منقول من نفس الصدور المحنقة) * في ذم من سلبه السخاء رونة قول
منصور بن ربيعة يهجو بخيلا

قوم غدوا والطعام عندهم * وزن بلين ووزن ياقوت
ان كان قوتي اليهم ويهمهم * برئت منهم ومنك ياقوتي
(الاخطل)

ما زال فينا رباط الخيل معلة * وفي كليب رباط الخزي والعار
قوم اذا استنجح الاضاف كلهم * قالوا لامهم بولى على النار
(واقدا حسن ابو الشمقمق في قوله)

ما كنت احسب ان الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحايس الروث في أعفاج بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير
(آخر)

عدا الارغفه شنف وقرط * واكسلان من خرزودر
اذا كسر الرغيف بكى عليه * بكاء النساء اذا فجت بصخر
وجاء بكل نائحة عليه * كما بكت الرباب لفقد عمرو

ودون رغيضه دق الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر

(وقال ابو نواس يهجو سعيد بن سلم بن قتيبة)

رغيف سعيد عنده عدل نفسه * يقلبه طورا وطورا يداعبه
وياخذ في حضنه ويشمه * ويلثمه حيناً وحيناً يلاعبه
وان قام مسكين على باب داره * اذا نكته أمه وأقاربه
يصب عليه البول من كل جانب * ويخضب ساقاه ويتف شاربه

(ابن طباطبا)

أجاع بطني حتى * شممت ريح المنية
وجاعني برغيف * قد أدرك الجاهل
فقممت بالقأس حتى * أدق منه شظية
تثلم القأس وانصا * ع مثل سهم الرمية
فشج رأسي ثلاثا * ودق مني التنبيه

(آخر)

ربي وربك بعد الجوع أشبعني * ورزق ربك آت غير مدفوع
ولو عليك اتكالي في الطعام اذا * لكنت اول مدفون من الجوع

(آخر)

وقائلة مدهي ناظر يك * فقلت لامر به قد منيت
أكلت دجاجة بعض الملوك * فإزلت اصفع حتى عيت

(آخر)

نوالك دونه خرط القتاد * وخبرك كالثريا في البعاد
تري الاصلاح صومك لا لاجر * وكسرك للرغيف من الفساد
ولو أبصرت ضيفا في المنام * لحزمت المنام الى التناد
ولم أهجوك أنك كفؤ شعر * ولاكني هجوتك للكساد

(آخر)

ودعوتني فأكلت عندك قرصة * وشربت شرب من استتم خروفا
وسالتني في اثر ذلك حاجة * أودت بمالي تالدا وطريفا
فجعلت افكر فيك باقي ليلتي * ما كنت نسأل لو أكلت رغيضا

(آخر)

انبت ابن يحيى وهوى كل فائنى * الى قطوبا اذرا آنى وهمها
وقال لمذا جئت قلت مسلما * فقال لقد سلت فارجع مثل ما

(وقال ابن الخطيب الصقلي)

لا تكونن مبرما وعسوقا * سلدهمه وخل عنك الرغبة
أكرم الخبز بالصيانة حتى * جعل الكعد للبنات شنوقا

(آخر يخاطب بخیلا)

لأنفس اذا أضربها الجو * ع قلافتها بشم الرغبة
من يكن عيشه كعيش هذا * فلتكن داره بغير كنيف

(آخر)

رأيتك عند حضور الخوان * قليل النشاط كثير الصباح
تلاحظ عينك كفا الاكيل * وترمقه من جميع النواحي
فعال امرئ بخلت نفسه * بشئ يزل الى المستراح

(آخر يهجو بخیلا)

أصبح لا يعرف الجبل ولا * يفرق بين القبيح والحسن
ان الذى يرتجى نداء كن * بحلب يسا من عزة اللبن

(آخر)

يزداد شها وبخلا كل من كثرت * أمواله ثم لا ترجى مواهبه
كالبحر كل مياه الارض قاطبة * تأوى اليه ويظ ما فيه راكبه

• (وما يكون متمما لئلا كراه خلف الشهيح لسانه بما ناه) •

قالوا خلف الوعد من خلق الوغد (والمثل المضروب) قواهم اخلف من
عرقوب واخلف من شرب الكمون فان الكمون يعنى بالسقي ولا يسقى

(قال الشاعر)

سقيمتونى كووس المطل مترعة * حتى غلت والسكران عرييد
لا تتركونى ككمون بزرعة * ان خانه القيث أحبه المواعيد
(وقال) بعض كرماء الاعراب لان أموت عطشا أحب الى من أن أخلف
موعدا (وقال) بعض البلغاء يذم بخیلا فلان ملا سمعى روحا وكفى ربحا

(وقال)

(وقال آخر) فلان يفتح مواعيد بالاطماع ويحتملها بالخسبة والامتناع
 (وقال آخر) فلان سخي قولا وبخيل فعلا وسريع وعدا وبطي مرفدا
 (وقال آخر) فلان أول وعده طمع وآخره يأس وما هو الا كالسراب يغير
 من رآه ويخلف من رجاه وقال الشاعر
 لسانك أحلى من جنى النحل موعدا * وكفك بالمعروف أضيق من قفل
 (آخر)

لسانك معسول وقلبك علقم * ودون الثريا من صديقك مالكا
 (دعبل)

يا جواد اللسان من غير فعل * ليت في راحتك جود اللسان
 (وقالوا) من وعد وأخلف لزمته ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم
 الكذب وقال الشاعر

الاغما الانسان غمد لقلبه * ولاخير في غمد اذا لم يكن نصل
 ولاخير في وعد اذا كان كاذبا * ولاخير في قول اذا لم يكن فعل
 فان تجمع الآفات فالبلبل شرها * وشر من البلبل المواعيد والمطل
 (وقال الثعالبي) أول من أخلف المواعيد دوكذبها ولم يف بشئ منها
 اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد وما كانت الرؤسا قبل ذلك يعرفون المواعيد
 الكاذبة (وما أحلى) قول بعض الشعراء يخاطب من أخلف عدة وعده
 اياها من أبيات

ووعدتني عدة ظمنتك صادقا * فجعلت من طمعي أروح وأذهب
 فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلة وهذا أشعب
 (وقال) بعض البلغاء يذم مخلف وعده فلان وعده في الخلاف كشجر
 الخلاف يريك نضارة المنظر ثم لا يجنيك شيا من الثمر فظمه ابن الرومي فقال
 ليس من حل بالحل الذي أنت * تبه من سماعة ووفاء
 بذل الوعد للاخلاء طوعا * وأبى بعد ذلك بذل العطاء
 فغدا كالحلاف يحسن للعين ويأبى الاثمار كل الآباء
 (آخر)

على الدنيا وما فيها السلام * اذا ملكت خزانها اللثام

راضيت من الأمور بكل شيء * قضاء الله وانقطع الكلام

الفصل الثاني من الباب العاشر

في ذكر نوادر المجلين من الاراذل والمجلين

يجب علينا أن نذكر أولاً ما صدر عن الامجاد العتلاء في التحذير من سؤال
الاجواد والخلاء ثقة بما ضمنه الله من رزقه الدار على سائر خلقه (قالوا)
مكتوب في التوراة ابن آدم لا تسأل الناس فان كنت فاعلا فاسأل معادن
الخير ترجع مغبوطاً محسوداً (وفي كتاب كابل ودمنه) ينبغي للعاقل أن
يرى أن ادخال يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من سؤال الناس
(وقال) ابراهيم بن حنيفة لابنه يابني صن شكر لك عن لا يستحقه واطلب
المعروف ممن يحسن طلبك اليه واستر ما وجهك بقناع قناعتك وتسل عن
الدنيا بتجافها عن الكرام وأنشد

هي القناعة فالزمها تكن ملكاً • لو لم يكن لك الاراحة البدن
وانظر ان ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن
(وقال) لقمان لابنه يابني لا تخلق وجهك بطلب الحوائج الى من هو دونك
فانه ان ردك ساق اليك محنة وان قضى حاجتك اتخذها عليك منة واسأل
الله فان الله يحب من يسأله ويغض من لا يسأله (شاعر)

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب
(وقد) روى عن سفيان الثوري دعاء ككلام لقمان كان يدعو به اذا احتاج
يقول اللهم يا من يحب أن يسئل ويغضب على من لا يسأل وأحب عباده
اليه من سأله فأكثر سؤاله وليس أحد كذلك غيرك يا كريم أعطني كذا ويسأل
حاجته (وقال) محمد بن الحنفية رضي الله عنه ما كرمتم على عبد نفسه الا
هانت عليه الدنيا (شاعر)

الحر حر عزير النفس حيث نوى * كالشمس في أي برج ذات أنوار
(آخر)

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله * عوضاً ولونال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * ربح السؤال وخف كل نوال
(آخر)

لا استعين باخواني على الزمن * ولا أرى حسنا ما ليس بالحسن
اني كليل اذا استعطفت ذائقة * بما حوت كفه قد كان أغفلني
ذل السؤال وذل الشكر ما اجتماعا * الا أضرب اجماء الوجه والبدن
لا ابتدى بسؤال لي أخا أبدا * لو شاء قبل سؤالي منه أكرمني
له الثراء ولي عرض أوفره * عنه وبقتني قوت يبلغني
(محمد بن حازم)

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بياس فان العز في الياس
فالرزق عن قدر يجري الى أجل * في كف لا غافل عني ولا ناسي
فكيف ابتاع فقرا حاضرا بغنى * وكيف أطلب حاجاتي من الناس
(ولقد) أحسن ابن شهيد كل الاحسان في قوله بصف من صان وجهه عن
السؤال بقناع قناعته وكف وصبر على مضض الاحتياج بقدر استطاعته
فعف

ان الكريم اذا نالته محضة * أبدى الى الناس ربا وهو ظمان
يطوى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجهه طلق بماء الشرير ان
(آخر)

وكم قد رأينا من فتى متجمل * بروح وبغد وليس يملك درهما
بيت يراعى النجم من سوء حاله * ويصبح يلقي ضاحكا متبسما
(ذكر من كان يدين بالبخل من الملوك وانصف بما لا يحسن بالفقير الصعلوك)
عبد الله بن الزبير ويكنى أبا حبيب وانما لم يعد من البخل لجلالة رتبته واصالة
أبوتنه فما يحكى عنه أنه نظر الى رجل من جنده قد دق في صدوره أصحاب الحاج
في قتاله على مكة ثلاثة أرماح فقال له يا هذا اعتزل عن نصرتنا فان بيت المال
لا يقوم بهذا (وفي هذه الحرب) يقول معاتباه جنده أكلتم ثمرى وعصيتم
أمرى سلاحكم رث وكلامكم غث عيال في الجذب أعداء في الخصب
(وقال) لرجل كان يعاطى التجارة ما صنعتمك قال أنجز في الرقيق
فقال ما أشد أقدامك على الغرر واطاعة المال قال بماذا قال بيضا عمتك
الملاعون التي هي ضمان نفس وموثة ضرر (وأناه) عبد الله بن فضالة
مستجديا فأخذ يشكو اليه شدة فاقته وحفا ناقة ووعورة طريقه وبعد

مساقتة فقال له اخصفها بهاب وارقعها بسبت وانجدها ببرد خفيها فقال
ابن فضاله انما جئتكم مستجديا لمستوصفا فلا بقيت ناقة جلتي اليك قال ان
وصاحبها قوله ان بعني نعم (قال) أبو عبيدة معمر بن المثنى لو تكلف
الحرب بن كعدة طيب العرب من وصف علاج ناقة هذا مات كلفه هذا الخليقة
اعسر عليه (ويقال) انه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة واحدة ويقول
انما بطني شبر في شبر وما عسى يكفيني (ومن بخلاء الخلفاء) عبد الملك بن
مروان وكان يسمى رشح الحارث بن الطير أيضا بخله وهشام ولده كان ينظر
في القليل من المال وينزع السائل وان ألحف في السؤال ويبيع ما يهدي
اليه ويجعل السب صلة من يقرظه ويثني عليه (من حكاياته) انه وفد عليه
محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له مالك عندي
شيء ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لك لم يعرفك أمير المؤمنين أنت فلان بن
فلان فلا تقيم فتتفق مامعك فليس لك عندي صلة فبادروا الحق باهلك
(وكان) معاوية يبخل في طعامه مع كثرة جوده بالمال قال لرجل واكاه
ارفق بيديك فقال له الرجل وأنت فاغضض من طرفك (وبلغه) أن الناس
يخولونه فقام على المنبر وقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم فلا شيء نلام نحن فقام اليه الاحنف بن قيس وقال
نحن مانلومك على ما في خزانة الله ولكن نلومك على ما في خزانة اذا اغتلتقت
يا بك دونه (والمنصور) وكان يلقب أبا الدوانيقي ولقب بذلك لانه لما بنى
بغداد كان ينظر في العمارة بنفسه فيحاسب الصناع والاعراف فيقول لهذا
أنت نمت القائلة ولهذا أنت لم تبكر الى عملك ولهذا أنت انصرفت لم تكمل
اليوم فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه فلا يكاد يعطى أجرة يوم
كامل (ويحكى عنه) أنه قال لطباخيه لكم ثلاث وعليكم اثنان لكم
الرؤس والا كروع والجلود وعليكم الخطب والتوابل (ومن حكاياته)
الدالة على شدة بخله أن الربيع بن يونس حاجبه قال له يوميا أمير المؤمنين ان
الشعراء يبابك وهم كثيرون وقد طالت أيام اقامتهم ونفدت نفقاتهم فقال
اخرج اليهم واقرأ عليهم السلام وقل لهم من مد حنا منكم فلا يصفنا بالاسد
فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هي دويبة ميتة تأكل التراب ولا

بالحلى فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانه ذو غطاء طفن ليس في شعره شئ من هذا
 فليدخل ومن كان في شعره شئ من هذا فليتنصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم
 ابن هرة فانه قال ادخلني فأدخله فلما مثل بين يديه قال يا ربيع قد علمت أنه
 لا يجيبك أحد غيره هات يا ابراهيم فأنشده القصيدة التي أولها
 سرى نومه عنى الصبا المتحامل * وأذن بالبين الحبيب المزايل
 حتى انتهى الى قوله

له لحظات في حنا في سريره * اذا كثرها فيها عاقاب ونائل
 فأم الذي أمنت أمانة الردى * وأم الذي خوفت بالشكل ثا كل
 فرفع له الستروا قبل عليه مصغيا اليه حتى فرغ من انشادها ثم أمر له بعشرة
 آلاف درهم وقال له يا ابراهيم لا تتلفها طمعا في نيل مثلها فاني كل وقت تصل
 اليها وتنال مثلها منا فقال ابراهيم ألقاها يا أمير المؤمنين يوم العرض
 وعليها خاتم الجهبذ (ودخل) المؤمل بن أميل على المهدي بالرى وهو اذ ذاك
 ولى عهد أبيه المنصور فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهدي الآن فيه * تشابه صورة القهر المنير
 تشابه ذا وذافهما اذا ما * أنا رايشكلان على البصير
 فهذا في الضياء سراج عدل * وهذا في الظلام سراج نور
 ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا المنابر والسرير
 ونقص الشهر بخمدا وهذا * منير عند نقصان الشهور
 (ومنها)

فان سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
 وان بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير
 فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو
 بمدينة السلام بغداد فكتب اليه المهدي يلومه على هذا العطاء ويقول له
 انما كان ينبغي لك أن تعطى الشاعر اذا أقام بيابك سنة أربعة آلاف درهم
 وأمر كاتبه أن يوجه اليه الشاعر فطلب فلم يجد وذكرا أنه توجه الى بغداد
 فكتب الكاتب الى المنصور بذلك فأمر بعض القواد بإرصاد المؤمل
 على باب بغداد فجعل القائد يتصفح وجوه الناس القادمين عليها ويسألهم عن

أسمائهم وأسماء آبائهم حتى وقع على المؤمل فسأل عن اسمه فأخبره فقال أنت
 بغية أمير المؤمنين وطلبته قال المؤمل فكاد والله قلبي ينصدع خوفاً وفرحاً
 ثم أخذ يهدي فسار بي إلى الربيع فأدخلني على المنصور فقال يا أمير المؤمنين
 هذا المؤمل بن أميل قد ظفرت به فسلطت فردا السلام فسكن جاشي وزال
 استجاشي عند ذلك واطمأن قلبي وزال روعي ثم قال لي أيتها غلاماً غزاً
 لقد عنته فأنخدع فقلت يا أمير المؤمنين أيتها ملكاً جواداً كريماً قد حنته فحمله
 كرم أعراقه ومكارم شيمه على صلتى وبري فأعجبه كلامي ثم قال انشدني ما قلت
 فيه فأنشدته القصيدة فقال والله لقد أحسنت ولكنك لا تساوي عشرين
 ألفاً يا ربيع خذ منه المال وأعطه منه أربعة آلاف درهم ففعل فلما ولى
 المهدي الخلافة قدم عليه المؤمل فأخبره بما دار بينه وبين المنصور فضحك
 وأمر له برد ما أخذ منه فرد عليه (وأشرف) يوماً على الصياد فرأى صائداً
 اصطاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه أخرج إلى المتسبب فخره أن يוכל
 بالصيد من يدور معه من حيث لا يشعر فإذا باع السمكة قبض على مشتريها
 وصار به الينا ففعل المتسبب ما أمر به فلقى الصياد رجلاً نصرانياً قابلاً منه
 السمكة بثلاثي درهم فلما صارت السمكة في يد النصراني وذهب بها قبض عليه
 الأعوان وأتى به المتسبب وأدخله على المنصور فقال له من أنت قال رجل
 نصراني قال بكم ابتعت هذه السمكة قال بثلاثي درهم قال وكم عيالك قال
 ليس لي عيال قال وأنت يمكنك أن تشتري مثل هذه السمكة بمثل هذا الثمن كم
 عندك من المال قال ما عندي شيء فقال للمتسبب خذ البك فان أقر بجميع
 ما عنده والافضل به فأقر بعشرة آلاف درهم قال كلا إنها أكثر فأقر بثلاثين
 ألف درهم وأحل دمه أن وقف له على أكثر من قال له من أين جمعتها قال
 وأنا آمن يا أمير المؤمنين قال له وأنت آمن على نفسك ان صدقت قال كنت
 جارا لابي أيوب فولاني جهينة بعض نواحي الأهواز فأصبت هذا المال فقال
 المنصور والله أكبر هذا مالنا اختتمه وأمر المتسبب بحمل المال وإطلاق
 الرجل (وقد حكى) ابن حمدون في تذكرته أن المنصور حج في بعض السنين
 فحدا به سالم الحادي في طريقه يوماً بقول الشاعر

أبلغ بين حاجبيه نوره * إذا تغذى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره * ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يارب أربع أعطه عشرة دراهم
وفي رواية نصف درهم فقال سالم لا غير يا أمير المؤمنين والله لقد حدثت أهشام
ابن عبد الملك فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال المنصور ما كان له أن يعطيك
من بيت مال المسلمين ما ذكرت يارب أربع وكل به من يستخرج منه هذا المال قال
الربيع فإزالت أسفري بينهم ما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه وقفوله
بغير مونة وكان سالم هذا المذكور تورد له الأبل بعد أن تظلم السبعة أيام
والثمان والتسع والعشر فيحدو لها فيلها بمحدوه عن ورود الماء (ومن
ظريف ما يحكى) عنه أن عبد الله بن زياد بن الحرث كتب إليه رقعة بليغة
يستمنحه فيها فكتب عليها أن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في بلد ابطراه
وأمر المؤمنين مشفق عليك فاكتب بالبلاغة (وكان) لسوار القاضي
بالبصرة من قبل المنصور كتابان رزق أحدهما عشرون درهما ورزق الآخر
أربعون درهما فكتب إليه وأر التسمية بينهم ما فنقص صاحب الأربعين
عشرة وزادها صاحب العشرين وانما أراد سوار أن يلحق صاحب العشرين
بصاحب الأربعين

من صان درهما ولم يسمح به للعتاء
فكشف عنه اللوم ما أسبله الكرم من العطاء

مروان بن أبي حفصة وذلك أنه خرج يريد المهدي فقاتل امرأة من أهله
مالى عليه إذا رجعت بالجائزة قال إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك
درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاها أربعة دوايق (وسأل رجل) خالد بن
صفوان فقال هب لي دينيرا فقال خالد لقد صغرت عظيميا صغرك الله الديار
عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف ديتك (وكان)
بعض الخلاء إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بأبي
أنت وأمتي كم من أرض قطعت وكيس خرقت وكم من حامل رفعت وسرى
وضعت إن لك عندي أن لا تعري ولا تضحي ثم يلقية في الكيس ويقول اسكن
على بركة الله في مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه (وكان) مروان بن أبي
حفصة إذا جاءه جائزة يقول للدراهم كم حامل رفعت وكم سرى وضعت

طال ما تغزبت في البلاد وأنعتبت في طلب تحصيلك العباد فوالله لا طيبان
 ضجعتك ولا دبر صرعتك ثم يضعها في الصندوق ويختم عليها (وكان) أبو
 العميس اذا وقع الدرهم في يده نقره بأصبعه وقال مخاطباً له كم من يد وقعت
 فيها ومن بلد جلت في نواحيها بأى أنت وأتى اسكن وقرعينا فقد قربك
 القرار واستقرت بك الدار واطمأن بك المنزل ثم يضعه في كيس ويختم
 عليه فيكون آخر العهد به (وكان) بعض البخلاء اذا وقع الدرهم في كفه
 قال مخاطباً له أنت عقلي ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شئلى وقرعة عيلى وقوتى
 وعمادى وعدنى ثم يقول يا حبيب قابلى وثرة فؤادى قد صرت الى من يصونك
 ويعرف حقك ويعظم قدرك ويشفق عليك وكيف لا يكون كذلك وبك تجاب
 المسار وتدفع المضار وتعظم الاقدار وتعمر الديار وتقتضى الابكار
 ترفع الذكرو تعلى القدر ثم يطرحه في الكيس وينشد

بنفسى محبوب عن العين شخصه * وايسر بخال من لسانى ولا قلبى
 ومن ذكره حظى من الناس كلهم * وأول حظى منه فى البعد والقرب

(ومن صان درهمه ولم يسمح به فكان ذلك سبباً لذمته وثلبه)

ما يحكى أن أعرابياً شرب عند بخيل غبوقاً فلما سكر البخيل وانتشى خلع على
 الأعرابى قيصاً فلما صحا انتزعه منه ثم شرب معه صبوحاً فلما سكر وانتشى خلع
 عليه قيصاً فلما صحا انتزعه منه فقال

كسانى قيصاً مرتين اذا انتشى * وينزعه منى اذا كان صاحياً

فلى فرجة فى سكره وانتشائه * وفى الصموت رحات تشيب النواصيا

(وأنى) بعض البخلاء بغلام ليشتريه فسيب فيه بأربعين ديناراً فأعطى فيه
 عشرين فقيل له انه فراش ونداف فقال لو فرش السماء وندف الغيم بقوس
 قزح ما اشتريته بأربعين (وساوم أشعب) بقوس ندق فقال صاحبه بدينارين
 فقال والله لو ربيت به طائر افوق مشوايين رغيفين ما اشتريته بهذا الثمن
 * وكان أشعب بخيلاً وله حكايات تذكروها بعد ان شاء الله (وقال الاصمعى)
 قالت امرأة لزوجها اشتري لنا رطباً فقال لها وكيف يباع قالت كالمجة بدرهم
 فقال والله لو خرج الدجال وعاث فى الارض وأنت تمخضين بعيسى والناس
 ينتظرون الفرج على يديه فى قتال الدجال ثم لم تلديه حتى تأكل الرطب

ما اشتريته لك كيلجة بدرهم (مدح شاعر) محمد بن عبدوس فقال له اما
أن اعطيك شيئا من مالي فلا ولكن اذهب فاجن جناية حتى لا آخذك بها
(وقال) مروان بن أبي حفصة ما فرحت بشئ فرحى بمائة ألف درهم وهبها لى
أمير المؤمنين المهدي فزادت درهما فاشترت به لهما (ودخل) أبو صاعد على
الغنوى فأنشده

رأيت في النوم أنى مالك فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنابر
فقال قوم لهم علم ومعرفة * رأيت خيرا وللأحلام تفسير
اقصص منامك فى بيت الأمير تجدد * تحقيق ذالك وللقال التباشر
فلما سمع الأمير أنشاده قال أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
* (من كان يجله على الفقراء بطعامه معربا عن لؤمه وموجبا للملامه) *

(الخطيئة) يحكى عنه أن بعض الأعراب مر به وهو يرعى غنم له وفى كفه عصا
فناداه الأعرابي ياراعى الغنم فأومأ إليه الخطيئة بعصاه وقال انها عجرا من سلم
فقال الأعرابي انى ضيف فقال وللضيفان أعددتها (ومرأعرابي) بأبى الاسود
الدولى وهو واقف على باب داره فسلم فقال له أبو الاسود كلمة مقولة قال أتأذن
لى فى دخول منزلك قال وراؤك أوسع لك قال هل عندك شئ يؤكل قال نعم قال
فأطعمنى قال عيالى أحق به منك قال ما رأيت إلا م منك قال لست ترى
نفسك قال الشاعر

اياك ترغب فى كلامه * وارفع عينك من طعامه
فالموت أهون عنده * من مضغ ضيف والتقامه
سيان كسر رغبته * أو كسر عظم من عظامه
وإذا مررت بيبابه * فأحفظ رغبك من غلامه

(وقال رجل) لبعض البخلاء لم لاتدعونى الى طعامك قال لانك جسد المضغ
سريع البلع اذا أكلت لقمة هيات أخرى فقال يا أختى أتريد أنى اذا أكلت
عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين (وقال آخر لخبيل) لم لاتدعونى قال
لانك تعلق وتشدق وتحقق أى يحمل واحدة فى يده وأخرى فى شدة وينظر
الى أخرى بعينه (وعزم) بعض اخوان أشعب عليه ليا كل عنده فقال انى
أخاف من ثقيل يأكل معنا فقال ليس معنا ثالث فضى معه فبينما هما يأكلان

اذا بالباب بطرق فقال أشعب ما أرانا الاصرنا الى ما نكره قال انه صديق وفيه
 عشر خصال ان كرهت واحدة منهم لم آذن له فقال أشعب هات أولها قال انه
 لا يأكل ولا يشرب قال التسع لك ودعه يدخل فقد آمننا ما كنا نخافه (وكان)
 مروان بن أبي حفصة لا يأكل الا الرأس فقبيل له في ذلك قال لان الغلام
 لا يقدر ان يخونني فيه ان أخذ أذنا أو أخذ عيننا وقفت على ذلك وآكل منه
 ألوانا آكل عينه لونا ودماعه لونا وأذنيه لونا وأكفى مؤنة طبخه في البيت فقد
 اجتمع لي فيه مرافق شتى (وحكى) دعبيل الخزاعي قال أتيت سهل بن هرون
 في حاجة فأطلت الجلوس عنده فأخرج داءه لقيامى فجلست على عمد حتى كضه
 الجوع فقال يا غلام غدا نجاء بمائدة وعليها قصعة فيها مرق وديك ليس قبلها
 ولا بعدها غيرهما فاطلع في القصعة فقدر رأس الديك فقال للغلام أين الرأس
 قال رميت به قال ولم رميت به قال ظننتك لاتأكله قال فهل اظننت ان العيال
 يأكلونه ثم التفت الى وقال لولم أكره مما صنع الا الطيرة لكان حسبي فانهم
 يقولون الرأس للرئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصبح الديك وفيه عرفه
 الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء ودماعه موصوف لوجع
 الكليتين ولم ار عظما قط أهش تحت ضرس من دماغ ديك وبك انظر أين رميته
 قال لا أدري قال لكنى أنا أدري أين رميته رميته في بطنك الله حسبيك
 * وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها
 دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض نيه جناحا فلما أعيدت عليه بالغداة قال من
 هذا الذي تعاطى فعقر فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع نيه من أجله
 فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاء أكبرهم وقال يا أبا نأأ فتهلك كما فعل
 السهفاء من أفاعبهم ذلك وأمر بردأرزاقهم اليهم (وقال) بعض الاكياس
 دعاني كوفي الى منزله فقدم لي دجاجة فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من
 اللحم فما قدرت لصلابته وبت عنده فأعاده من الغدا الى القدر وطرح عليه
 سكرافعا دزيرا جافا فقدمه وأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فما
 قدرت لشدة فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغدا قال للغلام اطرح
 عن اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الى فأكلت من المرق وجهدت
 أن آكل من اللحم فلم أقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة

القبلة وقت لا صلى اليها فقال ما هذا الذي تصنع قلت أشهد أنه لحم ولي من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث دفعات فلم تفعل فيه شيئا فلما أردت الانصراف اذا ببعض جبرانه يدق الباب فقال له أعرفني ذلك اللحم لضيف واقاني من الغد لا طبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناولها اياه (وسأل فقير) من دار بجبل شـبـأ فأعطى لقمة صغيرة فقال يا أهل هذا المنزل كيف أشرب هذا الدواء (وقف سائل) على باب دار فيها يحيى بن زيار وحاد بن عجر وبنو شار مجتمعين على طعام فقال يا اخوتي المسلمين فقال يحيى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا تبساء لون فقال ارجوني فقال حاد نحن الى رحمتك أحوج منك الى رحمتنا فقال واسموا كلامي فقال بشار لقد سمعت لونا ديت حيا فقال السائل أما القول فما أوسع به شقاشق أقوالكم وأما الفعل فما أخيبه قرن الله بالخيبة آمالكم (وقال العتي) كان الاصمعي يعمل الخبز الحارأدما للخبز البارد ولو بذلت له الجنة بدورهم لاستنقص منه شيئا (وقال حنظلة) دخلت على هرون ابن الخال وكان يجيلا بطعامه وكنت اذ ذاك ناقها من عله وقد نصبت مأدعة بين يديه فدعاني اليها وقدمت الى صحفة فيها مضيرة معقودة بعصيان كأنها قضبان فضة فانهم مكث في الاكل فنظر الى شرا ثم قال يا حنظلة هذه والله معدن ألم الفاصل والفالج والقوة والقولنج وأنت عليل وبدنك نحيل واللبن يستحيل فقلت والله العظيم الجليل لا تبين منها على الكثير والقليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم أقبلت على الاكل منها حتى اكتفيت فلما انصرفت علمت فيه ولي صاحب لا قدس الله روحه * بعيد عن الخيرات غير قريب أكلت عصيبا عنده في مضيرة * فبالك من يوم عليه عصب (وله وأبدع)

لا تعذلوني ان هجرت طعامه * خوفا على نفسي من الماء كول فتى أكلت قتله من بجله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول (وحضر اعرابي) مأدعة هشام بن عبد الملك فرفع الاعرابي لقمة فقال له هشام شعرة في لقمته يا اعرابي فقال الاعرابي فانك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة والله لا أكلت عندك أبدا (وقال) بعض البخلاء اني لا أكل الانصف الليل قيل له ولم قال يبرد الماء وينقمع الذباب وآمن فجأة الداخل وصرخة

السائل (وضح) رجل قد راو جلس مع زوجته يأكلان فقال ما أطيب هذا الطعام لولا الزحام قالت أي زحام ههنا انما هو أنا وأنت قال كنت أحب أن أكون أنا والقدر (وقال) بعض البخلاء لعلامة هات الطعام وأغلق الباب قال يا مولاي ليس هذا حرما بل أغلق الباب أولا وأقدم الطعام ثانيا فقال له اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى لعلك بأسباب الحزم (وأي هذا) مما يحكي أن عدى بن حاتم الطائي عمل مأدبة فقال لولده وكان صغيرا أقم على الباب وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف فقال والله لا يمكن أول شيء وليسته من أمر الدنيا منع أحد عن طعام فقال عدى والله يا ولدي أنت أكرم مني وأفطن افتحوا الباب فمن شاء فليدخل وبها تين الحكايتين علم مصداق من أطلع الله خمس الحكمة من مشرق فيه بقوله العبد من طينة مولاه والولد سرايه (شاعر يذم بخلاء وتروى للاختل)

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار
قوم اذا استنج الاضياف كلهم * قالوا لا تمهم بولي على النار
(آخر)

تراهم خشية الاضياف يوما * يقيمون الصلاة بلا أذان

(ابن هلال العسكري يذم بخيلا)

تيا تترك للنمل فيها مدارج * وفي قدركم لا عنكبوت مناسج
وعندكم للضيف حين ينوبكم * سؤالات سوء للقري وسفاحج
وأنتم على ما تزعمون أكارم * فإيرى في است الأكارم والج

(وقال) صعصعة بن صوحان أكلت عند معاوية لقمة فقام بها خطيبا قبل وكيف ذلك قال كنت أكل معه فهما لقمة لبأ كماها فأغفلها فأخذتها وأكلتها فسمعت بعد ذلك يقول أيها الناس أجلوا في الطلب قرب رافع لقمة الى فيه سبقه اليها غيره

* (ومما يليق بهذا الفصل من التذييل ذكر من عرف بالطمع والتطفيل)

قالوا الطمع يدنس الثياب ويغير الأذهان (وقالوا) مصارع الالباب تحت ظلال الطمع (وقالوا) الحر عبد ما طمع والعبد حر ان قنع (وقالوا) أخرج

الطمع من فيك فحل القيد من رجلك (وصف) بعضهم طامعا فقال لورأى
 شيئا في حجر أفعى لجاء اليه يسعى وادخل يده فيه ليأخذه ويحويه (وقالوا)
 لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرقتك لقال
 اكتساب المال ولو قيل له ما غابتك لقال الحرمان والله در من قال
 وما قطع الاعناق حتى أبانها * وقترها الاسيوف المطامع
 (شاعر يذم الطمع)

وذى طمع يغدو بقبية عمره * ويمسى ولم تجمع يداه له وفرا
 بيت سمير اللعين مثيرا بها * ويضحك سلبا من مواهبها صفرا
 وأكثر ما تلقى الاماني كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا
 * (فمن) * اشتهر بالطمع وجع فيه بين الطمع والطبع أشعب وبه يضرب
 المثل قيل له ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عرو سارت في الاظننت أنها الى
 ولا رأيت جنازة الاحسب ان صاحبها أوصى لي بشئ ولا رأيت اثنين
 يتماحيان الا خيل لي أنهم ما يأمران لي بعروف ولقد طاف الصبيان حولي
 يوما يتولعون بي فقلت لهم لا بعدهم عني ان في دار فلان لوزنجبا يفرق فذهبوا
 يتعادون فلما ذهبوا عني ظننت أني صادق قبيعتهم (وقيل) له هل رأيت
 أطمع منك قال نعم زات بطريق الشام مع رفيق لي تحت صومعة راهب
 فتنازعنا في شئ فقلت اير الراهب في است الكاذب واذا بالراهب قد نزل
 واره في يده وقد أنعط وهو يقول فديتك من الكاذب فيك (وكان) يقول
 ما أحسست بجار لي يطبخ قدرا الاغسل الغضارة ووضعت المائدة وانتظرت
 بحمل الى قدره (جلس) عبد الله بن أبي عتيق مع زوجته فتني أن يهدي له
 مسلوخ فيتخدمه لون كذا ولون كذا فسمعته جارة له فظننت انه أمر بعمل
 ما سمعت فانتظرت الى الليل ثم جاءت وطرقت الباب وقالت شممت رائحة
 قدركم فحقت لتطعموني منها فقال ابن أبي عتيق لامرأته أنت طالق ان أقمنا
 في دار يتشمم أهلها ريح الاماني ورحل عنها

(بعض المتقنين)

خلوت بنفسي فنيته * أماني تخابت ولم تصدق
 فهذا اقتلاه وهذا اضربا * وهذا الجلاء على الابلق

(التطفيل) من امثالهم قولهم اطفل من ذباب والزم من قراد وانم من ليل على نهار (ومن أدب الرابض)

أرغل في التطفيل من ذباب * على طعام وعلى شراب
لو أبصر الرغقان في السحاب * لطار في الجحوم العقاب

(وقالوا) من جاء الى طعام لم يدع اليه استحق الطرد ولا يلام عليه (ليم) بعض المتطفلين على التطفيل فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا قدمت الا طعمة الا لتؤكل واني لا جمع في التطفيل خلا لا ادخل محالسا وأقعد مستأنسا وانبسط وان كان رب المجلس غابسا ولا اتكأ مغرما ولا انفق درهما (وقال بنان) وهو كبيرهم التمكن على المائدة خير من أربعة ألوان زائدة * ومن دعائه اللهم ارزقني صحة الجسم وكثرة الاكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة (ودخل) بعض الطفيليين على قوم فقالوا من أنت قال أنا الذي لأحوجكم الى رسول ولبعضهم في المعنى

نحن قوم ان جفانا * س وصلنا من جفانا

لأنبأ صاحب الداء * رنسينا أم دعانا

(قصد) جماعة من الطفيليين باب بعض الكبراء وقت غداة فنعهم بوابه فكتب اليه بعضهم

قد أتيناك زائرين خفافا * وعلما بأن عندك فضلا

ولدينا من الحديث هناة * مهجيات نعدّها لك جملة

ان تجدنا كما تريد والا * فاحتملنا فانما هي أكلة

فأذن لهم فدخلوا (البديع الهمداني على لسان طفيلي)

نحن قوم نحب هدى رسول الله هدانا وللصواب أصبنا

فادعنا كلما نشطت فانا * لودعينا الى كراع أجبنا

(آخر)

ولما أن كتبت ولم تجبني * ولم تنظر الى بعين أنس

رأيت الحزم ان أنضى ركابي * اليك وأن أكون رسول نفسي

(ولم أسمع باظرف من قول القائل)

ونديم رقيق حاشية الحية * له صافي زجاجة الآداب

شغلته الرقاع منه اليه * داعيا نفسه الى الاصحاب
(آخر يصف طفيليا)

لو طجحت قدر ببطامورة * بالشأم أو أقصى جميع الثغور
وأنت باصين لوافيتها * بأعالم الغيب بما في القصور

(الفصل الثالث من الباب العاشر)
في مدح القصد في الانفاق خوف التعبير بالاملاق

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ناصحيا بالاشفاق وأمره بالقصد
في الانفاق مثبة الكماله قواما مشكورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاء عن التقشير كأنه له عن
التبذير (وقال تعالى) مثنيا على المقتصدين بحسن تقديرهم أكراما والذين
إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (وقال) رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما عال من اقتصد أي ما اقتقر (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إن الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير (وقال) معاوية رضي
الله عنه حسن التقدير نصف الكسب وهو قوام المعيشة * وقال لولده كن
مقدرا ولا تكن مقترا (وأوصى) حكيم ولده فقال يا بني عليك بالتقدير بين
الطرفين لا منع ولا اسراف ولا بخل ولا اتلاف لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا
فتكسر (وقالوا) حسن التقدير رأس التدبير (وقال ذو النون) حسن
التقدير مع الكفاف أكنى من الكثير مع الاسراف (ويقال) لا تسرح لولدك
ولا لامرأتك ولا لعلامك وخادمك بما فوق الكفاية فإن طاعتهم لك بقدر
حاجتهم اليك (ومن هذا وهو لا تثق بالملوك) ما حكى ان ابرويز قال لابنه لا توسع
على جنك في شغلوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك وأعطهم عطاء قصدا
وامنعهم منعاجيلا ووسع لهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء * وفي وصيته
لولده أي بني قول لا تدفع البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد
لان الانسان اذا سمع الغناء شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا
وهب عطب واذا عطب اعتل ثم يموت من غم ذلك والدرهم محوم ان حركته
مات والدينار محبوس ان أطلقته طار وكذب من قال اليمين تذر الديار بلاقع
وانما الاسراف يفعل ذلك والاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم

منعوك وان احتاجوا اليك ومنعهم سبوك واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم
 كلاعب الشطرنج يحفظ مامعه ويحتال في أخذ مامع غيره (وسأل رجل) زياد
 ابن سمية فأعطاه درهما فقال صاحب العراق أسأله فيعطيني درهما فقال من
 يده خزانة السموات والارض ربحا رزق أخص عباده عنده وأكرمهم لديه
 التمرة واللقمة وما يكبر عندي ان أصل رجلا بمائة ألف درهم ولا يصغر عندي
 أن أعطي سائلا رغيفا اذا كان رب العالمين يفعل ذلك (وقيل) ينبغي للعاقل
 أن يكسب ببعض ماله المحمدة ويصون ببعضه وجهه عن المسئلة (وقال
 الاصمعي) سمعت بعض الاعراب يقول من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد
 لنواب الدهر ويقال اقتصد في انفاق الدراهم فانها الجراح الفاقة مراهم
 (وقالوا) اسقاط القسول في النفقة ربح بضاعة لا تمل فان الاسراف ربما كان
 سببا في التقدير (وقال النعالي) من كثرت في دعونه نفقته أسلم ماله ونقصت
 مروءته (وقال افلاطون) رأس العقل الاقتصاد في الانفاق من غير بخل
 (ومن الكلام البديع) للبديع الهمداني قوله مثل الاحسان في الانسان
 مثل الثمار في الاشجار فحقه اذا أتى بالحسنة أن يرفه الى سنه وما أحسن
 ما قيل في المعنى

أتفق بمقدار ما استقدت ولا * نسرف وعش فيه عيش مقتصد
 من كان فيما استفاد مقتصدا * لم يفتقر بعدها الى أحد
 (آخر)

كن بما أوتيته مغبطا * تستدم عيش القنوع المكتنى
 ان في نيل المني وشك الردى * واجتناب القصد عين السرف
 كسراج دهنه قوت له * فاذا غررقته فيه طنى

* (ما قيل ان في صلاح الاموال صلاح ما فسد من الاحوال) *

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقل مع الاصلاح شئ كمالا يكثر مع
 الافساد شئ (ويقال) من الفساد اضاعة الزاد (المجلس)

لحفظ المال خير من فناءه * وسير في البلاد بغير زاد
 قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد
 (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصلحو أموالكم التي رزقكم الله فان

أقلا لا في رفق خير من أكثر في خرق (وقالوا) أن في صلاح الأموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العزوصون العرض (وقالوا) أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوه السلطان ونبوة الإخوان ودفع الاحزان (وكتب) عتبة بن أبي سفيان إلى وكيله يعاهده صغير مالي يكبر ولا يحف كبيره فصغر فانه ليس يشغلني كثير مالي عن اصلاح قليله ولا يبعثني قليله عن كثير ما ينوبني (وقال) أحجة بن الحلاح أصلحوا أموالكم فانكم لاتزالون ذوى مروءات ما استغنيتم عن عسرتكم (وقال) شبيب بن شيبه لينيه ان كنتم تحبون المرأة والفتوة أصلحوا أموالكم (وقال) معاوية اصلحك ما في يدك أسلم من طلبك ما في ايدي الناس (وقال) عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في ايديكم فان الفقر يجمع العيوب وقال البستي

اشفق على الفضة والعين * تسلم من القلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

* (احتجاج من خدت يده عن النوال خوف التعبير بالفقر رذل السؤال)

قال أبو خزيمة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغنى به عن لنام الناس (وقال الاصمعي) لامت اعرايسة ابالها إلى ائلاف مائه فتالت يا أبت حبس المال يمنع العيال من بذل الوجه للسؤال أسرفت في النوال وكثرة النحال امسك فقد انقفت الطارف والتلاد وبقيت ترقب ما في أيدي العباد يا أبت من لم يحفظ ما يتفقه يوشك أن يقع بالفقر فيما يضره (وقال) عبد الله بن المعتز

أعاذل ليس البخيل منى محبة * ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال البخيل
(وقال) سفيان الثوري لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج إلى الناس (وكان) داود بن علي يقول لأن يترك الرجل ماله بعده لأعدائه خير من الحاجة في حياته لأوليائه (وقال) يعقوب الكندي من جاد بماله فقد جاد بنفسه لانه جاد بالاقوام اما الابه وقال الشاعر
يارب جود جرف فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشد دعى مالك واستبقه * فالمرت خير من سؤال البخيل

(آخر)

الموت خير للفقير * من أن يعيش بغير مال
والموت خير للكريم * من التضرع والسؤال
(وقال) أبو الاسود الدؤلي لو لم نبخل على السؤال بما يسالوننا لكنا أسوأ حالا
منهم (وقالوا) ختم المال حتم (وايم) مروان بن أبي حفصة على الامساك
(فندد)

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم * وترعى النوى بالمقتيرين المراميا
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة * ولكن حذا وامن ثلمات الاعاديا
* (ومن قولهم في بيان الفقر والافلال مقرونان بالحر والاذلال *

قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الفقراء لا دوام له من كفة قتله ومن
اذاعه فضحه (وقال أيضا) رضى الله عنه مارست كل شئ فغلبته ومارسنى
الفقر فغلبنى ان سترته أهلكنى وان اذعته فغنى (وقال) لولده محمد بن الحنفية
يا بنى انى أخاف الفقر فانه منقصة للدين مذهبة للعقل داعية للمقت (وقالوا)
الساقية هي الموت الاصغر لابل هي الموت الاكبر (وذكر) ان الساقح لما ضرب
أعناق بنى أمية قام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فتال
مه لا آم لك ما هذا وشرطة جمام الاسواء ولكن جهد البلاء فقر مذقع بعد غنى
موسع (وقال ابن دأب) لقيت رجلا كنت أعرفه حسن الحال ومن أصحاب
الاموال فى حالة ردية كأنما أصابته رزية فسلم على فتالت له ما الذى غير حالك
وأذهب مالك فتال تنقل الزمان وكرا الحداث فاثرت الضرب فى البلدان
والبعد عن الاوطان ومفارقة المعارف والاخوان وعمت بقول الشاعر
سأعمل نصب العيس حتى يكننى * غنى المال يوما أو غنى الحداث
فللموت خير من حياة يرى بها * على الحرذى الافلال وسم هوان
متى يتكلم بلغ حكم كلامه * وان يقلى قالوا عديم بيان
وقوله هذا ينظر الى قولهم فيما ضربوه من الامثال مناقب الموسر مثالب المعسر
وذلك أنه اذا كان جوادا قالوا مبذر وان كان لسنا قالوا مهادر وان كان
ذكيا قالوا بليد وان كان شجاعا قالوا أهوج وان كان صموئا قالوا عبي وان كان
وقورا قالوا متكبر ومن نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحياة ومن ذهب حياؤه
ذهبت مروأته ومن ذهب مروأته مقت ومن مقت أودى ومن أودى

حزن ومن حزن ذهب عقله ومن أصيب بهذا كله كان كلامه كلام غلبه لاله
شاعر

لما رأيت اخلائي وخالصتي * الكل منقبض عني ومحتسم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فذلوا اذنبك العدم
(آخر)

يغطي عيوب المرء كثرة ماله * يصدق فيما قال وهو كذوب
ويرزى بعقل المرء ذلة ماله * يحمقه الاقوام وهو لبيب
(آخر)

أنظمتك الثياب لا الآداب * وطوتني عن الكلام الثياب
والصواب الذي أقول خطأ * والخطأ الذي تقول الصواب
(وقالوا) من حسن حاله استحسن قاله (وقالوا) الفقير يخرس الفطن عن حجة
ويجعله غريبا في بلده (وقالوا) اذا افتقر الرجل اتهمه من كان ياتمه واساء به
الظن من كان يحسنه فاذا أذنب غيره نسب اليه ومن كان له صار عليه
(وقال) ابراهيم بن محمد بن المدبر جهدت جهدي أن أنظر الى الفقير بالعين التي
أنظر بها لغني فلم يتهيا لي ذلك وقال الشاعر

يغدو الفقير وكل شيء ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذابرة * أصغت اليه وحركت أذناها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نهت عليه وكشرت أنيابها
(وقالوا) ما أطيب الافاقة من سم الافاقة (وقال) عبد الملك بن صالح الفقير
جند الله الا كبر يذل به من طغى وتجبر (ويقال) وب حسب دفنه الفقير
(شاعر)

الفقر يرزى بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال
(وقال بعضهم) الفقير كيت في بيت لا يملك غير الجملدة بردة ولا يلتقي لجناه
الابرعة (شاعر)

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقمع القل والافلاس بالرجل
(آخر)

لبست صروف الدهر كله لا وناشيا * وجربت حاله على العسر واليسر
فلم أربعد الدين خيرا من الغنى * ولم أربعد الكفر شر من الفقر
(آخر)

رزقت لبأ ولم أرزق مروءة * وما المروءة الا كثرة المال
إذا أردت مساماة تقيدني * عما ينوء به من رقة الحال
(آخر)

كنى حزنا أن الغنى متعذر * على وأنى بالمكانم مغرم
وما قصرت بي في المطالب همة * ولكنني أسعى إليها فأحرم
(آخر)

كنى حزنا أني أروح واعتدى * ومالي من مال أصون به عرضي
وأكرما ألقى صديقي بمرحبا * وذلك لا يكتفى الصديق ولا يرضى
(آخر)

أرى نفسي تنوق الى أمور * يقصرون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخل * ولا مالي يلفني فعالي
(آخر)

إذا قل مال المرء قل صدقه * ولم يحل في عين الصديق لقاءه
وأصبح لا يدري وإن كان حازما * أقدمه خيره أم وراؤه
فإن مات لم يفقد ولم يحزنوا له * وإن عاش لم يفرح به أولياؤه
(قيس بن عاصم)

يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ليت فيصبح ثعالب
وأول ما يحضو القسير لفقره * بنوه ولم يرضوه في فقره أباء
كان فقير القوم في الناس مذنب * وإن لم يكن من قبل ذلك أذنب
(آخر)

لعمرك إن الغنى يجعل الفتى * سريرا وإن الفقر بالمرء قد يزرى
ولارفع النفس الدينثة كالغنى * ولاوضع النفس النقيصة كالفقر
(آخر)

ألم تر أن المرء يزاد عزة * على أهله أن يعلموا أنه مثرى

وينحط منه القدران كان معدما * وأصبح لا يرجي لنفع ولا ضر
(آخر)

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله * وإن قال قولاً تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذا غنى * وإن مال عنه المال يوماً تفرقوا
(ومن المنظوم في سلك الرشاقة ما قيل في التشكي من ضرر الاللال والفاقة)
(مجد العرب العاصري)

هجرت للعدم كل خلى * وصرت لا نقباض خدنا
فلا أهني ولا أعزى * ولا أعزى ولا أهنا
(ابن الخطيب الدمشقي)

لم يبق عندي ما يباع بحجة * وكفالك شاهد منظرى عن مخبرى
الابسية ما ربحه صنيتها * عن أن تباع وأين أين المشتري
(آخر)

قعدت عن الإخوان من غير ما قل * وكان صواباً ما أتيت على عمد
 وجهه النقي أن يستر البيت حله * إذا لم يجد حراً يعين على الجهد
(آخر)

الحمد لله ليس لي نسب * قد خف ظهري وقل زواري
من نظرت عينه الى فقد * أحاط علماً بما قد حوت داري
(آخر)

أنا في حال تعالى الله ما أعظم خالي
ليس لي شيء إذا قبيل لمن ذا قلت ذالي
ولقد أفلست حتى * حمل أكلى لعبالي
من رأى شيئاً محالاً * فأنا عين المحال
فبلا دالله أرضى * والسموات ظلالى
لو يكن في الناس حر * لم أكن في مثل حالى
(آخر)

جاء الشتاء وليس عندي درهم * وبدون ذلك قد يصاب المسلم
وتقطع الناس الجباب وغيرها * وكأني بأزامة محرم

(آخر)

طشتي الارض ومنديل الهوا * وعلى الخبز من الجوع احتلامي
 همل سمعت أورايتم أحدا * أصل الخبز سواي في المنام

(آخر)

خلق المال واليسار لقوم * وأراني خصت بالاملاق
 أنا فبما أرى بقية قوم * خلقوا بعد قسمة الارزاق

(آخر)

إذا جرت يوما بالسويق عيسى * لقله تقدي ذلة وخضوع
 فلا قاتل للمشتري كيف تشتري * ولا سائل البياع كيف تبيع

(آخر)

الحمد لله ليس لي فرس * ولا على باب منزلي حرس
 ولا غلام إذا هتفت به * بادر فحوى كآته قبس
 ابني فلامي وزوجتي أمي * ملكتهما بالملك والعرس
 غنيت بالباس واعتصمت به * عن كل فرد بوجهه عبس
 فما يراني يباه أبدا * طلق المحاسن ولا شرس
 (وما أحسن قول أبي العبر الهاشمي)

(ولقد أبان عن شرف وعلو همة فصا ربما قال في الناس أمة)

قنعت نفسي بما رزقت * وعطت في العلاء همي
 ولبست الصبر سائغة * هي من قرني إلى قدي
 فإذا ما الدهر عاتبنى * لم يجسدني كافر النعم
 لا أقول الله بظلمي * كيف أشكو وغيرتهم

* (وواجب اتباع هذا الفصل مدح المال أذ به يدرك ما شاع من الآمال) *

قالوا اليسار علاء والاقتار بلاء (وقالوا) الغنى تنفي كبير والنقير دني حقير
 (ويقال) قيمة كل امرئ مامعه (شاعر)

ولا يساوي درهم واحد * من لم يكن في كفه درهم

(وقالوا) المرء درهم به لا بأصغريه ثمطه بعض الشعراء فقال

قد قال قوم بغير علم * ما المرء إلا بأصغريه

وقلت قول امرئ عليم * ما المرء الا بذرهميه

(وقال بعضهم) لولده ليكن معك من العين ما تقزيه العين (وقالوا) المال معشوق الوري فمن عدمه نبذ بالعرا منقهم العري (وقيل للحسن) ما بال الناس يكرهون صاحب المال قال لان عنده معشوقهم فالبسه القلوب قال (وقالوا) المال يستعبد الاحرار وبذل الاشراذ (وقال آخر) بقدر ما تعطى من المال تعطى من الاجلال (سمع) قيس بن عباد يقول في دعائه اللهم ارزقني حردا ومجدا فانه لا جد الا بفعال ولا مجد الا بعمال اللهم انه لا يصلحني القليل ولا يصلح عليه اشار في هذا الى قول الشاعر

ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

(عوتب) ابن أبي ليلى في تعظيم موسر فقال ان تعظيم ذوى المال سر جعله الله في القلوب لا استطاع رده (شاعر)

يعبر الغنى ثوب المكارم للفتى * وان كان من ثوب المكارم عاريا
(ومر) موسر بالشعبي فتزحزح له فقيل له في ذلك فقال رأيت ذا المال مهيبا
(شاعر)

اني وجدت الغنى زينا لصاحبه * في أهله وفقير القوم محذور
ان المقلين لا تنسى ذنوبهم * وذنب ذى المال عند الناس مغفور
(وقال معاوية) ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل
(شاعر)

الناس ما استغنيت كنت صديقهم * واذا افتقرت اليهم فهم العدى
ذو المال عندهم يسود بجماله * ويزول سودده اذا فقد الغنى
(آخر)

كم من اثم الجدد وسوده المال ابوه وأمه الورق
وكم كريم الجدد ليس له * عيب سوى أن ثوبه خلق
(آخر)

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم
(وقال) عبد الرحمن بن عوف حبذا المال أسون به عرضي وأصل به رحي

واقرب به الحربي وابرب به صديقي وأكذب به عدوي وأفضل به على عشيرتي
 (وقال الثعالبي) من كان كبد صفر من البيض والصفر فليشر بجفاء الدهر
 وانقطاع الظهر (وكان) محمد بن الجهم يقول من وهب ماله في عمله فهو أحق
 ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من ارثه فهو جاهل ومن وهبه
 من ملكه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده من كده بحيلة
 فهو المطبوع على قلبه المأخوذ بسهمه وبصره (وقال) من عهد به بالافلاس
 تقادم محل المال من المنزل محل الشمس في العالم (وقال) بعض عقلاء
 القرم من زعم أنه لا يجب المال فهو عندي ككاذب حتى يثبت صدقه
 فإذا ثبت صدقه فهو عندي أحق (وقال) عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد
 حبك للمال فقال كيف لا أحبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به مروءتك
 ودينك (وقال) الحسن بن المنذر وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أتتبع بشي منه
 قيل له فاترجو بذلك قال أريده لكثرة من يخدمني عليه ويحيا لي لاجله (وقالوا)
 المال يجمع الشمل ويسترا لاهل ويزيد في العقل (وقالوا) من استغنى عن
 الناس عظموه ووقروه ومن احتاج اليهم ازدروه واحتقروه (وقيل) لبعض
 الحكماء أيا أفضل الأدب أو المال قال الأدب قيل له فإيا بال الأدباء بأنون أبواب
 الأغنياء ولا تأني الأغنياء أبواب الأدباء قال ذلك لعلم الأدباء بمقدار فضل المال
 وجهل الأغنياء بمقدار فضل الأدب (شاعر)

أصون دراهمي وأذب عنها * لعمري انه سادعي وترسي
 وأخبرها الى أعدى الأعادي * من الوراثة حتى إنا جنسي
 ولا سؤلي الى رجل لنيم * ليقرض درهما نقدا بخمس
 فيعرض وجهه ويصدعني * فتبقى مثل نفس الكاب نفسي
 فيبازل الرجال بغير مال * ولو جاؤا بنسبة آل عبس
 (ابن الرومي)

لا تلم المرء على بخله * ولما ان زاد على بذله
 حق على كل امرئ حازم * يحفظ ما يكرم من اجله
 (ولقد أحسن النائل وأجاد)
 من كان يملك درهمين تعلمت * شغفاه أنواع الكلام فقلا

وتقدم الاخوان فاستمعوا له * ورأيت بين الوري محملا
 لولادراهمه التي في كيسه * لرأيت أسوا البرية حالا
 ان الغنى اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطق محملا
 واذا النقيراصاب قالوا كلهم * أخطأت يا هذا وقت ضللا
 ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجلالا
 فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي اللسان لمن أراد قتالا

(والمعين على طلب البغية من المال طلب المعيشة في الايام والليال)

(قال بعضهم)

لا ترهب الهول خوف منية * واقذف بنفسك في طلاب الدرهم
 ودع الخواف والمتالف انها * نفس مؤقتة ورزق يقسم
 (آخر)

فجب عرض البلاد فليست تدري * غمك باي آفاق البلاد
 ولا تقعد على ظما وفقر * فذوالاقتار ممنوع الرقاد
 (آخر)

سأضرب في الآفاق التمس الغنى * وأرمي بنفسى في بحور المطالب
 فان أعط مسرورا فذاك وان أخب * فعلى بائى لست أقول خائب
 (آخر)

اذا المرء يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر وألام الصديق فأكثر
 وصار على الاهلين كلا وأوشكت * صلات ذوى القربى بأرتسكسرا
 فسر في بلاد الله والتمس الغنى * فعش ذابسا رأوت فتعذرا
 ولا ترض من عيش بدون ولا تم * وكيف ينام الليل من كان معسرا
 (آخر)

لا يمنعك نفيس العيش تطلبه * نزوع نفس الى أهل وأوطان
 تلقى بكل بلاد اذ حلت بها * أهلا بأهل واخواتا باخوان
 (آخر)

وما طلب المعيشة بالتنى * ولكن ألق دلوك في الدلاء
 تجي بملها يوما ويوما * تجي بجماة وقلبيل ماء

(آخر)

ومن كان مثلي ذاع بال مقترًا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال غنمة * ومبلغ نفس قصدها مثل منج

(آخر)

العز تحت ظلال السيف معدنه * فاطلب بسيفك عزا آخر الأبد
لا ترض بالدون من دنيا بايت بها * قد ذل من كان محتاجا الى أحد

(آخر)

خاطر ينفسك كي نصيب غنمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه مجلبة ومهابة * والفقر فيه مذلة وفوض

(آخر)

أشد من فاقة الزمان * مقام حر على هوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
وان نبأ منزل بحر * فن مكان الى مكان

(وقال فتى من قيس لغلّام له)

اقذف السرج على المهر * وقزطه اللجاما
ثم صب الدرع في رأ * سي وناولني الحساما
فنتى أطلب ان لم * أطلب الرزق غلاما
ساجوب الارض أبغيت حلالا أو حراما
فلعل الظعن يتنى الـ فقر أويدي الجاما

(آخر)

ألا خلقي امضى لشأني ولا أكن * على الامل كلال ذاك شديد
أرى السبر في البلدان يغنى معاشرًا * ولم أومن يجدي عليه قعود

(آخر)

وفيق مقام ذي الهمة الحسر بارض مرعاه فيها جديب
لا عذرا أنكى ولا النفس أغنى * وهو راض بها اكل شروب
وترا يجوب في طلب الما * لسهوبا وخلقه من شروب
خلبا قلبا اذا مل أرضا * جدمنها الى سواها ركوب

ليس في فوت ما يجار له الطا • لب من رزقه عليه عيوب
انما العيب أن يرى ساقط الهمة والرزق طالب مطلوب

• (الباب الحادي عشر) •
في الشجاعة وفيه ثلاثة فصول

• (الفصل الاول من هذا الباب) •
في مدح الشجاعة والبسالة وما فيها من الرفعة والجلالة

الشجاعة غريزة في الانسان يمنحها واهب الاحسان (كما ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية (وحدثها) قالوا هي سعة الصدر والاقدام على الامور المتلفة (وقالوا) الشجاع من تكن شجاعته عند القرار وقد الانصار (وسئل) بعضهم عن الشجاعة فقال جبله تفسر آية قبل له فاعجبته قال ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حتى يحمده فعلها عند الخوف (وقال) بعض اهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل قال فارس الذي يشد اذا شدوا والشجاع الداعي الى البراز والمجيب داعيه والبطل المحامي لظهور الضوم اذا اولوا (وقال) يعقوب بن السكيت في الفاظه العرب تجعل الشجاعة أربع طبقات تقول رجل شجاع فاذا كان فوق ذلك قالوا بطل فاذا كان فوق ذلك بهمة فاذا كان فوق ذلك قالوا ائليس

(من) • عرف من الاكابر في قومه بالبأس والنجدة وكان لهم عند الهياج معطلا وشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أنس بن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجهها وأجود الناس كفا وأنجع الناس طبالة - ففرغ أهل المدينة ليلة فأنطلق الناس ثأرين قبل الصوت فلتقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراها لن تراها (وقال) عمران بن الحصين مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة قط الا كان أول من يضرب (ومن ذلك) ثباته يوم حنين في مركزه لا يتخلل ولا يتزبل ليس معه الا عمه العباس آخذاً بالجام دابته وابن عمه أبوسفیان بن الحرث وكان المسلمون يومئذ اثني عشر ألفا فاعجبهم كثرتهم

حتى قال قائلهم لن نغلب اليوم من قلة وزل عنهم ان الله هو الغامر لا كثرة
الجنود ولا العساكر فانهم زموا حتى بلغ أولهم مكة ثم تدارك الله الملة الاسلامية
بنصره فانزل ملائكة على خيول بلق وتراجع المسلمون فقاتلوا فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة قتالهم قال هذا حين سمى الوطيس وهو أول
من قال هذه الكلمة ثم أخذ كفاساً من تراب فرمى به المشركين وقال شأهت
الوجه فانهم زموا قال ابن عباس فلما كانى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركض خلفهم فناهيك بهذا الثبات شهادة صدق على تناهى شجاعته
وبسائه ورباط جاشه وما هو الا من آيات النبوة وعلامات الرسالة (ومما عرف)
فيه لابي بكر الصديق رضي الله عنه بقوة الجاش وثبات القلب وشجاعة
النفس والصبر في المواطن الكريهة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
عمر رضي الله عنه كذب بؤنه وقال مامات وانما راعده ربه كما راعده موسى
وليرجعنه الله فلبه قطع أيدي قوم وأرجله هم يسومون النبي الموت من قال
ان محمد امات علونه بسني هذا واعتراه ذهول حتى عمار لا يدرى أين يذهب
(وأما) عثمان رضي الله عنه فدهش فجعل لا يكلم أحداً فبوخذ بيده فبقاد
(وأما) علي رضي الله عنه فقع في البيت لم يبرح منه (وكان) أبو بكر رضي الله
عنه حينئذ غائباً في ناحية من نواحي المدينة على ميل منها تسمى الشح فلما بلغه
الخبير جاء حتى دخل عليه وهو مسبح فيكشف عن وجهه الكريم وأكب عليه
وقبل بين عينيه وقال طبت حيا وميتا وأعول بالبكاء ثم خرج وهو رباط
الجاش ثابت لقلب مصيب في القول والناس على خلاف ذلك من الذهول
وإختلاط العقل وهم في أمر مريب قد ضلت أفئدتهم في تيه الحزن وزلت
أقدام صبرهم في مزلق الشجن فصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه
في كلام طويل من كان يعبد محمداً فإن محمداً أقدمت ومن كان يعبد الله فإن الله
حي لا يموت ثم تلا ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكين فتاب الى عمر قله وقال والله لكانى لم أسمع بهم اقط في كتاب الله قبل
ما نزل بنا وقالت عائشة رضي الله عنها في خطبتها التي افتخرت فيها لما
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع نجم النفاق وارتدت العرب وصار

المسلمون ككالفنم السارحة في ليلة الماطرة فحمل آبي من لامر القنم
 ما لوجته الجبال لها فيها وما يدري أينا أربط جاشا وأثبت قلبا في هذا الامر
 الشديد والمصاب العندأهورضى الله تعالى عنه أم ابنتاه عائشة وأسماء رضى
 الله عنهما (فاما) عائشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بين سحرها
 ونحرها وشاهدت ذلك الهول ثم احتملتها فالتقت به على فراشه وسجته بيده ولم
 تدع أحدا من نسائه وأهلها يعينها عليه وعمرها اذ ذاك ثمانى عشرة سنة ثم بكت
 يادية بصوت لا يكاد يعدى صاحبه فلما سمع الناس بكاءها ونحيبها تحقروا موته
 ولم تظهر رزية ولا عويل ولا ولم تشق جيبا ولم تخمش وجهها ولم تدع ويلًا وانما علم
 الناس موته بكتها (وأما) أسماء فان ولدها عبد الله بن الزبير لما رأى الغلبة
 دخل عليها وشكا اليها ما ال اليه أمره فقالت اياك أن تنكح أو تفضل ومت
 كريما احتسبك عند الله فقال لهما ما أخاف الموت وانما أخاف أن يمتلئ بي
 فقلت ان الشاة اذا ذبحت لا تبالي بسطنها (وكان) عمر رضى الله عنه من
 الاشداء من الاقوياء موصوفا بالشدة موسوما بالحدة والشجاعة والتجدة كان
 يضع يده اليمنى على آذن فرسه اليسرى ثم يجمع جرامزه وينب على فرسه فكانما
 خلق على منته (وكان) على رضى الله عنه شجاعا بطلا ذكرا عنه انه قتل في ليلة
 الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثا وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يبنى
 وقيل له انك مطلوب فلما اتخذت طرفا سابقا فقال انى لا افر على من كروا كروا على
 من فرقا لبغلة تكفينى * وقبل لى حرب صفين أتقاتل أهل الشام بالغداة
 وتظهر لهم بالعشي يا زاروردا فقال أيا الموت أخوف والله لا أبالي أسقطت على
 الموت أو سقطت على (ومن الشجعان) الزبير بن العوام قالوا لم يكن في عصر النبي
 صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من على (وفى الزبير)
 تقول زوجته عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدو يتخاطب عمرو بن جرموز
 لما قتله غدر ابوا دى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معزذ
 يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائش ارض الجنان ولا اليد
 (ومن الشجعان) بنو قبيلة وهم الانصار قال ابن عباس ما سلت السيوف
 ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم أبناء قبيلة يعنى الاوس

والخزرج وهم الانصار وصفهم ماح فقال كانوا يحبون الموت كما يحبون الحياة
ورغبون في الاخرة كما ترغبون في الدنيا • وقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم انكم لتسكرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد انهم يريدون بقتالهم
وجه الله والدار الاخرة فلا تميل نفوسهم الى ما يقسم من الدنيا والغنيمة رغبة
فيما هم يصدده من اعلاء كلمة الاسلام واخفاء ما ظهر من شرك عبدة الاصنام
فهم يكثر اذا دعوا للقتال ويقولون عند قسم الانتقال • قال كعب بن زهير
عندهم

من سره كرم الحياة فلا يزل • في نصبة من صالح الانصار
الباذلين نفوسهم لتبهم • يوم الهياج وصفوة الجبار
يتطهرون كأنه نكاح لهم • بدما من علقوا من الكفار
(ومن التبعان) معاذ بن عذرة قطع كفه يوم بدر فبقى معلقا بجلدة بطنه فلم يزل
يقا تل يومه أجمع وهو معلق حتى وجد الله فوضع رجله على يده وعطى حتى
قطع الجلدة • وحمل رجل على حكيم بن جندب في يوم من أيام حرة وقد قطع
ساقه فاخذها في يده وضرب بها من قطعها قصصره ثم أناه واتكأ عليه
فقتله وقال مرتجزا يا ساق لن تراعى • ان مهى ذراعى • آجى به كراعى
• وحكى عنه أنه قيل له من قطع ساقك قال وسادنى (ولم يكن) في الجاهلية
ولا في الاسلام أن يجمع من خالد بن الوليد رضى الله وأشجاعتهم سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيف الله وذلك أنه لم ينهزم في جاهلية ولا اسلام ومات على
فراشه ويقال انه قال عند موته ما في جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف
او طعنة برمح أو جرح بسهم وها أنا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت
أعين الجبناء (ومن تبعان الصحابة) البراء بن مالك قيل عنه انه قتل ما يقارب
سوى من شوك في قتله وكتب عمر بن الخطاب الى عماله أن لا يولوه جيشا
للمسلمين فانه يهلكه (ومن تبعان الصحابة) طلحة بن عبيد الله وحارثة بن
احديفة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود يروى أن عمرو بن العاص بعث
الى عمر بن الخطاب وهو يحاصر مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس فبعث اليه
حارثة والزبير والمقداد لا غيراً قام كل واحد منهم مقام ألف فارس رضى الله
تعالى عنهم أجمعين (وكان) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شجاعاً ذكر عنه أنه

كان يشب ثلاث وثلاثين كل وثبة ثنتا عشرة ذراعاً حتى يصل الى قرنه فيقتله
(ومن الفرسان) مالك بن الحويرث المعروف بالاشتر النخعي من أصحاب علي
رضي الله عنه قال أبو بكر بن أبي شيبة أعطت عائشة للذي بشرها بحياة عبد
الله بن الزبير بن العوام اذا التقى بالاشتر يوم الجمل أربعة آلاف درهم ذكر ان
رجلا سب الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هدمت أهل
الشأم وموتة هدم أهل العراق (ومن الشجعان) مصعب بن الزبير سأل عبد
الملك يوم اجلساه من أشجع الناس فعد واجاعة فقال أشجع الناس من
العرب من ولي العراق فأصاب ألف ألف وألف ألف وعداهم اراو جمع بين
عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن وأم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهند
بنت ريان سيد كلب فخذله أهل العراق فاعطيتاه الامان على ما شاء فقال ان
مثلي لا ينصرف الا غالباً ومقتولا وقاتل حتى قتل والله لا ولدت النساء مثله
(وقال) أخوه عبد الله لما بلغه قتله ان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه وانا
لانحوت حتفا ولكن غوت بين أطراف الرماح ونحت ظلال الصفاح (وقال)
الزبير بن بكار آل الزبير أغرق الناس في القتل ولا يعرف في العرب ولا في العجم
سنة مقتولون في نسق الامن آل الزبير وهم عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير
ابن العوام بن خويلد قتل عمارة وحمزة معا في حرب الابطاحية وقتل مصعب بدر
الجثليل وقتل محمد أخوه في حرب الجمل وقتل عبد الله بمكة في حرب الحجاج
ولما قتل عبد الله أمر الحجاج بشق صدره فاذا فؤاده مثل فؤاد الجمل فكان اذا
ضرب به الارض ينزوكا تنزوا المئانة المقطوعة وقتل الزبير بوادي السباع
في حرب الجمل وقتل العوام في القبار قتل به بشر بن عبد الله بن دهمان الثقفي
وقتل خويلد في حرب خراعة (وقيل) لعبد الملك من أشجع الناس فقال
العباس بن مرداس الذي يقول فيه الشاعر

أشد على الكتيبة لأبالي • أحتقن كان فيها أم سواها

(وقيس بن الحطيم حيث يقول)

واني في حرب العوان موكل • باقدام نفس لا أريد بقاها

(ومن فرسان الخوارج) قطري بن النعمان ويكنى أبا نعامه وخرج زمن مصعب
ابن الزبير لما كان مصعب والياً على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير سنة

ست وثلاثين وفي هذه السنة يبيع عبد الله أخوه وعبد الملك بن مروان
 بالشام فبقى قطري عشرين سنة بقاتل ويسلم عليه بالخلافة * ذكر عنه انه مر في
 بعض حروب على فرس أعجف ويده عمود خشب فدعا الى البراز فبرز له رجل
 فحسر له عن وجهه فلما رآه الرجل ولي عنه فقال له قطري الى أين قال لانستحي
 أن نفرعنك * وكذلك كان عبد الله بن حازم وشيب الحروري يصيح في جنابات
 الجيش فلا يلوى أحد على أحد وفيه يقول بعض شعراء الخوارج في الجاهلية
 ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والبحر يلتطم
 (ومن شجعان العرب وفرسانهم) الفند الزماني كان يقاس بألف * ذكر أنه
 حمل على فارس مردوف بآخر فطعنهما فانتظما في رمحه (وقال شاعر يمدح
 شجعان العرب)

فواحدهم كالألف بأسا ونجدة * والفهم للعرب والعجم قاهر
 * وليس نظم الفند فارسين في طعنة بكبير فقد فعل مثل هذه الفعلة أبو دلف
 في بعض حروبه * وفيه يقول بكر بن النطاح يذكر طعنه من أبيات
 واذا بدلك قاسم يوم الوغى * يحتمل خلت أمامه قنديلا
 واذا قلوذ بالعمود ولونه * خلت العمود بكفه منديلا
 واذا تناول حخرة ليرضها * عادت كثيبا في يديه مهيبلا
 قالوا أنتظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا تراه كليبلا
 لا تعجبوا لو كان مدقنا * ميلا اذا نظم القوارس ميلا

(ومما) يعد من شدة الشجعان الابطال رفض التواني بالمناجزة ودفع المطال
 * قالوا العزم التاهب قبل الامر والحزم المضى فيه * وقالوا الحزم انتهاز
 الفرصة عند تمكن القدرة وترك التواني فيما يخاف فيه القوت (وقال) عبد الملك
 لعمر بن عبد العزيز ما العزيمة في الامر قال اصداؤه اذا ورد بالحزم (شاعر)
 ليست تكون عزيمة ما لم يكن * معها من الحزم المشيد رافع
 (وقالوا) من لم يقدمه عزمه أخره عجزه (وقالوا) الحازم من اشتدت شكيبته
 وقعدت عزيمته (وقالوا) الحرب كالنار اذا تداركت أولها خدض رامها وان
 استحكمت أمرها صعب مرامها (ويقال) قبل الاقدام تراش السهام
 (والعجز) عجزان عجز التقصير وقد أمكن والجد في طلبه وقد فات * تمثل المنصور

عند قتله لابي مسلم الخراساني

إذا كنت ذارأي فكن ذاعزيمة * فان فساد الرأي أن يترددا
ولا تهمل الاعداء يوما بقدره * وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا
(ولا آخر)

ما العزم أن تشتهي شيئا وتركه * حقيقة العزم منك الجهد والطلب
كم سوف خدع الآمال ذا أرب * حتى انقضى قبل أن يتقضى له الأرب
(وقالوا) من تفكر في العواقب لم يشجع في النوائب (وجد) على سيف
مكتوب أيها المقاتل احمل تغم ولا تفكر في العواقب تندم (شاعر)
خاطر بنفسك لا تقعد بهجزة * حتى تباشرها منه بتغوير
لن يبلغ المرء بالأحجام همته

(الرياشي)

وعاجز الرأي مضباع لفرسته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا
(ويقال) مفتاح الدعة مفتاح البؤس (أبودلف العجلي)
ليس المروءة أن تبت منعما * وتظل معتكفا على الاقتراح
مالـر جال وللتنم انما * خلقوا اليوم كريمة وكفاح
(وقالوا) زوج العجز التواني فأنج بينهما الحرمان (قال المعاني في مثل ذلك)
ان التواني أنكح العجز بته * وساق اليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيا ثم قال له ائكي * رويد كما لا شك أن تلدا فقرا
(وقالت الحكماء) الحزم طبع الحياة والعجز طبع الموت والنفس لا تحب أن
تموت فكذلك تحب أن تحيا وأخذ الشيء بالحزم لا بالعجز (المتقي)
ولو أن الحياة تبقي لحي * لوددنا ضلالنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فن العجز ان تكون جبانا
(وقالوا) أشعر قلبك الجرأة فانها سبب الظفر وأحرص على الموت توهب لك
الحياة (وقال) اكنم بن صبي من التواني والعجز أنتجت الهلكة (وقالوا)
التفكر في هواقب الحرب من امارات العجز والتهور فيه من علامات الجزع
(أبو عبادة مادحا)

صارم الحزم ملضى العزم سارى التفكر ثبت الجنان صلب العود

(آخر مادحا)

ويلخط بالامر الصواب كأنما * يلاحظه من كل أمر عواقبه
(وقال حكيم) تجرع من عدوك الغصة الى أن تجد الفرصة فإذا وجدت
فانتزها قبل أن يفوتك الدولة أو يعينه الفلك فانما الدنيا دول تغلبها الاقدار
ويهدمها الليل والنهار (ولما) أحبط بمروان بن محمد الجعدي قال والهفاه على
دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له بعض كانه وكان من
أشراف الروم فوقع عليه سي من أعقل الصغير حتى يكبر والقيل حتى يكبر
والخفي حتى يظهر أصابه هذا

• (ومن الايات في انتهاز الفرصة وتفريج الغصة قول بعضهم) •

يا بنة القوم ما تريد مني * صارمي منطقي ووجهي مجني
ما زور الكرى جفوني الا * جسوة الطائر الذي لا يثني
فعلوي اذا استقل بعزم * لم يعرج بليتني ولواني
(آخر)

حلفت لان القى الشدائد كلها * ومالي بأن ألقى الهوان يدان
تذكرت اني هالك وابن هالك * فهانت على الارض والقلان
فدع كل شيء خالف العزم انه * سيكفيك جدد ان معتلجان
وما يدرك الحاجات مثل مثابر * ولا عاق عنها النجس مثل قوان
(أبو نصر بن أحمد الميكالي)

قالوا تهمل في الذي ترتجي * بلوغه من نافع الامر
قلت التأتى مظفر بالمنى * لكنه يحجف بالعمر

(آخر)

على كل حال فاجعل الخزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمر الله عن عزيمة * وان قصرت عنك الخطوظا فعن عذر
اذا همم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب حاجبا
ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبها

(آخر)

اذا فرصة أمكنت في العدى * فلا تدفعك الابهيا
فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

(ومن) *ممدح* من عرف في قومه بالشجاعة ومد إلى قطف الرأس سيفه
وباعه (قالوا) فلان أبلغ صولة من أسد العرب وأشد منعة من الحصن الحصين
(وصف) أعرابي رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرفع بدرها ورب
في حجرها (وسئل أعرابي عن قومه فقال) كانوا والله إذا اصطفوا تحت القمام
صغرت بينهم السهام بشو بوب الحمام وإذا تصافوا بالسيف فغرت
أفواهها الختوف قرب يوم شمس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس
أضحكتهم بالسنتهم (ومدح) أعرابي قومه فقال قومي والله ليوث حرب وغوث
جذب ليس لسيافهم أنغام غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام (وقالوا)
فلان يادر المهل مبادرة الأجل الأمل أطراف الأسل أحلى عنده من لعن
العسل (ابن شرف القيرواني) فلان قلبه يخرج به عن القلب وصرامته
تقتاده إلى مكان الطعن والضرب رماحه نجوم ظلام لقتام وسهامه رجوم
شباطين الأنام لا ترد حاجته مواضيه ولا تظله المغافر المنية عند تقاضيه
(شاعر مادحا)

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقسم مہجته مقام المغفر
ما أن يريد إذا الرماح شجرته * ذرعا سوى سربال طيب العنصر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجدان لم تعقر
(أبو الفرج)

يسعى إلى الموت والقنا قصد * وخيله بالرؤس تتعل
مكانه واثق بأن له * عمرا مقيما وماله أجل
(آخر)

كان سيوفه صيغت عقودا * تجول على الترائب والتحور
وسمر رماحه جعلت هموما * فما يخطرن إلا في ضمير
(البحترى مادحا)

يلقى السيوف بوجه منه ليس لها * ظهر وهادي جواد ماله كفل
يسعى به البرق لأنه فرس * في صورة الموت لأنه رجل
(مسلم بن الوليد)

لو أن قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
فوم إذا حنى الوطيس لديهم * جعلوا الجاهج للسيوف مقبلا

(ولا آخر)

وحامى بلاد الله من كل مارق * له الطير ضيف والوحوش وفود
ملك له زهر النجوم أسنة * اذا أتم أفقا والسحاب بنود

(آخر)

عقبان روع والسروح وكورها * وليوث حرب والقنا آجام
وبدور تم والسرائك في الوغى * هالاتها والساثرون غمام
جادوا بمنوح التلاد وجودوا * ضربا بجديهِ الطلى والهام
وبجاوبت أسيافهم وجيادهم * فالارض تطرو السماء تغام

(البحرى)

معشرا أمسكت حلومهم الادر * ض وكادت لولاهم أن تميدا
فاذا الجذب جاء جاد واغيوثا * واذا النقع نار ثاروا أسودا
وكان الاله قال لهم في الشرب كونوا حجارة أو حديدا

(آخر)

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فاتهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الا كاف حمر النصال

(آخر)

قوم شراب سيوفهم ورماحهم * في كل معترك دم الاشراف
وجعت اليهم خيلهم معاشر * لكل لكل جسم أمر كافي
يتصنون الى لقاء عدوهم * ككهن الآلاف للآلاف
ويباشرون طلبا السيوف بأسهم * أمضى واقطع من مضى الاسياف
جبلت على سفك الدماء نفوسهم * وأكفهم جبلت على الاتلاف
فاذا هم صدموا العدو وبصارم * خضبوا الاسنة من دم الاطراف
فنفوسهم نفى نفوس عداتهم * وعطاؤهم يغنى سؤال العافي

(الفصل الثاني من الباب الحادى عشر)

في ذكر ما وقع في الحروب من شدائد الازمات والكروب

(قال) بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها الحكمة
وجناحها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر (وقال) عمر بن الخطاب

لعمرو بن معد يكرب رضى الله عنهما صف لنا الحرب فقال مرة المذاق
صعبة لا تطاق اذا شرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف
ثم انشد

الحرب أول ما تكون قسيمة * تسعى بزيتها لكل جهول
حتى اذا حبت وشد ضرامها * عادت بمجوزا غير ذات حليل
شمطاء جدت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقيل) لبعضهم صف لنا الحرب فقال أولها شكوى وأوسطها فجوى
وآخرها بلوى * تذاكروا الحروب عند معاوية فقال بدر اعلى واحد لطلحة
والخندق للزبير وحنين للعباس بن مرداس * وأنا ذا كرم من الحروب الواقعة
في صدر الاسلام بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام أربعة وهى الجمل
وصقين ويوم الحررة ويوم كربلاء اذهذه الحروب أشد الوقائع طعانا
وضرا با واعظمها فى الدين فجيعة ومصابا لما قتل فيها من كبار آل بيت النبي
صلى الله عليه وسلم وصحبا به وعظما أهله يتيه وقرابته * (الجمل) * مبدؤها
أن طلحة والزبير خرجا مغاضبين لعلى رضى الله عنه بعد أن بايعا معا لما هجر
في نفوسهم ما من أن عليا رضى الله عنه هو الذى ألب على قتل عثمان رضى الله
عنه حتى قتل وان قتله كان عن رضائه فقد ما مكة على عائشة رضى الله
عنها وكانت قد خرجت من المدينة قبل قتل عثمان فاجتمعوا معا عند عائشة
رضى الله عنها فى رجال من بنى أمية فتذاكروا قتل عثمان ورغبوا عائشة
فى طلب الثار فاعتذرت اليهم بقله ذات يدها فقال يعلى بن منية ومنية اسم
أمه وكان عاملا لعثمان على اليمن عنده أربعة مائة ألف درهم مساعدة لكم
وخسمائة فارس أجهزها وقال عبد الله بن عامر بن كرز وكان عاملا
لعثمان على البصرة عنده ألف ألف درهم ومائة من الابل وأشار عليهم بالبصرة
ثم نادى مناد بالتحريض على طلب دم عثمان فاجتمع لهم ألف منهم ستمائة على
النوق وسواهم على الخيل والبغال ووهب يعلى بن منية الجمل وكان يدعى
عسكرا وعمل عليه هودج من حديد ثم انهم دخلوا طالين البصرة وكان على
رضى الله عنه قد بلغه خبرهم وهوى المدينة فخرج منها فى تسعمائة فم
سبعون بدريا ووصلت عائشة البصرة بمن معها وكانوا زهاء ثلاثة آلاف

فقتلهم عثمان بن حنيف عامل على من دخولها فاخذوها منه بعد حرب وقعت
بينهم قتل فيها كل من خرج يطلب قتل عثمان أو أعان عليه الا رجلا واحدا يسمى
حرقوص بن وهب فان بنى سعد منعتهم وأخذوا عثمان بن حنيف فقتلوا الحيتة
وراسه وحاجبيه واشغار عينيه فجاء عليا رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين
بعثتني بلحية وجئتكم أمردا وكان عثمان بن حنيف من كبار الصحابة وبابيع أهل
البصرة طلحة والزبير ووصل علي إلى الكوفة فاستجدهم فأنجدوه بأشئ عشر
الف رجل وسار حتى وصل إلى جانب البصرة فبزل وأقام تلك الليلة ثم ناشد هم
الله في الدماء فأبوا الا القتال فخرج علي رضى الله عنه وهو راكب بغلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتقى الجمعان مكان أول من قتل طلحة وانهزم الزبير
فلحقه ثلاثة نفر منهم عمرو بن جرهمور السعدي بوادي السباع عدوا فقتله وهو
ساجد وقيل نائم غيلة ووادي السباع برقة واسط بين البصرة والكوفة
وفيه يقول جرير بن عطية بن الخطمي عائبا على بني مجاشع قتل الزبير

اني تذكر في الزبير حامة * تدعويطن الوادين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القليل قبيلا
لو كنت حرأيا ابن قيس مجاشع * شيعت ضيفك فريخا أوميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجوا القيون مع الرسول سيلا
أفتي الندى وفتي النزال غدرتي * وفتي الرماح اذا تهب بليلا
لو كنت حين غدرت بين يوتنا * لسمعت من صوت الرماح صليلا
وجال كل معاود يوم الوغى * ولكان شلو عدوك المأكولا
وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعة وثلاثين جراحة وأطاف
بنوضبة والأزد بالجل وأقبلوا يرتجزون

نحن بني ضبة أصحاب الجمل * نزل بالموت اذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل * تبغى ابن عفان باطراف الاسل
فقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة فلما التحمت الحرب واستعرت
نارها نادى علي رضى الله عنه اعقروا الجمل فانه ان عقرت ففرقوا فقره عمرو
ابن دبلجة وأخذته السيوف من كل جانب حتى وقع وقتل حوله خلق كثير ومال
اليهودي وسمع صارخ يقول راقبوا الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال علي لابنه الحسن هلكت قال قد نبيتك عن مسيرك قال لم أكن أرى أن
الامر يصير الى هذا وجاء أعين بن ضبيعة حتى اطلع في اليهودج فقال ما أرى
الاخيرا قالت هلك الله سترك وأبدى عورتك فقتل بعد ذلك بالبصرة وصلب
وقطعت يده ورجلاه ورمى به عريانا في خربة من خراب الازد (وقيل) ان عليا
لما وقف عليها ضرب اليهودج بقضيب وقال يا حيراء أرسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرى في بيتك والله ما انصفك الذين أخرجوك
اذ صافوا حلالهم وابرزوك فيقال انها قالت له قد ملكت فأسبح ثم أمرها
بالمسير وأذن لأصحابها أن يسافروا معها من أراد السفر فسافر بعض وبقى بعض
(وقال البلاذري) في تاريخه ان عليا رضى الله عنه أعطاه حين أشخصها الى
مكة عشرة آلاف درهم ورجعت الى مكة يوم السبت غرة رجب سنة ست
وثلاثين وبيعها على أميالا وقصدت مكة فأقامت بها الى الحج ثم خرجت الى
المدينة وكانت الواقعة في الموضع المعروف بالحرية لعشر خنون من جادى
الآخرة وقيل في يوم الجمعة النصف من جادى الاولى * وعدة من قتل يوم
الجلل غانية آلاف رجل من أصحاب عائشة وألف من أصحاب علي رضى الله
عنهم أجمعين وفي وقعة الجلل يقول عثمان بن حنيف

شهدت الحروب فشيبتني * ولم أرى يوما كيوم الجلل
أشد على مؤمن قسنة * وأقتل منه من لم يزل
قلت الظعينة في بيتها * وابنتك عسكر لم تر تحمل

يعنى الجلل الذى كانت عليه عائشة وحكى أبو طالب المكي في القوت أن عليا
رضي الله عنه قال لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه امامه يوم الجلل أقدم اقدم
ومحمد بن أخوه وهو بكرهه بقائم الرمح فالتفت اليه محمد وقال هذه والله الفتنة
المظلمة العمياء فوكره على رضى الله عنه بالرمح وقال له تقدم لأمر لك أتكون قسنة
أولك فائدها وسائقها * (صفين) * ولما فرغ علي رضى الله عنه من حرب الجلل
وانصرف الى الكوفة بعث جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية يخبره بين حرب
معضله أو يسلم بجزية فان اختار الحرب فأنبذ اليه على سواء ان الله لا يحب
الخائنين وان اختار السلم فخذ يبعته وارجع فلما بلغ جرير الرسالة الى معاوية
أرسل الى عمرو بن العاص فلما حضره أعلمه بما أتى فيه جرير فقال له أما على

فوالله لا تسوى العرب بينك وبينه في شيء وإن له في الحرب لحظا ما هو لاحد
في قریش قال صدقت والله كنا نقاتله على ما يأيدينا ونلزمه قتل عثمان ثم قال
له مديك وبإيعني فقال والله لا اعطيك شيئا من ديني حتى آخذ من دينك ويقال
بل أنشد

معاوي لا أعطيك ديني ولم أتل * لديك بدنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطيني مصر أقارب بصفقة * أخذت بهم أشيخا يضر ويتقع
فأعطاه مصر طعمة وكتب له بذلك شروطا وأشهد عليه شهودا فبايعه عمرو بن
العاص وتعاهدوا على الوفاء وكتب معاوية إلى علي بأن لا طاعة له عليه فلما
ورد جوير على علي بما كتب إليه معاوية أمر الناس بالخروج إلى صفين لقتال
معاوية فاجتمع له من الخيل تسعون ألفا فيهم سبعون بدرية وعن بائع تحت
الشجرة سبع مائة ومن المهاجرين والانصار اربعمائة وذلك لخمس خلون
من شوال سنة ست وثلاثين وبلغ معاوية بخروج علي تجمع من الجنود
خسة وثمانين ألفا وقيل مائة وعشرين ألفا وسبق عليا إلى صفين فنزل على
موضع سهل أفصح معشب قريب من الفرات ونزل على علي مواضع بعيدة
من الماء والعشب فبات وجيشه عطاش قد حيل بينهم وبين الماء فأشار
عمرو على معاوية أن يمكن عليا من ورود الماء فقال لا والله أو يموتوا عطشا
ككمات عثمان فاشتكى أصحاب علي العطش فأمرهم بالمسير وقدم
عليهم الاشر والاشعث بن قيس فساروا وعلي من وراء الجيش حتى هجموا
على عسكر معاوية فأزالوهم عن الشريعة وغرق منهم خلق كثير وارتحل
معاوية إلى ناحية من البر بعيدة من الماء وأرسل إلى علي يستأذنه في استقاء
الماء من طريقه فأذن له وأجابه إلى ذلك ثم بعث علي إلى معاوية يدعوهُ إلى
اجتماع الكلمة وحقن الدماء وطالب المراسلة بينهم فاتفقا على المودة
إلى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين فلما كان آخر المحرم كتب علي
إلى أهل الشام يحذروهم الوقوع في الهلكة فأبوا الا الحرب والقتال حتى
يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فبعي علي جيشه يوم الاربعاء
مستمل صفرو قدم عليهم الاشر وتضاف أهل الشام والعراق ووقع القتال
بينهم فكان هذا دأبهم في كل يوم إلى السابع من صفرو فيه قتل عمار بن

بأسر من أصحاب علي قتل أبو العادية العاملي وله من العمر ثلاث وتسعون سنة
 (وكان) في حرب صفين خزيمة بن ثابت ذو الشهاداتين مع علي كفا سلاحه فلما
 قتل عمار خرج يطلب المبارزة وهو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول لعمار يا عمار تقتلك الفئة الباغية ثم كانت بينهم حرب أخرى قتل
 فيها ذو الكلاع وعبيد الله بن عمار ثم كانت بعد ذلك ليلة الهرير قتل فيها خلق
 كثير وكانت ليلة جمعة فلما رأى معاوية أن قد فشا القتل في أصحابه قال
 لعمر بن العاص هلم مخباتك فقد هلكنا وذكره ولاية مصر فأمر أن ترفع
 المصاحف وأن يقال ما فيها حكم بيننا وبينكم يا أهل العراق فرفعوها وكانت
 زهاء خمسمائة مصحف ونادوا من لغور الشام بعد أهل الشام ومن لغور
 العراق بعد أهل العراق من لجهاد الروم والترك فعند ذلك اختلف أصحاب
 علي فمنهم من أراد القتال ومنهم من أراد الكف فقال علي رضي الله عنه
 بالامس كنت أميرا وأصبحت اليوم مأمورا ثم أرسل الأشعث بن قيس إلى
 معاوية يسأله لاي شيء رفعت المصاحف قال للرجع فحن وأنتم إلى ما أمر الله به
 في كتابه تبعثون رجلا منكم ترضونه وتبعث رجلا منا ترضاه ليعملنا بيننا وبينكم
 الله وتتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا هو الحق وانصرف إلى علي وأخبره
 بما قال معاوية فقال الناس رضينا فاختار أهل الشام عمرو بن العاص
 واختار أهل العراق أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس واختار علي
 عبد الله بن عباس فقالوا والله لا نريد إلا رجلا هو من معاوية ومنك علي
 السواء قال فاصنعوا ما أردتم فجمعوا بين عمرو بن العاص وأبي موسى وأخذوا
 عليهم ما العهد والميثاق أن لا يخونوا وأخذ الحكمان من علي ومعاوية والحسين
 المواقيق أنهم ما آمنان على أنفسهما وأن يكون منهم المبايعة على ما يرضيانه ثم
 خرجا واجتمعا في دومة الجندل في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين فقال عمرو ولاي
 موسى إن هذه الفتنة لا تزال قائمة مادام واحد من هذين الاثنين متوليا أمر
 المسلمين فقال أبو موسى فخا ترى قال أرى أن يصعد كل واحد من المنبر ويخلع
 صاحبه ويدعها شورى بين المسلمين يولون أمرهم من أرادوا فأجاباه إلى ذلك
 وتقدم أبو موسى وصعد المنبر وقال أيها الناس أنا نطرنافي أمر هذه الأمة فلم نر
 أصح لامرها ولا ألم لشعبها من أمر اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو

أن يخلع ~~كل~~ واحد منا صاحبه ويجعل أمر المسلمين اليهم يولون عليهم من
أحبوا وإنى خلعت عليا فاستقبلوا أمرهم وولوا من شئتهم ونزل ثم صعد عمرو
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قال أبو موسى ما سمعتم من خلع صاحبه وإنى
خلعته كما خلعه وأثبت معاوية كما أثبت جليله سبني هذا في عنتي فانه ولي عثمان
والطالب بدمه وأحق والله بمقامه ثم نزل فاختلف عند ذلك كلمة الجيشين فلما
رأى على اختلافهم ما رحل فاصدا الكوفة ولحق معاوية بدمشق وانصرف
عمرو بأهل الشام بعد ذلك إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه فكان
على رضي الله عنه بالعراق ومعاوية بالشام إلى سنة أربعين * وفي هذه السنة
قتل علي رضي الله عنه في رمضان وهو ابن اثنتين وستين سنة وكانت مدة
خلافته خمس سنين الأشهر واحدًا ومدة ولاية معاوية أربعين سنة منها أميرًا
على الشام لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عشرون سنة وخليفة عشرون
سنة وتوفي سنة ستين (ولما) انفصل أهل الشام وأهل العراق من هذه الحروب
رجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي رضي الله عنه • وكان علي رضي
الله عنه إذا صلى الغداة لعن معاوية وعمره وأصحابه فبلغ ذلك معاوية فكان
إذا قنت لعن عليا وابن عباس وحسنا وحسينا واشتروا لم يزل الأمر على ذلك
برهة من ملك بني أمية إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فضع من ذلك
وجعل مكان اللعن في الخطبة ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم (وقتل) بصفين من
أهل العراق والشام في مدة مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف
وقيل سبعون ألفا من أهل الشام خمسة وأربعون ومن أهل العراق خمسة
وعشرون ألفا والله أعلم (وكانت) الوقائع تسعين وقعة وعدة من حضري
صفين من أهل الشام مائة وعشرون ألفا ومن أهل العراق مائة ألف وعشرة
آلاف فيكون جملة الفريقين مائتي ألف وثلاثين ألفا

(يوم كربلاء)

لما بويع يزيد بالخلافة وذلك في رجب سنة ستين خرج الحسين كارهًا للبيعة من
المدينة إلى مكة فبلغ أهل الكوفة امتناعه فكتبوا إليه يحرضونه على المسير
اليهم ويعرفونه بأنهم شيعة وشيعة أهل بيته وأنهم يقاتلون عدوهم حتى يقتلوا

أنفسهم دونه فقدم الكتاب على الحسين لعشر خلون من رمضان سنة ستين
فبعث اليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب المبايع له فبايعوه فكتب بذلك عامل
الكوفة من قبل يزيد وهو عبد الله بن مسلم إلى يزيد يعلم بذلك فلما بلغ يزيد
ذلك عقد لعبيد الله بن زياد بولاية الكوفة وأمره بقتل مسلم بن عقيل فصار
حتى دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وهو ملتئم يظنون الحسين فجعل
لا يميز على ملا من الناس الا قالوا امر حبابا بن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدمت خير مقدم فلما سمع مقالتهم حسر لهم عن وجهه فلما رأوه داخلهم
كآبة وحزن وخاف مسلم على نفسه فاستجار به النسي بن عروة فارسل اليه عبيد
الله يطلبه منه فقال لا أسلم اليك من استجار بي ظنا منه أن قومه سيجعونه منه
فتوعدوه وتم سدده فقال والله لو كان تحت قدمي هاتين مارفتهم ما عنه فاصنع
ما بدالك فضر به على وجهه فأدماه وهشم أنفه وأمر به فقبض فلما بلغ مسلم
ابن عقيل ذلك أمر أن ينادي في أصحابه وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا فاجتمع
حول داره منهم أربعة آلاف فجاء الصارخ بذلك إلى عبيد الله فخرج من
المسجد إلى القصر فزعامسرا واغلق أبوابه وأحاط مسلم بن عقيل به فبين معه
من كل ناحية ولم يكن مع عبيد الله في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط
وعشرون من أشرف الناس فيبغضهم كذلك اذ أقبل كثير من شهاب فبين
أطاعه من مذج فنادى أيها الناس ألحقوا بأهاليكم ولا تعرضوا أنفُسكم
للقتل فان هذه جيوش أمير المؤمنين يزيد مقبلة وقد أقسم الأمير عبيد الله
لئن لم ترجعوا عن حربه لياخذن البرى بالسقيم والغائب بالحاضر حتى لا يبقى
منكم باقية فتفرق الناس وجعل الرجل يخوف أخاه بهند الشام والمرأة
تخوف ولدها فأمسى مسلم بن عقيل ومعه ثلاثون ألفا فخرج متوجها نحو
أبواب كندة فابلق الأبواب ومعه عشرة ثم خرج من الأبواب ومعه انسان
فخفى على وجهه لا يدرى أين يذهب فالتجأ إلى دار امرأة تسمى طوعة فدخله
الجلوس على بابها ولم تكن تعرفه فقال لها افعلى معي معروفا فعلى أكانك
عليه بعد قالت وما ذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني
فرقت له وخذت عليه وأخذت يده وأدخلته دارها وكانت للاشعث بن قيس
فلما كان الغد صعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله على انتصاره ثم قال برئت

الذمة عن وجدنا مسلم بن عقيل في داره ومن جاء به فله دية فقام محمد بن الأشعث وقال إن بلال بن أسيد أخبرني أن عقيل بن مسلم عند أمه فقال قم وأتني به فقام ابن الأشعث في ستة عشر رجلا حتى أتوا الدار فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل نهض اليهم بسيفه فاقتحمه وأعليه الدار فضربهم حتى أخرجهم وخرج خلفهم مصلتا سيفه وما نعا عن نفسه فقال له ابن الأشعث يا فتى لا تقتل نفسك ولا الأمان وهو يدافع عن نفسه ويقول

أقسم لا أقتل الا حترًا * وان رأيت الموت شأنكرا
كل امرئ يوم ما ملاق شرًا * أخاف ان أ كذب أو أغترًا

فقال ابن الأشعث لا تكذب ولا تغتر أنا زعيمك بالوفاء والذمام فلما ألقى سلاحه تواشوا عليه وأخذوه وحملوا إلى عبيد الله فقال له يا فاسق إن نفسك منك ما حيل بينك وبينه قتلني الله إن لم أقتلك قتله لم يقتلها أحد قبلك في الاسلام ثم أمر كثير بن حمران الأحمري أن يصعد به إلى سطح القصر وأن يرعى به ففعل فلما فعل به كذلك لم يمت فأمر بضرب عنقه فضربت ثم ضرب رقبة هاتفي بعده وعلبت جثة مسلم وحمل رأسه إلى دمشق (وكان) قتل مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين وفي ذلك اليوم خرج الحسين من مكة فاصدا نحو الكوفة بعدما وصله كتاب مسلم لم يخبره فيه أن أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي فاني قد بايعتهم لك فيمنها هو سائر بأصحابه نحو الكوفة اذ مر به رجل من أهلها فسلم على عماراه فذكر أنه لم يخرج منها حتى قتل مسلم وهاتفي وراهما يجزان بأرجلهما في السوق فهم بالرجوع فقال له بعض أصحابه والله ما أنت كسلم ولو قدمت الكوفة لكان الناس أسرع اليك من السيل في المكان المنحدرفساروا إذا طلائع خيل قد أقبلت نحوه فنزل الحسين وأمر بالآخية فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحزبن يزيد البربوعي وكان نازلا على القادسية ينتظر قدوم الحسين فلما اجتمعوا قال له الحرث ما الذي أقدمك العراق قال له والله ما خرجت حتى أتتني كتبكم مع رسلكم فقال له الحرث والله ما ندري ما هذه الكتب وقد أمرنا أنا انا انا القيننا لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة فقال شككتك أمك الموت دون ما قلت فقال الحرث لو غيرك قالها من العرب ما تركت ذكر أمه واذ قد أيت نخذ طريقا لا تدخل الكوفة

ولا تردك الى المدينة فأبى وساروا الحربين يزبد معهما حتى أتوا على قرية فسأل
الحسين عنها فقالوا العقر فقال نعوذ بالله منه أي من العقر وهي كربلاء فنزل فيها
وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين فلما كان من الغد قدم
عليهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس فلما
اجتمعوا كتب عمرو الى عبيد الله يسعي في صلاح الحال معه وعوده انا قد
اجتمعنا بالحسين في كربلاء ونحن ننتظر أمرك فيه فكتب اليه حل بين الحسين
وبين الماء كما فعل بالزكي النقي عثمان بن عفان فنعوه وأصحابه الماء ثم أنفذ
اليهم الشمر بن ذى الجوشن وأمره ان يسمع لعمر بن سعد ان هو قاتل وان أبى
فتقدم أنت على العسكر فأقبل شمر على عمرو بن سعد وبلغه ما قال عبيد الله
فامتعض لذلك وقال لا ولا كرامة ولا يمكن أنا أن أتولى ذلك ثم نادى يا خيل الله
اركبي وذلك عشية الخميس لتسع خلون من المحرم ثم تقدموا نحو الحسين فأرسل
اليهم أخاه العباس يسألهم التأخير لصيحة غد فأجابوه الى ذلك فلما صلى الغداة
يوم الجمعة وقيل يوم السبت وهو يوم عاشوراء خرج عمرو فبين معه من الناس
وخرج الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا ثم وقف
فيهم على راحته ونادى أيها الناس أجمعوا أمركم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم أقضوا الى ولا تنتظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
فسمعه نساء وفككين ثم قال انسبونني وانظروا من أنا هل على وجه الارض ابن
بنت نبي غیری فسمعه أخته فاطمة فقالت اليوم ماتت فاطمة أمي وعلى أبي
والحسن أخي يا خليفة الماضى وثمانى اليتامى فقال يحيا لها ولورثها القطا ليللا
لنا ما فجاء الحربين يزيد اليربوعي فقال له ما جاء بك قال جئتكم تأبى ما كان منى
مواييلك بنفسى افترى ذلك لى توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم أقبل
الحرب بوجهه على أصحاب ابن زياد وقال لهم اتقوا الله فى ابن بنت رسول الله
نبيكم حلم بينه وبين الماء الذى يبلغ فيه الكلب ويرده الكافروها أصحابه قد
صرعهم العطش فبسماء خلفت محمدا فى أهل بيته فحمل عليه رجال منهم ونشب
الحرب بينهم فجعل الحرب يشد يحمل على القوم ويقول

والله لا تقتل حتى أقتلا * ولن أصيب اليوم الا مقتلا
أضربهم بالسيف ضربا فيصلا * لانا كلاً عنهم ولا مهلا

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم حل أصحاب عمرو بن سعد على أصحاب الحسين حمله
رجل واحد فقتلوهم كلهم وكان أول من قتل من آل بني طالب على بن الحسين
الأكبر وبني الحسين وحده وكان الناس قد توفوا قتله فكان بعضهم يحبل على
بعض وصاح شمر لعنه الله بأصحابه أن اقتلوه شكلكم أمها تكمل فحمل عليه
من كل جانب فضر به زرعة بن شريك بالسيف فقطع يساره وطعنه سنان
ابن أنس النخعي بالرمح فصرعه ونزل اليه فاحتز رأسه من قضاؤه وأخذها ووضعها
في يده رضي الله تعالى عنه ثلاث وثلاثون جرحا وثلاثون طعنة والكل فيما أقبل
من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة ما بين طعنة برمح ووشقة بسهم ورمية
بجحر وضربة بسيف وكانت عليه جبة خرد كماء فصارت كأنها جلد تنفذ من
السهم ثم سلبه اسحق بن جنوة قيصة فبرص وسلبه يحيى بن كعب سراويله
فعصى ونادى عمرو بن سعد من يتدب للحسين فيطوئه بفرسه فالتدب له اسحق
ابن جنوة وتسعة من أصحابه فوطوا ظهره وصدره حتى رضوه رجة الله تعالى
عليه ولعن قاتله والمعين له وأتى سنان بن أنس برأس الحسين إلى عبيد الله
ابن زياد فلما دخل عليه قال

أوقر ركابي فضة وذها • أنا قتلت السيد المحجبا

أكرم خلق الله أما وأبا • وخيرهم اذ ينسبون النسبا

فطفر به المختار بن أبي عبيد فضله وأحرقه ثم بعث بالرأس مع محفد بن
ثعلبة العائدي إلى يزيد بن معاوية فلما دخل عليه قال له جئت بك برأس الأثم
الناس ما ولدت مخذرة الام وأوضع ثم جعل يضرب ثأياه بقضيب خيزران كان
في يده وينشد

أي قومنا أن نصفونا فأنا نصفت • قواضب في إيماننا تقطر الدما

تفلق هاما من رجال أعزة • علينا وهم كانوا أعق وأظلم

أما والله لو ددت اني أتيت بك مسلما ولو لي نك ما قتلتك ثم قدم اليه على بن
الحسين والحسن بن الحسن فقال لعل أنت أبوك قطع رجلي ونازعني سلطاني
فجزاه الله جراح القطعة للرحم فقال على ما أصاب من مصيبة في الارض
ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة
فما كسبت أيديكم ويغفون عن كثير ويري أن لما قتل الحسين رضي الله عنه

قدم على يزيد المذحجي فقال له ما وراءك قال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح
الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في غاية عشر رجلا من أهل بيته وستين
رجلا من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم ان يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير
عبد الله أو القتال فاخاروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم مع شروق
الشمس فاحتطنا بهم من كل ناحية حتى أخذتهم السيوف مأخذها من هؤلاء
القوم وجعلوا يلجئون الى غرور ويلوذون منا بالأكام والحفر لنادي الحام من
العقر فوالله يا أمير المؤمنين ما كان الا قدر جزر جزورا ونومة قاتل حتى أتينا
على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم من ملة وخذودهم معقرة
تضربهم الشمس وتسقي عليهم الريح وفوقهم العقيان والرخم بقفر بسبب
لامكفين ولا موسدين فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضي منكم ومن
طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أني بصاحبه لعفوت
عنه فرحم الله الحسين فلم يصله بشئ (ويقال) انه لما حمل رأس الحسين الى يزيد
ابن معاوية ووضع بين يديه خرجت كف يده من الحائط فكسبت في جبهته
أترجوأمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب

وقتل رضى الله عنه وله من العمر خمس وقيل ست وقبل سبع وخمسون سنة
وقتل معه غاية عشر رجلا من أهل بيته وستون رجلا من شيعته (ولما)
وصل خبر مقتله الى المدينة وكان واليا عليها يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص
المعروف بالاشدق قام مناديا فنادى بقتله فصاح نساء بنى هاشم وخرجت ابنة
عقيل بن أبي طالب حاسرة وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم • ماذا فعلتم وأنتم خيرة الامم
بعترني وبأهلي بعد مقتدي • منهم أسارى ومنهم مضرج بدم
ما كان هذا جزائي اذ نعت لكم • أن تخلقوني بسوء في ذوى رحى
وفي يوم قتله من العام القاتل قتل عبيد الله بن أبي زياد قتله المختار بن أبي عبيدة
وقتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعب عبد الملك بن مروان فبالله العجب
كيف وانى يهدر دماء بنى البتول وسيف النصر على الباغي بيد الزمان مسلول

• (يوم الحرة) •

وسببه أن جماعة من أشرف المدينة منهم عبد الله بن حنظلة وبنوه

ثمانية والمئسدر بن الزبير قدموا من عند يزيد بن معاوية وكان قدأكرمهم
وجعلهم وكساهم فاظهروا شتمه وأكثروا سبه وعيبه للناس وقالوا قد مننا من
عند رجل شريبي فسبق يلعب بالكلاب ويسامر القروء والقيان
وانا نشهدكم أن قد خلعتناه وتبرأنا منه فكتب عثمان بن حيان والى المدينة
من قبل يزيد اليه يعلمه بما أجمعوا عليه فكتب يزيد الى أهل المدينة أما بعد
فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا
مرد له وماله من دونه من وال واتى والله لقد لبستكم فأبليتكم ورفعتكم
حتى خرقتكم وانى وضعتكم على رأسى ثم على صدرى ثم على بطنى وإيم الله لن
وضعتكم تحت قدمى لا طأنكم وطأة أقل بها عددكم وأفل بها عددكم
وأترككم أحاديث تنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود فان شئتم فلا أفلح من
ندم وكتب فى آخر الكتاب مقثلا بقول الشاعر

لقد بدلوا الحلم الذى من سيجتى * فبدلت قوى غلظة بليان

فلما وصل اليهم الكتاب وقرئ عليهم أبوا الاخلعه وازدادوا عليه تغظا وفيه
كراهة ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة ووثبوا على عثمان بن حيان وأخرجوه
من المدينة وأخرجوا من كان فيها من بني أمية ومواليهم وكانوا نحو من ألف
فزلوا دار مروان بن الحكم فخرجوا اليهم وحصروهم فيها فكتب مروان
الى يزيد يعلمه بما جرى فوصل اليه الكتاب ليلا وعند الفصحاء بن قيس فقراءه
عليه ثم قال لما رأى قال يا أمير المؤمنين قومك وعشيرتك وبلد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحرمة وأرى ان تعفونهم وتتغمد ذنوبهم فقال اخرج
عنى ثم دعا مسلم بن عقبة المري قال فحالت ان دخل رجل أعور نائر الرأس
كانما يقطع رجله من وحل اذا مشى فرمى اليه بالكتاب فلما قرأه اخرج وجهه
وأزبد شدة فقال له يزيد ما رأى قال أرى أن تبعث اليهم جيشا رجالة غليظة
أكافهم طويلا رماحهم فيبطونهم حتى يكونوا نكالا لمن خلفهم فقال له يزيد
كنت لها لولا أنك ضعيف فقال يا أمير المؤمنين ان كنت تريد فى لمصارعتهم
فانى ضعيف وان كنت تريدنى للرأى فانى قوى فأمره يزيد بالتجهز فاصبح
الاوعلى باب يزيد عشرون ألفا وفيهم مسلم بن عقبة فاستدعاه يزيد وقال له سر
فان حدث بك أمر فاستخلف الحصين بن غيرة وادع أهل المدينة ثلاثا فان أجابوك

والأقاتلهم فان أطاعوا أمرنا فانصرف عنهم الى ابن الزبير فان قاتلهم
وظفرت بهم فابجها ثلاثا واستوص بعلي بن الحسين خيرا ثم ودعه وانصرف
بمن معه من الجيش فلما سمع أهل المدينة بقدم الجيش غرروا المياه التي بينهم
وبين أهل الشام فأرسل الله السماء فلم يستق أصحاب مسلم بدلو حتى قدموا
المدينة وكان أهل المدينة قد أطلقوا بنى أمية فخرجوا قاصدين الشام فلقوا
مسلمًا بالجيش فرحب بهم وسألهم عن أهل المدينة فأخبروه بحالهم وشاورهم
أين يكون نزولهم من نواحي المدينة فأشار عليه عبد الملك بن مروان أن ينزل
بالجيش من قبل الحرة فانهم امشرفوا على المدينة وان أهلها يتظفرون من نألق
بعضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ما لا يراه أصحابك منهم فنزلها فلما رآهم أهل
المدينة خرجوا في جوع كثيرة وهيئة لم ير مثلهما فلما رآهم أهل الشام أكبروهم
وكرهوا قتالهم فكتب مسلم اليهم يحذرهم سطواته وينذروهم فتكاثرت فأبوا قبول
مادعاهم اليه من الانقياد لطاعته فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة لثلاث
بقيين من ذى القعدة سنة ثلاث وستين نادى مناديه بأهل المدينة قدمضي
الاجل فأتصنعون أتسلمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب ثم خرجوا وطلبوا
البراز فأمر مسلم أن يعي الجيش وضرب اليهم فسطاطا ووقع القتال وجعل
مسلم يعد قومه ويعينهم وعبد الله بن حنظلة الغسيل يحرض قومه ويقدم
أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا ثم حمل عليه فقتل وقتل يومئذ ثمانية من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل الشام ابني أمية أهؤلاء
جئتم بنا حتى نقتلهم ثم اشتد القتال وكثر القتل حتى انهزم أهل المدينة
فدخلوها وتحصنوا بها فيئس منهم مسلم فذله رجل من بنى حارثة على طريق
السكة الى المدينة فسلكه بمن معه حتى دخلها فلما رأى أهلها الجيش قد صار
معهم تفرقوا فقتلوا في كل جهة وذلك لثلاث من ذى الحجة سنة ثلاث وستين
ثم انتهبوا ثلاثا وأقاموا بها حتى رأوا هلال المحرم ثم أخذ مسلم البيعة على
أهل المدينة انهم عبيد قيان ليزيد بن معاوية ان شاء أعتق وان شاء قتل
ثم ركب مسلم الفاسق لعنه الله وخرج الى الحرة يطوف في القتلى ومعه مروان
ابن الحكم فزع على عبد الله بن حنظلة وهو ما دأب به نحو السماء فقال
والله لئن نصبتهم ميتا لاطالما نصبتهم أحياء داعيا الى الله ومروا على ابراهيم بن نعيم

فوجد فرجه مستورا بيده فقال والله لئن حفظته عند الوفاة لقد بما حفظته
 في حال الحياة ومر على محمد بن عمر بن حزم وهو واضع جهته على الارض
 فقال أما والله لئن كنت على جهتيك بعد الموت لطالما فرشت الله ساجدا
 في طول الحياة فقال والله ما هو لاء الا من أهل الجنة ثم ان مسلما حزر رأس القوم
 وأرسلها الى يزيد فقال انه أنشد لما ألقيت بين يديه بيت ابن الزبير
 ليت أشياخي بيد رشدهوا * جزع الخزعرج من وقع الاسل
 (قال الواقدي) قتل يوم الحرة سبع مائة من حملة القرآن وقيل قتل سبع مائة
 من قريش والانصار وقتل ممن لا يعرف عشرة آلاف ثم سار مسلم لعنه الله
 يريد مكة لقتال عبد الله بن الزبير فلما كان بتقديمات فدفن بالمثل وقيل
 بثنية هرسى * وكان موته لسبع بقين من المحرم سنة أربع وستين وفي هذه
 السنة مات يزيد في الرابع عشر من ربيع الاول وله من العمر ثمان وثلاثون
 سنة * وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر * ولما مات مسلم جاءت أم
 ولد يزيد بن عبد الله بن زبيعة فنبشته وأحرقته وقيل بل أخرجه وصلبته وفيما
 ذكرنا من هذه الحروب اقنع يعزبه الخبى اذا سم من المطاولة المستخير
 * (وأحسن ما لحق بهذا الفصل وتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه) *

أبلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريث من أبيات
 بجيش لهام يشغل الطير جمعه * عن الارض حتى ما يجدن منازل
 (السلامي)

والجو ستر بالفسور مطير * والارض فرش بالخيول مخيل
 يهفو العقاب على العقاب فيملتي * بين الفوارس أجدل ومجدل
 ولا مزيد في الحسن على ما قاله أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أبيات يمدح
 بها المعتصم (١) جاء منها قوله

لما رأيت الدين يخفق قلبه * والكفر فيه تغطرس وعرام (٢)
 أوديت زنده زائم تحت الدبحي * أسرجن فكرك والبلاد ظلام
 فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه * حسن اليقين وقاده الاقدام
 ملا الملا عصبا فكدأ بأن يرى * لا خلف فيه ولا له قدام
 بسواهم لحق الا باطل شرب * تعليقها الاسراج والالهام

(١) في الديوان
 المأمون اهـ

(٢) قوله تغطرس
 في الديوان تغطرف
 ومعناها الكبر
 واسقط بعد قوله
 فنهضت الخ (متعرج)
 لزج يرى سلافه
 (وله هم يخفق)
 القضاء زحام

(١) اسقط بعد قو
ومقابلين الخ (سقف
الدؤب وجوهمهم
فكأنهم * وأبوه
سام أبوهم حام)

اه

ومقابلين اذا اتوا لم يخزهم * في نصرته الاخوال والاعمام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا * سكانها الارواح والاجسام (١)
مسترسلين الى الخنوف كأنما * بين الخنوف وبينهم ارحام
آساد موت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام
حتى نقضت الروم عنك بوقعة * شنعاء ليس لنقضها ابرام
في معركه أما الحمام فقطر * في هبوتيه والكماء صيام
والضرب يقعد قرن كل كتيبة * شرس الضريبة والخنوف قيام
فقصمت عروة جمعهم فيه وقد * جعلت تفصم عن عراها الهام
(ابن عبد ربه صاحب العقد)

وجيش كظهر اليم يفضحه الصبا * يعب عبايا من قنا وقنا بيل
في نزل أولاه وليس بنازل * ويرحل اخرا وليس براحل
ومعركه ضحك تعاطت كانه * كؤس دماء من كل مفاصل
يدير واهار احام الروح بينهم * بيض رفاق أو يسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل
(أبو الفرج البغيا)

فاذا الجياد الى الجياد عوابسا * شعنا ولولا بأسه لم تنفذ
في جحفل كالسبل أو كالسبل أو * كالقطر طافح قطر بحر مزبد
متوقد الجنبات تعشق القنا * فيه اعتناق توأصل وتودد
متعجب يضيا الصوارم مبرق * تحت العجاج وبالصواهل مرعد
رد الظلام على الضحى واسترجع الاصباح من ليل الغبار الازبد
وكأنما نقشت حوا فرخيله * للناظرين أهله في الجلد
وكان طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار لها مكان الاثمد
(وله)

في خميس كأنما السمر والاب * طال فيه غيبه حننه أسود
سلب الشمس ضوأها بشموس * طالعات افلا كهن جديد
عارض كأنما تجلت بروق الس * بيض حشت على الصهيل رعود
(وله)

جيش يفوت الطرف حتى لا يرى * ما غاب من اطرافه محدودا
ويحس حتى لا يظن عديده * أحدا لكثرة جمعه معدودا
فكانما جعل الاله روائي الا علام اعلامه وبنودا
يقضى على الاعداء خيفة بأسه * قبل اللقاء تهددوا ووعيدا
وترى وتسمع لمعه وخفوقه * فتخال فيه بوارقا وعودا
(آخر)

خمس اذا أختفى سنا الشمس نطقه * أضواء وابداه الحديد المسرد
نواجهه هوج الرياح فينتنى * وتحمله الارض الوقور فيرعد
(أبو الطيب المتنبي)
خمس بشرق الاوض والغرب زحفة * وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فايضهم الحداث الا التراجم
(وله)

وذو لجب لاذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المنار بسالم
(١) تمر عليه الريح وهي ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه * من اللمع في هاماته والجماجم
(ابن المعتز)

وعتم السماء النقع حتى كانه * دخان واطراف الرماح شرار
(ابن الساعاتي)

والنقع ليل والاسنة أنجم * والسمر غاب والكأمة أسود

* (وصف النزال والقتلى) *

وصف أعرابي وقعة فقال اصطقوا بكناح الطائر وشدوا شد الأسد الحادر
فأثروا أغنتهم ولا صرفوا أسنتهم حتى انصرف اعداؤهم (أبو نصر الميكايلي)
دارت ردى الحرب بين أعما رتباح ودماء تسباح وأجسام تطاح وأرواح
تسقى بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الابدان والغه (بعض
البلغاء) طابنا فلانا في الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منق محبر وبالرماح
معجم ومححر

(ابن عبدربه من أبيات)

فكم على النهر أوصال مفرقة * تقسمتها المنايا فهي اشطار

(١) قوله الريح في
الديوان الشمس
وأسقط بعده (إذا
ضوؤها لا في من
الطير فرجة * تدور
فوق البيض مثل
الدرهم)

قد فلتت بصفح الهند هامتهم * فهن بين حوامي الخليل أعشار
وكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الأرض أجار
كأنما رأسه أفلاق حنظلة * وساعده على الرنين جمار
(أبو بكر الخوارزمي)

كتبنا في وجوههم سطورا * غرائب جبرهن دم همول
فترجها الاعادى للاعدى * ويقرؤها على الحى القليل
فالك غير جمجمة كتاب * ومالك غير صاحبها رسول
(ابن الرومى)

كتب لنا أيدى النزال مصاتقا * مجمان الاعراب والانصاح
اطراسها جثث الكما وجبرها * مما أسلناه دم الارواح
فالشكل فوق سطورها بصوارم * والنقط تحت حروفها برماح
(ابن نباته)

خلقنا باطراف القنا الظهورهم * عيوننا لها وقع السيوف حواجب
(قطع الرأس أحسن ما نظم فيها قول الشريف البياضى من أبيات)
خطبنا بالقنا مهج الاعادى * فزفت والرؤس لها تثار
(وقول جرير وان كان قبله)

كان رؤس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقبصرا
(وقول الآخر)

وكانما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نمود

(الفصل الثالث من الباب الحادى عشر)

(فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يستطيع بها ملكة)

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال تعالى خذوا حذرکم
(وقد روى) أن عمر رضى الله عنه حين كره طواعين الشام أراد الرجوع الى
المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتقر من قدر الله قال نعم
الى قدر الله فقال له أئمنع الحذر القدر قال لست مما هنالك فى شئ ان الله لا يأمر
بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر فانه يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال
خذوا حذرکم (وقالوا) الشجاعة تغريروا والتغريرمضاح الهلكة (وقال) يزيد

ابن المهلب الاقدام على الهلكة تغير والاحجام عن الفرصة حين وأنشدت
لظاهر بن الحسين

ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته * جهل ورأيك في الاتهام تغير
فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة * فلن يذم لاهل الحزم تدبير
(ويقال) أهوت الى يزيد بن المهلب حبة فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم
من حيث حفظت الشجاعة (الشريف الرضي)

العزم في غيروت العزم معجزة * والا زيدا بغير العقل نقصان
(ويقال) من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم
الخطر وأكبر الضرر * وقال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتباس
وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه
في نحس ومن غده في لبس (وفي كتاب للهند) الحازم يحذر عدوه على كل حال
يحذر موائبة ان قرب وغاربه ان بعد وكيهه ان تبس ومعه ان انقرد
واستطراذه اذا ولي (وقال ابو بكر الصديق) يحذر خالد بن الوليد رضي الله
عنهما اذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فاني لا آمن عليك الجولة
واستظهر بالزاد وسر بالادلال ولا تقا تل مجروحا فان بعضه ليس منه واحترس
من الثبات فان في القرب غمرة واقلل الكلام فان مالك الاما وعى عنك واقبل
من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم واستودعك الله الذي لا تضيع
ودائعهم وقال الشاعر

ومن يأمن الاعداء لا بد أنه * سيلقى بهم في موقف الموت مصرعا
(وقالوا) الاقدام على الهلكة تضيع كأن الاحجام عن الفرصة عجز (وقيل)
لعنرة العبيس أنت أشجع العرب وأشدّها قال لا قيل فبم شاع هذا في الناس
قال كنت أقدم اذا كان الاقدام عزما وأججم اذا كان الاحجام حزما
ولا أدخل موضعا لا أرى لي فيه مخرجا (وسئل) بعض الشجعان هل شيء أضر من
التواني قال الاجتهاد في غيروقتة * وقال جعفر بن ميسرة من مكن أسباب
الهلكة من نفسه طائع العالم يكدي تخلص منها وان كان جاهدا (وقال) بعض
الحكماء لصديق له اعلم ان القنطة اظهار العقله مع شدة الحذر فبات مباحة
الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف ولا تظهر له المخافة فيرى ان قد حذرت فيهن

عليه ما يستعمله منك (ويقال) اذا أخذ المرء بالحذر والاحتباس في موضع الشدة وعمل على الجراءة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد أخذ بالحزم في شدته وعمل بالحزم عند فرصته (وقال) بعض الفلاسفة كن حذرا كأنك غرقتنا كأنك غافل وذاكرا كأنك ناس * وقال بعضهم

من أخذ الحذر من المحذور * قل تجنيه على الدهور
فليحزم الحازم في الامور * فان بكأل العذر للمعذور

(آخر)

على كل حال فاجعل الحزم عمدة * تقدمها عند النوائب في الدهر
فان نلت حظا نلت به بعزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

* (ومما يكون عمدة عند لقاء الابطال التفكير في اعمال الاحتيال وان طال) *

قالت الحكماء الحازم يحتمل الامر الذي يخافه له أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط في الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته الاعلى مقاتله * وأنشدتأبط شرا

اذا المرء لم يحتمل وقد جد جدته * أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا * به الامر الا وهو للقصد مبصر
(ويقال) اذا اتسع لك المنهج فاحذرا أن يضيق عليك المخرج * وقال الشاعر
واذا هممت ورودا أمر فالتمس * من قبل مورده طريق المخرج

(آخر)

ايك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر
(ويقال) تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم فانه من لم يتنظر في العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب * ووجد على حجر بعدن أبين مكتوب أيها
المحارب احذر تغنم وتفكر في العواقب تسلم (ويقال) الناس حازمان
وعاجز فاحزم الحازمين من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم
بعده من اذا نزل الامر تلقاه بالرأى والحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد
بين وبين لا يأتمر رشا ولا يطيع مرشدا حتى تفوته النجاة (ويقال) ترك التقدم
أحسن من التندم * وأوصى عبد الملك بن صالح أميراً قدمه على سرية أرسلها

الى قتال عدوله فقال كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحتما تجر والاحفظ رأس ماله ولا تطلب الغنية حتى تفقد السلامة وكن في احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتياك عدوك عليك (وقالوا) ما تنفق فيه الاموال والحيل خبر مما تنفق فيه الارواح والنفوس * وأوصت أم الدبال العباسية ولدها القتال وكان من أشد العرب فقالت يا بني لا تنشب في حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب فان النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل النجاة مدبرة لها واختلس من تحارب به خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة (وقال) أبو السرايا وكان أحد القتال يا بني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبمعدرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب ورطة المتهور وغنية المتفكر (ويقال) لا تصلح الحزامة الا لمن كان له سبع خصال من طبائع البهائم قلب الاسد وغارة الذئب وصبر النسر وحذر الغراب وحراسة الكركي وهداية الحمام وحماية الزنبور * (ومما يجب مع التفكير على المحارب مشاورة النصحاء من أولى التجارب) *

قد كانت منا في صدر الكتاب ما يجب على العاقل من مشورة نصحاء في سائر انجائه وانا اذا كر في هذا الباب ما يجب على الحازم من مشورة وذاته في كيفية لقاء اعدائه فانهم قالوا ينبغي لكل ذي لب أن لا يبرم أمرا ولا يعرض عزمه الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح (وقالوا) الحازم اذا اشتهت عليه مصادرا الامور جمع من أهل التجارب وجوه الرأي حتى يخلص له منها الصواب كالعاقل اذا ضلت له لؤلؤة فانه اذا جمع ما حول مسة فلها والتمسها يوشك أن يجدها (وقالوا) من حق العاقل أن يضيف الى رايه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء (وقال) بشار بن برد المشاور بين احدي الحسينين اما صواب فيفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه (وقالوا) الرأي السيد خير من الاسد الشديد * وكان يقال المشورة سلم النجاح وطليلة الفلاح (وقالوا) الرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب * وقال بعض الاعراب ما عثرت قط حق عثر قومي قيل له وكيف قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم (وقالوا) حقيق أن يوكل الى نفسه من أعجب برأيه (ولقد) أحسن أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى في التخريض على مشاورة

الاخوان عنده مساواة الاقران بقوله

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا النفس حرة * بلغت من العلية كل مكان
فليرى طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل نطاعن الاقران
(ولبعضهم)

الرأى كالسيف ينبوان ضربت به * فى غمده واذا جردته قطعاً
(آخر)

أشاور أهل الرأى فيما ينبونى * وان كان لى رأى أحد صديق
ولا أدعى بالغيب علما لسائل * ولا أحسد للمسؤل حين يجيب
(آخر)

اذا بدالك وجه الرأى فارم به * فهو احترام تمامه المقادير
ولا تنقل غرراً خشى عواقبه * يومافكل شجاعة اقوم تقرير
(وذكر الحصرى) فى كتابه زهر الآداب ونثر الالباب أن قوما من العرب
أتوا شيوخهم قد أربى على الثمانين واهدف التسعين فقالوا ان عدونا استاق
سرحنا فأشر علينا بما ندركه النار وتنتفى به العمار فقال ان ضعف قوتى فسح
همتى ونقض ابرام عزيمتى ~~ولكن~~ شاوروا الشجعان من ذوى العزم
والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما رقى بهجكم والشجاع
لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلاصوا من الرأيين نتيجة تبعده عنكم معرفة الجبان
وتهور الشجعان فاذا انجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم
الصائب والحسام القاضى فلهذه الكلمات لو يجدها الجبان جنة لوقته
أو هادياً أرته مواطن العواقب ووفقه

* (وملاك التحيل فى بلوغ الامانى رفض المجلة واستعمال التوانى) *

قال الله تعالى ولا تنجبل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى
علماً (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظاً من الرقى أعطى
حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظاً من الرقى فقد حرم حظاً من الدنيا
والآخرة (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق
فان الرقى لا يخالط شيئاً الا زانه ولا يفارق شيئاً الا شانه (وقال) عر رضى الله

عنه التؤدة في كل شيء إلا ما كان من عمل الآخرة (وقال الشاعر)
الرفوقين والآناة سعادة * ليس النجاشة لمن يطير ويحرق
(آخر)

وفي الآناة إذا ما جد صاحبها * حزم ويعقبها التفريط والحرق
(وفي التورية) الرفق رأس الحكمة (وقالوا) فعل الليث غرته السلامة
(وجد) على سيف مكتوب الثاني فيما لا يخاف فيه القوت أفضل من العجلة إلى
ادراك الأمل (وقال) بعض الحكماء تأن تحزم وإذا استوضحت فاعزم
(وقالوا) يد الرفق تجني غم السلامة ويد العجلة تغرس شجر الندامة
(أبو الفتح البستي)

تأن في الشيء إذا ومنت * لتعرف الرشد من الغي
لا تتبع كل دخان ترى * فالنار قد توقد للكي
وقس على الشيء بأشكاله * يد لك الشيء على الشيء
(وقال) بشر بن مروان لاهله إذا التبت عليك الخطوب وغاب عنك المورد
وأشكلك المصدر فيه فالآناة والآنة وليكن أمرك حزما وإذا استبان لك
فعرما (وقال محمد بن هاني الأندلسي)

وكل آناة في المواطن سودد * ولا كآناة من قدير محكم
وما الرأي إلا بعد طول ثبت * ولا الحزم إلا بعد طول تلوم
(القطامي)

قد يدرك المتأني نفع حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
(آخر)

وربما فات قوم ما جل أمرهم * من التأني وكان الحزم لو عجلوا
(وقالوا) الآناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة (وقالوا) إذا لم يدرك
الظفر بالآناة فيما لا يدرك (وقال) المهلب بن أبي صفرة واسم أبي صفرة ظالم
ابن سراق آناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت (ومن أمثالهم)
اتد نصب أو تكد * وقولهم من تأنى أدرك ما تقي * وقولهم الرفق مفتاح
التصاح (وقال) بعض الحكماء إنك والعجلة فأنها تكتفي أم الندامة لأن صاحبها
يقول قبل أن يعلم ويجب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن

يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يجبر ولن تصعب هذه الصفة
أحدا الا صعب الندامة وجانب السلامة

(وهذه نبذة يسيرة في الصبر)

فما ينسب لعللى رضى الله عنه

انى رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمره بما وله * واستصعب الصبرا لافاز بالظفر

(آخر)

ما أحسن الصبر فى موطنه * والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه * عواقب الصبر ما الهاتن

(آخر)

الصبر مفتاح ما يرجى * وكل صعب به يكون
فاصبر وان طالت الليالى * فربما أمكن الحزون
وربما نيل باسطبار * ما قيل هيات لا يكون

(ويقال) الصبر مفتاح النصر (ويقال) النصر فى مطاوى الصبر (ويقال)
من تصبر تبصر (وقال الصابي) حظ الطالبين من الدرك بحسب ما استصبروه
من الصبر (وأشدت لبعض الشعراء)

اذا كنت فى أمر ولم ترحله * فصبرك ان النجى يدرك بالصبر
كذلك عيون الملاء كدر مرة * وتصفو مرارها كذا عادة الدهر
(ابن منقذ)

لا تستكن للهم وان حمامه * بعزيمة فى الخطب لا تتضعع
فاذا أتى ما ليس يدفعه * بالصبر فهو دواء ما لا يدفع
(ومن أحسن ما قيل فيه)

أما الذى لا خلد الا لوجهه * ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان بدء الصبر مرأذاقه * لقد يجتنى من غيبه الثمر الحلو

(آخر)

اصبر على مضض الادلاج فى السهر * وفى الرواح الى الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا تعجزك مطلبها * فالنجى يتلف بين الصبر والضجر

(الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(في أن خلق الجن والفرار مما يشين بنى الاحرار)

الجن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه (قال المتنبي)
يرى الجبناء أن الجن حزم * وتلك خديعة الطبع اللثيم
وحده بعض المتكلمين في حدود الاشياء فقال هراضن بالحياة والحرص
على النجاة * وقالت الحكماء في الفراسة من كانت فزعته في رأسه فذاك الذي
يفر من أبيه (وقالوا) الجبان يعين على نفسه يفر من أمه وأبيه وصاحبه
وأخيه وفصيلته التي تؤويه (وقال الشاعر)

يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

(فما اخترت من كلام ذوى الاقدام فيما عيب به الفرار والاحجام)

قالت عائشة رضي الله عنها ان الله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفت الريح
خفت معها فأف للجبناء (وقال) خالد بن الوليد عندما لقيت كذا وكذا
زحفا وما في جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم
وها أنا ذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير فلانامت أعين الجبناء (شاعر)
ان موت الفراش عار وذل * وهو تحت السيوف فضل شريف
(السموأل)

ومامات مناسيد حتف أنفه * ولا طل مناحيث كان قبيل

تسيل على حد الأطباء نفوسنا * وليست على غير الأطباء تسيل

(آخر يقهر)

محرمه اكفال خيل على القنا * ومكروسة أعناقها ونحوها

حرام على ارماء من مدبر * وتندق منافي الصدور صدورها

(ويقال) أسرع الناس الى القنصة أقلهم حياء من الفرار (وقال) دار ابن
دارا يحرض جيشه على القتال قبيل صابر خير من ناج فاريابني الاحرار صرتم
الى الذل والصغار ما هذا الجن والفرار فلا صبر ولا اعتذار تطردكم
الاشرار كطرد الليل النهار اثبتوا فان الاجل بعقدار (وقال) هاني الشيباني
لقومه يوم ذى قار يابني بكرها لك مغدور خير من ناج فرود المنية ولا الدنية
يابني بكر استقبل الموت خير من استبداره الطعن في ثغور الثغور أكرم منه

في الابعاز والظهور يا بني بكر قاتلوا فالتاسم المنسايد الجبان مبغض حتى
لامه والشجاع محبب حتى لعدوه (ويقال) الجبن خيرا خلق النساء وشر
اخلاق الرجال (وقال) يعلى بن منية اقومه حين فروا من علي يوم صفين الى
أين قالوا قد ذهب الناس فقال أف لكم فراروا واعتذار (ولما) قاتل ابو الطيب
المتنبي ورأى الغلبة عليه فر فقال له غلامه أترضى أن يحدث بهذا الفراعنة
وأنت القاتل

والخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم
فكر راجعا فقاتل حتى قتل واستقبح أن يعبر بالفرار وذلك في شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة (وقال
المصور) لبعض الخوارج عليه وقد ظفربه وأحضر اليه أسيرا أخبرني عن
أصحابي أيهم كان أشد اقدا ما في مبارزتك فقال لا أعرف وجوههم مقبلين
وانما أعرف أقفيتهم مدبرين فقل لهم يدبرون لا عرفك أيهم كان أشد فرارا
نظم هذا القول علي بن العباس بن جريح المعروف بابن الرومي في قوله يهجو
سليمان بن عبد الله بن ظاهر وقد هزم

قرن سليمان قد اضربه * شوق الى وجهه سيتلفه
أعرض عن قرنه وصدا * أصبح شئ عليه يعطفه
كم يعد القرن بالقضاء * يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قضاؤه من فرسخ فيعرفه
وله من أبيات

كان بغداد لدن أبصرت * طاعته نائمة تلتدم

مستقبل منه ومستدير * وجهه بخيل وقفها منهزم

(وقال) عبد الله بن الزبير اهدى بن حاتم بعرض به متى فقتت عينك قال يوم

طعنت في استك وأنت مول يعني يوم الجمل وقيل بل قال له يوم قتل أبوك

وهربت خالتك يعني عائشة وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل

(وقال شاعر يذ كرفارا)

شرده الخوف فازرى به * كذا لمن يكره حر الجلال

منصرف الخفين يشكو الوحي * تبكه أطراف مر وحيد

قد كان في الموت له راحة * والموت حقاً في رقاب العباد

* (تف من احتجاج الفرسان عندما لاقاة الاقران) *

* (في ان دروع الحذر تحرقها سهام القدر) *

قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم (وقال) على رضى الله عنه اذا حلت المقادير حلت التقادير (وقال) هاني بن مسعود الشيباني ان الحذر لا ينجي من القدر وان الصبر من أسباب الظفر * والمثل المصروب ان الجبان حقه من فوقه (وقالوا) السلامة في الاقدام والحمام في الاجسام وأنشد في الحاسة لقطري بن الفجاءة

لا تر كـن أبدا الى الاجسام * يوم الوغى مضوفا للحمام

فلقد اراني للرماح دريئة * من عن يميني تارة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي * اكاف سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * خدع القريحة مارح الاقدام

(وقال) أبو بكر الصديق لما لدن الوليد رضى الله عنهم احين أخرجه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وقالوا) اذا انقضت المدة

لم تنفع العدة (وقال) على رضى الله عنه ان الموت طالب حيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب ان لم تقتلوا تموتوا الا وان أشرف الموت القتل (وقال)

عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

يا نفس ان لم تقتلي تموتي * ان تسلي اليوم فلن تفوتي * أو تبلي فطالما عوفيتي

(وقيل لبعضهم) لو احترست فقال كني بالاجل حارسا (وقالوا) الشجاع موفى

والجبان ملقى وذلك ان المقتول مدبراً أكثر من المقتول مقبلاً

(وأنشد لبعض الشعبان)

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن اتقدما

(آخر)

أقول لها وقد ذهبت شجاعا * لدى الابطال انك لن تراعى

فانك لو سألت بقاء يوم * على الاجل الذي لك لن تطاعى

فصبراً في مجال الحرب صبرا * فاني لالحلود بمستطاع

(وهرب رجل) من الطاعون الى النجف وكان بالكوفة فكتب اليه شريح

القاضي أما بعد فإن الفرار إن يبعد أجلا وإن يكثر رزقا وإن المقام لن يقرب
 أجلا وإن يقل رزقا وإنك والمكان الذي أنت فيه لا يعينان من لا يعجزه هرب
 ولا يفوته طلب وإن المكان الذي خلقت له لا يجعل أحدا إلى حمامه ولا يظلمه
 شيئا من أيامه وإن النجف من ذى قدرة قريب * وهذا الطاعون هو الجارف
 وكان في شوال سنة تسع وستين هلك فيه في مدة ثلاثة أيام مائتا ألف وعشرة
 آلاف * ومات فيه لانس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ولعبد الرحمن بن أبي بكر
 الصديق أربعون ولدا * وأنشد بعض الشعراء يذكر فأترا أصيب
 أبعدت في يومك الفرار فها * جاوزت حتى انتهى بك القدر
 لو كان ينجي من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر

(آخر)

فإذا خشيت من الأمور مقدرا * وفروا منه فمخوه تتوجه
 (ولما) وقع الطاعون بالكوفة فرعبد الرحمن بن أبي ليلى على حماره يطالب
 النجاة فسمع منشد يقول

لن يسبق الله على حار * ولا على ذى منعة طيار
 أو يأتي الخائف على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري
 فكرر أجمع إلى الكوفة (ومن) كلام الحكماء إذا كان القدر حقا فالحرص
 باطل وإذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمأنينة إلى الدنيا حق (وكان)
 معاوية بن أبي سفيان كثيرا ما يشتد في حروبه

كان الجبان يرى أنه * يدافع عنه الفرار الأجل
 فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل
 (ويقال) من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأى
 (وأنشدت لابي علي بن رشيح القيرواني)

الأسر خير من الفرار * والقتل خير من الأسار
 وشر ما خفته حياة * أدت إلى ذلة وعار

(ذم من لزمه الضعف والجزع واستولى عليه الخوف والفزع)

قيل لبشار بن برد فلان يزعم أنه لا يبالي القى واحدا أو ألفا قال صدق لأنه يفر
 من الواحد كما يفر من ألف (وقالوا) فلان إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل

ذهب واذا ذكرت الرماح جس صدره هل ثقب كأنه سلم كتاب الجبن صبيها
ولقن كتاب الفشل أعجميا (وقالوا) فلان تقاصت من الفزع شفتاه واصفرت
من الهلع وجنتاه (وقالوا) فلان اذا نظرت اليه شذرا أغشى عليه شهرا (ومن
أمثالهم) أجنب من صافرو هوطا يرتعلق برجله في الشجر خشية ان ينام
فيسقط وقيل غير ذلك وأشرد من ظلم وهو ذكرا لهام * وينشد ابي القيس
ابن خفاف يهجو جباننا

وهم تركوا أسلم من جباري * رأيت صقرا وأشرد من ظلم
(ومها) هو كناية عن الجبن قولهم فلان شفق على الحياة واغب في طولها (وذم
بعضهم جباننا) فقال لو سميت له الحرب لعاف لفظها قبل معناها واسمها قبل
معناها (وذم آخر جباننا فقال)

اذا صوت العصفور طار وفؤاده * وليث حديد الثياب عند التراث
(وذم آخر جباننا) فقال فلان يزحف يوم الزحف الى خلف ويروءه الواحد
وهو في ألف (وذم آخر جباننا) فقال

لو كنت في ألف ألف كلهم بطل * مثل المجحف داود بن جحان
وتحتك الريح تجري حيث تأمرها * وفي يمينك سيف غير خوان
لصكت أول فرار الى عدن * اذا تجرد سيف في خراسان
(ذكر من لاقى في الحروب الحرب فطوى بساط الارض مجدا في الهرب)
(أبو الطيب المتنبي يذكر مهزومين)

وضاقت الارض حتى أن هاربهم * اذا رأى غير شئ ظننه رجلا
(وقالوا) فلان يفر من صرير باب وطنين ذباب فلان ولي منهزما قد سد الله في
وجهه كل طريق فكانت اخر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان
سحيق (وقال) الجراح يصف هزيمة كالا بل الشواهد الى أوطانها الدوازع
الى أعطانها لا يلوى الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه (وقالوا) فلان
أزهد في الحرب من بنى العنبر وأدهش من مستنظم الماء على المنبر فامتنوا العنبر
فهم الذين يقول قائلهم من أبيات الحماسة

لكن قومي وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر في شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل سوء احسانا

وكان ربك لم يخلق بحسبته * سواهم من جميع الناس انساها
 وأما مستطعم الماء فهو عبد الله بن خالد القسري وسند كرامه في الفصل
 الآتي ان شاء الله * وأظرف شيء هيجي به جبان قول الطرماح بن بكر في بنى نعيم
 من أبيات

ولو أن برغوثا على ظهر قلة * رآته نعيم يوم حرب لولت
 ولو جمعت يوم ما نعيم جوعها * على ذرة معقولة لاستقلت
 ولا خريه جوقوما جبناء

أسود اذا ما كان يوم وليمة * ولكنهم عند اللقاء ثعالب
 * (والمليح) المتناهي في الملاحسة والابداع والاخذ بمجامع القلوب من غير
 دفاع ولا نزاع قول جرير في بنى حنيفة

أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها
 قطع الثمار وسقى النخل عادتهم * قدما وما جاوزت هذى مساعيها
 لو قيل أين هو ادى القوم ما علموا * قالوا لا يحارها هذى هو اديها
 أو قيل ان حام الموت آخذكم * أو تلجموا فرسا قامت بواكيها
 (أبو تمام)

ولما رأى توفيل رايا نك التي * اذا ما استقامت لا يقاومها القلب
 تولى ولم يأل القنا في اتباعه * كأن الردى في قصده هائم صب
 غدا خافا يستجد الكتب مدعنا * عليك فلا رسل فتك ولا كتب
 وما الاسد الضرعام يوما ببارك * فريسته ان أن أو يصبص الكلب
 فترونا الركب تلفح قلبه * وما الروع الا أن يحامر الكرب
 مضى مدبرا شطر الدبور ونفسه * على نفسه من سوء ظن بها ألب
 جفا الشرق حتى ظن من كان جاهلا * بدين النصارى ان قبلته الغرب

* (الفصل الثاني من الباب الثاني عشر) *

في كرم من جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء
 قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم اتى الجمعان انما استلهم الشيطان
 ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم هذه الآية نزلت فيمن فر من المسلمين يوم
 أحد قال ابن اسحق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه ألف

فانخزل منهم عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأس المنافقين ومعه ثلث الناس
ورجع الى المدينة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة رجل
وخرجت قريش في ثلاثة آلاف ومعهم ما تافارس فلما التقى الجمعان وتراعى
الفريقان وجبت الحرب واشتبسه الطعن بالضرب أبلى المسلمون
في الكافرين بلاء عظيما ونودي يومئذ لاسيف الاذوالفقار ولافتى الاعلى
وقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشى غلام جبير
ابن مطعم وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل مصعب بن عمير
وكان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قبله بن قنعة فرجع وهو
ينادى قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قتل والصارخ هو ابليس لعنه الله
أزب العقبة فانجفل المسلمون وكثر الفشل فيهم وتفرق جمعهم عند الارجاف
بقتل من كان يحميمهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب العدو منهم
نكابة حتى خلع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذفه المشركون
بالحجارة فأصابت ربا عيته وشيخ جبينه وكنت شفقه ودخلت خلقتان من خلق
المغفر في وجنته فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح بفيه فسقطت ثناياه فسال الدم
على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه يده وقال كيف يفعل قوم خضبوا
بالدم وجه نبيهم وكان الذي أصابه غيبة بن أبي وقاص وانهمز المسلمون
حتى اتهموا الى المنى دون الاعوض وهم ظانون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتل فركع كعب بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه وعيناه تهران
من تحت المغفر فعرفه فرفع عقيرته يقول أيها الناس أبشروا هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما عرفوه تداعوا اليه وجعل بعضهم يبشر
بعضا ثم نهض المسلمون وقد انشعب صدعهم ونعت بالسلامة بعد الكسر
جمعهم ونهض معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب فأدركهم أبي بن
خلف فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة وطعنه بها في عنقه فرجع الى
قومه وهو يقول قتلني محمد فأت بسرف وهم قافلون به الى مكة وذبح عن
النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله ووقاه يده فسلت اصبعه وجرح
أربعة عشر رجلا وجراحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب الحق
طلحة * وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة

وفيها ولد الحسين بن علي * واستشهد فيه من المسلمين خمسة وستون رجلا
 أربعة من المهاجرين وما بقي فن الا نصار وقتل من المشر كين اثنان وعشرون
 رجلا * وذوالفقار كان لسليمان بن داود عليه ما السلام أهده له بلقيس مع
 ستة أسياف ثم كان لمنية بن الحجاج فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل
 يوم بدر (وفتر) كسرى من ملاقاتهم رام جور فأتبعه الجيش وكان قد أعد
 معه فصوصا من زجاج محتانة الألوان والاصباغ ودنانير من صفر مغشاة
 بالذهب فلما خاف أن يدركه نثر تلك الدنانير والفصوص على الارض فاشتغل
 الناس بجمعها فنجى نفسه (ومن الجبناء حسان بن ثابت الانصاري) ذكر ابن
 قتيبة في كتاب المعارف أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا
 قط قالت صفية بنت المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معنا
 حسان في حصن فارع يوم الخندق مع النساء والصبيان فتر بنا في الحصن رجل
 يهودي فجعل يطيف بالحصن فقلت يا حسان انار الله لا آمن أن يدل علينا
 هذا اليهودي أصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شغل عنا فانزل اليه
 واقله قال يغفر الله لك ما أتاك صاحب شجاعة قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده
 شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه فضربت به باعموه حتى قتلتهم ثم
 رجعت الى الحصن وقلت يا حسان انزل اليه واسلبه فانه لم يمنعني من سلبه
 الا أنه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وكان حسان اقتدى في فعله بهذا
 الشاعر في قوله

باتت تشجعي هند وما علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
 لا والذي منع الابصار رؤيته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب
 للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعيتهم الى نيرانها وثبوا
 ولست منهم ولا أبقي فعالهم * لا القتل يعجبني منهم ولا السلب
 * وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستن في الجاهلية وستين في الاسلام
 * ولا حديد بن أبي فن في هذا المعنى مما انحاه من الاستطراد بالممدوح
 مالي ومالك قد كلفني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف
 أمن رجال المنايا خلتي رجلا * أمسى وأصبح مشتاقا الى التلف
 أرى المنايا على غيري فأفرقها * فكيف أمشي اليها بارزا الكتف

أخلت أن سواد الليل غمرني * وإن قلبي في جني أبي دلف
أخذ قوله فكيف أمشي إليها رزاً لكتف من قول بعض الأعراب وقد قيل له
أخرج إلى الغزو فقال والله أنا أكره الموت على فراشي فكيف أمشي إليه
ركضاً (ولما) دخل هذا الشاعر على المعتز قال له أنت الشاعر الأدم فقال يا أمير
المؤمنين لا يضره سواده مع بيض أياديكم عنده (والفرار السلي) واسمه حنان
ابن الحسك بن مالك فر من بني عوف فعرف في الجاهلية بالفرار وهو القائل
في فراره

وصكتية لبستها بكتيبة * حتى إذا البست نفضت لها يدي
فتركتهم نفض الرماح ظهورهم * من بين منعفروا آخر مسندي
ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعد
(وفر) عامر بن الطفيل يوم الرقم وهو يوم كان لبني ذبيان وأحلافهم على بني
عامر (وفر) عامر بن زرارة بن عدي الدارمي يوم اليسار وكان على بني تميم
(وفر) عمرو بن معديكرب بن عباس بن مرداس وأسرت أخته ربحانة
(وفر) عتبة بن أبي سفيان (وفر) عمرو بن العاص من على يوم صفين فأتبعه
على فلما خاف عمرو أن يدركه كشف عن سوائه فرجع عنه (وفر) عبد الله بن
مطيع بن الأسود يوم الحرمة من جيش مسلم بن عقبة المري العامري وهو
القائل في قتاله لأهل الشام مع عبد الله بن الزبير

أنا الذي فرت يوم الحرمة * والحر لا يفر إلا مرسه
فاليوم أجرى فرقة بكره * لا بأس بالكرة بعد القره
(وفر) أسلم بن زرعة يوم الأهواز من أبي بلال مرداس بن أدية الخارجي وكان
أسلم في ألقى رجل وكان أبو بلال في أربعين فكان أول أميرانهم في الإسلام
وكان إذا ركب بالبصرة صاح به الصبيان في الطريق أبو بلال خلفك (وفر)
عبد الله بن عمر الليثي من قتال النجدية في البحرين وكان وجهه حمرة بن عبد الله
ابن الزبير فكان عمر رأس المحتسبة في الفتنة وفيه يقول الفرزدق
تمنيت عبد الله أصحاب نجدة * فلما لقيت القوم وليت سابقا
تمنيتهم حتى إذا ما لقيتهم * تركت لهم قبل الضراب السرادقا
فأعطيت مائة على الخليله بعلها * وكنت جاري أذتلاق البواشقا

فلم يزل مستحيما من الر كوب حتى فرأى أمية بن عبد الله بن أسد بن خالد بن أسيد
من الخوارج يوم مر داهجر فوجد به أسوة وظاهر (وفر) عبد العزيز بن عبد
الله بن خالد من الأزارقة وكان معه امرأتان له أحدهما غربية من بني ليث بن
كثانة والآخرى أم حفص بنت المنذر بن الجارود فجعلت الكاثنية تنادي ابن
فرسان الطعان فمات عنها رجل من الخوارج أنقلتها وسييت أم حفص وأقيمت
جارية فيمن يزيد فبلغت مائة ألف درهم فوثب عمرو بن حديد بن عبد القيس
فقتلها أنفة لها وذلك أنها كانت من أجمل النساء فأثى بها قطري فقال له
ما جعلك على ما فعلت قال رأيت كافرة حفت على المسلمين فتنتها فغلى سبيله ثم
ان قاتلها بعد ذلك أثى أخاها الحكم فقال له جز الله خيرا ما غسل عنا العار
غيرك وأمر له بعشرة آلاف درهم

(وفي عبد العزيز يقول كعب الأشقرى)

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين منجى دل بوجود نفسه * وملب بين الرجال قبيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منها هاربا بأصيل
سائل بعرضك هل تقادسية * تشكو اليك بعبرة وعويل
(وفر) أخوه خالد بن عبد الله يوم الحضر بالبصرة وذلك أن المروانيين اغتموا
اغفلة مصعب بن الزبير عنهم بالكوفة وكانوا بالبصرة فثار بهم خالد وعوالى
عبد الملك بن مروان فلما بلغ مصعب الخبر أقبل من الكوفة إلى البصرة ففر
خالد منه إلى الشام

(وفيه وفي أخوته يقول الفرزدق)

وكل بنى السوداء قد فر فرقة * فلم يسق الأفرقة في استخالد
فضحت أمير المؤمنين وأنتم * تمدون سودا غلاظ السواعد
(ومن الجبناء الحجاج بن يوسف الثقفي) دخل شبيب بن زيد الخارجي الكوفة
مهرأومعه غزالة زوجته وستون فارسا والحجاج بها في قصره محتفيا منه
فخافت غزالة على شبيب ليدخلن المسجد الجامع وليصلين في مقام الحجاج ففعل
ثم خرج منها وفي ذلك يقول عمران بن حطان الخارجي

(يخاطب الحجاج)

أسد على وفي الحروب نعمة * فتخاه نجعل من صغير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس * تركت مناظره كأمس الدابر
(ومن) * كان يحضر الحروب ولا يقاتل الحجاج وأبو مسلم * ذكر الجاحظ عن
حدثه أن الحجاج كان إذا التقى الجمعان ذهب عنه التدبير فلا يدري ما يأتي وما
يذر وكان أبو كعب مولا هو الذي يدبر الجيش حتى تضع الحرب أوزارها
* وأما أبو مسلم فكان ينصب له عند ملاقاته لعدوه عرش فيجلس عليه ويستد
من آرائه سهامها هداها الصدور والظهور ويجرد من أواصره أسيافا غمادها
الجفون والنحور وزياد وابنه عبد الله وأحمد بن طولون (ومن أظرف ما يحكي)
أن البحتري شرب مع أبي هفان عنده بعض الرؤساء فلما خرجا ركب البحتري
بغلته وأردف أبا هفان خلفه فلما كان ببعض الطريق قال أبو هفان أبا عبادة
من الذي يقول

يلبس للحرب أثوابها * وقال أنا الشاعر البحتري
فلما رأى الخيل قد أقبلت * إذا هو في سرجه قد نرى
فدفعه البحتري من خلفه وقال يا ماص بظرائمه تتنادرو أنت فهد والشعر لابي
هفان ارفج لا قاله على سبيل المداعبة ومن هذا أخذ المتنبى قوله
وإذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزال

(ومن نوادر أخبار الجبناء في مواطن الحروب والبلاء)

(حكى) أن عمرو بن معد يكرب مترجى من أحياء العرب وإذا هو بفرس
مشدود رمح مركوز وإذا صاحبهما في وهدة من الأرض يقضى حاجته فقال
له عمرو خذ حذرك فاني قاتلك لا محالة فالتفت اليه وقال له من أنت قال أبو ثور
عمرو بن معد يكرب قال أنا أبو الحرث ولكن ما أنصفني أنت على ظهري فركب
وأنا في وهدة فأعطني عهدك أن لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري
فأعطاه عهدا على ذلك فخرج من الوهدة التي كان فيها وجلس محبيا بمائل
سيفه فقال له عمرو وما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك فان
كنت نكثت العهد فانت أعلم ما باقي الناكث فتركه ومضى وقال هذا أجبن
من رأيت (وقال) روح بن حاتم لابي دلامة اخرج معي فقاتل وهذه عشرة

آلاف درهم فقال

اني أعوذ بروح أن يقرني * الى الحمام فيستني بنو أسد
ان البراز الى الاقران نعرفه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد خالفك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الناس بالرصد
اذ المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت لحب الموت عن أحد
لو أني مهجة أخرى لجدت بها * لـكنها خلقت فردا فلم أجد
(وخرج) مروان بن محمد لمحاربة الضحالك الحروري فلما التقى الجمعان خرج من
أصحاب الضحالك فارس فدعا الى البراز فقال مروان من يخرج اليه وله عشرة
آلاف درهم فقال أبودلامة أنا وخرج طمعا في الجائزة فرأى رجلا عظيم
الهامة وعليه فرو قد أصابته السماء فابتل ولحقته الشمس فيبس حتى صار
كالقد لا يعمل فيه السيف فلما رآه الفارس جرى اليه وهو يرتجز
وخارج أخرجه حب الطمع * فتر من الموت وفي الموت وقع
من كان يهوى أهله فلا يرجع

نخافه أبودلامة فلوى جواده هربا واتخذ من خوفه في الارض نفقا كما
اتخذ الحوت لنجاته في البحر سربا فقال مروان من هذا القاضع لأنجاء الله
فقال أبودلامة فزولاً أنجاء الله خير من قتل ورجسه الله واسم أبي دلامة زند
بالنون وقيل زبد بالباء الموحدة واسم أمه الجون (وقال) عمرو بن هبيرة
لأعرابي تبرزع من الحرب قاتل وخذا الرزق قال قدم لي رزقي قال حتى تقاتل
قال الأعرابي أرى منيتي معجلة ومنيتي مؤجلة (وقيل لمدني) ألا تغزو
الاعداء قال أنا لا أعرفهم وهم لا يعرفوني فكيف صرنا أعداء (وقيل) وقع
في بعض العسكر هيج فوثب خراساني الى قرسه ليجمها ويفر عليها فصر بالجمام
في الذنب وقال يخاطب القرس هب بجهتك عرضت ناصيتك كيف طالت
(وفتر) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد من أبي فديك فسار من البحرين الى
البصرة في ثلاثة أيام فذكر عنده في بعض الايام الخيل فقال سرت من المهرجانات
الى البصرة في ثلاثة أيام فقال له ما جن من جلسانه ولو ركبته اليوم سرت
اليها في يوم واحد (واجتاز) كسرى في بعض حروبه بشيخ وقد عرى قرسه ونزع
سلاحه وهو مستظل بشجرة فقال يا مقتولا لا يدي أنا في كرب الحرب وأنت على

هذه الحالة فقال الشيخ أيد الله الملك انما بلغت هذا السن باستعمال هذا التوفى
(وقال المهلب) لحبيب بن عوف وكان من جنده في قتال الخوارج كثر على
القوم وخدم ما تبين صحاحافاً وما إلى رأسه وقال أخاف أن يذهب رأس المال
وانشد

يقول لي الأمير بغير نصيح * تقدم حين جذبنا المراس
فما لي أن أطفئك من حياة * وما لي غير هذا الرأس راس
(ولبعض الشعراء)

ولو أن لي رأسين أدخر واحدا * وألقى الأعداء بعد ذلك الواحد
لا قدمت في الهجاء أقدام باسل * ولم ألهباً بالدفع الشدايد
ولكن لي رأساً اذا ما فقدته * وفارقني يوماً فليس بعائد
(ومما ينسب لابي دلامة)

ألا تلمني أن فسررت واني * أخاف على فخارتي أن تحطما
وأيتهم أولادا وأرسل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدم
ولو كان لي نضبان كنت مقاتلاً * بأحداهما حتى تموت فأسلما
(وحكى) ابن حبيب في كتابه المحبر أن حبيبا دخل على المهلب بن أبي صفرة
فأنشده

فقدتك يا مهلب من أمير * أما تندی يمينك للفقير
فقال المهلب هو جنتي فوالله اني لا تبذل لكم مالي وأقيمكم الحروب بنفسى
فقال حبيب اننا نكره القمامة بنا المتأيا فقال المهلب أليس قد قال الاول
اذا المرأة يغش الكريهة أو شكت * حبال المتأيا بالفتى أن تقطعا
فقال حبيب خفن العيش والدعة والاعتياض عن الضيق بالسعة ثم أنشده
ما قاله حين فر من أبي فديك يوم مر داهجر

بذات لكم يا قوم حولي وقوتي * ونصحي وما حازت يداي من التبر
فلما تناهى الامر بي وعسدي وكم * الى مهجتي وليت أعداءكم ظهري
وطرت ولم أحفل ملامة عاجز * بقيم لأطراف الرديفة السمر
ولو كان لي رأسان أهملت واحدا * لكل ردي وأيسض ذي اثر
فصعدت منه ثم التفت الى من حضر مجلسه وقال بثل هذا فليقاتل الأعداء

(وقيل لانسان) اذا رأيت سودا بالليل فاقدم ولا تفرق منه فانه يخافك كما تخافه قال أخاف أن يكون ذلك السواد سمع هذه المقالة قبلي (وقيل) لمطرف ابن عبد الله لم لا يخرج تقاتل مع علي رضي الله عنه قال لو كان لي نفسان قدمت احداهما فان أصابت الحق أتبعتهما الاخرى وليكنها واحدة (ودخل) حميد بن الارقط على الحجاج فأنشده قصيدة شاعر مختارة في صفة الحروب فقال الحجاج أراك فحسب من صفة الحرب أقانئت الابطال وقابلت الاقيال قال لا أيها الأمير الا في النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتهت وأنام نهزم فضحك منه ووصله

(صفات من يدل ثباته بالاجم وقيد بالفرق قدمه عند الاقدام)

قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهر (وقالوا) فلان من خوفه يحسب كل صيحة عليه وكل يد تشرب بالآخذ اليه شاعر

مازلت أحسب كل خيل بعدها * خيلا تكثر عليهم ورجالا

(اخر)

كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

(المتنبى)

وضاقت الارض حتى صارها ربهيم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(اخر)

كان بلاد الله في ضيق خاتم * عليهم فلا ترداد طولا ولا عرضا

(وقالوا) فلان تقلصت من الخوف شفتاه واصفرت من الهملج وجنتاه (ومن أمثالهم) أجبن من المتزوف ضرطا وذلك ان رجلا كان يتعشق نساء وكان يدعى عندهن الشجاعة فنام عندهن يوما فأردن امتحانه فصحن به حاء تلك الخيل فاتبعه مذعورا وما زال يضطرب حتى مات (قال أبو عبيدة) كان خالد بن عبد الله القسري من أجبن الناس وأخوفهم فخرج عليه المغيرة بن سعد فأخبر بذلك وهو على المنبر بالكوفة فدهش من شدة الخوف واصططكت أسنانه وجفت لهانته فقال أطعموني ماء وأدر كوني فقد هلكت عطشا ونزل عن المنبر هاربا (وفيه يقول يحيى بن نوفل)

بل السراويل من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جد في الهرب
(ودخل) الجفاف بن حكيم على عبد الملك بن مروان والاخلطل عنده فلما بصربه
الاخلطل قال يعرض به

الابلج الجفاف هل هو ثائر * بقتلى أصميت من سليم وعامر
(فقال الجفاف)

بل سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكي عمير بالرماح الشواجر
ثم قال يا ابن النصرانية ما طنة لك تجترى على تجمل هذا ولو كنت مأسور لك
لخم الاخلطل خوفا منه وجرعا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير
المؤمنين هبك أجزتني منه في البقطة فمن يجيرني منه في النوم أخذ هذا المعنى
أنه جمع السلي فقال من قصيدة يمدح بها الرشيد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * ضدان ضوء الصبح والاطلام
فاذا تنبه رعبه واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام
(وقالوا) فلان تخوفه أضغاث أحلام فكيف مسوع كلام فلان يرى صوت
الرياح قعقة الرماح فلان اذا خاف طار من خوفه كل مطار وفز فرار الليل
من وضع النهار

* (الفصل الثالث من الباب الثاني عشر) *

* (فبين ايم على الفرار والابحار فاعتذر بما ينفي عنه الملام) *

مع سليمان بن عبد الملك فارتأى قراقل لن يتفعلكم الفرار ان فررتهم من الموت
أو القتل واذا ائتمعون الا قليلا فقال ذلك القليل يزيد (وقال) الوليد بن عقبة
لعثمان بن عفان يقول لك عبد الرحمن بن عوف لم جفوتني ولم أفر يوم أحد
ولم أخلف يوم بدر يعرض به فقال أما فراري يوم أحد فلا تعيرني به فان الله
قد عذاني فبين فاعنه وأما تخلفي يوم بدر فاني كنت أمرض رقية بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت فأخبره عنى بذلك (ونظرت) امرأة جاس
ابن قيس البكري المعروف بالهارب له وقد رآه يشحذ حربه يوم فتح مكة
وهو يقول

ان تقبلوا اليوم فالى الله * هذا السلاح كليل واله
وذو عذارى سربع السلة

فقات ما صنع بهذه الحربة فقال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت اني أرى
أنه لا يقوم لك به شيء قال والله اني أرجو أن أخدمك بخدمهم ثم خرج فلما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وانهمز المشركون يوم الجندمة وفرجاس
حتى دخل بيته فقال لأمرأته اغلق الباب فقالت له وأين ما كنت تقول فقال
لوانك شهدت يوم الجندمة * اذفر صفوان ونزكرمه
اذ قد لحقنا بالسيوف المسلة * لهم نشيش حولنا وهمهمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا نسمع الا غفمه
لم تنطق في اللوم أدنى كلمة

(وذكري) أن كسرى ابرويزنا انهمز من بهرام جور واستجار بملك الروم
فعنفه على هربه وأمد به ستمين ألفا منهم شجاع يعقب بألف فسار بهم الى بهرام
فخرج بهرام لمحاربتة فلما تلاقى الجيشان برز الشجاع لبهرام فضر به بالسيف
ضربة قد بهت نصفين فلفه كسرى وأنقذه الى ملك الروم وقال انما فرغت اليك
من رجل يضرب مثلي هذه الضربة (وذكري) الطرموشى فى كتابه سراج
المثل أن هذه الضربة لم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام وان هذه الرأس
كانت معلقة فى كنيسة من كنائس الروم وكانوا اذا عيروا بانهم زاهمهم من
تلك الوقعة يقولون اقيسنا رجالا هذا ضربههم (وحكى) ان أبا يزيد الطائي
واسمه حرملة بن المنذر دخل على عثمان بن قنقلا فلامه على فراره من الاسد
لما عرف من شجاعته فقال يا أمير المؤمنين لا تلقى لقد رأيت منه منظرا
وشهدت بخبره لا يزال ذكره يمجّد فى قلبي وشخصه يتمثل فى عيني خرجنا نريد
الحرب بن شمر انفساني ملك الشام فأصابنا قبط ذبلت منه الشفاه وعصبت
الافواه فانحزنا الى وادئ شجيرة مغنسة وأطياره مرنّة فخططنا رحالنا
ثم أخذنا نصف حريونا ونذكر مظاولته ومما طلته فبينما نحن كذلك
اذ صوب أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض يديه ثم مالبت ان جال محمما
ومال مهمما فتضعفت الخيل وتكعكت الابل وتقهقرت البغال
فنناقرب بشكاله وناهض بعقاله فخذقنا أبصارنا واذا سبع قد أقبل يتناول
فى مشيته كانه محبوب ويتنظر بعينين كأنهما جرم محبوب له خطيط وصدرة
نحيط ولبلاية غطيط ولطرفه وميض ولا راسا غة نقيض كله يحيط هشما

ويطأ صريحا ذوهامة كالبحن وخذ كالمن وساعد مجدول وعضد مقتول
وكشف شنة البرائن ومخالب كالحاجن فضرب بذنبه الارض فأرهب
وكشرف أفرج عن انياب كالمأول مصقولة غم مفلولة في فم أشدق كالنار
الآخرق ثم تغطى فأشرع يديه وحفز وركيه برجليه فصار ظله مثليه
ثم أقفى فاقشعر ثم مثل فاكشهر وزأرجر جر ثم لحظ فرؤى السماء عرشه
نخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدي
واصطكت الاضلاع وارجت الاسماع وجمعت العيون وانحزمت المتون
ولحقت الظهور وبالبطون وسامت الظنون ثم أنشد

عبوس شمس مصلخد خنايس * جرى على الارواح للقرن قاهر
منيع ويحمي كل واديرومه * شديد أصول الماضعين مكابر
برائنه شئ وعينه في الدبحي * بكمر الغضافي وجهه الشرطائر
يذل بانياب حداد كانها * اذا قلص الاشدق منها خاجر
فقال له عثمان اكنف لا أم لك لقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفتهم حتى
كأنى أنظر اليه يريد موافقي وكان أبو زيد هذا نصرانيا ومات ولم يسلم وقد
ذكر علما الرواة لاخبار العرب وأشعارها هذه الحكاية بأطول مما أثبتناه
لكنا استغنينا بالسير منها عن الكثير لدلالته على الفرض المقصود في ذكره
للاسد بالوصف الشنيع والمرأى الفظيع ليبلغ في الاعتذار عن هربه
مقتضى أربه فلما لم يكن بنا لذكرها على التمام حاجة اقتصرنا على الخلاصة
منها لا المجاجة

*(من) * أحسن من الجبناء في اعتذاره لما قرع على انهزامه وفراره الحارث
ابن هشام وكان قد شهد بدو واشركا فانهزم فصنع حسان قصيدة استطرد
به فيها يقول منها

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولحام
فأجابه الحارث

الله يعلم ما تركت قتاله -م * حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت اني ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضر عدوى مشهدي

وشمت ربح الموت من تلقائهم * في مازق والخيل لم تبتد
فصدفت عنهم والاحبة دونهم * طمعاهم بعقاب يوم مفسد
وأفسد هذا الاعتذار لبعض ملوك العجم فقال يا معشر العرب لقد بلغتم
بإطاعة ألسنتكم وحسن احتجاجكم وجبل أوصافكم مبلغا لم يبلغه أحد
غيركم حتى اعتذرتم عن الفرار بعد ربع بعدكم الاعتذار به لكل من هزم
وتوفي الحرب هذا سنة ثمان عشرة بالطاعون وهو طاعون عمواس قرية بالشام
وفيه الوفا أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهم (ويقال)
أن عبدا لله بن عنقاء الجهمي لقيه بنو عيسى يسوق باهرا أنه أم الحصين ففر عنهم
فغيرته امرأته فقال

أجاعله أم الحصين خراية * على فرارى أن لقيت بني عيسى
لقيت أباشاس وشاسا ومالك * وقبسا فحاست من لقائهم نفسي
جذبة دعواهم وعود بن غالب * أوائلك جاشت من لقائهم نفسي
كان جلود النمر صبت عليهم * إذا جمعوا بين الإباحة والحبس
أتونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن فعل النار بالطيب
فحوت سلمى لم ترق عمامتي * ولكنهم بالطعن قد مزقوا ترسي
وايس الفرار اليوم عارا على الفتي * إذا عرفت منه الشجاعة بالامس
(وقيل لبعضهم) لم انهزم فقال انما لي نفس واحدة وناحية في النظر اليها
ثم لا يذهب رأس المال (وليم) آخر على فراره فقال الحرب سجال وعراتها
لا تنال (وانهزم بعضهم) فأخذ أميرهم يوبخه ويعننه على فراره وقال أعطيت
يدك ولا طعنت ولا ضربت فقال لأن يشتمني الأمير أصلحه الله وأنا حي خير
من أن يترحم علي وأنا ميت (وقيل لا آخر) ولي في حرب ويملك لا ترهب بغضب
الأمير عليك فقال غضب الأمير علي وأنا حي أحب إلي من رضائه عني وأنا ميت
(ومن) * أغالط أعاذيرهم المسكنة وأكذب أساطيرهم المبكنة ما ذكره
صاحب كاليه ودمنه من أن الحارزم يكره القتال ما وجد بدلا منه لأن النفقة
فيه من النذوس والنفقة في غيره من المال (التقي) عسكر ديس بن
صدقة وعسكر الراشد فولى ديس منهم ما فبر القرات يريد النجاة ففقد بعض
أحياء العرب فقالت له عجوز من عجائزهم دبيرا جئت فقال دبير من لم يحيى

(وقالوا) من جبن سلم ومن تهور رندم (وقال) عبد الله بن المقفع الشجاعة متناهية وذلك أن المقتول مقبلاً أكثر من المقتول مدبراً فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة (وقيل لجبان) لم لا تقابل فقال عند النطاح يغلب الكبحس الأجم (وقالوا) الحياة أفضل من الموت إذا كانت النجاة إلى حياة صالحة على أن موتاً في عز خير من حياة في ذل (وقالوا) الفرار في وقت ظفر (وقالوا) الشجاع ملقى والجبان موقى (وقالوا) السلم أزركى للمال وأبقى لانس الرجال (وقال) شاعرهم وهو البديع الهمداني

ماذا ذاق مما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتواني

(وقالوا) الهرب في رقتة خير من الجلد والثبات في غير رقتة (وقال) المتوكل لابي العيناء اني لا فرق من لسانك فقال يا أمير المؤمنين بين العكرم ذو فرق وأجم والثيم ذو وقاحة وأقدام

(الباب الثالث عشر في العفو وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول من هذا الباب)

(في مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو)

قال الله تعالى وليعفووا وليصفحوا لا تحبون أن يغفر الله لكم وقال تعالى فمن عفى وأصلح فأجره على الله وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة (وقال) عليه الصلاة والسلام ان العفو لا يزيد العبد الا عزاً فاعفوا يعزكم الله (ويرى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ما من امام عفا بعد قدرة الا قبل له يوم القيامة ادخل الجنة بغير حساب (وقال) معاذ بن جبل لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما زال جبريل يوصيني بالعفو فقلوا على بالله انظنت أنه يوصيني بترك الحدود (وقيل) لابي الدرداء من أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر وينصر إذا استنصر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عفا عن ظلمه صغيرة أو كبيرة فأجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقربين يوم القيامة (وحده) على ما قاله بعض العلماء وقد سئل عنه هو ترك المكافأة عند القدرة قولاً وفعلاً (وقال آخر) هو السكون عند الاحوال المحركة للانتقام

وهو يجمع أشرف الخلال وأكرم الخصال وأفضل شمائل الجلال وأعلى مراتب الكمال وركن متين وحصن حصين من استند اليه واعتد عليه استنارت له الظلم وأمن من عثرات الندم وعصم من مواقع الندم * ويكنى في شرفه ان الانسان لا يسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محسنا صورا وحيا يجمع عظم القدر الى سعة الصدر (وقالوا) الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة وهو غريزة في الانسان يفتحها واهب الاحسان تصدر عن صدره من الغوائل والادواء صاف من شوائب الكدر ولا قذارة لا استطاع به علم وتفكير ولا تدرك به تفقده وتبصر كما قال أبو الطيب المتنبي
واذا الحلم لم يكن في طباع * لم يحلم تقدم الميلاد

فقد يكون طبيعة ويكون مكتسبا مستفادا بقرن النفس اليه وتنقاد حبا في الحمدة اليه * وبعضه هذا ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا شئ عبد القيس بأبا المنذر ان فيك خصلتين يرضاها الله ورسوله الحلم والامانة فقال يا رسول الله أشئى جيلاني الله عليه أو شئ اخترعته من قبل نفسي قال بل شئ جيلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جيلني على خلق يرضاه الله ورسوله وقال المخالفون لهذا المذهب الحلم بالحلم كما أن العلم بالعلم واستدلو بهذا القول بما يروى أن جعفر بن محمد الصادق كان اذا أذنب له عبدا عتقه ف قيل له في ذلك فقال اني أريد بفعل هذا تعلم الحلم * وقيل كان له عبد سبي الخلق ف قيل له ما بقاء مثل هذا عندك وأنت قادر على أن تستبدل به غيره قال لا تعلم به الحلم ومن ذلك قول الاخنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وأنشد

وايس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا هو عند السخط لم يحلم

كما لا يتم الحلم للمرء وسرا * اذا هو عند العسر لم يحلم

* (ومن) * أحسن الكلام الصادر عن الحكماء في شرف الحلم ومن تتلق به من الحكماء (قالوا) الحلم والامانة توأمان نتيجتهما علو الهمة * وهذا كما ورد عن علي رضي الله عنه أنه سأل رجلا من أهله فارس عن كان أحدملوكم هم سيرة قال أنوشروان فقال علي أي أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والامانة فقال علي هما قوام الملك نتيجتهما علو الهمة * والامانة ترك المجلة بالانتقام عند القدرة قال ابراهيم بن العباس الصولي

لن يدرك المجد أقواما وار كرموا * حتى يذلو وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام
(وقال) قابوس بن وشمكبر العنوع عن الذنب من واجبات الكرم وقبول
المعذرة من محاسن الشيم * ومن كلام اتبوة كاد الخليم أن يكون نبيا (ورأى)
حكيم نزقة من ملك فقال أيها الملك ليس التاج الذي يقفخر به عظماء الملوك
فضة ولا ذهباً ولكنه الوفاق المكل بجوارح الحلم وأحق الملوك بالبسطة من حلم
عند ظهور السقطة (وقال) معاوية لابنه يزيد عليك بالحلم والاحتمال حتى
تتمكن الفرصة فاذا أمكنتك فعليك بالصفح فانه يدفع عنك مضلات الاءور
ويوقيك مصارع المحذور وقال الشاعر

لا تحسب بن الحلم منك مذلة * ان الخليم هو الاعزال المنع
ان جرعوك الغيظ فاجرعه لهم * تؤجر وتحمد غب ما يتجرع
(آخر)

ان التحلم ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة أفضل من الكرم
(وقال معاوية) أفضل ما أعطى الرجل الحلم فانه اذا ذكر ذكر واذا قدر غفر
واذا أساء استغفر (وقالوا) العفو يزين حالات من قدر كما يزين الخلق قبيحات
الصور (وقالوا) الحلم مطية وطية تنفع راكبها قسبة المجد وتلك ناصية الجدة
(وقال) بعض البلغاء من غرس الحلم شجرا وسقاء الاءة دررا جنى العز منه
ثمرا وأثبت المكارم أثرا شاعر

اذا شئت يوما أن تسود عشرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشم
فللعلم خير فاعلم مظنة * من الجهل الا ان تشينه بالظلم
(آخر)

اخفض جناحك للقراية والقههم * بتودد واغضض لهم ان أذنبوا
وصل الكرام فان ظفرت بزله * فالصفح عنهم والتجاوز أقرب
(آخر)

الا ان حلم المرء كرم نسبة * تسامى به عند الفقار كريم
فيا رب هب لي منك حلما فاني * أرى الحلم يندم عليه حليم

وقالوا

(وقالوا) الحلم حجاب الآفات (وقالوا) من غرس شجرة الحلم اجتنتي ثمر السلم
(وقال) عمر بن عبد العزيز ما قرن الله شيئا إلى شيء أفضل من علم إلى حلم ومن
عفو إلى قدرة (وقال حكيم) خيرا لأمور بغية العفو وخيرا لغير العفو ما كان عن
قدرة وقال الشاعر

العفو يعقب راحة ومحبة * والصغح عن ذنب المسمى مجيل

(وقال) عمر أيضا استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس والرحمة بهم - م
والشفقة عليهم (وقالوا) اعف عن لم يسلك من سخطك طريقا حتى يأخذ
من رجائك طريقا (وبروي) عن عيسى عليه السلام أنه قال ليس الاحسان
أن تحسن إلى من أحسن إليك انما تلك مكافأة وانما الاحسان أن تحسن
إلى من أساء إليك (وقال) سعيد بن العاص ما شئت أحدا مذكرت رجلا
لاني ما أشاتم إلا أحد رجلين اما كرميا فأنا أحق أن احتمله أو لثيما فأنا أولى من رفع
نفسه عنه (وقال) عمر بن الخطاب ادرؤا الحدود بالشبهات ولان يخطئ الامام
في العفو أحب إلى من أن يخطئ في العقوبة فاذا وجدت مخرجا للسلم فادرؤا
الحدود (شاعر)

وما بال من أسعى لأجبر عظمه * سفاها وبنوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم * ستملهم منى على مركب وعمر
أعوذ على ذي الجهل والحلم منهم * بجلى ولو عاقبت غرقهم بحرى
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * وما أنا بالواني ولا الضرع الغمر
ألم تعلموا أنى تخاف عزي متى * وان قتلى لا تليين على الكسر

* (من عرف بالعفو عند خطا الجاني وصار بالاناءة عليه كالأب الحاني) *

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حلما رحيما رؤفا عطاء فإيهب ويسمع
ويعفو ويصفح (وكان) كسرى يقول عفوى عن أساء إلى بعد قدرى عليه
أسرتى مما ملكت (وكان) معاوية يقول ما وجدت لذة ألد عندى من غبط
أتجرعه ومن سقه بالحلم أقمعه * وكان يقول انى لا كره أن يكون فى الارض
جهل لا يشمله حلى وذنب لا يسعه عفوى (وكان) المأمون بمن أوتى الحلم
طبعاً لا تطبعاً ومنع العفو خالفا لا تخلفا فكان يقول انى لا سخطى العفو حتى
أخاف انى لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتى فى العفو لتقربوا إلى بالذنوب

فكانه القائل بلسان كرمه وافضاله لا بلسان نطقه ومقاله
وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شقنا وددناه بالجهل
ربحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل
(عامر العدواني)

اني غفرت لظالمى ظلمى * وتركته ذالقه على على
فرايته أسدى الى يدا * لما أبان بجهله حلى
(وكان) يقول ليس في الحلم مؤنة ووددت ان أهل الجرائم عرفوا رأيي في الحلم
حتى يذهب عنهم الخوف فتصفوا الى قلوبهم (وكان) يقول المذنبون ثلاثة
فمنهم من ذنبه مفرون بعذره قد أطمع منه وأخرجه سليما منه ومنهم من ذنبه
فاضح وعذره غير واضح وهو فرد لا أخ له وفذلاته أوم معه فالأولى به أن يقال
إذا اعترف بالجوبة وأخلص الى التوبة ومنهم المتردد في حقواته والمتكرر
في عثراته الجارية عادة أن يكثر التوبة إذا تاب ويفسخ عقد الانابة
متى أناب فذال الذي يعاقب بالاطراح ولا يطمع في شخصه بالفلاح (وكان)
اسماء بن خارجة يقول ما أتاني أحد بما أكره الا أخذت عليه بثلاث خصال
فان كان فوقي عرفت له فضل التقدم فاتبعته وان كان دوني صفت نفسي عنه
وان كان مثلي تفضلت عليه

(نظم محمود الوراق هذه الكلمات في هذه الثلاثة الايات فقال)
سألزم نفسي الصفع عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فان قال منكرا * صفحت له عنه وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زل أو هفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم
(الناشي في مثل هذا)

إذا كان دوني من بليت بجهله * أبيت انفسى ان أقابل بالجهل
فان كنت أدنى منه في العلم والحجى * عرفت له حق التقدم بالفضل
وان كان مثلي في محل من النهى * أردت لنفسي ان أجعل عن المثل
(وقال المأمون) وجدت المسمى الى عبد الله ولو أساء الى عبد لاخ لصفت

عنه اكرام الله فكيف لا اصفح عن عبد مسمى * عبد الله تعالى
(ولابي فراس الحمداني)

ما كنت مذ كنت الاطوع خلاني * ليست مؤاخذه الاخوان من شاني
يجني الخليل فاستجلى جنائمه * حتى أدل على عفوى واحساني
يجني على * واحنودا ثما أبدا * لاشئ أحسن من حان على جان
(وقال رجل) للاحنف في مشاجرة وقعت بينهما ان قلت كلمة لثمة من عشر
كلمات فقال الاحنف لو قلت عشر لم تسمع واحدة

* (ومن) * حكاياته الدالة على كرم نجره القاضية له بتضعيف أجره أن رجلا
جعل له ألف درهم على أن يغضبه فوقف الرجل وبالغ في سبه والاحنف
يعرض عنه غير مكترث به فلما رآه لا ينظر اليه ولا يرد عليه أقبل بعض أنامله
ويقول واسوأ تأوه والله ما يمنع من جوابي الا هو اني عليه ولهذا قيل الحليم
من صمت عن سماع الخنى وأغضت عيناه على مضض القذى

(ما اخترناه واتقينا من غرر المماذج المقولة فيمن أغضى عن المسمى القادح)
(مدح) أعرابي رجلا بالحلم فقال ان أذنبت اليه استغفر فكأنه المذنب وان
أحسن اليك اعتذر فكأنه المسمى * (الحسن بن رجا) في المأمون

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفول يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما
(وقال آخر)

يعفون عن الذنب العظيم * وليس يعجزه اتصاره

صفحا على الباغى عليه * وقد أحاط به اعتذاره

(وقال أبو الحسن مهيأ بن مردويه الديلمي من أبيات)

واذا اباء المرء قال لك انتقم * قالت خلافتك الكرام بل احلم

شرع من المجد انفردت بدينه * وفضيلة لسواك لم تتقدم

حتى لقد ود السرى لوانه * أدلى اليك بفضل جاء الجرم

(ولغيره من أبيات)

فدهره يصفح عن قدرة * ويغفر الذنب على علمه

كأنه يأنف من أن يرى * ذنب امرئ أعظم من حله

* (الفصل الثاني من الباب الثالث عشر) *

فمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسمى الاعتذار

ولنبداً الآن بما يجب على الأحرار من الصفح المتجج بالاقتدار (قال)
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقبل عذراً من معتذ وصادقاً كان أوكاذباً
لم يرد على الخوض (وقالوا) الكريم أوسع ما يكون مغفرة اذا ضاقت بالمسي
المعذرة (شاعر)

اذا اعتذر المسمى اليك يوما * من التقصير عذرتني مقرر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شمة كل حر
(ويقال) توبة المذنب اقراره وشفيع المحرم اعتذاره (وقال الشاعر)
اقبل معاذير من يأتبك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو بفرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا
(وقالوا) لا يظهر الحلم الا مع الانتصار ولا يبين العفو الا عند الاقتدار (شاعر)
ان للاعتذار حظاً من العفو * ويراها المقرب بالانصاف
ولعمري لقد أجلك من قد * جامقرا بذلة الاقتراف
(آخر)

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً * اليك ولم تغفر له فلك الذنب
(وقالوا) ما أذنب من اعتذر ولا أساء من استغفر (وقال) محمد بن شيراز
الا صاغريهفون والا كبريعفون (كتب بعضهم) الى رئيس يعتذر اليه من
ذنب اقترفه

اغتهـ فرزلقى لبحر فضلى * واعف عني ولا يفوتك اجري
لا تكلني الى التوسل بالعذ * ولعلني أن لا أقوم بعذري
(ومن وصاياهم) اياك وتكرير العذر فانه تذ كبير بالذنب (وقال الشاعر)
اذا كان وجه العذر ليس بين * فان اطراح العذر خير من العذر
(ومن وصاياهم) اياك وما يعتذر منه * وقوله اياك وما يسبق الى القلوب
انكاره وان كان عندك اعتذاره فما كل من أسمعته نكرا يطيق أن
توسعه منك عذرا

• (ذكر من قدر من الصدور فعفا وأثلج الصدور بالمنة وشفي) •

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك أن أهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بالقول فقالوا كذاب وساحر ومجنون وغير ذلك من السب والشتم وبعدها بالفعل فكانوا يقصدون نكايته في نفسه وأهله ولكثره أذاثمهم له قال ما أؤذي أحدا مثل ما أؤذيت رموه بالحجارة فشجوا جبينه وكسروا ربا عيته ووضعوا الشوك في طريقه وشقوا الكرش على رأسه وحاربوه وقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وألبوا عليه وأخرجوه من أحب البقاع إليه وقتلوا عمه حمزة وبقروا بطنه ومثلوا به حتى إذا فتح الله مكة على يديه ودخلها بغير جد هم وظهرت بها كلمته على رغبتهم أخذ بعضهم باب الكعبة وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من النضر وقال لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال ما تقولون وما تظنون إني فاعل بكم فقال سهيل بن عمرو يقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء (ولما) ظفروا وشروا بيزر جهر وكان قد ترك دين الجوس قال الحمد لله الذي أظفرني بك قال كفاي من أعطاك ما تحب بما يحب فعفا عنه (وحكى) عن سلم بن نوفل وكان سيد قومه أن رجلا ضرب ولده فشجبه فأثى به إليه فقال له ما جعلك على ما فعلت وما الذي أمنتك من انتقامي منك فقال الرجل انما سودناك لأنك تحلم وتكظم الغيظ وتحتمل جهل البهايل فقال له إني آثرت حلمي وكطمت غيظي واحتملت جهلك خلوا عنه فولى الرجل وهو يقول

تسود اقوام وليسوا بسادة • بل السيد المعروف سلم بن نوفل

(وحكى) أن عبد الملك بن مروان نقم على رجل ذنبا فهرب منه فلما ظفربه هم بقتله فقال له الرجل ان الله قد فعل ما أحببت من الظفر فافعل ما يحبه من العفو فان الانتقام عدل والتجاوز فضل والله يحب المحسنين فعفا عنه • وأساء بعض جلسائه عليه الأدب فاطرحه وجفاه ثم دعا به بعد أيام لامر عن له فرآه صاحب اللون فخيلا فقال له متى اعتلت فقال ما مني • نى • سقم • ولكنني جفوت

نفسى مذجفانى الامير فاستحسن ذلك منه وعفاه عنه (وقال الاصمعي)
 ألقى المنصور برجل ليعاقبه على شئ بلغه عنه قال له أنقصيه فقال يا أمير المؤمنين
 الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيد أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه
 بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين فعفاه عنه (وقال المنصور)
 لئان عجز عن الاعتذار ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيباً أسماً فقال يا أمير
 المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة تلقى بالاستكانة
 والخشوع والذلة والخضوع فرق له وعفاه عنه (وسعى) إلى المنصور برجل من
 ولد الاشترا النخعي ذكر عنه الميل إلى بني علي بن أبي طالب والتعصب لهم فأمر
 بإحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نعمتك وعضوك
 أوسع من ذنبي ثم قال

فهبني مسياً كالذى لمت ظالمًا * فعفوا جيلًا كي يكون لك الفضل
 فان لم اكن للعضوم منك لسوما * أتيت به أهلاً فأنت له أهل
 فعفاه عنه (وألقى) المنصور برجل أذنب فقال يا أمير المؤمنين إن الله أمر
 بالعدل والاحسان فان أخذت في غيري بالعدل فخذني بالاحسان فعفاه عنه
 (وألقى) الهادي برجل فعل ما أنكره عليه فجعل يقرعه ويوبخه ويهدده
 ويتوعده فقال يا أمير المؤمنين اعتذاري عما تقرر عني عليه رد عليك وامسا كي
 عن الاعتذار يوجب ذنباً لم أجنه ولكني أقول

فان كنت ترجو في القيامة رحمة * فلا ترهدين في العضو عني وفي الأجر
 (ولما) خرج إبراهيم بن المهدي على عبد الله المأمون عندما عقد لعل بني
 موسى الرضا بولاية العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضر ~~ك~~كره أهل
 بغداد ذلك وبايعوا إبراهيم وأقبوه بالمبارك وذلك في سنة اثنتين ومائتين فاقام
 سنة واحد عشر شهراً وأياماً يخطب له ثم دخل المأمون بغداد في صفر سنة أربع
 ومائتين وهي السنة التي مات فيها الشافعي وعليه الخضر فاقتنى إبراهيم ولم
 يظهر إلى سنة عشر فلما نظره المأمون أوقفه بين يديه وقد اجتمع في مجلسه
 وجوه دولته ووزرائها وقضاةها وكاتبها وأمرائها وقوادها فاستشارهم
 حضر في أمره فكل أشار بقتله وكان فيمن حضر أحمد بن أبي خالد ساكناً
 لا يتكلم ولا يفيض معهم في شئ من ذلك فقال له المأمون مالك لا تنطق فقال

يا أمير المؤمنين كم قتل مثلك مثله ولم يعف مثلك عن مثله ولان تكون أو أحد
في العفو أحب الي من أن تكون شريكاً في العقوبة فأعجب المأمون كلامه
وعفاه عنه * ويروي أنه لما مثل بين يديه قال له ما جئت على احترام ما أدركت إلى
حقتك قال القدرة تذهب الحفيظة وولي الشارح يري القصاص والعفو
والعفو منك أقرب وقد جعلك الله فوق كل ذي حلم كما جعلني فوق كل ذي ذنب
فان تعف فبفضلك وان تعاقب فبعذلك وانه وان كان ذنبي أعظم من أن يحيط
به عذرفعوا أمير المؤمنين أعظم من أن يتعاطمه ذنب فقال المأمون قد رأيت
وما توفيقي الا بالله تحقيق ظنك في العفو عن خطيئتك واصفح عن جليل
جرمك واقتلك العثرة وامانك على نفسك وأنشد

لما رأيت الذنوب جلت * عن المجازاة في العقاب

جعلت عنها العقاب عفوا * امضي من الضرب للرقاب

(كان) أبو نواس قد غلب على قلبه حب الامين والتهالك فيه والغرام حتى
قال فيه

عذب قلبي ولا أقول بمن * خافه لا أخاف من أحد

اذا تفكرت في هواي له * لمست رأسي هل طار عن جسدي

فاتصلت هذه الايات بالمأمون فقال من يقال فيه هذا يصلح أن يكون خليفة
للمسلمين فبلغ ذلك الامين فأمر بقتل أبي نواس حيث وجد فشفع فيه فأمر
بحبسه ولا يمكن من ورقة ولا دواة فخلق رأس عبده وكتب فيها بالنعم

بك استجير من الردى * متعوذا من سطو بأسك

وحياة رأسك لأعو * دملتها وحياة رأسك

من ذا يكون أبانوا * سكا ان قتلت أبانوا سكا

وكتب نعت الايات اذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يخرقها ثم قال للغلام سر الى
دار الخلافة فاذا جئتها ناد نصيحة لامير المؤمنين فاذا دخلت على الخليفة
اكشف رأسك ليري ما فيها مكتوباً ففعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الامين
الايات ضحك وقال ما أطفه وأظرفه وأمر بإطلاقه (وحكى) عبد الرحمن
اليزيدي قال حضرت مجلس المأمون وهو على شراب فدعاني واكرهني حتى
شربت فكلمني بكلمة في حال السكر فاجبت به عنها جواباً قبيحاً وأفلا أعلم

لما أخذ الشراب منى وغلبة السكر على فاعلمت بذلك بعد انصراف المجلس
فكتبت اليه

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولولم يكن ذنب لما عرف العفو
ثملت فابدى منى الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوى السكر والصحو
تنصت من ذنبى تنصل ضارع * الى من اليه يحسن العفو والسهو
فان تعف عني ألف خطوى واسعا * وان تكن الاخرى فقد قصر الخطو
فلما قرأ المأمون رقعته قال قد صفحنا عنك فان مجلس الشراب يطوى بما
فيه ويقال بل وقع على الرقعة

انما مجلس الندامى بساط * للمودات بينهم وضعوه
فاذا ما انتهى الى ما أودوا * من حديث ولذة دفعوه

حكاه المروزي في كتاب طبقات الشعراء وعرف باليزيدى لانه كان يؤدب ولديزيد
ابن منصور الجعفي خال المهدي (وقال) الحسن بن سهل للمأمون في رجل
مسيء به لي فقال وكيف أهبه لمن ليس به قدرة عليه وعفاه عنه (واحضر) اليه
رجل أذنب فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذلك
الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفاه عنه (وقال الصولي) ما كان
في الخلقاء أحلم من الواصل ولا أصبر منه على أذى وكان يشبه بالمأمون (فما)
ذكر عنه أنه كان يحجبه غناء أبي حنيفة الطنبوري فوجد المسدود المغنى من
ذلك حسدا فكتب في رقعة بيتين يهجو بهما الواصل وكانت الرقعة معه
لا تبرح واتفق ان كتب رقعة يسأل فيها حاجة من الواصل فغلط واعطاء
الرقعة التي فيها البيتان ففهمها فاذا فيها

من المسدود في الالف * الى المسدود في العين

انا طبل له شقق * فيا طبل بشقين

وكان على احدى عيني الواصل بياض والى ذلك فحما المسدود فلما قرأهما علم انهما
فيه فقال له قد غلطت في ورقة الحاجة فاحترس من مثلها ووردها اليه وقضى
حاجته ولم يتغير لها عما كان عليه (ولما) نظفر المتوكل بمحمد بن المغيرة الربيعي
وكان قد خرج عليه في سنة أربع وثلاثين ومائتين فلما وقف بين يديه وهو
مكبيل قال له ما حملك على أن خرجت على وأنت لا ذومال ولا ذومدد من رجال

فقال الشقوة والجن يا امير المؤمنين وانت الحبل المدود بين الله وبين خلقه
واني بين ظنن أسبقهما الى قلبي اولى بك من الآخر ثم أنشد

أبى القوم الا انك اليوم قاتلي * امام الهدى والعفو في الله أجل
وهل أنا الا جيلة من خطيئة * وعفوك من نور الخلافة يجبل
تضال ذنبي عند عفوك قلة * فن بعفو منك والعفو أفضل
وانك خير السابقين الى التقى * ولا شك أن خير الفعالين تفعل

وأمر بقتل قيده وغله وخلع عليه وأمر له بصله (وهجما) الحبيص بيص الشاعر
المستترشد فاباح دمه فهرب الى ديس بن صدقة ثم عاد الى بغداد مستخفيا
وكتب الى المستترشد يستعطفه لولا جرائم العبيد لم يظهر حالم الموالي وقد
أتيتك مستجير بـ عفوك من سطوتك وبحملك من نعمتك فوقع على رقبته
ليوغر بمسارعة العفو مع عظيم الجرم احتقارا بالمعصية

(٢)

* (مكرمة لا تظير لها ولم يكتب المؤرخون مثلها) *

حكوا عن محمد بن جند الطوسي أنه كان يوما على غذائه واذا بفجعة عظيمة على
الباب فرفع رأسه وقال لبعض غلمائه ما هذه الضجة من كان عند الباب
فليدخل فخرج الغلام وعاد وقال يا مولاي ان فلانا أخذ وجي به موثوقا
بالحديد والغلمان والشرط ينتظرون أمرك فيه فرفع يده من الطعام سرورا
بأخذه فقال رجل ممن كان حاضرا عنده الحمد لله الذي أمكنك من عدوك
فسيملك أن تسقى الارض من دمه وقال آخر بل يصلب حيا ويعذب حتى
يموت وتكلم كل أحد بما وفق له وهو ساكت مطرق ثم رفع رأسه وقال يا غلام
فك عنه وثاقه وأدخله الينامكرما فلم يكن بأسرع مما امتثل أمره وأدخل
اليه رجل لادم فيه فلما رآه هش له ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام وجعل
يسطه ويلقمه حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة وصله بجيلة وأمر
برده الى أهله مكرما ولم يعاتبه بحرف واحد على جنايته ثم التفت الى جلسائه
وقال لهم ان أفضل الاصحاب من حض صاحب على المكارم ونهاه عن
ارتكاب الماثم وحسن له ان يجازي الاحسان بضعفه والاساءة عن اساء اليه
بصفحه انا اذا جازينا من أساء الينا مثل ما أساء قايين موضع الشكر عما أتبع من
الظفر انه يغني لمن يحضر مجالس الملوك أن يمسك الا عن قول سديد وأمر

رشيد فان ذلك اذوم للنعمة وأجمع للالفة ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم (وأحسن منها) ما كتب به المعتصم الى عبد الله بن طاهر عافانا الله وإياك قد كانت عليك هناة غفرتها لك لاقتداري عليك وقد بقيت في قلبي عليك حزازات أخاف عليك منها عند نظري اليك فان انك مني ألف كتاب استقدمك فيها فلا تقدم وحسبك معرفة ما أنا عليه لك اطلاقي اياك على ما في ضميري والسلام

(ومن) أحسن من الاماثل الى من أساء اليه وأسبل عند القدرة ستر المن عليه يزيد بن المهلب وذلك أنه بلغه أن حزة بن بيض الشاعر هجاء فأحضره وأمر بتجريد وضربه وكان عليه حلة ديباج كن المهلب وهبالة فعرسزها فأمر بتفريقها فلما عزم على ذلك راه يزيد بهمهم بشقيقه فقال له ويحك ما الذي تقول قال قلت

لعمر كما الادياب خرقت وحده * ولكنما خرقت جلد المهلب فاطلقه واعتذر اليه ووصله (ولما) ظفر الحجاج بمحمد بن عبد الرحمن بن الاشعث وكان قد خرج عليه وخلع عبد الملك بن مروان فأمر بضرب أعناق الجند الذين ظفروا بهم حتى أتى على رجل من بني تميم فقال والله أيها الامير لئن أسأنا في الادب لما أحسنت في العقوبة فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن بمثل هذا وأمر باطلاق من بقي وعفا عنهم

(ومن اخبار الحجاج في العقوب) عن عدوه بعد الظفر به ما حكى أنه لما ظفر بعامر بن خطاب مع جماعة من الخوارج الصفرية وكان حنقا عليه لبسالته وشجاعته ونكايته في أصحابه فقال يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عامر يا حجاج بدس ما أدبك أهلك أبعث الموت غاية استنعتك بها ما يؤمنك لو رددت عليك اضعاف ما قلت فاستجاب الحجاج منه وقال له أفنيك موضع للصنعة قال أجل فأمر له بفرس وسرج وسيف وخلي سبيله (ويقال) انه لما صار الى أصحابه قالوا له عد الى قتال الفاسق فانه أطلقك فقال هيات غل يد اطلقها وارتهن رقبته معتقها (وقال)

أأ قاتل الحجاج عن ملكوته * بيد تقربانها مولاته

اني اذا لاخوالد ناة والذي * عفت على عرفانه جهلانه
 ماذا أقول اذا وقفت اراءه * في الصف واحتجت له فعلانه
 أقول جرت على اني عند ذا * لاحق من جارت عليه ولانه
 نالته لا كدت الامير بالآلة * وجوارحي وسلاحها آلاله
 أكيدته وعلى تخطيطه خالقي * وعليه رجة مالكي وصلانه
 لا شدمن كفر الكفور ووجدته * نار تسوء للفمها حالانه
 وتحدث الا كفاه أن صنائعا * غرست له قنطرة فخللته
 أيت الحزامه ان أيت مصعرا * خدى وخيل الحق منتعلانه
 فاليكم عني قاني مقلت * هيباته لا يجبرني افلاله
 (نقم) طلحة بن جعفر المتوكل المنعوت بالموفق على هرون بن عبد الملك فوقف
 بين يديه وأنشد

يا بني هاشم بن عبد مناف * لكم حادث العلاء والقديم
 ليس عندي وان تغيرت الا * طاعة محضه وقلب سليم
 وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عز وعنتهم تقويم
 فعفا عنه ووصله (وكان) المهلب بن شاهين الشاعر عاملا بنهر فروة ونهر رجا
 لعزير الدين فظهرت عليه خيانه فاشخصه وتوعده فلما مثل بين يديه قال
 قل للعزير اذام ربي عزه * وأنا له من خيره مكنونه
 اني جنيت ولم تزل نسل الوري * يهبون للعدا ما يهجنونه
 ولقد جمعت من الجنون فنونه * فاجمع من الصبح الجميل فنونه
 من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن جرم الذي هو دونه
 فعفا عنه وأعادته الى عمله (وقال أبو الفتح) محمد بن أردشير كنت بالسرجان مع
 الوزير أبي غالب الحسن بن منصور الملقب بذي السعادتين فاتفق أن شربت
 عنده يوما فسكرت سكر اسقط معه سقيتي من كمي وفيها رفاع قد أعطانيها
 أربابها لا تميز لهم نوقيعاته عليها ومن جلتها رقتان بنحطى قد كتبت
 في احدهما

يا قليل الخير موقور الصلف * والذي في البغي قد حاز السرف
 كن لئما وتواضع تختمل * وكرما يحتمل منك الصلف

(وفي الاخرى)

باطارق الباب على عبد الصمد * لا تطرق الباب فثام أحد
فأخذ السفينة وفتحها فوقع على الرقاع بجميع ما فيها ووقع على الرقعة التي
فيها البيتان يطلق له ألف درهم وعلى الاخرى التي فيها البيت الواحد يوجب
له في كل شهر ألف درهم من اتصال الشهر الذي نحن فيه وردا لجميع
الى السفينة وجعلتها في كفي وأضجت من الغداة ولا علم عندي بما جرى
فاستدعاني الى الطعام وقت الظهر فلم ير عندي أثر للفعلة التي فعلتها اذا
وأنا من الضالين ولا سمع مني شكر ا على منيعة فقال لي وقفت على الرقاع قلت
لأبيها الوزير ثم ذكرت ما كان في الاوراق فتصيبت عرفا واشتغل قاي لما وجد
فيها بخطي فنهضت الى الرقاع فتأملتها وعدت اليه فذكرته واعتذرت
بما وجد فقال لا تنعذر فانا ناستحققه اذا لم نقض واجبا ولم نراع صاحبنا
(وحدث) محمد بن هلال بن المحسن الصابي في كتاب الهفوات عن الفرج
الرماني الكاتب قال قدم علينا أبو القاسم المعمر بن الحسين المدبلي مع الوزير
أبي القاسم العلامة بن الحسين الاهوازي وكنت اذ ذاك كاتب الانشاء
وخليفة العلاء فبعث الى المعمر يطلب مني بغلة مسرجة ولم تكن منزلته
عندي منزلة من أراعيه فرددت الرقعة مع رسوله ولم أجبه عنها ثم انه بعث الى
الرقعة وعلى ظهرها مكتوب

عسى سائل ذو حاجة ان منعه * من اليوم سو لا أن يكون له غد
فانك لا تدري اذا جاء سائل * أنت بما تعطيه أو هو أسعد

فاعدت اليه الرقعة من غير جواب كما فعلت أولا وضرب الدهر ضرباته فصرف
العلامه وزير المدبلي وكنت اذ ذاك متوليا أعمالا كثيرة فانفذ الى من أشخصني
الى شيراز ووردت عليه وأنا لا أشك في قتلي أو القبض على لما تقدم من سوء فعلي
معه فقربني وأكرمني وأقت متريدا اليه اياما وهو يز يد في برى واكرامى وأنا
من فعله متعجب وله مستظرف فلما كان بعد أيام قت من مجلسه منصرفا فاتبعتني
الحاجب وقال الوزير يريد أن يخالوك فلم يداخلي ريب في القبض على فآقت
خائفا أتقرب ما يأمربه في فلما خلا مجلسه استدعاني وأسر الى بعض خدمه شيئا
فخفي وعاد مع الرقعة بعينها فسلها الى فلما رأيتها وددت أن الارض

ساختني وقرأت بحيث يسمع باليتنى من قبل هذا وكنت نسيباً منسياً فقال لي
لا ترع أو قفك على سوء فعلك حتى لا تستصغر بعدها أحداً وتطرح مراعاة
العواقب وليكن هذا الفعل لاخلأقلك مهذباً ثم خلع عليّ ووصلني وردني إلى
عملي (والى هذا) أشار بعض البلغاء الحكماء في التكريض على اصطناع
الكرام الخافضة من أقدارهم الأيام في قوله أحسن إلى كل من له سابقة
في الأدب وسابقة في الفضل ولا يزه ذلك فيه سوء الحاجة منه وإدبار الدولة
عنه فانك لا تخلو في اصطناعك له واحسانك اليه من نفس حرة تلك رقتها
أو مكرمة حسنة توفى حقها فان الدهر يجبر كما يكسر والدولة تقبل ثم تدبر
ومن زرع خيراً حصداً جراً ومن اصطنع حراً استفاد شكراً وأنشد
وعلمن الرحمن فضلاً ونعمة • عليك إذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن إذا حاجة جاء راغباً • فانك لا تدري متى أنت راغب

(والجيد في هذا المعنى قول من قال)

لا تحقرن امرأ قد كان ذائعة • فكم وضع من الاقوام قدراً ساء
فرب قوم جفونا هم فلم نرهم • أهلاً لحمد متنا صار والعاروسا
(عدنا والعود أحمد) دخل أبو الصقر اسمعيل بن بلبل قبل وزارته للمعتمد
على صاعد بن مخلد في وزارته وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة فسأل صاعد عن
رجل فقال أبو الصقر أنني يريدني فقال ابن ثوابة في الخمر فتضاحك الناس
ونجل أبو الصقر فلما ولي أبو الصقر الوزارة دخل عليه ابن ثوابة وقال تالله لقد
آثر الله علينا وان كما لحاطين فقال أبو الصقر لا تريب عليك اليوم يا أبا
العباس يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين (وحدث) أبو هريرة الشاعر المصري
قال خرجت يوماً إلى بركة الحبش بمصر مستنزه في أيام الربيع حين أخذت
الأرض زخرفها وازيفت ومعى آية شراب وكتاب وكانت تلك عادتي في كل
سنة فجعلت أشرب وأنادم كلابي طول يوم فلما كادت الشمس أن تغرب وتلج
في أجنحة الطير أخذت في الانصراف إلى منزلي وأنا نامل فينا أنا ومشى وإذا
بفارس خرج من مصر ملتئماً لا بين من وجهه غير عينيه فسلم وقال من أين
أقبل الشيوخ فقلت في نفسي أجن الرجل ومن يرى معي فالتفت فإذا خلني
ذودتيوس وراع يسوقه فقلت حضرنا ملاك الوالدة أم لك الله فضحك

وانصرف ولما كان بعد أيام دخلت الى الامير تكين في حاجة فقضاها الى
وأسرى بألف درهم وقال هذه حق حضورك ذاك الملاك فعلت أنه الذي
لقبني فأخذتها وانصرفت

• (ملح مكارم يغتبط بها القلب والسمع لدلالته على كرم التجار والطبع) •

(قتل) للاحنف بن قيس ولد وكان قاتله أخو الاحنف فأتى به مكتوباً بالباخذ به
فلما رآه بكى وأنشد

أقول للنفس تأييباً وتسليّة • احدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه • هذا أخي حين أدعوه وذاولدي
• (ولا تخفى معناه وقد قتل قومه أخاه ولم يقصده أحد بنكاية ولا توحاه) •

قوى هم قتلوا أميم أنى • فاذا رميت بصيني ممي
فلئن عفوت لأعفون جللا • ولئن سطوت لأوهن عظمي

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقري بينا
هو ذات يوم جالس في داره إذ أتته جارية بسقود عليه شواء فسقط من يدها على
ولده صغير فذات فدهشت الجارية واختلط عقلها فلما رأى ذلك منها قال لا روع
عليك أذهبي فانت حرة لله تعالى (خير منها أو مثلها) ما حكى أن بعض ملوك
الفرس وكان عظيم المملكة سبي الملكة شريف الهمة شديد النعمة قرب
إليه صاحب مطبخه طعاما فوقعت نقطة من الطعام على المائدة فزوى لها
الملك وجهه وأعرض عنه أعراضا تحقّق به الطباخ قتله فعمد الى العصفرة
فكفأها على المائدة فقال له الملك ما حملك على ما فعلت وقد علمت أن سقوط
النقطة أخطأت بها يدك ولم يجبرها نعمدك فما عندك في الثانية قال استحييت
أن أسمع عن الملك أنه استوجب قتلي واستباح دمي مع قديم خدمتي ولزوم
حرمي في نقطة واحدة أخطأت بها يدى ولم يجبرها نعمدى فأودت أن يعظم
ذنبى ليحسن بالملك قتلى ويعذر في قتل من فعل مثل فعلى فقال الملك ان كان
حسن صنيعك ينجيك من القتل والتعذيب فليس منجيك من التأديب
اجلدوه مائة واخلعوا عليه خلع الرضا وسقوه انعاما يؤذن بالعفو
عما مضى

ولنعقب هذا الفصل من لطيف الاعتذار
ما تستعطف به القلوب بعد النفار

جوى بين الحسين بن علي وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام
وافترقا متغاضيين فلما وصل محمد إلى منزله كتب إلى الحسين بعد البسملة
من محمد بن علي إلى أخيه الحسين بن علي أما بعد فإن لك شرفا لا يبلغه وفضلا
لا أدركه فإن أمي امرأة من بني خنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وفتن بأملك فإذا قرأت رقتي
هذه فالبس رداءك وتعليك وسرا إلى لترضيئي وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل
الذي أنت أولى به مني والسلام فلبس الحسين رداءه وتعليه وجاء إليه وترضاه
(وكان) في قلب الأمين من اسحق الموصلي شيء فأهدى له جارية فردتها فكتب
إليه اسحق

هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت أمر لي فأنكشف
فإن كنت تهقد شيئا مضى * فهب للخلافة ما قد سلف
وجدد لي بالهـ فوعن زلتى * فبالفضل تأخذ أهل الشرف
فلم يفعل فكذب إليه

أنت ذنبا عظيما * وأنت أعظم منه
نقد بهقك أولا * فامن بصفتك عنه

فعاد إلى الجليل (وقال) أبو بكر الصولي أحسن رقعة كتبت في الاعتذار
رقعة كتب بها الرازي إلى أخيه المتقي وكان قد جرى بينهما كلام بمحضرة
المؤدب وكان المتقي قد اعتدى على الرازي أنا معترف لك بالعبودية فرضا
وأنت معترف لي بالأخوة فضلا والعبد يذنب والمولى يعفو ويغفر وقد قال
الشاعر

يا ذا الذي يغضب في غير شيء * اعتب فعتباله حبيب إلى
أنت علي أملك لي ظالم * أعز خلق الله طرا على

فلما وقف المتقي على الرقعة هبت عليه منهار ياح الأريحية فعطفت منه
عواطف النفس الالية ومضى إليه راضيا وأكب عليه باكا وانحسرت
بينهم مواد الهجر بقبول صادق العذر وأزيل مصون الحق وانظم

بانتظام الشمل انتظام العقد (وقع) ذو الرياستين الفضل بن سهل الى طاهر بن
 الحسين والله يانصف انسان لئن أمرت لانفذن ولئن أنفذت لابرمن ولئن
 أبرمت لاتلفن فاجابه طاهر انما أنا أعزك الله كالامة السوداء ان حمل عليها
 دمدت وان رقه عنها أمسكت وان عوقبت فبها وجب عليها وان عني
 عنها فبالاحسان اليها ففعا عنه (وما اللطف) ما كتب به بعض الفضلاء الى
 أخيه يستعطفه أنت سليل نبوة وشقيق أخوة أصلها من سوحة وقرعها
 من دوحة فمن لذة أوان ونشوان زمان ورضيعا لبان وركيضا أمومة
 وغصنا جرثومة درجا من وكر ومهدا في حجر فكيف نوقظ عين الدهر
 وتبسط يد الهجر وتنبه غاي الرقاد والحسود لنا بمرصاد (وكتب آخر)
 الى صديق يستعطفه أصفيت لك ودي واكديت لك عقدي ومنحتك اخائي
 ولم أترك لك صفائي فقرب الاخاء بالودائع الغلة وأنفع للعله وأسكن للروعة
 وأشقي للوعة وأطفأ للحرقة وأنس للفرقة (وقال) أعرابي لاميرنقم عليه
 هذا مقام من لا يتكل على المعذرة بل يعتمد منك على المغفرة (وقال آخر)
 لان يحسن في العفو وقد أسأنا في الذنب أولى من أن يسئ بالعقوبة وقد
 أحسننا في الاعتذار (واعذر آخر) فقال لذت بعفوك واستجرت بصفحك
 فاذا قني حلاوة الرضا وأجرني من حرارة السخط فيما مضى (وكتب آخر) لكل
 ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة وسياهم مغفورة وذنب مثلي
 من العامة لا يغفر وكسره لا يجبر وان كان ولا بد من العقوبة فعاقبني
 باعراض لا يؤدي الى ابعاد ولا يفضي في الصفح الى ميعاد ولان تحسنوا
 وقد أسأنا خبر من أن تسيؤا وقد أحسننا فان كان الاحسان منافا
 أحقكم بمكافاته وان كان منكم فما أحقكم باستتمامه آيات في المعنى
 أقل ذا الودعة غفرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمة
 ولا تسرع بمعقبة اليه * فقد يهفو ويته سلمه

(آخر)

أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا * وأين لعبد من مواليه مهرب
 يؤمل غفرا فان خاب ظنه * فما أخدم منه على الارض أخيب

(آخر)

ان كان ذنبي قد أحاط بزاتي * فأحط بذنبي عفوكم المأمولا
فأقد رجوتكم في الذي لا يرتجي * في مثله أحد قنلت السولا
وضلت عنكم فلم يكن لي مذهب * فوجدت حملك لي عليكم دليلا
(آخر)

يا من أسأت وبالأحسان قابلني * وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يا مولاي معتذرا * وأنت للعفو مرجو ومأمول
(آخر)

ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا * والحزب يفضي ويهفو وهو معترف
والعفو بعد اقدار فعله كرم * والهجر بعد اعتداء فعله شرف
عاقب بما شئت غير الهجر أرض به * فالهجر فيه لآحزان الفتي تلف
(آخر)

هبنی أسأت فأين الفضل والكرم * اذ قادتني نحوك الاذعان والقدم
يا خير من مدت الابدى اليه أما * ترى لشيوخ نعا عندك الهرم
بالفت في السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحوا رجوا
(الخيزراني)

فمن قوم نرى فراقك عيبا * ونرى القرب منك حقاً وفرضا
أنت ان كنت قد غضبت جعلنا * لك حر الوجوه أرضاً لترضى
(آخر)

لبالي صدودك ليست تضي * وعمر تجنيك ما ينقضي
وما يالف القلب يا سيدي * سوى ما يحب وما ترضي
(آخر)

ما أحسن العنوم من القادر * لاسيما من قادر قاهر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فإله غيبرك من غافر
بجرمة الود الذي بيننا * لا تنفسد الا قول بالآخر
(آخر)

أسأت اليك ثم أسأت عودا * فأين عوائد الصفيح الجليل
وأين العفوم من مولد عزيز * يجوده على غيبه ذليل

(آخر)

ان كنت عبدا مذبنا * فاعطف على بحسن رايت
أو كنت لست بمذب * فدع التماذي في جفائك

(بعض العرب)

فهل أيت اللعن لا تحزيتنا * بذب امرئ أمسى من العلم معدما
فما العبد بالعبد الذي ليس مذبنا * وما الرب بالرب الذي ليس منعما

(آخر)

وما قابلت سخطك باعتذار * ولكني أقول كما تقول
سأطرق باب عقولك باعتراف * ويحكم بيننا الخلق الجميل

(آخر)

هبنى كما زعم الواشون لا رجوا * أنى أسأت وزلت مني القدم
وهبك جار على ذا العهد في جرم * لم أجته ضاق منك العقو والكرم
ما أنصفتني في حكم الهوى أذن * تصفى للوى وعن عذرى بها صمم

(آخر)

أخلاقك الغر السجايا مالها * حلت ردى العنف وهي سلاف
والبشر في مرآة وجهك ماله * يخنى وأنت الجوهر الشفاف

(آخر)

ليت شعري وقد تماذى بك الهجر * رأمتك الجفاء أم كان مني
فلئن جنته فعنك عفا الله وان كنت جنته فاعف عني
وكل الناس عيال على النابغة الذي ياني في قوله للنعمان بن المنذر من أبيات
جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك رية * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جنابة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
فلا تتركني بالوعيد كأننى * إلى الناس مطلى به القاء أجرب
فليت بمستبق أخالاته * على شعث أى الرجال المهذب

(أبو نواس يستعطف الأمين وكتب بها إليه من الحبس)

تذكر أمين الله والعهد يذكر * مقامى وإنشاديك والناس حضر

ونثرى عليك الدم بادرهاشم * فمن ذارأي دمر على الدريتر
مضت لي شهر ورمذ حبست ثلاثة * كافي قد أذبت ما ليس يغفر
فان كنت لم أذنب فقيم حبستي * وان كنت ذاذنب فعقولاً أكبر
(اسحق الموصلي)

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أُملي * لعنوك اليوم عن ذنبي وعن ذللي
فان يكن ذاودا عندي قد اجتمعا * لانت أعظم من ذنبي ومن أُملي

* (الفصل الثالث من الباب الثالث عشر) *

في ذم العفو عن أساء وانتهك حرمت الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وقال
تعالى ولئن اتصرت بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (وقد ثبت) أن النبي
صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أبي عزة الشاعر لما كان يعرض به من أذى النبي
صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفي فعله لنا سوءة قول
ابن اسحق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يا رسول الله تصدق بي على بنيائي وأعف عني عفا الله عنك قال نعم علي
أن لاتعين علي بقول ولا فعل فعاهدته على ذلك وخلي سيده ثم انه خرج مع أبي
سفیان يحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدني على أن لاتعين علي بقول
ولا فعل فقال غلبت فتصدق بي على بنيائي وأعف عني عفا الله عنك فقال عليه
الصلاة والسلام ان العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من
جحر مرين ثم أمر بقتله فقتل

* (فما للحكام من تحريض الحر على مقابلة المسي بالنكال المر) *

قالوا تواضع للمعسن اليك وان كان عبدا حبشيا واتصف بمن أساء اليك وان
كان حرا فريشا (وقال) علي رضي الله عنه وكرم وجهه الخبير بالخبر والباري
أكرم واشرب بالشر والباري أظلم (وقال الشعبي) يهيج الرجل اذا سبه
هو انادعته الانفة الى المكافاة وجرأ سيئة بيته لها فبلغ كلامه الحجاج
فقال لله دره أي رجل بين جنبيه وتمثل
ولا خير في عرض امرئ لا يصونه * ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه

(وقالوا) من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف (وقالوا)
 من مال معك الى الحيف فلا تبخلن عليه بالسيف (وقالوا) السفيه يخالف
 ولا يوافق ويمارى ولا يدارى * وقال أوس بن حسان
 اذا المرء أولاك الهوان فأوله * هو انا وان كانت قريبا وآخره
 فان أنت لم تقدر على أن تهينه * فدعه الى اليوم الذى أنت قادره
 وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة * وصمم اذا أيقنت انك عاقره
 (وقيل لأعرابي) أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسمى الى من أساء اليك قال لا بل
 يسرنى ان أدرك النار وأدخل مع فرعون النار * أبو عبادة المجترى
 تدم الفتاة الرود شمة بعلمها * اذا بات دون النار وهو ضجيعها
 (ويقال) انما هو مالك وسيفك فازرع بمالك من شكرك واحصد بسيفك
 من كضك وقال الشاعر

قط العدى تط البراعة وانتز * بظبا السيوف سوائم الاضغان
 ان البساق ان توسع خطها * أخذت اليك ما أخذ القرزان
 (وقال المأمون) الحلم يحسن بالملوك الا فى ثلاثة أشياء فادح فى ملك ومتعرض
 بمجرم ومذيع لسر (وقال أعرابي) لابن عباس أتخاف على جناحان ظلمنى
 رجل فظلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال ولئن اتصرت بعد ظلمه فأولئك
 ما عليهم من سبيل وقال الشاعر

اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل أعنى وأروح
 وفي الحلم صغروا والعقوبة هيبه * اذا كنت تخشى أيمن عنه تصفع
 (آخر)

أرى الذين ضعفوا والتشجع هيبه * ومن لا يهب يحمل على مركب وعمر
 وما كل حين ينفع الحلم أهله * ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر
 (وقال الجاحظ) من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله فى تدبيره وظن أن
 رحمة الله دون رحمة فانه تعالى يقول من يعمل سوءا ويجز به وقال تعالى فمن يعمل
 مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فخازى على الخير بالتواب
 والشرب بالعقاب (وقال) اكثم بن صيفي من تعد الذنب فلا ترجمه دون
 العقوبة فان الادب رفيق والرفق بمن * وقال ابو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى

من الحلم أن يستعمل الجهل دونه * اذا انتفعت في الحلم طرق المظالم
(آخر)

من أكرم الناس أكرموه * ووقروه وبعيلوه

ومن يهينهم يهين عليهم * في حرأمية يخلوه

(وقال الشافعي) من استغضب فلم يغضب فهو جارك كما أن من استرضى فلم يرض
فإنما هو جبار (وقال رجل) لا بن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل قال
ما أحب ان أحل لك ما حرم الله عليك (وقال) على كرم الله وجهه ودالجبر من
حيث جاء فان الشر لا يدفع الا بالشر وقال الشاعر
ألا لا يجهلن أحد علينا * فتجهل فوق جهل الجاهلينا

• (احتجاج من جازى السيئة بمثلها ممن ملك عقدا الامور وحلها) •

لما ولي طاهر بن عبد الله بن الحسين خراسان بعد موت أبيه استؤمر في رجلين
أحدهما ضعيف والآخر عليل فوقع في أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ
فان يكونا بمن لا يؤمن شرهما فدمهما مكانهما ما فان من أطلق مثلهما على
الناس فهو شر منهما وشر يكهما في اعمالهما (واعتذر) بعض بني أمية
الى السفاح فهم بالصفح عنهم فقال أبو مسلم ان الصفح مقرب الى الله تعالى
مبعد من النار اذا قصد طريقه وأصيب به أهله وأما هؤلاء الذين تضمنت
قلوبهم غدرا وأورى زندهم شرا فلم تنفذ غائتهم ولا فنيب بوائقهم فالقتل
اهم اشقى والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا (ودخل) اسمعيل الملقب
بسديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد ادناه واعطاه يده
فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدي السفاح وأنشده قصيدة بمدحه
فيها وبحر ضه على قتل من ظفريه من بني أمية جاء منها

يا ابن عم النبي أنت ضيه * استبنا بك اليقين الجلبا

يا وصي الشهيد أكرمك الله فقد كنت للشهيد وصيا

لا يغرنك ماترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض في القديم فاضمى * تابسانى قلوبهم مغطويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل واذا المنديل قد ألقى في الخندق سليمان ثم جرد فذبح

(ومن الاغراء وان لم يعتمد) لما أساءت البرامكة على الرشيد وأراد الايقاع بهم جعل يتردد في اعمال الخيلة عليهم فتكلم الرشيد يوما في مجلسه كلمة نزع القوم بها فكل يحكي في نوعها حكاية أو ينشد شعرا في معناها وكان في المجلس ابن عزيز فأنشدا بيانا في غير المعنى الذي كانوا بصدده كانت سببا لامضاء عزيزته على قتل البرامكة يقول فيها

ليت هذا أنجز تناماتعد * وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاد منه الرشيد البيتين مرارا ثم أوقع الرشيد بالبرامكة بعد ذلك بثلاثة أيام وسند كوفي الفصل الاوسط من الباب الآتي من ايقاعه بهم ما فيه للمتأمل ممتع وللمستخير مستمتع ان شاء الله تعالى * ولم أرفى التحريض أبغ من قول القائل في قصيدة طويلة ذات معان جمة وفوايد جليلة

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوقه المقدور ما وهبا
وأعجب الناس من ان نال فرصته * لم يجعل السبب الموصول مقتضيا
وأ نصف الناس في كل المواطن من * سقى الاعادى بالكأس الذى شربا
فالعفو الاعلى الاعداء مكرمة * من قال غير الذى قد قتلته كذبا
قتلت عمرا ونستبقى يزيد لقد * رأيت رأيا يجز الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها * ان كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم به جزا * هم أوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
واذكر بنحاهم مشوى أبى كرب * فيهم وجس عدى عندهم حقبا
وسيف جددك لما أن أضربهم * جاؤا به لك في اسلاهم سلبا
لا عفون مثلهم في مثل ما طلبوا * وان يكن ذلك كان الهلك والعطب
فهم أهل غسان ومجدهم * عال وان حاولوا ملكا فلا عجب
ان تعف عنهم يقول الناس كلهم * لم يعف حبلوا لى كن عفوه رهبا
وان أحسن من ذا العفول وهزموا * لكنهم اتوا من سيفك الهربا
علام تقبل منهم فدية وهم * لافضة قبلوا منه ——— ولا ذهبا
اسقى الكلاب غدا من فتية دمها * عند البرية تستسقى به الكلبا
لوم يسر جاز أن تعفوا ومحاجة * واللبث لا يحسن النقا اذا وثبا

(آخر)

يفيض الى الشر حتى اذا أتى • ليسزل رحلى قلت للشر مرحبا
وأركب ظهرا الشر حتى أذه • اذالم أجد الاعلى الشر مرحبا
واكوى بلانا ناسا بظلمهم • وأصفح احيا ناوان كنت مغضبا
(ولله درمن قال)

اذا آمن الجهال جهلك مرة • فعرضك للجهال غنم من الغنم
وان أنت باريت السفية اذا أنتى • فانت سفية منه له غيرذى حلم
فلا تعترض عرض السفية وداه • بحلم فان أعياء عليك فباصرم
وغنم عليه الجهل والحلم والقه • بمنزلة بين العداوة والحلم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة • وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن • عليه به بجهال فذا الثمن العزم
ودع عنك في كل الامور عتابه • فانك ان عاتبته كان كالحصم
ومن عاتب الجهال لم يشف نفسه • ولكنه يزاد سقما على سقم

(آخر)

حبست لكم نفسي على الحلم والرضا • فبأمن ذو خوف ويدرك طالب
اذا أنت لم تصلح لسببك ما جنى • سفيتك صارت في الصدور معاتب

(المتنبى)

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم

• (نبذة من أدنى النقض والابرار في ذم مكافأة اللئيم بالاكرام) •

(قالوا) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) معاوية بن
يزيد بن معاوية لا يسهل ذمت عاقبة حلم قط قال ما حلت عن لئيم وان كان
وليا الا عقبني ندما على ما فعلت وقال الشاعر

متى تضع الكرامة في لئيم • فانك قد أسأت الى الكرامه
وقد ذهبت صنيعته ضياعا • وكان جزاء فاعلها الندامه

(وقالوا) جنب كرامتك اللئام فانك ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان أسأوا لم
يستغفروا (شاعر)

ان ذا اللؤم اذا أكرمه • حسب الاكرام حقابله منك

فأهله انه من لومه * ان تسجهم وان يكرمك

(ولاخر)

ان اللثيم اذا رأى * لينا تزيد في حرانه

لا تخدعن فصلاح من * جهل الكرامة في هوانه

(ويقال) اللثام الى رهوت أحوج منهم الى رحمت (المتنبى)

ووضع الندى في موضع السيف بالعلم * مضر كوضع السيف في موضع الندى

(وقالوا) الكريم يصلح بالاحسان والكرامة * واللثيم بالهوان واللامسة

(المتنبى)

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللثيم تمردا

(ابراهيم بن المهدي)

اذا كنت بين الحلم والجهل باقلا * وخيرت أني شئت فالعلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفاً * ولم يرض منك الحلم فالجهل أنبل

اذا جاءني من يطلب الجهل عامدا * فاني سأعطي به الذي جاء يسأل

ولم أعط ——— اياه الا لانه * وان كان مكروها من الذل أجل

وفي الخبر ابطاء فان جاء عاجلا * كما تشبهه النفس فالشر أعجل

(وينسب لعلی رضی الله عنه)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اتنى * الى الجهل في بعض الاحايين أحوج

ولي فرس للخير بالخير ملجم * ولي فرس للشر بالشر مسرج

فمن شاء تقوي فاني مقوم * ومن شاء تعويجي فان معوج

وما كنت أرضي الجهل جدا ولا أبا * ولكنني أرضى به حين أخرج

فان قال بعض الناس فيه سماجة * لقد صدقوا والذل بالخر أسمج

(أبونواس)

في الناس ان جربته * من لا يعزك أو تذله

فأترك مدارة اللثيم فان فيها العجز كله

الباب الرابع عشر في الانتقام وفيه ثلاثة فصول

• (الفصل الاول من هذا الباب) •

في التشنق والانتقام ممن أحضر قسرا في المقام

قال الله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل هم يقتلون وفي هذا دليل على أن الانتقام قبيح فعلة على الكرام فانهم قالوا الكريم اذا قدر غفر واذا عثر بمساءة ستر والثلثم اذا ظفر عقر واذا آمن غدر

(ولنقدم كلاما شافيا في ذم الغضب اذ هو الزمام القائد للعطب)

جاء في تفسير قول الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبسرون أن الطائف من الشيطان هو الغضب (ويروى) أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله قل لي قولا ينفعني الله به وأقل لعل آخرفه قال لا تغضب فأعاد عليه المسئلة قال لا تغضب فأعاد عليه المسئلة قال لا تغضب (وقال) يحيى بن زكريا عيسى عليه ما السلام أخبرني بما يقربني من رضائي ويبعدني من سخطه قال لا تغضب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشديد فيكم قالوا الذي لا يصرعه الرجال قال لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب (وذكر) أن جعفر بن محمد الصادق دخل على المهدي وقد امتلأ غضبا على انسان فقال يا أمير المؤمنين انك لا تغضب الا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه (وقد) قال بعض الحكماء اياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضب ان غضب الله عز وجل عليه (ويقال) ان في التوراة يا ابن آدم لا تغضب فاغضب عليك يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكر حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق (وقالوا) اياك وغرة الغضب فانم اتقضي بك الى ذلة الاعتذار (وقالوا) الغضب على من لا تملك لوم وعلى من تملك شوم (وقال) بعض الاعراب الغضب عدو العقل فانه يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستهولي عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو الاحتمال الى القبيح وهو الغضب ومن عصي الحق غمره الباطل (وقال ابن المعتز) الغضب يصدئ القلب حتى لا يرى صاحبه شأنا حسنا فيفعله ولا يقيح ما في جنته (ويقال) ما ترك شيئا من الاحوال الذميمة ولا تأخر عن سبب من الاسباب اللثيمة من أنفذ غضبه وأساه في الانتقام أدبه واستطاب فعله واستعذبه (وقالوا) ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام (وقالوا) ثلاثة يعدون في المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران (وقال) عمر بن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان

من اذا غضب لم يخرج غضبه الى الباطل واذا رضى لم يخرج رضاه عن الحق
واذا قام جدال لا يأخذ ما ليس له * واذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه
ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فان وجب عليه العقوبة عاقبه والا أطلقته

ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال السكرام الاما جد
في ذم التشني من العدو والمعاد

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه
الا أن تنتهك حرمة من حرمت الله تعالى فينتقم الله بها (وقالوا) أقبح المكافاة
المكافاة بالاساءة (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعتو أقدرهم على العقوبة
(وقالوا) الاقتدار يمنع الحر من الانتصار (وقال) على رضى الله عنه انا الى
العتو والرحمة أقرب مني الى العقوبة والنقمة (وقال) جعفر الصادق لان
أندم على العفو عشرين مرة أحب الى من أن أندم على العقوبة مرة واحدة
* وحكى أن رجلا من قريش كان يطلب رجلا يدخل في الجاهلية فلما ظفر به
قال لولا ان القدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك وتركه * ولهذا يقال كل
عزيز دخل تحت القدرة وانضح بالتنصل عذوه فهو ذليل حقه على من قدره
بالقدرة جليل أن يعتمد اساءته بالاحسان اليه ويفك اساره بالامتنان عليه
وينزله من اكرامه منزلة المطيع من خدامه ويعفيه من عتبه وملامه كما أعفاه
من خطئه وانتقامه (وقيل) أقبح افعال ذوى التمكن والاقتدار عقوبة
من التجأ الى الاعتذار * شاعر

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

(وقال المنصور) في كلام تولد المهدي لذة العفو أطيب من لذة التشني وذلك
أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشني يلحقها ذم الندم * ويحكى عن
عنان بن خريم أنه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا
عليه ليقتلهم فقال أحدهم يا أمير المؤمنين انتقم فقد شني غيظه وأخذ حقه
ومن شني غيظه وأخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن في العالمين ذكره وانك
ان انتقم فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت على أن أقاتك عنار عباد
الله موجبة لا قالت عثرتك وعفوك عنهم موصول بعفوه عنك فقبل قوله
وعفاه عنهم * وقال الشاعر

لذة العفو ان تطرت بعين الشاهد لاشئ من لذة الانتقام
 هذه تكسب المحامد والمجده وهذه تجي بالاثام
 (والعرب تقول) لا سودد مع الانتقام * وقالوا سرعة العقوبة من لؤم الظفر
 (وقيل) ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة * وأسر على
 رجلا من أصحاب عائشة رضى الله عنها يوم وقعتة الجمل فقبل له ويك وأنت بمن
 ألب علينا فقام الاشر ف قال دعني أضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال الرجل
 يا أمير المؤمنين لان تلقى الله وقد عفوت عني خير لك من أن تلقاه وقد شفيبت
 غيظك واتصرت لنفسك فقال اذهب حيث شئت * وانشد للمأمون
 يخشى عدوى من بعيد سطوتى * فاذا قدرت على العدو عفوت
 (وقال بعض الحكماء) التزين بالعفو خير من التبعج بالانتقام * وقال على رضى
 الله عنه ليس شئ ينجي من الخير الاثوابه وكل شئ في الدنيا سماءه أعظم من
 عيانه وكل شئ في الآخرة عيانه أعظم من سماءه (ويقال) التشنى طرف من
 العجز ومن رضى به لا يكون بينه وبين الظالم الاستروقيق وحجاب ضعيف ولان
 يثنى عليك بسعة الصدر خير من أن تذم بضيقه (وقال ابن المعتز) مبالغة
 المقتدر في العقوبة تقربه من غضب الله وتبعده من اتساب الكرم اليه
 (وقال) كفى بالظفر شقيا للمذنب الى القادر (وقال بعض الحكماء)
 لا يحملنك الحق على اقرار انك يثني غيظك ويسقم دينك (ويقال) لاتشن
 حسن الظفر بقبح الانتقام (وقالوا) عقوبة المقتدر تبدأ به تقبح صورته وتسلم
 حسبه وتجل ندمه * شاعر

إذا أنت لم تصبر على الحق لم تقز * بمجد ولم تسعد بتقريب ما دح

(آخر)

رأيت انتقام المرير يري بعقله * وان لم يقع الا باهل الجرائم
 (وقال) الفضيل بن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه بوائقه
 (وقلت) اذم مسرفا في الانتقام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه
 عن المعترف بذنبه يري العفوم مغرما والعقوبة مغنما ان ضحكت في وجهه
 عبس وان تخاضعت له شمس لا يرقب في المسىء الا ولا ذمة ولو شفع فيه سواد
 الامة * ومن رسالة للبديع الهمداني يصف ملكا عظيما الشأن يحسبه

المتأمل انسانا وهو شيطان وفلان سماء اذا تقيم لم يرج صفوه واذا تغير لم يشرب صفوه واذا سخط لم ينتظر غيره ليس بين رضاه والسخط عوجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من سخطه مجاز كما ليس بين الموت والحياة معه مجاز يغضبه الحرم الخفي ولا يرضيه العذر الجلي وتكفيه الجنابة وهي ارجاف ثم لا يشفيه العقوبة وهي حجاب حتى انه يرى الذنب وهو أضيق من ظل الرح ويغشى عن العذر وهو أيقن من عمود الصبح وهو ذو اثنين يسمع به هذه القول وهو بهتان ويحجب به هذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط أحدهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح أحدهما الى الحرم ويغضض الاخرى عن الحلم فزحه بين القصد والقطع وحده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والقون ثم لا يعرف من العقاب الا ضرب الرقاب ولا من التأديب غير ازالة الدماء ولا يهتدى الا الى ازالة النعماء ولا يحلم عن الهفوة كوزن الهبوة ولا يفيض عن القطعة بحجم النقطة ثم ان النقم بين لفظه وقله والارض تحت يده وقدمه فلا يلقاه الولي الا يغمه ولا العدو الا يذمه فالارواح بين حبسه واطلاقه كما أن الاجسام بين حله ووثاقه

(ومما ينتظم في سلك هذا المقول مدح التراحم الراضى به أرباب العقول)
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارجوا من في الارض يرحمكم من في السماء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا ينزع الله الرحمة الا من قلب شقي * وقالوا من كرم أصله لان قلبه * وقيل من أمارات الكرم الرحمة ومن أمارات اللئيم القسوة (وقالوا) من شكر الظفر الصفيح عن الذنوب والستر للعيوب (وفي الحديث) ان الله رحيم يحب من عباده الرجاء * وقال الاقرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقبل الحسن ان لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (وقال) مالك بن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة * وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس اذ اتى الناس وأرحم الناس

إذا استمعكم الباس ويقال أوق الناس قلوباً أقلهم ذنباً (وقال) عمر
ابن العزير استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم * وفي بعض
الكتب المنزلة يقول الله تعالى إن كنتم تريدون رحي فأرجوا عبادي * شاعر
ابغ للناس من الخبيـر كما تبغى لنفسك
وارحم الناس جميعاً * انهم أبناء جنسك

• (الفصل الثاني من الباب الرابع عشر) •
في ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب

لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة بن أبي معيط أمر بصلبه إلى شجرة
فقال يا رسول الله أنا من بين قريش قال نعم قال فن للصية قال الفارص صلب
رواه أبو داود في مراسيله وغيره وقيل أنه أول مصلوب صلب في الإسلام
(وكان) النضر بن الحرث بن كلفة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما كان يوم بدر أخذ أسيراً فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله
على رضى الله عنه صبراً وذكر أن أخته قبيلة بنت الحرث تعرضت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته فوقف فأثدته

بارا كما أن الأبل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية * ما إن تزال بها الر كائب تحقق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت لما نحتها وأخرى تحنق
هل يسمعى النضر أن ناديتـه * إن كان يسمع ميت من ينطق
ظلت سيفوف بنى أيـه تنوشـه * لله أرحام هنالك غـرزق
فسرايقاد إلى أيـه متعبا * رسف المقبر وهو عان موثق
أحمد ولأنت نجل كـريمة * في قومها والفعل فخل معرق
ما كان ضررك لو مننت وربما * من الفقى وهو المغيظ المخـنق
لو كنت قابل فدية فديته * بأعـز ما يغلو به من ينطق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة * وأحقهم أن كان عتقا يعنق

فلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هارق لها وقال لو كنت سمعت
شعرها من قبل ما قتلتها (ولما) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر بقتل ستة
نفر وأربع نسوة فأما النضر فعكرمة بن أبي جهل وهبار بن الأسود

وعبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابه والخويرث بن نقيده وهلال بن عبد الله
ابن خطل فاما عكرمة فانه هرب ثم أسلم وهرب هبار بن الاسود ثم أسلم بعد ذلك
وكذلك عبد الله بن أبي سرح وأما مقيس بن صبابه فقتله غيلة وأما الخويرث
فهرب فلقبه على بن أبي طالب فقتله وأما هلال بن عبد الله بن خطل فقتله
عمار بن ياسر بن الركن والمقام * وأما النساء فهن دبت عتبة وسارية
مولاة عمرو بن هشام وقينتا هلال بن عبد الله بن خطل كاتتا تغنيان به جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما هند فأسلمت وأما سارية فقتلها على
رضي الله عنه وأما قينتا هلال فقتلت احدهما وأسلمت الاخرى (وقدم)
اناس من عريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلموا وكانوا
في الصفه فقطنوا المدينة فسقطت أجسادهم فشكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ألا تخرجون مع راعينا في ابله فتشربون من البانها
وأبوها قالوا بلى فخرجوا فشربوا الالبان والابوال فصموا فلما حصوا قتلوا
الراعي وارتدوا عن الاسلام واستاقوا الابل فجاء الصريح الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبعث في اثرهم فأتوا حل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم
وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا (وكان) عمرو بن هند من
أشد ملوك العرب بأسا وأسوأهم قدوة وأعظمهم جراءة يذكر عنه أنه لما قتلت
بنو عيم أخاه سعدا غضب وألحى على نفسه أنه متى ظفروا بقتل رجالهم وسبي
حرهم فلما ظفروا بهم أحجى لهم الصفا ومشى عليه من رجالهم من بلغ أجله فأتى
بشباب ليمشي عليه كما فعل أصحابه وأقبلت أمة معه فلما رأت الصفا وشدة
وجهه قطعت نديها ورمت بهما على الصفا وقالت يا بني ق بشدي قدمك
وأقل بوطئهما أملك ثم أنشدت

ابني لو قبل القداء لجدت بالكبد التي أضحت عليك تقطع
بالبت حر النار بأشر ممجتي • أوليت خدي فوق خدك يلذع

فرق لها عمرو وأمر باطلاق ولدها واطلاق من بقي من قومها (وروى) ابن
الكلبي عن أبيه قال أقول من خرج من الحرم بعض اباد وتغلب وانتشروا في
أرض نجد فبعث اليهم الملك زيد بن برعش فغزاهم قابلي فيهم وأسرو سبي فلما
قدم على الملك عرض الاسرى على السيف فقرب شابا من اباد ليقتل فاقبلت

امه وهي تقول

يا أيها الملك المغيث القاهر * الحلم يلزم حين يعفو القادر
 هذا عيسدك مسلم بجزيرة * بادى الضراعة أو منيق عائر
 ان تسط تسط محكما وتعفون * فالذنب يغفره المليك الغافر
 لاذوا بعفوك من عقابك بعدما * جردت لها منظومة وخنابر
 فاصرف الى الابقاء عزمك فيهم * طولا فليس لهم مجير ناصر
 فرق لها الملك وقال لها لك ماله خارك منهم فاقبلت تخط خارها شقة قار وتصل
 بعضها ببعض حتى ضم طرفاه مائة رجل أو أكثر فاستضحك الملك وأمر
 بإطلاقهم وقتل الباقيين * (ومن) * الحقد المستبشع والتشفي المستشنع
 ما ذكره ابن جدون في ذكرته عن عبد الله بن الزبير حين ظفر بأخيه عمرو وكان
 يشابع بني أمية وهدم دور قوم بالمدينة في هواهم فلما ولي أخوه عبد الله
 الخلافة أخذه وأقامه للناس ليقتصوا منه فبالغ كل ذي حقد عليه
 في الاقتصاص وكان عبد الله لا يسأل أحدا ادعى عليه شيئا بينة ولا حجة وكان
 أرباب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه والقبح ينضح من ظهره على
 الأرض والحائط فلما لم يبق أحد من ذوى الحقوق أمر أن يرسل عليه الجعلان
 فكأنات تدب عليه فتدق قلبه وهو معقول لا يستطيع حركة حتى مات فدخل
 الموكل به على عبد الله وفي يده عس لين يريد أن يسخره وهو يكي قال له امات
 قال نعم قال أبعده ثم تناول العس فشرب ما فيه وقال لا تغسلوه ولا تكفوه
 وادفنه في مقابر المشركين فدفن بها (وكان الجراح) شديدا الوطأة على الجنة
 ذكر أهل التاريخ أنه لما مات أحصى من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه
 وسراياه فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف
 رجل وثلاثون ألف امرأة منهم ست آلاف مخدرات وكان يحبس الرجال
 والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس
 يحصبونهم اذا استظلوا من وهج الشمس وزمهرير البرد ولما أخرجوا بعد
 موته كان فيهم اعرابي فقيل له كم كان لك في السجن قال اثنتا عشرة سنة قيل له
 فما ذنبك قال بليت في ريبض واسط ولما أطلق جعل يعدو وهو يقول

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلغنا لافخاف عقابا
(وذكر) أهل التاريخ أيضا أنه ركب يوم الجمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة
فقال ما هذا قالوا أهل المسجد يشكون ما هم فيه فالتفت إلى ناحيتهم وقال
اخسوا فيها ولا تكلمون فيقال أنه مات في تلك الجمعة بواسط سنة خمس
وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة * وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لي فان
عبادك يظنون أن لا تفعل * وكانت مدة امرته على الناس عشرين سنة وفي
الشهر الذي مات فيه ولد أبو جعفر المنصور وولي الخلافة في ذي الحجة أيضا سنة
ست وثلاثين ومائة ومات في الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة
خلافته اثنتين وعشرين سنة الأسبعة أيام (ولما) التقى مصعب بن الزبير بالمختار
ابن أبي عبيد الثقفي هزمه وأسر من عسكره ستة آلاف وثمانمائة رجل فقتلهم
صبرا بين يديه في يوم واحد وهو ينظر إليهم وكانوا ألفا وثمانمائة من أشرف
العرب وخمسة آلاف من الموالي (وكان) أبو مسلم الخراساني ممن حذاه
في الفعل حذوا النعل بالنعل أحصى من قتل فكان ستمائة ألف نفس وقد
ذكرنا قتله فيما سبق من الكتاب * وفيه يقول أبو جعفر حين قتل وقد وضعت
رأسه بين يديه

زعمت أن الدين لا يقتضي * دونك فاستوف أبا محرم
فاشرب بكأس كنت تسمى بها * أمر في الخلق من العلقم
* ولما أسرف في القتل وجد رقعة على المنبر فقرأها فاذا فيها اقتل ما عسى
أن تقتل فليست تقدر أن تقتل قاتلك فكف (وياك الحرى) قتل في حروبه
التي كانت بينه وبين الأمويين مائتي ألف وخمسمائة ألف وخمسين
ألفا وكان ظهوره سنة إحدى ومائتين في خلافة المأمون واستمرت فتنته
إلى أيام المعتصم فأرسل إليه العساكر فكانت الحرب بينه وبينهم دولا إلى أن
كانت الدائرة عليه فهزم عسكره وأسروا وقتل مدينته التي بناها ودخلها
المسلمون واستباحوها في أيام المعتصم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وفيها
قتلت عمورية وأحضر بين يدي المعتصم فأمر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت
لطيخ بدمه وجهه حتى لا يرى في وجهه أثر الجزع ثم أمر به فضربت رقبتة
وصلب وفي قتله يقول أبو عبادة البصري من أبيات

لم يبق فيه خوف بأسل مطمعا * للظن في اخفا ولا ابداء
أخلت منه البيد وهي قراره * ونصبته علما بسا مراء
فستراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها * في أخريات الجذع كالخرباء

(وكان) بشر بن مروان شديدا على الجناة وكان اذا ظفر بجان أقامه على
كرسي وسمر كفيه في الخائط ونزع الكرسي من تحت رجله فلا يزال يضطرب
حتى يموت (وقال الشعبي) ما رأيت في العمال مثل عبد الله التميمي كان
لا يعاقب الا في دين الله وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا
واذا أتى برجل نقب في قوم جعل منقبته في صدره حتى يخرج من صدره واذا
أتى برجل شهر سلا حاقطع يده فربما أقام أربعين لا يوثق اليه بجان خوفا من
سطواته (ودخل) شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس
السفاح بعد ما ولي الخلافة وولياها وهو ابن أربع وعشرين سنة في ربيع
الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده ما تارجل من بني أمية وهم جلوس
معه على المائدة فقام مولى لبني العباس فأنشده

أصبح الملك ثابتا في أساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وترهاشم فشقوقها * بعدميل من الزمان وياس
يا كريم المطهرين من الرجس * ويارأ من كل طود وراس
لا تقبلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
دلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحزالمواس
أقصهم أيها الخليفة واقطع * عندك بالسيف شافة الارجاس
واقطع غاظي وغاظ سوايا * قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
واذكر وامصرع الحسين وزيد * وقبلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بجران أضحى * ثاوي بين غربة وتناسي

وهما حمزة بن عبد المطلب و ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت
بالامام فأمر بهم عبد الله فشد خوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها
ودعا بالطعام وانه ليسمع أنينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت

أكلة قط هي أهنا ولا أمراً ولا أطيب في نفسى من هذه ثم أخرج عنه عبد
 الصمد بن علي في طلب بنى أمية في اقطار الارض ان وجد حيا قتله وان وجد
 مقبورا نبشه وأحرق من فيه حتى اتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها يوم
 جمعة في شهر رمضان خمسين ألفاً من بنى أمية ومواليهم كانوا قد استجاروا
 بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاماً من قبره فضرب مائة
 سوط وعشرين سوطاً حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبي ستمين سوطاً ظملاً
 وذكر الدوحى في كتابه بلغة الطرفاء في تاريخ الخلفاء سبب ذلك ان هشاماً
 اتهمه بقتل سليط المقتسب الى أبيه عبد الله ففعل به ذلك (وقد) رأينا صواباً
 أن نذكر مقتل زيد المشار اليه في الآيات المتقدمة ذكرها فالشيء بالشئ يذكر
 وان كان غريباً داخل فيما ترجعنا عليه في هذا الفصل وكان ظهوره في سنة ثنتين
 وعشرين ومائة بالكوفة وأرسل هشام الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي
 فلما قامت الحرب بينهم على ساقها انهزم أصحاب زيد وبقى جماعة يسيرة فقاتل
 أشد قتال وهو يقول

وذلل الحياة وذلل الممات * وكلا أراء طعاماً وبيلاً

فان كان لابد من واحد * فسيروا الى الموت سيراً جيلاً

ولم يرزل يقاتل حتى أصابه سهم في جبهته فمات مقتولاً منه فدفنه أصحابه ثم دل
 يوسف على قبره فأخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلب جنته
 عارية فتبدلت سرته حتى سترت سوائه وذلك في السنة التي ظهر فيها ولم يرزل
 كذلك الى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فامر بها فاحرقته وفيه يقول
 حكيم بن عياش الكلبي يخاطب آل بنى طالب من آيات

صلبنا لكم زيدا على جذع فخللة * ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وقسمت بعثمان علياً سفاهة * وعثمان خير من علي وأطيب

ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاول وله من العمر ست
 وخمسون سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وأشهرها واياماً * والقبيل
 بجانب المهراس هو حوزة بن عبد المطلب وانما نسب قتله لبنى أمية لان
 أباسفيان قاده الجيوش يوم أحد لقتال المسلمين والمهراس ماء باحد قال
 المبرد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش في يوم أحد فجاءه على

رضي الله عنه في درقه بجماء فعافه وغسل به الدم عن وجهه (ولما) زالت دولة
 بني أمية كان آخرهم مروان بن الحكم المكنى بالحمار وهرب قتيبه صالح بن
 علي إلى بلاده صر فقتله بقرية من قرأها تسمى بوسير * ويحكى أنه لما قتل قدم
 رأسه بين يدي صالح فنقب فيه فسقط لسانه فأخذه هرق قال صالح والله لو لم يرنا
 الدهر من عجبائه اللسان مروان في فهم هركفانا معتبرا ثم أدخل عليه
 ابتان لمروان فقالت كبراهما السلام عليك يا أمير المؤمنين قال لست بأمر
 المؤمنين فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال وعليك السلام فقالت
 لقد وسعنا عدلكم فقال إذا لا يبقى علي وجه الأرض منكم أحدا فكم
 بدأتم بلعن علي بن أبي طالب على منابركم فاستوجبتم اللعنة من الله وقتلتم
 الحسين بن علي وسرتم برأسه في الآفاق وقتلتم زيد بن علي ونبتشموه وأحرقتموه
 بالنار وصلبتم يحيى بن زيد وأمرتم من بال علي وجهه وقتلتم إبراهيم بن محمد
 الإمام وهو أمير في أيديكم ظلما وعدوانا قالت أيها الأمير فليس عنا عقوبكم
 قال أما هذا فنعم ثم أمر فرد عليها ما ذكرت أنه أخذ لها وخلي سبيلها * وأنشد
 المهدي قول بشار بن برد فيه لما أنفق الأموال التي جمعها المنصور في اللذات
 والشرب والغناء

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
 ضاعت خلافتكم يا قوم فالتسوا * خليفة الله بين النأي والعود
 فخرج المهدي إلى البصرة وما يريد غيره فلما صار بالبلاط مخ من همدان مرتب دار
 كان بشار على سطحها قائما فلما أحس بمرور المهدي عليه خاف أن يعرفه
 فاندفع بشار يؤذن فقال المهدي من هذا الذي يؤذن في غير الوقت فقالوا
 بشار فقال علي به فلما مثل بين يديه قال له يا زنديق هذا من يد أنك تؤذن في غير
 الوقت فكلمك أمك فلو سكنت لسانك ما عرف مكانك ثم أمر بضربه بالسياط
 فضرب حتى مات فصلبه (وقال) ابن عبدوس في كتابه الذي صنعه في أخبار
 الوزراء في سبب قتله أنه هجا يعقوب بن داود وزير المهدي فصنع يعقوب على
 لسانه هجاء للمهدي ودخل عليه فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الاعمي المهد قد
 هجأ قال وما قال قال يعقوبني أمير المؤمنين من أنشاد ذلك فلم يزل به حتى أنشده
 خليفة يزني بعماته * يلعب بالدف وبالصولحان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى في حراخيزران
فقال له وجه من يحمله تخاف يعقوب من أن يقدم على المهدي فيمده فيعقو
عنه فوجه اليه من ألقاه في البطائح وقيل بل دس عليه من قتله في طريقه
وقيل انما قتل على الالتاد وكان يرى رأى النورية وذلك في سنة ثمان وستين
ومائة * وفي المحرم سنة تسع ومائتين مات المهدي وله من العمر اثنان
وأربعون سنة وخمسة عشر يوما * وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا
واحدا

* (ومن شفي غيظه من العدو والمخالف ولم يفض له عن ذنبه العالف) *

الحجاج كان أيوب بن القرية قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
الكندي كاتبه لما خلع ربيعة الطاعة وادعى الخلافة فخاربه الحجاج دفعات
فكانت الدائرة عليه وأخذ أيوب مع من كان معه فلما قدم على الحجاج أسيرا
قال له ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كأنهن ركب صفوف دنيا
واخرى ومعروف فقال له الحجاج بنس ما منتك به نفسك يا ابن القرية أتراني
من يتخذ بكلامك والله لانت أقرب الى الآخرة منك الى موضع نعلي هذه
قال أقلني عثرني واسقني ربي فانه لا بد للجواد من كبرة وللحليم من هفوة فقال
له أنت الى السطوة أقرب منك الى العفوة ألسن القائل وأنت
تعرض حرب الشيطان وعدو الرحمن تغدو بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ثم أمر
بضرب عنقه فضربت وذلك في سنة أربع وثمانين (ولما) انهزم عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث لحق سعيد بن جبيرة مكة وكان قد خرج معه فأخذه خالد بن
عبد الله القسري فبعث به الى الحجاج فلما دخل سعيد على الحجاج قال له سعيد
قال نعم قال ألم أقدم العراق واتهمت ان قام الموالي فلما بلغني فقهاك وحالك
جعلتك امام قومك ووجدت عطاءك أربعين دينارا فبلغت بك سبعين دينارا
قال بلى قال وسهلت اذنك قال بلى واسمعتك صوت اباردة من أبي موسى وهو
فقيه ابن فقيه فجعلتك وزيره وكاتبه وأمرته أن لا يقطع أمر ادونك قال بلى
قال وأوفدت وفدا الى أمير المؤمنين فجعلتك مثلهم ولا يوفد مثلك فاسمعتني
فأعفيتك وذلك كله بغیر غضب من الحجاج ثم قال فما أخرجك علي قال كانت
لابن الأشعث في عنقي بيعة فاستوى جالسا وقال يا عدو الله فبيعة أمير المؤمنين

كانت في عنقك قبل بيعة عبد الرحمن يا حرمي اضرب عنقه فلما ضربت عنقه
التبس على الحجاج عقله مكانه فجعل يقول قيود يا قيود يا قطنوا أنه يطلب
القيود التي على سعيد فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود
وقد أورد القصص هذه الحكاية على غير هذا النمط والصحيح هو هذا والله
أعلم (ايقاع الرشيد بالبرامكة) لما ولي الرشيد الخلافة قال ليجي بن خالد يا بـت
قد قلدك أمر الرعيه وأخرجته من عنقي اليك فاحكم بما ترى واستعمل
من رأيت وافرض لمن رأيت وأقطع من رأيت فأتى غيرناظر معك في شئ ثم ولي
في سنة ست وسبعين ومائة جعفر بن يحيى المغرب كله من الانبار الى أقصى بلاد
افريقية وولى الفضل المشرق كله من النهر وان الى أقصى بلاد الترك وكان
يحيى يميل الى الفضل والرشيد يميل الى جعفر فكان يقول يحيى أنت للفضل
وأنا لجعفر وكان الرشيد يسمى جعفر ابا خيه ويدخله معه في ثوبه (ولما) وقع من
جعفر الذنب لم يحمله الرشيد ولا قدر على الاغضاء عنه وجعل يتردد في اعمال
الحيلة على البرامكة ولا يرى منهم ذنبا ظاهرا ينابئهم به حتى لا يتوجه عليه
لوم من الناس في قتلهم لما كان بينه وبينهم من اتحاد الود فتكلم الرشيد يوما
بكلمة نزع فيها جلساؤه كل منزع منهم من يحكى في نوعها حكاية ومنهم من يشد
شعرا فأنشد بعضهم أياتا في غير المعنى الذي هم يصدده فكان سببا لامضاء
عزمه في الايقاع بهم يقول فيها

ليت هذا النجرتنا ما تعد * وشقت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاد الرشيد الايات مرات فكان ذلك محر ضاله على الايقاع بهم وكان
عندما تغير عليهم صرف الفضل عما كان بيده من ولاية الشرق أولا فاولا من
سنة ثمانين الى سنة ثلاث وثمانين ولم يرزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية
الى أن ركب في يوم الجمعة مستهل صفر سنة تسع وثمانين الى الصيد وجعفر
معه يساره خالياه وانصرف مقسما الى القصر الذي كان ينزله بالانبار فلما
وصل اليه ضمه واعتنقه وقال لولا اني أريد الجلوس الليلة مع النساء لما فارقتك
وسار جعفر الى منزله وواصل الرشيد بالالطاف الى وجه السهر فبعث اليه
مسرورا الخادم ومعه سالم وابن عمة فهجموا عليه وأخذوه مسرورا وضرب

عنه ولقي الرشيد برأسه فانفذ الرشيد جثته الى بغداد وقطعت نصفين
وصلبا على الجسرين (ولما) انصرف الرشيد من الرقة سنة تسع وثمانين الى
بغداد مر بالجسر فرأى جثة جعفر فقال لئن مضى أترك اقدني خبرك ولئن خط
قدرك لقد علل ذلك ثم أمر به فاحرق (ولما) قتل الرشيد جعفر ارجل الى
الرقة وجعل معه يحيى وولده الفضل فحبسهما فيها بعد أن ضرب الفضل مائتي
سوط ولم يجد يحيى الا خمسة آلاف دينار ولله فضل الأربعين ألف درهم
ولم يجد جعفر ولا أخيه موسى شيئا ووجد محمد بن يحيى سبعمائة ألف درهم
(ويقال) انه وجد جعفر في قصر سرية فيها أربعة آلاف دينار ووزن كل دينار
مائة دينار مكتوب على أحد جانبي الدينار

وأصغر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجهه جعفرا

وعلى الوجه الآخر

يزيد على مائة واحدا * اذا ناله معسر نيسرا

(ولما) أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيى أباه والفضل أخاه
كتب يحيى اليه من السجن من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذه
رفيقه ورفضه صديقه فخل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة
فسأته شهر وليته دهر قد عاين الموت وقارب القوت فتذكري أمير المؤمنين
كبرسني وضعف قوتي وارحم شيبتي وهب لي رضاك بعفو ذنبي ان كان
فان من مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وليس أعذر الا باقرارى حتى ترضى
عني فان رضيت رجوت أن يظهر لك من عذري وبراءة ساحتي ما لا يتعاطمك
ما مننت به على من رأفتك ورحمتك زاد الله في عمرك وجعل يومى قبل يومك
(فرده عليه الرشيد من كتاب) ان أمير المؤمنين لم يأت على ولدك اللعين
ومن رأيه ترك الباقي ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاء نفسك انما أخرك
واباهم لتعالج البؤس بعد النعيم ثم تصير الى العذاب الاليم فابشرا بها
المخادع الزنديق والمخالف القسبى بما أعد لك أمير المؤمنين من تبيد شمالك
ونحول ذكرك واطفاء أمرك فتوقعه صباحا ومساء (ووقع الرشيد عليه)
وضرب الله مثلا قريبة كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانتم الله فإذاها لله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

ثم تناساه هو وابنه الفضل في سجن الرقة حتى مات فيه فمات يحيى في المحرم سنة
تسعين ومائة بخاء من غير حلة وعمره أربع وستون سنة ومات الفضل في شهر
رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال أمرى قريب
من أمره ~~و~~كذا كان فانه توفي بعده بخمسة أشهر في المحرم سنة ثلاث
وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة * وكانت ولايته ثلاثا وعشرين
سنة وشهرين وأياما فانه ولي سنة سبعين ومائة * وكان الفضل ترب الرشيد
ورضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد (وذكر) ان الرشيد
أقام يتردد في قتل جعفر بنين لا تطاوعه نفسه في قتله قال حسين الخادم أشهد
بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا باستار الكعبة قائلا في مناجاته اللهم اني استخيرك
في قتل جعفر بن يحيى (ورثاهم) بعد موتهم من عامة الشعراء وغيرهم جم غفير
وقد اخترنا أبا تامن أحسن قصائدهم أردنا أن نبين فيها محاسن مقاصدهم
(فن ذلك) آيات لا تشجع الا على

ولي عن الدنيا بنو برمك * ولو نوى الخلق ما زادوا
كانما أيامهم كلها * كانت لاهل الارض أعبادا

(آخر)

كان أيامهم من حسن بهجتها * مواسم الحج والاعباد والجمع
(آخر)

يا بني برمك واهالككم * ولا يامكم المنقلة
كانت الدنيا عروسا بكم * فهي اليوم ثكول أرمل
(وفيه يقول الصيف بن ابراهيم من آيات)

هوت أنجم الجدوى وثلث يد الندى * وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف السارى وجوه المسالك
(والرفاش)

الآن استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أرحمت من السرى * وطى القيافي فد فدا بعد فد فد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولم تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطى * وقل للرزايا كل يوم تجددى

(ويقال) ان الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان وذو كبر بعض المؤرخين
انه وجد علي باب علي بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم
من كتبهما ولا من قاتلها

ان المساكين بنو برمك * صبت عليهم نوب الدهر
ان لناسا في أمرهم عبرة * فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبتة قرييا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج
في المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة (وكانت)
مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما (ولله) درأبي كاثوم بن عمرو
العتابي حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة محبة السلطان وأن
ما للمتعلق بهم من غدر الزمان أمان

تلوم علي ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني * معصمها بالمرهضات البوارد
ذري تجبني ميتة مطمئنة * ولم تج أحوال تلك الموارد
فان كرميات المعالي مشوبة * بمستودعات من بطون الاساود
وان الذي رقي من الجهد والاعلا * ملقى بأنواع الاذى والمكائد
(ولله) در المأمون اذ قال وكأنه يعتذر عن ايقاع آية بالبرامكة وان لم يقصده
لا يستطيع الناس ان ينصفوا الملوك من وزراءهم ولا يستطيعون أن ينظروا
بالعدل بين ملوكهم ووجاهتهم وكنفاتهم وذلك أنهم يرون ظاهرا حرماتهم
وخدمتهم ونصيحتهم ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول
في ذلك ما وقع به الارغبة في ماله أو رغبة فيما لا تجود النفوس به أو الحسد
أو الملامة وشهوة الاستبداد لا والله ما هو هذا وانما هي لخنايات في صلب الملك
أو في تعرض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة ويحجج
لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب فلا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك
من الفساد مع علمه بأن عذره غير بسوط للعامة ولا معروف عند أكثر
الخاصة (ومن التشنى الشنيع) ما حكى أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب

كان بطعن على عبد الله بن المقفع أشياء كثيرة منها أنه كان يهزأ به ويسأله عن
 الشيء بعد الشيء تعنتاً فإذا أجابه قال له أخطأت ويحك منه فلما كثرت ذلك عليه
 غضب واقترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن المغتلة والله ما اكتفت أمدك برجال
 العراق حتى تقدتهم إلى رجال أهل الشام فقد هاء عليه قال على نفسه ان
 أمكنه الله منه ليقولنه شر قتلة فاتفق أن عيسى بن علي أمر ابن المقفع
 أن ينطلق إلى سفيان وكان اذ ذاك على شرطة بغداد برسالة كان المنصور أمره
 به اذ قال له اني لا آمن سفيان فقال له انطلق اليه ولا تحف فإنه لم يكن ليعرض
 ذلك وهو يعلم مكانك متى فم يجد ابن المقفع بآمن امتثال أمر عيسى فذهب
 حتى أتى باب سفيان فاستأذن فأذن له وكان في مجلسه العام فعدل به
 إلى مقصورة ثم قام سفيان من مجلسه إلى المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له
 وقعت والله فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمي مغتلة كما قلت ان لم أقتلك قتلة
 لم يقتل بها أحد قبلك وأمر بتنوير فسر ثم أمر به فقطع عضواً عضواً وداق
 في التنوير وهو ينظر حتى لم يبق منه عضو متصل بعضو ثم قال يا ابن الزنديقة لا
 حرقك بار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق بعد ذلك (وكان) رافع بن
 الليث خلع هرون الرشيد ولبس البياض وتغلب على بلاد ما وراء النهر وذلك
 في سنة تسعين ومائة وكان على بن عيسى اذ ذاك على خراسان فخاربه فلم يقدر
 عليه فخرج الرشيد اليه من بغداد سنة ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض
 واشتد به المرض فلما كان يوم موته أخذ المرأة بيده فنظر فيها وجهه فرأى
 عليه غيرة الموت فقال ان الله وانما اليه راجعون فيمتا هو في تلك الحالة اذ دخل
 عليه أخو رافع بن الليث أسيراً فلما مثل بين يديه قال اني لا رجوا ذلم تقتني
 أن لا يفوتني اخوك والله لو لم يسبق من عمري إلا أن أحرل شفتي يقتلك لقلت
 اقتلوه ثم دعا بقصاب وقال له لا تشهد مدينتك وفصله عضواً عضواً وبجل لثلا
 بمصر في أجلى وعضو من أعضائه في جسده ففصله ثم جعله أشلاء ثم قال له
 اعد ما فصلت منه فاذا هو أربعة عشر عضواً فرفع يديه وقال اللهم كما أمكنتني
 منه فكني من أخيه ثم مات من ساعته (وكتب رجل) كان في حبس المأمون
 اليه لما طال حبسه أغفلت يا أمير المؤمنين أمري وتناسيت ذكرى ولم تتأمل
 حجي وعذري وقدمل من صبري الصبر ومسي من حبسك الضر فاجابه

المأمون ركوبك مطية الجهل صبرك أهلا للقتل وبغيتك على وعلى نفسك قتلك
 عن سعة الدنيا الى قبر من قبور الاحياء ومن جهل الشكر على المن قل صبره
 على المحن فأصبر على عواقب هفواتك وموثرات زلاتك على قدر صبرك على
 كثير جنباياك فان حصل في نفسك كف عن معصيتي وعزم على طاعتي وندم
 على مخالفتي فلن تعد مع ذلك جيلا من نبي (ولما) ظفر أبو جعفر المنصور
 بعبد الله بن حسن قيده وجبسه في داره فلما أراد المنصور خروجه الى الجيش
 جلست ابنة لعبد الله تسمى فاطمة على طريقه فلما بصرت به أنشدت
 ارحم ككبراسه منهدما * في السجن بين سلاسل وقيد
 وارحم صفار بني يزيد انهم * فقول الفقد لا للفقد يزيد
 ان جدت بالرحم القرية بيننا * ما جدنا من جد كم يبعده
 فلما سمع المنصور آياتها قال أدركتني ثم أمر به فحدر في المطبق فكان آخر
 العهد به * ويزيد المذكور في شعر فاطمة هو أخو عبد الله بن حسن وأخذ
 عبد الله لاجل ولديه محمد و ابراهيم وكانا قد خرجا على المنصور وغلبا على المدينة
 ومكة والبصرة فبعث المنصور اليهما عيسى بن موسى فقتل محمد بالمدينة وكان
 قتل ابراهيم ومحمد بين البصرة والكوفة في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة
 * وقال أبو بكر الخطيب مات عبد الله بحبس الكوفة يوم الاضحى سنة خمس
 وأربعين ومائة وهو ابن ست وأربعين سنة * وكان المنصور قتل ما يظفر بأحد
 الاقتله سواء كان مستوجبا للقتل أو غير مستوجب وهذا كان في أول
 خلافته فقال له عبد الصمد بن علي قد ضخمت في القتل والعقوبة حتى كان
 لم يسمع بالعفو فقال ان بنى أمية لم تزل رعمهم وآل أبي طالب لم تغمد سيفهم
 ونحن قوم رأوا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد الهية في صدورهم
 الا باطراح العفو عنهم واستعمال العقوبة فيهم (ومن عجائب الظفر) ما حكاها
 الصولي أن المتوكل قال ركبت الى دار الواثق أزوره في مرضه في اليوم الذي
 مات فيه ولم أدرب ذلك فدخات الدار وجلست في الدهليز وأذن لي فسمعت
 بكاء نادية بناحية شعر بموند فتجست واذا اتياس ومحمد بن عبد الملك الزيات
 يا تمران في فقال محمد نلقه في التنور وقال اتياس بل ندعه في الماء البارد حتى
 يموت ولا يرى عليه أثر القتل فيبينهما كذلك اذ جاء أحمد بن أبي دواد وكان

القاضي يومئذ ففعله الخدام الدخول فدافعهم حتى دخل فجعل يجتنبهما
بما لا أعقل له لما دخل من الخوف واشغال السلب بأعمال الحيلة في الهرب
والخلاص مما اتفرا به في قميننا أنا كذلك اذ خرج الغلمان يتعادون الى
ويقولون انهم ضيامولا نأفأشككت أني أدخل وأبابع ولد الوائق وينقذني
ما قرر قد خلت فلقيني ابن أبي دواد فقبيل يدي وأمسكها الى أن صار بي الى
السريبر وقال اصعد الى المكان الذي أهلك الله له فلما صعدت وجلست سلم
على بالخلافة وجاء محمد بن عبد الملك الزيات واتباعه فسلموا على أيضا ثم استدعوا
القواد فسلموا على ثم الناس على طبقاتهم فلما انقضت المبايعة بقيت متجيبا
مما اتفق مع ماسمعتهم من كلام ابن الزيات واتباعه فسألت عن الحال وكيف
جرت فقبل لي بينا محمد بن عبد الملك الزيات واتباعه في تقرير ماسمعتهم اذ دخل
عليهما ابن أبي دواد فسلم عليهما وعزاهما وقال انارسل المسلمين اليكما وهم
يقرون السلام عليكما ويقولون لكما قد بلغنا وفاة امامنا وعند الله نحتسبه
وأنتما المنظور اليكما في هذا الامر فن اخترنا لامامتنا فقالا ابنة محمد فقال يخرج
ابن أمير المؤمنين الا أنه صغير لا يصلح للامامة فن غيره قالافلان وفلان وعدا
بجاعة الى أن قالوا وجهه ففر بن المعتصم فقال رضى المسلمون اصفقا على يدي
فصفقا ثم أرسل الى أمير المؤمنين فكان ما رأى قال المتوكل فبقى ما قاله اتباع
وابن الزيات في نقسى فقتلتهم بما احترما عليه من قتلى فقتلت ابن الزيات
في التنور واتباعه بالماء البارد * وكان ابن الزيات قد اتخذ التنور لابن أسباط
المصري وهو صورة خابية مدورة وجعل لباطن جوانبه مسامير أطرافها الى
داخل فاذا وقف فيه الواقف لا يستطيع الحركة الى جهة أخرى من جهاته
الاضربته المسامير فلا يزال قائما فيه حتى يموت فلما ألقى فيه ابن الزيات مر به
عبادة المختف فقال يا ابن الزيات أردت تخبرني التنور فخبرت فيه قال الميهودي
أقام ابن الزيات في التنور أربعين يوما الى أن مات وكانت مدة وزارته للمتوكل
أربعين يوما (وذكر) أن الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما قبض عليه
هرب الى البصرة فقبل له لم هربت قال خفت أن يقال لي ثاني اثنين اذهما
في التنور قتل ابن الزيات في الرابع من صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وكان
قد ووزر ثلاث خلفاء المعتصم والوائق والمتوكل ولما قبض عليه قال يا قهر

ألم يكفك التجارة والبسار والرغمة من العيش حتى طلبت الوزارة ونعزفت
للسباع في غيلها ذوق الان ما جنيت على نفسك • ومات الواثق بسر من
رأى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ولهم من العمر ستة وثلاثون سنة وكانت مدة
خلافة خمس سنين وتسعة أشهر وأياما (أقى الاسكندر) يسارق فأمر بصلبه
فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا ناكاره قال وتصلب أيضا وأنت كاره
• (من راقب في العقوبة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالأعمال والقصاص) •

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعض المفسرين
هذا وعيد للظالم ونعزية للمظلوم (كتب) عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن
أوطاة إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن لك
عند الله ما رعينك عندك (وقال بعض الحكماء) اذكر عند القدرة قدرة الله
عليك وعند الظلم عدل الله فيك (وفي المثل) كما تدن تدان (وقالوا) لا ينمى
من المظلوم جراحه حتى ينكسر من الظالم جناحه (وقال أعرابي) لمن جار
عليه لئن هممت إلى الباطل أتك لعطوف عن الحق (وقال) عبيدة بن أبي
لبابة من طلب عزياطل وجورا ورثه الله فلا يأنصاف وعدل (وقال الشاعر)

لا تعالج ذا الذنب بالانتقام • واحترس من ساعة الانام

فكرام الانام سبهم العفو وقد عيى الدلوب العظام

(أقى) سليمان بن عبد الملك برجل جنى جنابة يجب عليه فيها التعزير لا غير فأمر
بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الاذان قال وما يوم الاذان قال اليوم
الذي قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان
وأمر بإطلاقه (أقى) الرشيد ببعض من خرج عليه فبما مثل بين يديه قال ما تريد
ان أصنع بك قال الذي تريد أن يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه أذل مني بين
يديك فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال
بعض من حضر يا أمير المؤمنين تفنى مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمنل هذا
الباغى وتطلقه بكلمة واحدة انا لا نأمن أن تسلط عليك الاشرار بالاحسن
اليهم فأمر برده فلما مثل بين يديه علم انه قد أغرى به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعمهم
في قلوب طاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر بإطلاقه
(أخذ) الجراح محمد بن الحنفية بعد ما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع أمير المؤمنين

عبد الملك بن مروان قال اذا اجتمع الناس عليه كنت كالحدود قال وانه
لا تقتلوك قال لعلي لا تدرى قال مالي لا ادرى قال محمد حدثني ابي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يقضى في كل
لحظة ثلثمائة وستين قضية فلعله ان يكفيك في قضية من قضاياها فانقض الجحاج
وقال لقد لحظك الله فاذهب حيث شئت وخلي سبيله وكتب الجحاج بهذا الكلام
الى عبد الملك بن مروان ووافق ذلك كتاب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده
ويهدده فكتب اليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم اليه ما انت باي
عذرة هذا الكلام ما هذا الا كلام من اهل بيت نبوة (وقال رجل) لا مير غضب
عليه أسألك بالذي أنت بين يديه غدا أدل مني بين يديك اليوم وهو على عقابك
أقدر منك على عقابي الا نظرت في أمري تطرم من يرى برهى أحب اليه من سقمي
وعده في أولي به من ظلمي فمعاذ الله وأطلقه (ولما) هجم ابن حمران على مصر
في أيام المستنصر بالله واحرق دار الزيت وتخطف عسكره اجتمع الناس الى
أبي الفضل الجوهري الواعظ فشكوا حالهم اليه فكتب الى المستنصر ان كنت
خالقا فارحم خلقك وان كنت مخلوقا تخف خالقك والسلام فرفع ذلك عنهم
(غضب) محمد بن سليمان على رجل فأمر بطرحه في القصر فقال له رجل اتق
الله في فقال خلوا سبيله فاني كرهت ان أكون كالذي اذا قيل له اتق الله
أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم (قدم) الى أحمد بن نصير بجوسي جن جنانية
فأمر بضربه فقال أيها الأمير اضرب بقدر ما تقوى عليه يريد بذلك القصاص
في الآخرة فتركه وترك العمل (واخذ) مصعب رجلا من أصحاب المختار بن أبي
عبيدة فأمر بضربه عنقه فقال أيها الأمير ما أقبح منك ان أقوم يوم القيامة الى
صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي يستضاه به وأنعلق باطرافك وأقول رب
سل مصعبا فيم قتلني قال اطلقوه فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت من حياتي في
خمس عيش قال اعطوه مائة ألف درهم فقال أيها الأمير اشهد ان لابن قيس
الرقيات منها خسين ألفا قال ولم قال لقوله فيك

انما مصعب شهاب من اللثة تجلت عن وجهه الظلام
ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت كلا ولا كبرياء
يتق الله في الامور وقد أفشع من كان همه الاتقاء

فتبسم مصعب وقال ان فيك اموضا لا صنيعا وأمر بملزمة جنابه فلم يزل معه حتى قتل في جادى الاولى سنة اثنتين وتبعين وقتل أخوه عبد الله في جادى الاولى وكانت مدة خلافته تسع سنين واثنين وعشرين يوما وماتت أمه أسماء بعده بخمسة أيام لم تنجب ولم يقع لها سن ولها من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبد الله وانما عرف أبوه بقيس الرقيات لانه تشبب في شعره بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية وقيل اجتمع في جسدانه ثلاث رقيات وعلى القول الاول يقال الرقيات بالنم على الصفة وقيس بالتسوين وعلى الثانى يقال قيس الرقيات بالكسر على الجذات وأما الرقيات اللاتي شبب بهن فنهن رقية بنت عبد الله بن جعفر وفيها يقول

زودتنا رقية الاحرانا * يوم جازت حولها سكرانا

ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول

أمت رقية دونها العمر * فالرقة السوداء فالبشر

ورقية بنت الحسن وهي ابنة عم رقية بنت عبد الواحد وفيها يقول

اتكنى عن رقية أم تبوح * ومن تبع الهوى حينما فوض

*) (الفصل الثالث من الباب الرابع عشر)

في أن الانتقام بحمد ود الله خير فعلا من حكمه الله وولاه

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (وروى) أبو داود في مراسيله التي أخرجها في سنته عن مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود في السفر والحضر على البعيد والقريب ولا تبالوا في الله لومة لائم (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حديق قام في الارض خيرا لهما من مطر أربعين صباحا (وقال) الحسن البصري رحمه الله تعالى ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجرهم عن الجبائث والفواحش وأنزل القصاص حياة لعباده فاقصوا وحدوا ولا تخافوا في الله لومة لائم ولا يحل لاحد أن يشفع في إسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفع اليه أن يشفع فيه لما روى عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى

• (فما) • ورد عن ذري البصائر والاحلام في كنه مشروع الايقاع والايلاء
 (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجلد فوق عشر جلدات الا في حد من
 حدود الله عز وجل (وقال) عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات
 قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقفوا الحدود وما وجدتم موقفاً لأن
 يخطئ الامام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة فاذا وجدتم مخرجاً للمسلم
 فادرؤا عنه الحدود (وقال) بعض الحكماء رب ذنب مقدار العقوبة فيه اعلام
 المذنب بما جنى لا يتجاوز حد الارتفاع الى حد الايقاع (وقيل) لحمه بن رافع
 الدوسي من أعدل الناس قال من عفا اذا قدر وأجل اذا انتصر ولم يطفه غير
 الطفر (وبحكي) أن جعفر بن محمد الصادق قال لابي جعفر المنصور وقد غضب
 على رجل فامسرف في عقوبته أعبدك يا الله يا أمير المؤمنين أن تغضب الله سبحانه
 يا كثر مما غضب به لنفسه ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمنتقم فوق حصه لم
 عاقبت عبدي بأكثر مما حددته فيقول يا رب انما غضبت لك فيقول الله سبحانه
 أكان غضبك ان يكون فوق غضبي (وقال) أبو الدرداء لرجل اسمع كلاماً
 يهذلاتفرقن في سبناودع للصالح موضعاً فاننا لانكافئ من عصي الله فينا بأكثر
 من أن نطبع الله فيه (وقال) بعض الحكماء ان الحق ثقيل فن قصر فيه عجز
 ومن جاوزه ظلم ومن انتهى اليه اكتفى (أى المأمون) برجل وجب عليه حد
 فأمر بضربه فقال يا أمير المؤمنين قتلتنى قال الحق قتلك قال ارحمنى قال ما أنا
 بأرحم من الذى أوجب الحد عليك (وقالوا) جاع الخير كما في القيام بحدود
 الله (تقدمت) امرأة الى ابن الزيات وكان قد حبس ابنها في دم فاستغاثت
 فنهرا وزوى وجهه عنها فقال بعض من حضر ارحمها أيها الوزير انها أمه قال
 افلا أرحم أم المقتول (شاعر)

إذا عفا لم ينك في عفو • من به كثر نعماء

وان سطا عاقب ذائلة • بقدره لا يتعداه

(وقال) اكثم بن صيفي لاتعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فان الله تعالى أقدر
 منك على عدوان (وقال) سري السقطي خصله من أعلام الاسلام وقواعد
 الايمان من اذا قدر لم يتناول ما ليس له (وقالوا) العفو احتمال الذنب الذى
 لا يكون عن عمد ولا يفضى الى حد ولا ينقض سنة ولا يولد جرأة فاما الذى

يرتكب هذا ويوجب حداً فالاحتمال له ترخيص في الذنوب والتجاوز عنه
ابطال للمحدود وذلك ما لا تحتمله السياسة ولا تطلقه الشريعة فمن عفا عن
يستوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق المثوبة

• (ذكر) • الحدود التي أوجبها الله تعالى على من أقرط في ارتكاب القوا حشر
وتعالى (الحدود) وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ما حذر وترك ما أمر
فلا تقام الا بعد سماع بينة أو اقرار فان لم تكن بينة أحلف الخصم وذلك في
حقوق الأدميين وهي نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سرقة
وحدمسقة وحد قذف (فخذ الزنا) وهو أكبر الكبائر ثبت بأحد أمرين
أما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء يشترط في قبول شهادتهم رأى العين
للمباشرة وفي جواز تعمد النظر خلاف وحد الرؤية أن يرى من شهد
تغيب البالغ العاقل حشفة ذكره في أحد الفرجين لا عصمة بينهما ولا شبهة
• والزاني نوعان بكر ومحسن ويجلد العاقل في البكران كان حراً بالغا عاقلاً
عالمًا بالتحريم مائة سوط على سائر أعضائه دون الوجه والرأس والخاصرة
وسائر الأعضاء المخوفة ويغربان كلاهما وقال مالك بتغريب الرجل دون
المرأة وقال أبو حنيفة لا يغرب والتغريب عام مسافة القصر وحد الكافر
غير الحربي والمسلم في الجلد والتغريب سواء وحد العبد على النصف من حد
الحر ويغرب نصف عام في أحد القولين وقال مالك لا يغرب لما في تغريبه
من الأضرار بسببه فاما المحسن فهو الذي أصاب وطأ محرماً بعد نكاح وحده
الرجم بالحجارة حتى يموت ولا يلزم الراجم توقي مقاتله ولا يجلد فان رجم بالبينة
رجم في حفرة يمنعه من الهرب وان هرب أتبع بالرجم حتى يموت وان رجم
باقراره لم يحفر له وان هرب لم يتبع واذا تاب الزاني بعد القدرة عليه لم يسقط
عنه الحد (حد السرقة) والسرقة أخذ مال من حر فبلغت قيمته نصاباً إذا سرقه
بالغ عاقل مختار لا شبهة له في المال ولا حرزه فحده قطع يده اليمنى من مفصل
الكوع والنصاب ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار وهو عشرة دراهم
عند الشافعي وثلاثة دراهم عند مالك والاسراف يختلف باختلاف الأموال
واذا قطع السارق والمال باق ردت على مالكه وان سرقه ثانية قطع وقال
أبو حنيفة لا يقطع في مال مرتين وان غارب المال عن القطع لم يطل ويستوى

في قطع السرقة الرجل والمرأة والخمر والعبد والمسلم والكافر * وإذا سرق ثانيا قطع رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وان سرق خامسا لم يقتل بل يوزل لانهم معصية ايسر فيها حد ولا كفارة * واذا تلف المسروق في يد السارق ضمن بدله وقطع لان الضمان يجب بحق الآدمي والقطع يجب لله فلا ينفع أحد * مما الاخر كالدية والكفارة ولا يقطع صبي ولا مجنون ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال والده أو جده لان لكل واحد منهما شبهة في مال الآخر (حد الخمر) كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ حذ شاربه سواء أسكر أو لم يسكر اذا كان مكافا * والسكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين السماء والارض ولا بين الطول والعرض هذا قول أبي حنيفة وقيل هو أن يجمع بين اضطراب الكلام فهم ما وافها ما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما (ويحكي) أنه لما جلس أبو بكر محمد بن أبي داود الاصفهاني الظاهري بعد أيه يفتي استصغروه فدسوا إليه رجلا وقالوا له سلم متى يكون الشارب سكران فسأله الرجل فقال افاعت عنه الهموم وباح بسر المكنوم فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم (وقال آدم بن عبد العزيز في حده)

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا * نرى الارض غشي والجبال تسير
اذا متركب قلت قدمي فارس * وان مره — رقلت ذال تبعير
تسارنا الحيطان من كل جانب * نرى الشخص كالشخصين وهو صغير
* والحد في حق الخمر أن يجلد أربعين بالأيدي أو بأطراف الاكمام أو بالسوط ويكت بالقول الممض والكلام الرادع وحد العبد على النصف من حد الخمر كذا جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وصدا من خلافة عمر فقال للصحابه أرى الناس قد اتهموا في شرب الخمر فاترون فقال علي رضي الله عنه أرى أن يجلد الخمر ثمانين والعبد أربعين ففعل ذلك فلما لم يكن بد من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الفقهاء الأربعين الاولى حدا والثانية تعزير الاجل الافتراء لان الشارب اذا سكر عر بدوا اذا عر بد اقترى واذا اقترى استحق التعزير فان مات في الأربعين كانت نفسه هدر وان مات في الثمانين فقيه قولان أحدهما جميع الدية لتجاوز النص

في حده وهو الاربعون والثاني نصف الدية لان نصف حده نص والاخر
 مزيد (وحد القذف) ثمانون جلدة اجماعا وهو من حقوق الادميين يستحق
 بالطلب ويسقط بالعتف ويعتبر في المقذوف خمس شروط البلوغ والحرية والعقل
 والاسلام والعفة وان كان غير ذلك لا يحده فاذنه بل يعذر لاجل الاذى * وشرط
 القاذف أن يكون بالغاً عاقلاً حراً وان كان صغيراً أو مجنوناً فلا يحده ولا يعزر
 وان كان عبداً أحد أربعين لنقصه بالرق ويستوى في الحد المسلم والكافر والمرأة
 ولا يحده القاذف بالسرقة والكفر بل يعزر لاجل الاذى * والقذف بالزنا ما كان
 بالتصريح لا بالتعريض وقيل بالتصريح والتعريض وهو مذهب مالك وقيل
 لاحد في التعريض وهو مذهب الشافعي (والتعزير) هو تأديب على ذنوب
 لم تشرع فيها الحدود ولا يبلغ به أدنى الحد فلا يبلغ به في الحر الى الاربعين ولا في
 العبد الى العشرين فالذي لم تشرع فيه الحدود كبضعة الاجنبية فيمادون
 الفرج وسرقة مادون النصاب والسرقة من غير حرز والقذف بغيب الزنا
 أو الجنابة التي لا قصاص فيها * ويجوز أن يكون التعزير بالعصا والسوط وهو
 على حسب ما يراه الامام ويختلف باختلاف الذنب وحال فاعله كقوله عليه
 الصلاة والسلام اقبلوا ذوى المروءات عثراتهم الا في الحدود فيعزر من جل
 قدره بالاغراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف ويعزر من دونه بزواج الكلام
 ويعزر من دونه بالضرب وحالهم في الحبس كذلك من يوم الى غاية غير مقدورة
 * ويجوز في التعزير العفو عنه اذا لم يعلق به حق لا دمي كالشتم والضرب وان
 عفا المشنوم أو المضروب كان ولي الامر مخيراً بين التعزير تقويماً والعفو صفحاً
 وان تعافوا قبل الترافع اليه كان ولي الامر مخيراً (والجنابات) هي قود وعقل
 * والجنابات على النفوس ثلاثة عمد محض وخطأ وشبه عمد (أما العمد المحض)
 فهو أن يتعمد رجل قتل انسان بما يقتل غالباً فيه القود أو الدية * والقود أن
 يقتل القاتل بمثل ما قتل به المقتول اذا قتل بالسيف لم يقتض منه الا بالسيف
 وان أحرقه أو أغرقه أو رماه بحجر أو رماه من شاهق أو ضربه بخشب أو
 حبسه ومنعه الطعام والشراب فمات فللولى أن يقتص بذلك لقوله تعالى وان
 عاقبتم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتم به * والدية في هذا القتل مائة من الابل في مال
 القاتل حالة فان أعوزت الابل وجب قيمتها بلغت ما بلغت وقيل ألف دينار

أوشا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الإبل عبد المطلب وحكم
القود فيه أن يفضل القاتل على المقتول بحرية أو اسلام فلا يقتل حر عبد
ولا ذكرا ثني ولا مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعي فإن قتل حر عبدا
فلا قود وكذا لو قتل مسلم كافرا وقال أبو حنيفة يقتل المسلم بالكافر والحر
بالعبد كما يقتل العبد بالحر والكافر بالمسلم ويقاد الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل
والكبير بالصغير والعاقل بالجنون مراعاة لقول الله تعالى إن النفس بالنفس
وقال المخالف لهذه الآية وأردة بحكاية ما كتب في التوراة على أهلها والذي
خوطب به المسلمون كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد
والأثني بالأثني ولا يقاد والد بولد ويقاد الولد بالوالد والابن بالابن (وأما الخطأ)
الظاهر فهو أن ينسب إليه الفعل من غير قصد لا يقع الفعل بالمقتول كرجل
رمى هدفا فأصاب إنسانا أو ركب دابة فصرحت بإنسان مات فهذا وما أشبهه
إذا حدث عنه القتل قيل فيه خطأ محض يجب فيه الدية دون القود على عاقلة
الجاني في ماله مؤجلة تؤخذ من حين يموت المقتول في ثلاث سنين الخماسا
عشرون خلقة وهي التي مضى عليها سنة وخلفت عن أمهاتها وعشرون بنت
مخاض وهي التي مضى لها من العرس ستان وعشرون بنت لبون وهي التي
مضى لها من العمر ثلاث سنين وعشرون حقة وهي التي مضى لها من العمر
أربع سنين وسميت حقة لأنها استحققت أن يحمل عليها وعشرون جذعة وهي
التي مضى لها من العمر خمس سنين ولا يتحمل القاتل مع العاقلة شيئا من الدية
ولا يتحملها الأب وإن علا ولا الابن وإن سفل لأنهما ليسا من العاقلة * وعلى
القاتل خطأ مع الدية عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب فإنه لما أخرج نفسه
مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسه مثلها في جملة الأحرار لأن
إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قتل لأن الرقيق ممنوع من تصرف
الأحرار ومن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به إليها فعليه صيام شهرين متتابعين
(ودية نفس الحر المسلم) ألف دينار وإن كانت ورقا شاعر ألف درهم
وإن كانت إبلا بمائة من الإبل وهي أصل الدية ودية المرأة على النصف من دية
الرجل في النفس والأطراف ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم
وقال مالك نصفها ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم ودية العبد قيمته وإن

زادت على الحر أضعافاً (وأما شبه العمى) فهو ان يكون عامداً في الفعل غير
 فاصداً للقتل كعلم أدب صيافات أو عز السلطان رجلاً على ذنب قتل فلا
 قود في القتل وفيه الدية على العاقلة وهو ان يزاد عليهم المثلها تؤخذ فيها ثلاثون
 حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه * والعاقلة هم العصابات الذين يرتون
 بالنسب والولاء وإذا اشتراك جماعة في قتل رجل واحد وجب القود على
 جميعهم وان كثروا ولولى الدم أن يعفو عن شاء منهم ويقتل باقيهم وان عفى
 عن جميعهم فعليه دية واحدة تقسط عليهم بالسوية وان كان بعضهم جارحاً
 وبعضهم ذابحاً فالقود في النفس على الذابح الموفى والجارح مأخوذ بجراحته
 * وإذا قتل الواحد جماعة قتل بالاول ولزمه القود في الباقيين وتؤخذ دياتهم
 من ماله * والقود في الاطراف كما قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس
 بالنفس واليمين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح
 قصاص ولا تقادى بغيري يسرى ولا صحبة بشلاء ولا ضرر من بسن ولا ثنية برابعة
 ولا لسان ناطق بلسان آخرس لانه أكثر من حقه ويؤخذ الاخرس بالناطق
 وما انقسم الى أعلى وأسفل لم يؤخذ الا على بالاسفل ويقاد الشريفة بالدنى *

(ما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان وحواصه)

العقل الاذان السمع على حiale العينان البصر على حiale الاجفان
 الاهداب على حialeها الانف الشم على حiale الشفتان النطق على حiale
 الاسنان اللسان الذوق على حiale اللحيان الميدان الاصابع على حialeها
 الصلب قوة الامناء الاليتان الذكر الانثيان ابطال شهوة الجماع على حialeها
 الرجلان منفعة المشي والبطش من غير قطع اليدين والرجلين سلخ جميع
 الوجه نزع لحم الاكاف نزع جميع اللحم الثابت على الظهر

(ما تختص به المرأة دون الرجل)

الثديان وفي الرجل خلاف الشفران الافضاء * ويجب في كل جفن ربع الدية
 وفي كل سن خمس من الابل وكذلك في الاضراس والرباعيات وفي كل اصبع
 من البدأ والرجل عشر الدية لا يفضل اصبع على اصبع وفي كل اغملة ثلث
 عشر الدية ما خلا الابهام فان في كل اغملة منه نصف العشر (واذا) وجب
 القود في نفس أو طرف لم يكن لوليه أن يتفرد باستيفائه الا باذن السلطان

وان صار الى حقه من غير اذن السلطان فلا شيء عليه واذا تعذر وخاف فوات القتال فالولي مخير بين أن يعفوا أو يقتل أو يأخذ الدية وذلك مما خص الله به هذه الامة وذلك أن الله كتب على أهل التوراة الفصاح وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وأوجب على أهل الانجيل العفو وحرم عليهم الفصاح وأخذ الدية (المحاربون) وهو اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ الاموال ومنع السابلة فالحكم فيهم كما قال الله تعالى انما جراء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض وحكم هذه الآية أنها مرتبة باختلاف أفعالهم لا باختلاف صفاتهم فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومذهب مالك وأبي حنيفة أن يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يموت ولا بأس أن يطعم ويسقى ولا يجوز العفو عن هذا القتل وإن عفا ولي الدم ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى للسرقة ورجله اليسرى للمجاهرة بخافة السيل ومن هيب ولم يقتل ولم يأخذ المال عزرا لا غير ونفى (والنقي) هو الحبس وهو قول مالك وأبي حنيفة وقال الشافعي "هو أن يطلبوا إقامة الحد وفيه عدوا فان تابوا سقطت عنهم الحدود وقيل الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل * وتوبة المحارب قبل القدرة عليه فان لم يكن في منعة وضع عنه الحد الالهي ولا يسقط عنه حد الادمي وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه توضع عنه جميع الحدود والحقوق الا الدماء والله أعلم

• (الباب الخامس عشر في الاخوة وفيه ثلاث فصول) •

• (النصل الاول من هذا الباب) •

(في مدح اتخاذا الاخوان فانهم العدو والاعوان)

(قال) الله تعالى حكاية عن قول الكفار في دركات النار في طابهم الاغاثة من الصديق على ازالة ما مسهم من عذاب الحريق او تخفيف ما نالهم من العذاب الاليم فالنامن شافعين ولا صديق حميم (قيل) انما سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه من المودة وسمي العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفرك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان الله حي كريم يستحي أن

يعذب عبده بين اخوانه (وقال) عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه
(وقال) عليكم ياخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان وشركاء
في السراء والضراء وما أحسن قول من قال

مادامت النفس على شهوة * الذم من وصدق أمين
من فاته ودأخ صالح * فذلك المقطوع منه الوتين
(وقيل لحكيم) ما أحسن العيش قال اقبال الزمان وعشرة السلطان وكثرة
الاخوان

ما ضاع من كان له صاحب * بقدر أن يرفع من شأنه
وانما الدنيا بسببها * وانما المرء بأخوانه
(واعلم على كرم الله وجهه في معناه)

عليك ياخوان الصفاء فانهم * عما اذا استجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا الكثير
(وقال) المغيرة بن شعبة التمارك للاخوان متروك (ويقال) الرجل بلا أخ
كشمال بلا عين وقال الشاعر

وما المرء الا بأخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الا جذم

(وقالوا) من لم يرغب في الاخوان بلى بالعداوة والخذلان (وقالوا) اتخذ
الاخوان مسلة للاحزان (وقالوا) مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين
تستعين بالعين (التعالي) الحاجة الى الاخ المعين كالخارجة الى الماء المعين
* وقال الصديق ثانی النفس وثالث العينين * وقال في لقاء الاخوان روح
الجنان وراحة الجبان * وقال لافأ كهة أطيب من مفا كهة الاخوان
ولانسيم أروح من مناسمة الخلان * وقيل لبعضهم ايما أعز عليك شقيقك
أم صديقك قال شقيبى اذا كان صديقى (وقالوا) الاخ الصالح خير لك من
نفسك لان النفس أماراة بالسوء والاخ الصالح لا يأمرك الا بالخير (ولم يقل)
في احتياج الانسان الى صديق يزينه في المشاهد ويعينه على بلوغ المقاصد
مثل قول الفقيه منصور

لولا صدور الصديق عني * ما نال واش مناه منى
ولا أدمت البكاء حتى * قرح فيض الدموع جفنى

وما جفأ الصديق الا • هجوم خوف عقيب امن
(وقالوا) اصطف من الاخوان من كان ذاعقة - ل موقور يهتدى به الى
مراسد الامور فان الاجل لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال
(وقالوا) اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه رده
لك عند حاجتك وركن عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عاقبتك
(وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه)

أخلاء الرجال هموكثير • ولكن في البلاء همو قليل
فلا يغرك خلة من تصافي • فالك عند نائبة خليل
وكم خيل يقول أنا وفي • ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين • فذالك لما يقول هو الفعول
(وقد صرح الشاعر في اعتبار الاخلاق واختيار الاعراق) بقوله
واذا جهلت من امرئ أعراقه • وذكرتها فانظروا لي ما يصنع
ان النبات اذا استدام به الثرى • مرج النبات به فطاب المرتع
(آخر)

صافي الكريم خير من صافيه • من كان ذا شرف وكان عفيفا
ان الكريم اذا تضع وضع حاله • فالحلق منه لا يزال شريفا
(وقال علي) رضي الله عنه الاخ رقة في ثوبك فانظرهم ترقعه (وقال العتابي)
لا تستكثر من الاخوان الا ان كانوا اخيارا فان الاخوان غير الاخيار
بمنزلة النار قلبها متاع وكثيرها بوار وقد قال الشاعر
لا تركن الى اهل الزمان ولا • تأمن الى أحد واستشعر الحذرا
فان شككت فخرت من تعاشره • حتى يقول لك التعريب كيف ترى
(آخر)

تخير من الاخوان كل ابن حرة • يسر لك عند النائبات بلاؤه
وقاوت اذا قارنت حرا فانما • يزين ويرزى باللقى قرناؤه
(عدي بن زيد)

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم • ولا تصعب الاردي فتري مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي

(آخر)

لاتك للجاهل خدنا فقد * يعتبر الصاحب بالصاحب
علامة الانسان في خدنه * تبين للشاهد والغائب

(ولبعضهم)

اذا اخترت أن يبقى لك الدهر صاحباً * فمن قبل أن يصرفك الودع فاعضبه
فان كان في حال التباغض راضياً * والا فقد جربة — فتنجبه
(قال ابن مسعود) ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على
الصاحب (وقال حكيم) كل انسان يأنس الى شكله كما أن كل طير يطير مع
جنسه (ومن النوادر) أن حكيماً رأى غراباً مع حمامة فمحب من تألفها مع
مباينتهما في الجنس فأثارهما فاذا أكل منهما ما كسور الجناح فقال انما جمع
بينهما العلة (وقالت الحكماء) الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفرق (وقالوا)
على قدر وثنا كل الاجناس تتألف قلوب الناس وأقربهم ما مشاكلة أحسنهما
مواصلة وأكثرها تنافراً أطولها متابراً (وحكى) أن عبد الله بن جعفر جاء
مكة ليلا فبات خارجها فلما أصبح دخلها فقال يا أهل مكة عرفنا أخباركم من
أشراقكم في ليلة واحدة نزلنا ومعا أخبار وأشراركم نزل أخبارنا على أخباركم
وأشرارنا على أشراقكم وقد نظم المتنبي هذا القول في بيت واحد فقال
وشبه الشيء منجذب اليه * واشبهنا بديننا الطغام

(ولغيره)

لكل امرئ شكل من الناس مثله * وأكثرهم شكلاً أقلهم عقلاً
وكل أناس يأنسون لشكلهم * وأكثرهم عقلاً أقلهم وشكلاً
لأن كثير العقل ليس بواحد * له في فريق كل حين له مثلاً

(آخر)

وقائل كيف تهاجرتما * فقلت قولاً فيه انصاف
لميك من شكلي ففارقته * والناس أشكال والاف
(وقال الجاحظ) من شأن الاجناس أن تتواصل ومن عادة الاشكال أن
تقاوم والشيء يغفل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقي
عنصره وشج بعروقه وسبق بفروعه وتمكن على الإقامة وثبت ثبات الطبيعة

(وقال)

(وقال حاتم)

واني وحيد النقر مشترك الغنى * وتارك شكل لا يوافق شكن
وشكلي شكل لا يقوم بمثله * من الناس الا كل ذي ثقة مثلي
ولي ملح في المجد والبذل لم يكن * تأتقها فبما ضي أحد قبلي
وأجعل مالي دون عرضي جنة * لنفسي وأستغني بما كان من فضلي
(أبو سليمان الخطابي)

وما غربة الانسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أصرق وبها أهلي
(ويقال) المودة نسبة من غير رحم وصلة من غير قرابة (شاعر)
ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب نائبا * واذا المودة أقرب الانساب
(آخر)

ما القرب الا لمن صحبت مودته * ولم يحنك وليس القرب بالنسب
كم من قريب بعيد الود مظعن * ومن بعيد سليم الود مقرب
(فنون شروط الاخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه) *

والقول الجامع لحقوق الصديق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا
واجبا لاخيه عليه أن يسلم عليه اذا لقيه ويشتمه اذا عطس ويعوده اذا مرض
ويجيبه اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات (وقال) عمر بن الخطاب
ثلاث يصفونها وذا أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه
بأحب أسمائه اليه نظم بعض الشعراء هذه الكلمات

ثلاث بها تصفون ذاك أخيك * اذا اجتمعت بعد الاخوة فيك
تسلم عليه ضاحكا منحيبا * اليه اذا لا قبته ولقيك
وتوسع له بالود في كل مجلس * كما كنت يوما موسعا لا ييك
وتدعوه من أسمائه بأحبها * اليه تكن بالود منه وشيكا
وداوم عليها مع أخيك فانه * من السوء عند النائبات يفيك

(وسئل) عبد الله بن عمر ما حق الصديق على صديقه قال لا تشع ويجوع

وقلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء نظم شاعر هذه الكلمات
فقال

لخيل على معنى ثلاث • واجبات اخصها اخواني
حفظه في الغيب ان غاب عني • ولقياء بالبشر ان لا قاني
ثم بذل بما حوته عيني • مشفقاً في الخطوب ان مادعاني
• (فما بعقد من شرائط الاخاء والمودة رعاية الاخ اخاه في الرخاء والشدة)
(قال) على رضى الله عنه لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث
في نكبته وغيبته ووفاته (وقال) طاوس اليماني لا توأخين الا الكريم الابوه
الكامل المروة الذي ان بعدت عنه خلفك وان قربت اليه كن خلفك
(وقال الثعالبي) ينبغي أن يكون الصديق لصديقه أسمع من خادم وأطوع
من حاتم (وقيل) لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أي الاخوان أخلق ببقاء
المودة قال الوافردي في الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينسأل عند
البعد ان دنوت منه دعاك وان بعدت عنه دعاك لا يقبضه عنك يسر ولا
يقطعه عنك عسر ان استغنته عضدك وان احتجت له رفدك وتكون مودة
فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة
من صديقه (وقال) جعفر الصادق رضى الله عنه للصدقة خمس شروط فمن
كانت فيه فأنسبوه اليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه اليها وهي أن يكون
زين صديقه زينه وسريره له كعلانيته وان لا يغيره عليه مال وان يراه
أهل الجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات (وقال) أبو بكر بن عبد الله المزني اذا
انقطع شسع فاعل أخيك ولم توأسه في الحفاء فقدمت الى جانب من الحفاء
(ومن حق الصداقة) حفظ العهد وبذل المال واخلاص المودة ورعاية
الغيب وتوقير المشهد ورفض الوحدة وكظم الغيظ واستعمال الحلم وبجانب
الخلاف واحتمال الكل وطلاقة الوجه وصدق اللسان والمشاركة في الباساء
(ولقد كرم نجار من قال في معرض الاختيار)

لم يسبق معنى على الايام باقية • الا انقضت غير حفظ العهد والذم
هذان خلقان أيام الحياة معي • لا يرحان على الاكثار والعدم
(أبو العنابه)

أحب من الإخوان كل موافق • وكل غضبض الطرف عن عثاقي
 يوافقني في ~~كل~~ أمر أريده • ويحفظني حيا وبعد مماتي
 ومن لي بهذا ليت اني وجدته • فقاسمته مالي من الحسنات
 (وقالوا) خيرا لخوان من يستردنيك فتم يقرعك به ويحقي معروفه عندك
 فلم يعب به عليك (وقال أعرابي) اصحب من ينسي معروفه عندك ويذكر
 حقوقك عليه (وقال آخر) اصحب من اذا اصحبته زانك وان خدمته صانك
 وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة عذها وان عثر على سيئة
 سدها لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه (أبو نصر الميكاكي)
 أخوك من ان كنت في • نعمي وبؤسي عادلك
 وان بدالك نعمة • بالبر منه عادلك

(آخر)

خيرا لخوانك المشارك في المزواين الشريك في المراينا
 الذي ان حضرت زانك في الحى وان غبت كان أذنا وعينا

(آخر)

لعمرك ما زان النفسى في أموره • ولا شأنه الا طباع الخسلائي
 ولا صاحب الاقوام في كل حالة • كتر ~~كريم~~ أو خليل موافق
 بواسيتك في البلوى ويمحك الهوى • ويصفيك وداما خضا غير ماذق
 يكون اذا تابستك يوما عظيمة • سنا فالدى الهيباء في كل مارق

(آخر)

ان أذا الصدق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك
 ومن اذا ريب الزمان صدعك • شت فيك شهله ليجمعك
 (وقيل) لخالد بن صفوان أى اخوانك أوجب عليك حقا قال الذى يسد خللى
 ويغفر زللى ويقبل على ويسط عنه أمل (وقال الثعالبي) صديقك من يرضى
 خلتك ويسد خلتك (وقال) الجراح لابن الفريه ما الكرم قال صدق الاخاء في
 الشدة والرخاء (ويقال) صديقك من ساعفك في اطوارك وقدم سعيه في قضاء
 أوطارك أبو تمام حبيب

من لي بانسان اذا أغضبه • وجهلت كان الجهل رد جوابه

واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للصديق بطرفه * وبقلبه ولعله أدري به
(وقال) الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال
الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسئلة
ومخرج العذر قبل العتب (وقال رجل) لطبيع بن أبياس جئتكم خاطبا لمودتكم
قال قد رزقناكم على شرط أن نجعل صدأ قها أن لا نسمع في مقالة الناس
(وقالوا) الستر لما عانت أحسن من اذاعة ما ظننت شاعر
اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * حلما ظريفا ما جذا فطنا حرا
فان ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا
(وقيل) لبعض الأدباء من الرفيق قال من أحسن شغله وأوكد فرضه ونقله
فقبل له من الشفيق قال من ان دهمتك محنة قذيت عينه لك وان شملتك منحة
قرت عينه بك فقبل له من الوفي قال من يحكي بالقصد كمالك ويرعى بلمظه
جمالك قبل له من الصاحب قال الذي من اذا نأى ذكره عند الناس وان دنا
خدمك في السكاس (وقال بعض البلغاء) اذا جادلك أخولك بما له فقد جادلك
بنفسه لانه قد بذل لك ما لا تقوم لنفسه الابى واذا بخل عليك برفده فلا تصدقه
في وده والله در القائل

اذا صاح بي صاحبي يا أخى * وقد عظه الدهر لبيته
أعطل بالوصل عرس الاخاء * ليزكوما كنت ربيته
له الصقوما حوته يدي * ويبقى اذا زارني بيته

(آخر)

أميل مع الصديق على ابن أمي * وأخذ للصديق من الشفيق
فان أبصرني حرا مطاعا * فانك واجدى عند الصديق
(وقالوا) لتكن معاوتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاوتك اياه
عند الرخاء (وقالوا) اجعل حسنات أخيك له محسوبة وسبائنه الى الزمان
منسوبة (وقالوا) من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا وعدو
صديقه عدوا (وقالوا) ليس من الحب أن نحب ما يغيض حبيبك (السري الرفاء)
وليس يكون المرء مع صديقه * اذا لم يكن حرب العدو والمخالف

(آخر)

صديق عدوى داخل في عداوتي * واني لمن ود الصديق ودود

(آخر)

تودعدوى ثم تزعم أنني * صديقك ان الرأي منك لعازب

(آخر من أبيات)

اذا صافي صديقك من تعادي * فقد عاداك وانقطع الكلام

(وقالوا) يجب على الصديق أن يحتمل اصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم

الدالة وظلم الهفوة (وقالوا) اذا صبح الودسة طشت شروط الادب (ويقال)

اذا صبح الاعتقاد ذهب الانتقاد * وقال المأمون أحب الاخوان الى من

يكفيني مؤنة الحفاظ

* (ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفض العقاب واجتناب التفريع) * قال عيسى عليه السلام الصبر على أخ بعيب فيه خير من أخ تستأق مودته

(وقيل) من عاتب في كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلام (وقالوا) قديم الحرمة

وحديث التوبة يمحون ما بينهم ما من الاساءة * شاعر

زين أخاك بحسن وصفك فضله * واثبت لما يأتي من الحسنات

وتجاف من عثراته واسائه * من ذا الذي ينجم من العثرات

(وقالوا) العفو الذي يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات وخلص

من تذكار القرطات (وقالوا) ليس من العدل سرعة العذل * ويقال

العتاب داعية الاجتناب (وقالوا) عتاب الاحباب داعية الهجر والسباب

(وقالوا) العتاب أكد دواعي القطيعة بين الاحباب * شاعر

لولا كراهية السباب واني * أخشى القطيعة ان ذكرت عتابا

لذكرت من عثراتكم وذنوبكم * ما لو عي — ر على الفطيم لثابا

(آخر)

تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من نخط الصواب

ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

(أحمد بن يوسف)

وكم قد قلتمو قولا لدينا * له لولامها بتكم جواب

تركت عنايبكم وعفوت اني • رأيت المهجر مبدؤه العتاب
(آخر)

اذا اعتذر الصديق اليك يوما • من التقصير هذا خمق
فصنعه عن عتابك واعف عنه • فان العفو شعبة كل حر
(آخر)

لا تجفون أخا وان أبصرته • لك جافيا ولما تحب منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا • والماء يكدر ثم يرجع صافيا
(آخر)

أخلص الولد لئلا آخيه • واغفر العثرة منه ان عثر
واذا زلت به النعل فلا • تلبس من أجله بجلد النمر
عديلم منك يطنى جهله • انما الجهل كآثر تستعر
(آخر)

اذا أنت عاتبت الملوكة فانما • تخط على جار من الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ولم تكن • مودته طبعها فصارت تكلفا
(آخر)

وكم من قاتل قد قال دعه • فلم يك وقته لك بالسليم
فقلت اذا جزيت القدر غدرا • فما فضل الكرم على التميم
واين الالف يعطفني عليه • واين رعاية الحق القديم
(ويقال) اذا تبسطت المكاتبة اتقيضت المصاحبة (وقال أبو بكر
الظواهرى لا خير في حب لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه وانما
العشرة بمجاملة والمجاملة لاتسع الاستقصاء والكشف لا يحتمل الحساب
والصرف) محمود الوراق

ان التيجنى قاطع الرقد • والغيظ يخرج كل من الحقد
فاقبل اخاك على تقبيره • وارع الذى قد كان من عهد
(آخر)

ومن لم يغمض عينه عن صديقه • وعن بعض ما فيه عيت وهو عاتب
ومن ينبع جاهدا كل عثرة • يجدها ولا يسل له الدهر صاحب

(بشار بن برد)

إذا كنت في كل الأمور معاتبا • خليلك لم تلق الذي لاتعانبه
وان أنت لم تشرب مرار على القذى • ظلمت وأي الناس تصفومشاربه
فصن واحدا أو صن أخاك فانه • مقارن ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى بهجاء كلها • كفى المرء نبلا ان تعرف معاييه

(آخر)

ارض من المرء في مودته • بما يودى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا • تصح منهم له سريره
يوشك أن لا يتم وصل أخ • في كل زلاته تنافره

(ابن الرومي)

هم الناس في الدنيا فلابد من قذى • يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف ألك تبغى الشبه ذب في الدنيا ولست المهذبا

(العباس بن الاحنف)

ان بعض العتاب يدعو الى الهجر • ويؤذي به الهب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الود • قلن يعطف العتاب القلوبا
(وقالوا) الاستقصاء أول الزهد • وآخر الود (ومن أمثالهم) رب خيرة
صغيرة عادت همة كبيرة وقال الشاعر

هذي مخايل برق خلفها مطر • جود وورى زناد خافقه لهب
وأزرق الصبح يد وقبل أيضه • وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(نصر بن سيار)

أرى خلل الرماد وميض حجر • ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو • وان الحرب أولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم • يكون وقودها جثث وهام

(عبد الله بن طاهر)

اذا ما صديق ضررتني سوء فعله • ولم يك عماساءني بمغيب
صبرت على أشياء منه ترييني • مخافة أن أبقي بغير صديق

(ومنه قول الآخر)

وكنْتَ اذا الصديق أراد غيظي * وأشرفني على حنق بريني
 عَفَرْتُ ذنوبه وعفوت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق
 (ومنهم من استحسن عتاب الأصحاب فربما كان حضا على اكتساب المحاب)
 (قالوا) معاتبة الأخ الصديق خير من فقدِه فلعلها تكون سببا إلى صلاحه
 ورشده (وقالوا) ترك المعاتبة من علامات الإهمال والتواطىء على منهيات
 الأعمال (وقالوا) شر الأصحاب من لم ينبج فيه العتاب (وقال) على رضى
 الله عنه عاتب أخا له بالاحسان اليه واراد شره بالافضال عليه (وقال) على بن
 عبدة الزنجاني العتاب حدائق الاحباب ونماز الود ودليل الظفر وحركات
 الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق (وقالوا) العتاب يداوى القلوب
 ويترجم عن خفيات العيوب وما أحسن قول من قال

تواقف عاشقان على ارتعاب * أرادوا الوصل من بعد اجتناب
 فلا هذا يميل عتاب هذا * ولا هذا يميل من الجواب
 فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شيء أذل من العتاب

(آخر)

أعاتب من أهواه في كل حالة * ليجتنب الامر الذي معه الذنب
 فاني أرى التأنيب عند حدوثه * بمنزلة الغيث الذي قبله الجذب

(ومن مستحسنات المعاتبات قول القائل)

لا غرو ان كان من دوني بسر كم * وأنثى عنكم بالويل والحرب
 يدنوا الارال فيمسي وهو ملتئم * ثغر الفتاة ويليقي العود في اللهب

(ولبعضهم)

سأنسبك نفسي ان نسيت مودتي * كأنك لم تحطري بيالى ولا وهى
 وأكفيك اذ لم تبغ حمد مذمتي * فتهرب من حمدي وتهرب من ذمي
 وأنساك نسيان القرون التي مضت * عليها اللبالي من جديس ومن طسم
 فان قبل لي أين الذي كان بينكم * رددت عليه أنه كان في الحلم

(جبر)

فان تك قد مللت الآن مني * فسوف ترى مجانتي وبعدى
 وسوف تلوم نفسك ان بقينا * وتبلاوا الناس والاخوان بعدى

فلا والله لا أنساك حتى * أوسد مضجعي وأزور لحدي

(ابن الرومي)

تخذتكمو حصنا منيعا تدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها
إذا كنتم لا تدفعون ملة * عن النفس كونوا لاعلمها ولا لها

(ابراهيم بن العباس رحمه الله تعالى)

وكنتم أخى يا أخى الزمان * فلما باصرت حربا عوانا
وكنتم أعداء للنائبات * فها أنا أطلب منك الأمانا
وكنتم أدم اليك الزمان * فها أنا أطلب فيك الزمانا
(وقال بعض الأمويين يعاتب عيسى بن موسى)

ان تكلمت لم يكن لكلامى * موقع والسكوت ليس بجدى
وأراني إذا تأملت أمرى * ناقص الحظ في دنوى وبعدى
فأبني كل هذا التواني * في جميع الإخوان أملى وحدى
أم ترى ما اصطنعت عند غيرى * واجبا أن أعدك عندى
قد لعمرى أبيت منك حياتى * ومحال أنى أرجيك بعدى

*(وينبغي) * للفظن اللبيب أن لا يوغل في عتاب الحبيب فانهم قالوا في كلام
بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالخشبة المنصوبة في الشمس
تقال فيزيد ظلها وتقرط في الأمالة فتسقط (وقالوا) الجواد إذا ضرب في غير
وقته بكاء والحسام إذا استكرم نبا (ولهذا) قال بعض الأعراب أقل الناس عقلا
من أقرطى اكتساب الإخوان وأقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم
(ويقال) قارب الإخوان فإن المقاربة أقرب الأنساب ولا تنقص عليهم
فإن التقصى أقطع الأشياء للأسباب (ويقال) بدقيق العتب على الاحباب
تنفروا حشبات الخواطر والالباب * وليعمل صاحب في مصاحبة أخيه
بقول القائل

صاف الصديق وأصفه صفوا صفا * واخص صديقك بالصدقة تخصص
أو بقول الآخر وهو أليق بحسن أخلاقه وكرمت أعرافه

خذ من صديقك مرأى غير مستمع * لا تعدون عيان المرء للخبر
ان كنت لا تصطنى ممن ترى أحدا * فأخلق لنفسك أخوانا على قدر

(وقالوا) كثرة العتاب تحيي مودات الضغائن وتثير كوامن الدفائن (شاعر)
 كثرة العتاب فقلت ان عاتبها * كان العتاب لوصلها استهلاكا
 ورجوت أن تبقى المودة بيننا * موقوفة فتركت ذالذا كما
 (وما أظرف من قال)

وأخ كلام الحياة أخاؤه * تلقون ألوانا على خطوبها
 اذا عبت منه خلة فسكرتها * دعتنى اليه خلة لأعيبها
 (وكتب) يزيد بن معاوية لسالم بن زياد قليل العتاب يؤكدا وأخى الاسباب
 وكثيره يقطع وصائل الانساب

لا تكثرن في كل حادثة * عتب الصديق فانه يهفو
 هب مشربا يصفو فهمه * أترى المشارب كلها تصفو
 (آخر)

لا يؤيسنك من صديقك نبوة * ينبو الفقى وهو الجواد الخضر
 فاذا نبا فاستبقه وثاقه * حتى ينى به الطباع الاكرم
 (آخر)

وأرى الصديق اذا استشاط تغيطا * فالغيط يخرج كامن الاحقاد
 ولربما كان التغيط باعشا * لتناول الآباء والا جداد
 (آخر)

كاف الخليل على الجليل بمثله * فاذا أساء فـ كافه بعتابه
 واذا عبت على امرئ أخيه * فتوق طائر رهيبه وسبابه
 وألن جناحك ما استلان مودة * وأجب دعاء اذا دعا بجوابه
 * (ومن) * ذوى الانفة من أطاع أمر عقله فكافأ المتكاف للهوى على فعله
 بمثله كقول الشاعر

اذا تاه الصديق عليك كبيرا * فتهـ كبرا على ذاك الصديق
 وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
 فاجباب الحقوق بغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق
 (آخر)

واذا الصديق نأى بجانب نفعه * وجماله صوب غمامه المتدفق
 وازور عنك بجاهه وجماله * وبشره وجنى ولم يتخلق

فأعده في الموتى فلا معنى له * وارحمي به الغرض البعيد وحلق
ان ظنني للنار منه شفاعا * يوم القيامة ساء ظن الاحق
(الكعبه)

واست اذا ولي الصديق بوته * بمكتتب أبكي عليه وأندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب
الا ان خير الودود تطوعت * به النفس لا وداق وهو متعب
(أبو العتاهية)

ما أنا الا كمن عناني * أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكت طرا * مكان من لا يرى مكاني
من ذا الذي يرضى الا قاصي * ان لم يزل خيره الا داني
(آخر)

ومن شمتني أني اذا المرء ملني * وأظهر اعراضا ومال الى الغدر
أطلت له فيما يحب عنانه * وتاركته في جس مس وفي سر
فان عاد في ودي رجعت لودته * وان لم يعد ألفت ذاك الى الحشر
(محمد بن حازم)

تبادي به المهاجران واستحسن الغدرا * والى يميننا لا يكلمني الدهرا
فوالله ما استسنت بعد مودة * صديقنا ولا أرهقت ذارلة عسرا
فان عاد في ودي رجعت لودته * والافاني لأحمره له اصرا
وان مال عني خائبنا فعدده * تسليت عنه واستعرت له صبرا
اعتدلتن أبدى العداوة مثلها * وأجزى على الاحسان واحدة عسرا
(سعيد)

أشكو الى الله حياء امرئ * ما كان بالجاني ولا بالملول
كان وصولا دائما هذه * خيرا لاخلاء الودود والوصول
ثم ثناء الدهر عن رأيه * فخال والدهر لقوم يحول
فان يعد أشكوله وده * وان يطل هجرا فاني حول
(آخر)

في سعة الارض وفي أهلها * مستبدل بالخل والجار

فن دنا منك فأهلا به * ومن تولى فالى النار

(ملح) * من مدح الاخلاء الاصفياء وصفات مودات الاصدقاء الاولياء
(مدح) صاحب بن عباد صديقه قال تصفحت أوطا والقلوب فلم أجد
أحسن من قربه وتأملت أشخاص الخطوب فلم أرى بأقطع من بعده محاسنه
أنوار لم تحجب بسجوف ومباسمه شمس لم تتصل بكسوف وألفاظه تذكرني
بالشباب وربعانه بل بافتان الصبا وقيانه (ومدح) اعرابي صديقه قال فقال
بجاسته غنية وصحبته سليمة ومواخاته كريمة هو كالمسك ان بعته ففق وان
تركته عبق (شاعر يصف أخاه)

أخواب وابن وأم شقيقة * تفرق في الاحباب ما هو جامع
سلوت به عن كل من كان قبله * وأذهلني عن كل ما هو تابعه
(آخر)

ولى صاحب أصفيه وذى وانه * لينصفني في وده ويزيد
أمنت صروف الدهر بيني وبينه * اذا دب بين الصاحبين حسود
(وصف المأمون) ثمامة بن أشرس فقال انه كان يتصرف في الخطوب تصرف
السحاب مع الجنوب (شاعر واقداً حسن في وصفه صديقه)
خل بلغت برأيه شرف العلا * وأخ غنيت به عن الاخوان
ومنى طلبت عليه طالب حاجة * كفلت يداه بدمتي وضمانى
(آخر)

موفق لسبيل الرشدين تبع * يزينه كل ما يأتى ويحتجب
له خلألق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب
(ومن كلام الثعالبي) يصف صديقه قال فلان كريم مل لباسه موفق مدد
أنفاسه ذوجاً كهو الجدة وهدى كحديقة الورد عشرته الطف من نسيم
الشمال على صفحات الماء الزلال والصق بالقلب من علائق الحب
فتى قد قد السيف ما ناه عوده * ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله
اذا جد عند الجد الهالك جدته * وذو باطل ان شئت الهالك باطله
(آخر)

أخلى لم يلد له أبى وأمى * تراه الدهر مغمو ما غمى

يشاطرني سروري في ابتهاجي * وبأخذ عندهم شطري
 يصبرني عيوي حين تبعدو * مخافة كاشع لهج بذي
 وبصفي الود منه أهل ودي * ويمنع من معاداتي وظلي
 وينقذ حكمه في كل مالي * كما في ماله يرضى بحكمي
 فلوأحد من المحذوري قدى * إذا فديته بدمي ولحي
 (آخر)

لصديق إذا نبأني صديق * نبوة الدهر كان خير صديق
 حقه واجب على مقيم * لا يؤدى وقد قضى لي حنوني
 صادق الود والاحاء وما كل صديق في وده بصديق
 فهو كالام في اللطافة والله * كالوالد الشقيق الرفيق
 والشقيق الوصول والبر ان كان * نبعيد امنى وفوق الشقيق
 قد جرى في مفاصل الحب منه * حيث لا يهتدى بجاري العروق
 خف ثقل على صديقي مذاص * سج دون الاخوان وهو صديق
 هو جاري ان جارد هروان عتيق زمان فخاله مـ سن عقوق

(الفصل الثاني من الباب الخامس عشر)

فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

(اعلم) ان أول ما ينبغى أن تبدأ به ما يجب من الادب على المجلس في مصاحبة
 الرئيس (فن) واجب أدبه أن الداخل على الرئيس أحد رجلين إما خصيص
 به أو اجنبي عنه فان كان اجنبياً فينبغي له اذا أذن له في الدخول اليه أن يقف
 حيث يراه وان يبدأ بالسلام اذا دخل عليه وينظر بعين الايكار اليه فان
 استدناه دنا وان أذن له في الجلوس فليجلس حيث انتهى به المجلس حتى
 يدينه ان أراد اكرامه فان في ذلك تجيلاً لقدره وتأثلاً لتحسين ذكره (قال)
 الاحنف بن قيس لان أدعى من بعد أحب الى من أن أبعد من قرب وان كان
 خصيصاً به من يجلس الى جانبه ويغشى اليه من سره ما يكتمه عن غيره فينبغي له
 وقت جلوسه ان يكون بينه وبين الرئيس فريجة لاحتال ان يجي من يجب عليه
 اكرامه ويرفع منزلته فيجلس في تلك الفريجة (ومن) أدب الرئيس قلة الخلاف
 والمعاملة بالانصاف وترك الجواب على فاحش الخطاب وستر العيب وحفظ

الغيب وان يحسن الحديث اذا حدثت ويحسن الاستماع اذا حدثت وليكن
حرمة مجلسه اذا غاب كحرمة اذا حضر (وقالوا) اذا كلمك رئيسك فاصغ اليه
بسمعك وأقبل عليه بوجهك ووكّل بشفتيه ناظريك وأشغل بمحدثه خاطرك
واسمعه سماع مستبشرة مستظرف له وان أحكمته علما واتقته فهما وأن
لا تفرط في الدلالة عليه فربما ساقط الانتقباض اليه (وفي) كلام بعض الحكماء
الاستماع بالعين فاذا رأيت عين من تحدّثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك
الى غيره (شاعري بن العباس)

اذا حدثوا لم يحسن سوء استماعهم * وان حدثوا أبداً وباحسن بيان

(وما أحسن قول من قال)

اذا ما سيد أدناك فاعلم * بان عليك عين الانتقاد
فكن عفاً للجوارح ذا حفاظ * فعين الانتقاد بالارقاد

(وقال العباس) لولده عبد الله ان هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من الصحابة وانى أوصيك
بخمسة خلل لا تفشين له سرا ولا تقنابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا
ولا تعصين له أمرا ولا تطلعنه منك على خيانة (وقالوا) من دخل على السلطان
فعليه بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتجميل القيام (ومن أدبه) أن يكون
مع رئيسه كما كان حارثة بن برد مع زياد (حكى) أن زياد اليه على استئثاره حارثة
ابن برد فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصكك
ركابه ركاكى ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنق اليه
ولا أخذ على الشمس في شتاء ولا الروح في صيف ولا سألته عن شئ من العلوم
الا حسبت أنه لا يحسن غيره (وقالوا) لا يقدر على صحبة الملوك الا من لا يستقل
ما جلوه به ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا انحطوا عليه ولا يطغى اذا
سلطوه ولا يطر اذا أكرموه ولا يلحف اذا سألهم (وقالوا) اصحب الملوك
بالحرمة والصديق بالتواضع والعدو بالهجة والعامة بحسن الخلق (وقالوا) من
استخف بالاخوان أفسد مراءته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن
استخف بالملوك أفسد دينه (وقال) عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن بن
وهب الحمصي مؤدب ولده بعد أن استخلصه وأنزله فوق منزلته يا عبد الرحمن

انى قد جعلت لك جليسا مقربا بعد ان كنت تابعا مبعدا ومن لم يعرف
 نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه لا تطرف في وجهي فانما أعلم
 بنفسى منك ولا تساعدنى على شئ يقع وان لم يجلبى الغضب فان مرة الرضا
 ترغبنى عنه فينقص عندي دينك بالمساعدة عليه وكن على التماس الحظ
 بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فقد قيل اذا أعجبك الصمت
 فتكلم ولا تردن على في محفل وكلنى بقدر ما استطعمك واعلم أن الاستماع
 أحسن من القول واذا حدثت حديثا فلا يقوتك منه شئ فان قلبه التفهم
 من القائل وضع له وأرنى فهمك في طرفك قرب طرف انطق من لسان
 (ويجب) على الرئيس في معاشره المجلس الاقتداء برسول الله صلى الله
 عليه وسلم في أدبه قال أنس بن مالك ما بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ركبته بين يدي جليس قط ولا جلس اليه أحد فقام من عنده حتى يكون
 الرجل هو الذى يقوم ولا صاحبه أحد قط فأخذه منه حتى يكون الرجل هو
 الذى يأخذه ولا رأيت قام مع أحد فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو
 الذى ينصرف وكان يكرم من يدخل اليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة
 التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم
 اليهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف
 من صلاته وسأله عن حاجته (وقال) سعيد بن العاص رضى الله عنه جلوسى
 على ثلاث اذا نادى حبت به واذا جلس وسعت له واذا حدثت أقبلت عليه
 (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث تثبت لك المحبة فى صدر أخيك
 ان تبدأ بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه (وقال) يحيى
 ابن خالد لولده جعفر يا بني اذا حدثك جليسا فأقبل عليه واصغ اليه ولا تقل قد
 سمعناه وان كنت احفظ له منه حتى كأنك لم تسمعه الا منه فان ذلك مما يكسبه
 المحبة والميل اليك ولا تسفد ما اذا جلس الى مؤانسيتك فقد حكى ان
 هشام بن عبد الملك كان يعتم فقام اليه سعيد بن الوليد المعروف بالابرش
 ليسوى عمامته فقال له ما انا لا اتخذ الاخوان خولا (وقام) عمر بن عبد العزيز
 وأصلح السراج بجلوساته فقال أحدهم ألا أمرتنى يا أمير المؤمنين فكنت
 أكفيك اصلاحه فقال ليس من المروءة أن يستخدم المرء جليسه قت وأنا عمر

ورجعت وأنا عمر

ومما يثنى عطف الصديق الى التألف
زيارته صديقه من غير انقطاع ولا تكاف

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاً نادى مناد أن
طبت وطاب عملك تبوأ من الجنة منزلاً * وأحسن ما يقال أمش ميلاً وعد
أخاً وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثاً وزر أخاً في الله (وقالوا) المودة
جسم روحها الزيارة (وقالوا) المحبة شجرة ثمرتها المقة وأصلها الزيارة (شاعر)
رأيت أخا الدنيا وإن بات آمناً * على سفر يسعى به وهو لا يدري
تساقطت الأعين بدأستفيدها * وزورة ذى ودأشده أزرى
(وعلى) * الزائر في الزيارة الأغنياء فإنه يؤمن من تجافي الأغنياء
* قال عليه الصلاة والسلام زر غنياً تزدحماً (وقالوا) ربما كان التقاى
في كثرة التلاقي * وما أحسن قول عبد المنعم بن غلبون المقرئ
عليك باغنياب الزيارة أنها * إذا كثرت كانت إلى العي تسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائماً * ويسأل بالأيدي إذا هوى أمسكا
(وقالوا) قل الزيادة أمان من الملالة (وقالوا) كثرة التعاهد سبب التبعاد
(شاعر)

زر قلباً لمن يودك غنيا * فدوام الوصال داعي الملل
(اعتذار من لم يزرك) * أنظر ما كتب في ذلك قول علي بن الجهم
أبلغ أخانا تولى الله صحته * أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مشواى مشواه
الله يعلم أنى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس بنفسه
(مكاتبات في استمداء الزيارة) * كتب بعضهم إلى صديق له طال العهد
بالاجتماع حتى كدنا تمنا كره عند التلاقي وقد جعلك الله للسرو ونظماً ما وللانس
نما فاطلع في فلك عيني شمسا وفي سماء قلبي بدراً فامضاء العزم بالحرأحرى
(وكتب سعيد بن حميد لبعض أصدقائه) قد طاعنى الكواكب تنظر بدورها
فرميتك في الطلوع قبل غروبها (شاعر)
ولما نزلنا من لاجله الهندى * أينقا وبستاننا من النور جاليا

أجذلنا طيب المكان وحسنه * متى فقمينا فكننت الامانيا
(آخر)

لو تفضلت بالهيء الينا * لقررنا بجرة العين عينا
(وكتب آخر) يومنا أعزله الله رقيق الحواشي لين النواحي ذو سماء قدر عدت
وبرقت وأنت موضع السرور وتظام العيش والحبور فاقبل الينا تنم
ولا تأخر عنا تندم وانك بطاعتنا تسعد وبمخالفتنا لا ترشد (كتب
بعضهم) الى صديق له يستزيره بآيات منها

والالف لا يصبر عن الفه * أكثر من يوم ويومين

وقد صبرنا عنكم جمعة * ما هكذا فعل الهجين

(وكتب) جريد بن مهران الى أبي أيوب الهاشمي يستدعيه

أقبلك الردي يا بديع الوري * ومن حل من هاشم في الذرى

ويفديك من وده في المغيب * اذا امتحن الودواهي العرى

وصالك يعدل صدق الرجا * وصفوا المدام وطيب الكرى

وقد تافت النفس من وامق * الى أن تراك فماذا ترى

(آخر)

جعلت فداك في رأسي خمار * وايس دواؤه الا العثار

وعندي من تحب فداك نفسي * وأقداح وأكواب تدار

فبادر غير ما مورس ريعا * فان بئس الموردة انتظار

* (ومن) * أطرف الاستدعا وان ما كتب به الرشيد هرون الى جعفر بن يحيى

سل عن الصارم ابن يحيى فجدد * راحلنا نحن ونا من النهروان

ليصون المدام مهدا ويغشى الشجر بين الاصوات والعيان

فأنتنا نصطبح ونلتذ جعلا * لثلاث بقين من شعبان

فقام اليه وقدم بين يديه رفعة مكتوب فيها

ان يومنا كتب فيه الى عب * ذلك يوم يسود كل زمان

يوم لهو كانه طلعة الكأ * من اذا قابلت خدود القيان

فاصطبح واغتبى فداك نفسي * من جميع الآلام والحدثنان

(آخر)

عندنا جدى رضيع • ودنين غير فارغ
 وطفه لي مليح • واغل في الكاس والغ
 وضرا ل من بنى الديش لم يحكى البدر بازغ
 ماله عندك عيب • غير أن ليس يبائع
 والزلال العذب مع بعثك ملح غير سائغ
 فحشم واركب الهم سلاح واحضرا لتراوغ
 (وكتب بعض المجان)

عندنا قدر فريك • ليس للقدور شريك
 ونبيذ في رطيل • وغلام مستقيل
 فتعالوا تغدى • ثم تشرب وتنك
 (وما أحسن) قول المعقد بن عباد يستدعي ندما من الزهراء الى قصره بقربة
 حسد القصر فيكم الزهراء • ولعمري وعمركم ما أساؤا
 قد طلعت بهاشموسا مباحا • فاطلعوا عندنا بدورا مساء
 (ولا آخر)

وماذا عليكم لو منتم بزورة • فأوجبتم فيها علينا القفلا
 فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا • فكونوا أناسا محسنون العمل
 • (اعتذار من لم يزر) • أبو اسحق الصابي

عراني عنك يا مولا • عذرا أيما عذر
 عصف الرياح مع مد • عظيم زاجر يجري
 فلم أقدم على الماء • ولم أجسر على الجسر
 ولم أجمع الى الآن • على ما مدم من عمري
 بريح حجت روحا • وبجر صدة عن بحر
 وهو مأخوذ من قول الحسن بن وهب وقد اعتذر عن تأخره عن زيارة محمد بن
 عبد الملك الزيات لمطر عاقه عن زيارته

أرجب العذرى تراخي اللقاء • ما توالى من هذه الأنواء
 لست أدري ماذا أذم وأشكو • من سماء تعوقني عن سماء
 غير أنني أدعو على تلك بالصحة • وأدعو لهذه بالبقاء

فسلام الله أهديه مني * كل يوم لسيد الوزراء
(كتب) بعض ظرفاء المحبين الى محبوبه يستدعيه لزيارته فلم يجبه بما أحب
كتبت اليك من شوقى بدمعى * وحرمة وجهك الحسن الجميل
لقد أمهرتنى وأطلت ليلي * وأضحكت العواذل من عوبلي
(فكان جوابه لما قرأه)

لقد أثقلت في عتب طويل * وقد أكرت من قال وقيل
فأما ما ذكرت فقد فهمنا * وليس الى الزيادة من سبيل
(ومن) * أحسن ما أوجبه الوداد واقتضى عبادة الاخ أخاه في حال المرض
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل
في حديقة الجنة حتى يرجع قبيل يارسول الله وما حديقة الجنة قال جناتها
(حكى) أن المسورين محزنة اعتل فجاء ابن عباس نصف النهار فقال له المسور
يا ابن عباس ان أحب الساعات الى ساعة أؤدى فيها حق الصديق (دخل
بعضهم) على محمود الوراق يعوده فأنشده
فان لك حسى الغب شغل وردها * فعقبك منها أن يطول لك العمر
وقينك لو يعطى الهوى فيك والمني * لكاتب بنا الشكوى وكان لك الاجر
(وكتب) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الى الحسن بن وهب يتوجع له من حصى
أصابته

يا حليف الندى ويا نوأأم الجو * دواخير من حبوت القريضا
ليت حالك لى وكان لك الاجر * رقتا تشكى وكنت المريضا
(وكتب) أبو الفتح بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمدا عتراه
عيناي أجمل من عينيك للرمد * فاسلم وقت الردى فى آخر الابد
من ضن عنك بعينيه ومهجته * فلا رأى الحسب فى مال ولا ولد
ويجب على اللطيف الطريف فى عبادة المريض الضعيف تخفيف السلام
وتقليل الكلام وتجميل القيام (ويقال) جلسة العبادة خلسة (وقالوا)
التخفيف خير عادة فى العبادة فان حاله كما قال عمرو بن العلاء وقد عادته
صديق فى مرض ألم به فابطأ عنده فقال له ما يبطئك قال أريد أن اسامرك
قال أنت معافى وأما مبتلى والغافصة لاتدعك تسهر والبلاء لا يدعى انام

والله أسأل أن يسوق لاهل العافية الشكر والى اهل البلاء الصبر (ومن آدابه) الاغياب فانه جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أغبوا في زيارة المريض واربعوا الا أن يكون مغلوبا (وحكى سلمة) قال دخلت على القراء أعوده فاطلت وألحقت في السؤال فقال لي ادن فدنوت فانشدني

حق العيادة يوم بعد يومين • ولحظة مثل لحظ العين بالعين
لا تبر من مريض في مسألة • يكفبك من ذل التسال بحرفين

(آخر)

أدب العيادة ان تكون مسلما • وتكون في اثر السلام مودعا
فاذا نظرت الى العليل فلا تسكن • متخشعا في اللحم أو متوجعا
بل كن اذا أبدى الحر المسكنا • منه وعند الخوف منه مشجعا
واحذر بان تنعى اليه ميتا • أو أن تذكره لميت مصرعا
واذا وجدت عليه اشفا فافقم • من غير أن ترى بذلك مسرعا
وتوق شر العائدين فشرهم • من كان منهم موهما ومرقا
(دخل) على بن ابراهيم العلوي المعروف بالاعرج على بن عيسى عائدا
فانشده

كم لوعة للندي عليك وكم • من قلق للمجود من قلقك
ألبسك الله ثوب عافية • في نومك المعترى وفي أرقك
ينزع من جسمك السقام كما • نزع من جيل الملام من عنقك

(آخر)

تلقيت السلامة من مريض • نوقى كل نائبة تنوب
فأنك ما اعتلت بل المعالي • وأنك ما مرضت بل القلوب

(آخر)

ولما اشتكيت اشتكى كل ما • على الارض واعتل شرق وغرب
لأنك قلب لهذا الزمان • وما صم جسم اذا اعتل قلب

(البسامي)

اذا ما صديقي تأوه واشتكى • خدمت سروري ما اشتكى ورفادي
وحرمت شرب الراح ما دام شاكا • ولم أخله من طار في ونلاذي

(اعتدار)

* (اعتذار من لم يعد) *

ان كنت في ترك العيادة تاركا * حظي فاني في الدعاء لمجاهد
فلربما ترك العيادة مشفق * واتى على غل الضمير الحاسد
(ولا آخر)

كملت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذججت طعم الرقاد
يا أحي الحافظ الاخوة والناس * زل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتقت من الاتين فوادى
(ولا آخر يعتذر بكونه لم يعلم)

دفع الله عنك نائمة السو * وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لمن العذر جائز مقبولا
ولعمري أن لو علمت لقاسمتك نصفا وكان ذلك قليلا
فاجعلني الى التعلق بالعذ * رسيلا لم أجعلني سبيلا
فقد بما ما جاد ذوالود بالود * وما سماح الخليل الخليلا
(الشريف أبو يعلى بن الهبارية)

العذر في ترك عيادة سيدي * اني له فيما اعتراه مقاسم
لا بل نصيبي منه فوق نصيبه * وعليه فيما أدعيه مياسم
فلئن تألم جسمه أفديه من * داء يخامرهم وقلبي يألم
وأنا أحق بأن أعادوا ناعما * يدعي نل خدمته العجم السالم
(حكى) محمد بن داود الظاهري في كتاب الزهرة أن الرشيد لما بلغه أن الفضل

ابن الربيع عليل كتب اليه معتذرا عن تأخره عن العيادة
أعز علي بان تكون عليلا * أو أن يكون بك السقام نزيلا
ولئن سئلت أجيب عنك بلوعة * اذ قيل أو عك أو أحسن غليلا
فوددت أني مالك لسلامتي * فأعبرها لك بكرة وأصيلا
هذا أخ لك يشتكي ما شتمكي * وكذا المحب اذا أحب خليل
(أنشدني) الشيخ الامام الفقيه المصنف أمين الدين محمد بن علي المهملّي النحوي
لنفسه يعتذر من تركه لعبادة بعض الرؤساء

ان جئت نلت يابك التشريفا * وان انقطعت فأوتر الخفيفا
فوحق حبي فيك قد ماتني * عوفيت أكره ان أرا الضعيفا
(ومما) * يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء (وقال)
عليه الصلاة والسلام تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور (وكان) صلى الله
عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها * وقال لواهدى الى كراع لقبلت
ولو دعيت الى كراع لأجبت * وقالت عائشة رضي الله عنها اللطفة عطفة
تزرع في القلوب المحبة والالفة (وفي الاثر) الهدية تجلب الى المودة القلب
والسبع والبصر (شاعر)

ان الهدية حلوة * كالسكر تجلب القلوبا
تدني البغيض من الهوى * حتى تصيره حبيبا
وتعيد مضطغن العدا * وفي تباعده قريبا
(ومن أمثالهم) اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجر (وقال الجاحظ)
ما استعطف السلطان ولا استرضى الغضبان ولا أزيث السخطام ولا استدفعت
المغارم بمثل الهدايا (وقالوا) في نذر المهادة طي المعادة (وقال) ضياء
الدين بن الاثير في رسالة يذكر فيها الهدية الهدية رسول يخاطب عن مرسله
بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان * وبهدية المرء يستدل على
عقله كما ذكر أن رجلا أهدى الى قتادة نعلا رقيقة فجعل الزعمان يرفنها بيده
ويقول يعرف قدر الرجل في نصف هديته اللهم الا أن يهدى شيئا خفيفا حقيرا
فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا كما فعل أبو العتاهية فإنه أهدى الى
الفضل بن الربيع نعلا وكتب لهما

نعلا بعثت بها لتلبسها * قدم تسير بها الى المجد
لو كان يحسن ان أثمرتها * جلدي جعلت شرا كما خدي
(وأهدى) الاخيطل الاهوازي الى ابن حجر في يوم نور رز طبقا فيه وردة ومهم
ودينار ودرهم وكتب معه

قل لابن حجر ذي السماح الخضر * لازلت كالورد نضير المبسم
وناظرا مثل نفاذ الامهم * في عز ديار ونجح درهم

(وقال)

وقال بعضهم) من امتنع من اهداء القليل لحالة قدر المهدى اليه انقطعت
سبل المودة بينه وبين اخوانه ولزمه الجفاء من حيث القس الاخاء (أبو العزايمية)
هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في القلوب هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جالا
(اخر)

ما من صديق وان عت صداقة * يوما بانجح في الحاجات من طبق
اذا تلثم بالنديل منطلقا * لم يخش نبوة يواب ولا غلق
لاتكذب فان الناس مذخلقوا * لرغبة بكرمون الناس أوفر
(وبالجملة) اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى وأحسن
واذا كانت من الكبير الى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجح
(أهدى) يعقوب الكندي الى بعض اخوانه سيفاً وكتب معه الحمد لله الذي
خصك بمنافع ما أهدى اليك فجعلك تهتز لمكارم اهتزاز الصارم وتحضي في
الامور مضاء المأثور وتصون عرضك بالارفاذ كما تصان السيوف في الاغمار
ويظهر دم الحياة في صفحة خذل المشروف كما يشف الرقيق في صفحات
السيوف وتفضل شرفك بالعطيات كما تنقل متون المشرفيات (واهدى
الصابي) دواء ومرفعا وكتب معهم ما قد خدمت مجلس مولانا بدواء يداوى بها
مرض عفانه ويروى بها قلوب عذانه على مرفع بوذن بدوام رفعة وارتفاع
النواب عن ساحته (وأهدى أيضا) الى بعض الاصحاب فرسا وكتب معه
قد قلت لك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بنواصيه
والاقبال غرة وجهه ونيل الاماني طلق شدة وفتح الفتوح غاية شاره وادراك
المطالب تحجيل قوائمه وسلامة العواقب منتهى عنانه والسلام
(من اهدى هدية حقيرة واعتذر عنها) * كتب بعضهم مع هدية حقيرة
قبول الهدية اكرامة * وحاشا لمن أن ترد الكرم
فان الملوك على قدرها * لتقبل نشابة أوقـمـ

(ابن التعاويذي)

هدية المرة تني عن مروأته * وعن حقارة مهديتها وخسته
وما يحط من المهدى اليه اذا * كانت محضرة عن قدر رتبته

فاغفر برجمة من خست هديته * وتلك منه على مقدار قدرته

(وكتب آخر مع هداية أهداها ليللا)

بعثت عشيا إلى سيد * بما هو من خلقه مقبوس

هدية خلّ صبح الاخاء * جرى منه ذكر كرجى النفس

فجدا بالقبول وأيقن بان * لقسط الحياء أمت في الغلس

(آخر)

يا أيها المولى الذى * عمت أياديه الجميلة

اقبل هدية من يرى * فى حقك الدنيا قليلة

(آخر)

قد بعثنا اليك أيدك الله بشئ فكن له ذا قبول

لا تقسه الى ندى كفك الغم * ولا نيلك الكثر الجليل

فاغفر رقلة الهدية منى * ان جهد المقل غير قليل

* (ومن) * طرائف الهدايا التي هي من أحسن ما يسطر في الصحف ويذكر

ما يروى أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فاهدى اليه وجوه الدولة

كل منهم بحسب حاله وقدرته فصنع بهض المتجملين العاجزين خريطين وملا

احداهما ملها مطيبا وملا الاخرى سعدا معطرا وكتب معهم اربعة فيها الوقت

الارادة لا سعت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت

السابقين الى خدمتك واتعبت المجتهدين في كرامتك لكن قعدت في القدرة

عن مساواة أهل النعمة وقصرت في الخدمة عن مباهاة أهل المكنة

وخشيت أن تطوى صحيفة البر وليس لي فيها ذكر فأنفذت المقتض بحينه

وبركته وهو الملم والختتم بطيبه ونظافته وهو السعد باسطا يد المезде صابرا

على ألم التقصير متجرا غصص الاقتصار على اليسير والقائم بعذرى في ذلك

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج

والخادم ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرتة والاحسان اليه

بالاعراض عن جراته والرأى اسمي ثم دخل دار يحيى ووضع الخريطين

والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغوا وغلا احداهما دانثروا الاخرى

دراهم (ومن الحكايات المستظرفة) ما يحكى أن بعض القيان اقتصدت فاهدى

لها محبوها هدايا فكان من جلهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففقت

سلة عنها فوجدتها ملوأة ما شا وفيها رقعة مكتوب فيها ما من خير من لا من
وقعت الاخرى فاذا هي ملوأة عصافير فطاروا وفيها رقعة مكتوب فيها هذه
أعنتها الوجه الله تعالى شكر الله على سلامتك من فصدك وقعت الاخرى
فاذا هي فارغة لا شيء فيها الا رقعة مكتوب فيها لو كان لاشي لا هديناه فضلك
من كان حاضرا ولم تدع القينة شيئا مما أهدى اليها الا أعطته منه

• (اعتذار من لم يهد شيئا) •

تألق في الهدية كل قوم • اليك غداة شريك للدواء
فلما أن همت بهم اسدلا • لموضع حرمق بك والانشاء
رأيت كثيرا أهدى قليلا • لديكم فاقصرت على الدواء
(آخر)

ان أهد نفسي فهو مال كها • ولها أصون كرائم الذخر
أو أهد ما لا فهو واهبه • وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكر افهو صرتن • بجميل فعلك آخر الدهر
(آخر)

وافق المهرجان حاشا لمنى • رفعة الحال وهي داء الكرام
فاقتصرنا على الدعاء وفيه • عون صدق على قضاء الزمام
(آخر)

هديتي تقصر عن همي • وهمي تفضل عن مالي
نخالص الود ومحض الولا • أحق ما يهديه أمثالي

• (ومن واجبات شيم الاسرار حفظ ما أودعوه من الاسرار) •

وكتمان السر مما يجب على الاخوان أن يأخذوا أنفسهم وروضوا به طباعهم
لما فيه من الفضل وقام الطبيعة والعقل (يحكى) أن رجلا أراد صعبة انسان
فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم عيت السر حتى كانه • اذا استنطقته عن حديثك جاهله
ويدي لكم حبا شديدا وهيبة • وللناس أشغال وجبك شاغله
فقال مثل هذا ينبغي أن يثا ط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر
والغيوب • وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات (وأسر رجل) الى صديقه

حدثنا فلان فرغ منه قال حفظته قال بل نسيت (وقيل) لعمر وبن ربيعة كيف
كتمانك للسرا قال اجعله عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بخروجه
خروجها * وقيل لا عرابي ما بلغ من حفظك للسرا قال أفرقه تحت شغاف قلبي
ثم لا أجمعه وأنساء كائن لم أسمعه (وقالوا) قلوب العقلاء حصون الاسرار
* وقالوا صدور الاحرار قبور الاسرار * شاعر

ولي سر اترفي الضمير طويتها * ينسى الضمير بانما في طيه
* وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسرا قال أكنم الخبر وأحلف للمستخبر
(وما) أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسرا في محاورة
جرت بينهما

لسر صديق بين جنبي معقل * مداه على المستبطنين طويل
إذا لحقت اذني به من لسانه * فليس عليها للعاض سبيل
(وكتب اليه أيضا)

وللسر من بين جنبي لا يمكن * خفي قصي عن مدارج أنفاسي
أضن به ضني موضع حفظه * فاجبه عن احساس غيري واحساس
كأن من قرط احتفاظي أضعته * فبعضي له واع وبعضي له ناسي
(آخر)

لا يكتم السر الامن له حسب * فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت محتوم
(مجنون لبلي)

ومستخبر عن سر لبلي رددته * بعمياء من الي بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها * وما أنا ان خبرتهم بأمين
(بروي) أن عليا رضي الله عنه قال لا يبالى الاسود الدؤلى أريد رجلا محمدا قال
يا أمير المؤمنين ألسنت كذلك قال بلى ولكن أريد رجلا استريح منك اليه
ومنه اليك وليكن كتوما للسرا فان الرجل اذا أنس بالرجل ألنى اليه بجره
وبجره وقال الشاعر

نصل الصديق اذا أراد وصالنا * ونعيد بعد صدودنا احيانا
لا مظهر عند القطيعة سره * بل حافظ من ذلما استرعانا

(آخر)

ان الكريم الذي تبنى مودته * ويحفظ السران صافي وان صرما
ليس الكريم الذي ان غاب صاحبه * بث الذي كان من اسراره علما
(سالم اليشكري)

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فليست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما حال عن حفظ وده * وعندي له مرمذ يعاله مرا
(ناقضه آخر فقال)

ولا أكنم الاسرار لكن أذيعها * ولا أترك الاسرار تغلق على قاي
فان سخن العـين من بات ليلة * تعلقه الاسرار جنبا الى جنب
(وما يفصم بين المتحابين عرا المحاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة) *
قال الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب
فذو القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد عن الملاصقة والصاحب
بالجنب الرفيق في السفر (وكان يقال) ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه
الصبر على الاذى * وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وان تؤمنه
من حسدك وشرك (وقال) جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد
وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك
لارحم له فله حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم لارحم له فله حق
الاسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم لم ذورحم له حق
الاسلام وحق الرحم وحق الجوار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ي
ذرياً أباً ذراً اذا طبخت اللحم فاكثر المرق وتعاهد جيرانك (وكان يقال) من نال
من جاره حرم بركة داره (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذى جاره ولا يخبى من قصده
(وكان) عبد الله بن أبي بكر بن عتق على أربعين داراً من جيرانه من سائر جهات
داره الأربع في كل سنة أربعين ألف دينار وكان يبعث اليهم الاضاحي
والكسوة في الاعياد والمواسم (واعطى) أبو الجهم العدوي في داره بالبصرة
مائة ألف درهم فقال لهم وبكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص قالوا وهل
رأيت جوار يشتري قط قال والله لا بعت داراً نجاور رجلاً ان غبت عنه سأل

عنى وحفظنى فى أهلى وان رآنى رجبى وقربنى وان سألته قضى حاجتى
وحبائى وان لم أسأل عنه عطف على وتبدانى والله لو أعطيت فيها ملائها
ذهبا ما اخترته عليه ولا نظرت اليه فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة ألف درهم
(وقال) جعفر بن أبى طالب لا يه يا أبة انى لا أسهى ان أطعم طعاما وجبرانى
لا يقدرن على مثله فقال له أبوه انى لا رجوان يكون فيك خلف من عبد
المطلب * وقال الحسن البصرى ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر
على الاذى (وقالوا) الاحسان الى الجار يعمر الديار ويزيد فى الاعمار * شاعر
انى لاحسد جاركم بجواركم * طوبى لمن أضحى لدارك جارا
بالت جارك باعنى من داره * شبرا فاعطيه بشبرا دارا
(وقال) بعض حكماء العجم حسن الجوار خير قرين وعلى استخلاص المودة خير
معين * مسكين الدارمى

نارى ونار الجار واحدة * فاليه قبلى ينزل القدر
ماض جار الى أجاوره * ان لا يكون لبابه ستر
أعنى اذا ما جارنى خرجت * حتى يوارى جسمه بالستر (آخر)
أجود وأرى حرمة الجار انى * كريم بمالى كل عرق مهذب
وأمنع جبرانى من الضيم والاذى * وأركب من اكرامهم كل مركب
(ومن النوادر المحكية فى اكرام الجار) * ما حكى أن يهوديا عطارا نزل
ببعض أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطرية فبات عندهم فاقوا شيخا
لهم لم يكن يقطع فى الحى أمر دونه فاعلموه بخبر اليهودى فجاء وغسله وكفنه
وتقدم وأقام الناس خافه وقال اللهم ان هذا لنا جار وله علينا ذمام فاذا
قضينا ذمامه وصار اليك فلك الخيار أن تفعل به ما هو له أهل أو تفعل به ما أنت
له أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة * شاعر

راع حقوق الجار فى كل ما * حذده الله وأوصى به
وزره فى العصة مستبشرا * وعده فى السقم وأوصاه
ولأنه ————— برك له حالة * تبدو كشهد القول وأوصاه

(وهذه طرف تكون لما ذكرناه ختاماً ولنفس المتأمل وقلبه شركاً وزماماً)
(فما يلزم الاصدقاً من غمزج الارواح امتزاج الصهباء بالماء القراح)

فيل لبعضهم صف لنا الصديق قال أنت هو وهو أنت الا انكما جسمان بينكما روح • وقيل لاسباط الشياطين صف لنا الاخوة وأوجز فقال أغصان تفرس في القلوب فتثمر على قدر العقول • وقيل لافلاطون ما معنى الصديق قال هو أنت الا أنه غيرك (وقيل) لبعضهم ما الاصدقاء قال نفس واحدة وأجساد متفرقة • وقال ابن المقفع الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح • وقيل لارسطوطاليس وقد سئل عن الصديق ما معناه فقال قلب تضمنه جسمان قطعه بعض الشعراء فقال

بنفسى أخلى في الامور مساعد • فلى وله جسمان والقلب واحد
اذا غاب عني لم أجده طم لذة • لان فؤادي شطره متباعد
(لا آخر)

بابي من هومي في الحشا • ليسه يوماعلى عيني مشى
روحه روحى وروحى روحه • ان يشأنت وان شئت يشا
(ولقد تتبعت) ما قاله الناس في الاتحاد فما رأيت ولا سمعت أحسن من قول
أبي الحسين الحلّاج في ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا • نحن روحان -لنا بدنا
نحن مذكنا على عهد الهوى • تضرب الامثال في الناس بنا
فاذا أبصرتنى أبصرته • واذا أبصرته قلت أنا
• (وله) •

جئت روحك من روحى كما • يجبل العنبر بالمسك العبق
فاذا مسك شئ مسنى • فاذا أنت أنا لا تفرق
• (وله) •

مزجت روحك من روحى كما • تمزج القهوة بالماء الزلال
فاذا مسك شئ مسنى • فاذا أنت أنا فى كل حال

وهذا غاية ما بلغه على وأدركه فهمى وتصرف الناس في حسن الاختيار
معدود من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب (وقد) أحسن الشريف
الرضي في قوله يخاطب أبا اسحق الصابي

أنت الكرى مؤثر طرفى وبعضهم * مثل القذى مانع طرفى من الوسن
لقد تمازج قلبانا كأنهم - ما * تراضعابدم الاحشاء لا الدين
(ويقال) كاتب صديقك كما تكاتب حميدك فان عذل الصداقة أرق من
عذل العلاقة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (ويقال) اذا كتبت
أخاك فليكن المداد من سواد الفؤاد والقرطاس من بيض الوداد فان
من كرمت خصاله وجب وصاله

(الفصل الثالث من الباب الخامس عشر) *

في ذم الثقل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

قال الله تعالى واد اطعمتم فاتشروا ولا مستأنسين لحديث قالت عائشة رضى
الله عنها هذه الآية نزلت في الثقلاء (وكان) أبو هريرة رضى الله عنه اذا
استنقل رجلا يقول اللهم اغفر له وارحمنا منه * وكان الاعشى واسمه سليمان
ابن مهران اذا رأى ثقيلًا قال ربنا اكشف عنا العذاب انامؤمنون (وروى)
عنه أنه قال من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء (وقيل له) لم عمشت عينك
قال من نظرى الى الثقلاء فاني ما رأيت ثقلا قط الا وأعمشت عيني * وكان
يقول اذا كان عن يسارك ثقل في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك * وكان
بعضهم اذا رأى ثقيلًا قال استراح العميان من النظر (وقيل) لا رسطوطا ليس
لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان الحمل تشترك الجوارح في حمله
والثقل يتقرد القلب بثقله * شاعر

ان الثقل وان يخفف جهده * كان الثقل على الفؤاد ثقيلًا

(وقال) بعض الملوك لطبيب جرس نضى فحسه وقال مزاج معتدل الا انى آرى
فيه تكدير افهل جالسك اليوم ثقل قال نعم فقال هذا من ذلك (وقال)
بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فان الفلاسفة قالوا بمجالسة الثقلاء حتى
الروح (وقيل) لمحمد بن زكريا الرازى أيما أمر الثقل المبرم او شرب الدواء
الكريه الرانحة المزلة الطعم فقال ليس ما أكسب الداء كما أعقب الشفاء ان
مجالسة الثقيل تجلب الاسقام وتحمل الاجسام وتورث الاحزان وتؤلم
الابدان وتهلك الاركان وشرب الدواء يجلو الاجسام ويحلل الاسقام
ويشهد الافهام ويدفع الاحزان وينشط الكسلان ويقوى الامكان

(وقال)

(وقال) ارسل اليك للاسكندر اياك ومجالسة الثقيل فان منهم اذبول الروح
وذبول العقل وموت الفزع (وقال الاصمعي) ستة يضمن وربما قتل
انتظار المائدة ودمدمة الخادم والسراج المظلم وبكاء الاطفال وخلاف
من تحب ورؤية الثقيل

• (وما اثار بطلانته كوامن البغضاء فكشفت عن مساويه ستورا الاعضاء) •
عاد الاغمس أبو حنيفة فقال له بعدما أبرم في جلوسه يا أبا محمد ما أشد شي مرتبك
في علمك قال جلوسك عندي قال ما تشتهي قال أشتهي أن لا أراك ولا أرى
أنه قال له يا أبا محمد لولا ما أخاف من التشقيل عليك لا يتك في كل وقت فقال
انك لتثقل علي وأنت في بيتك فكيف اذا جئتني (وقال رجل) لا يا العينا
ان الله لم يأخذ من عبدك بيمينه الا عوذه الله خيرا منهما فما الذي عوذك
قال أن لا أرى ثقيلًا مثلك (واعذر رجل) الى آخر في تقليل زيارته فقال
ما رأيت احسانا يعتذر منه الا هذا (صلى) امام يقوم فأعال فلما سلم لاه
بعض من صلى خلفه من الظرفاء فقال وانهم الكبرة الاعلى الخاشعين فقال
أنا رسول الخاشعين اليك بانك ثقيل فانهم لا يطيقون الصبر على احتمال بردك
(وقد) نظم أبو الحسن علي بن أبي الطيب الباخري أياتا بهم جوبها اماما ثقيلا
ويذكر ما وجد من جوره في تطويله مقبلا ذكرها في هذا الموضع لائق لما جفت
من المعنى البديع واللفظ الرائق

وأثقل روحا من عقاب عثقل • أخف دماغا من جنوب وشمال
يوم ينافي القطع قطع خبيسة • وأتم بصغر حظه السيل من عل
يطيل قباما في المقام كأنه • منارة قس راهب متبذل
ويغش في القرآن لحنا كأنما • بشد بامر اس الى صم جندل
فقلت له لما غطي بصابه • واردف أعجازا وناه بكل كل
وزاد برغى ركعة في صلاته • ألم يكن التسليم منك بأمثل
(دخل ثقيل) على صاحب بن عباد فاطال الجلوس وأبرم في المحادثة فكتب
الصاحب رقعة واعطاه اياها فقرأها فاذا فيها

ان كنت تزعم أن الدار ملكها • حتى تقوم نيب في غير هادارا
أو كنت تعلم أن الدار ملكها • فقم لكي تذهب الاشجان والعارا

(ولما) قدم محمد بن المكرم من الجبل قال له أبو العناء مالك لم تهذلنا شيئا فقال
والله ما جئت الا في خف قال كذبت لو قدمت في خف خلقت روحك يا عجا
من جسم كالحبال وروح كالجبال (وقال رجل) ليهن المغنين في مشابرة
جرت بينهم والله ما تعرف الثقل الاول ولا الثقل الثاني فقال كيف
لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك * ألم يهذاب بعض الشعراء فقال
ثقبلا براه الله وابن ثقبلة * أرى الثقل طبعاً في أيك وفيكا
أبوك امام الناس في الثقل كلهم * وأنت ولي العهد بعد أباك
(آخر)

يا من تبرمت الدنيا بطلعتنه * كما تبرمت الاجفان بالسهد
يمشي على الارض محتالاً فأحسبه * من بغض طلعتنه يمضي على كبدى
لوان في الناس جزاً من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقاً على أحد
(قصد) جاد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب فكتب اليه يسأله الدخول
عليه

هل لذي حاجة اليك سبيل * لانطيل الجلوس فيمن يطيل
فلما قرأ البيت أجابه
أنت يا صاحب الكتاب ثقل * وكثير من الثقل القليل
وقال محمد بن عرفة النحوي المعروف بنقطويه بهجوة ثقبلا
يا ثقبلا على القلوب اذا عنت فقدأ يقنت بطول السهاد
يا قذى في العيون ما بين الف * يا غريماً أنى على ميعاد
يا ركوداً في يوم غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فأنما كنت فينا * واوعروكم الحديث المزاد
(الناجم يذم ثقبلا)
يا قوة الناس وباضعف الامل * يا حيرة المماق أعينه الحيل
* يا زحل الدهر وصرخ الدول *

• (ومما استجدته من مذاام الثقلاء الشافية محاسنها أفهام العقلاء) •

قال بعض البلغاء محذراً من مجالسة الثقل اذا واثقه ثقبيل فأره من خلقت
التصرم ومن طبعك التبرم ولا توسعه ترجيباً ولا تحفل به تقريراً ولا تقبل

إليه بوجهك ولا تبخل عليه بنهجك وأوحشه عند استئناسه وتهجم له بين
جلالته وأبعده ما استطعت واقطعه فين قطعت فبعده راحة لنفسك
ومحلبة لانسك فانك إن أدنيتك إليك وأدلتك عليك ضني به جسدي وكبدك
وزاد به نكدك وكمدك (أبو بكر الخوارزمي) فلان أثقل من موت الخناق
وكأب الطلاق وفقد الحبيب وطلعة الرقيب وقدر اللباب في كف المريض
وأشد من خراج بلاغلة ودواء بلاغلة ورؤية الموت عند الكافر وقد ختم
أعماله بالكبائر فلان وخز في الأكباد وسقم في الأجساد * وصف العباس
ابن الأخنف ثقيلًا فقال والله ما الحمام مع الاصرار وكثرة الذنوب مع الاقتار
وشدة السقم في الاسفار بالآلم من اقائه (أبو نواس) الحسن بن هاني الحكمي
يذم ثقيلًا

ثقل بطل العنان أم * اذا سرته وغم أني ألم
لطلعت وخزة في الفؤاد * كوخر المشارط في المحجم
أقول له اذا أتى لأتني * ولا نقلته البنا قدم
فقدت خيالك لامن عني * وصوت كلامك لامن معي
(وصف) بعضهم ثقيلًا فقال لأدرى كيف لم تحمل الامانة أرض جلته
وكيف احتاجت الى الجبال بعدما أثقلته كأنما قربه فقد الحباب وسوء
العواقب وكأنما وصله عدم الحياة وموت الفجأة (شاعر)

يطول بقربك اليوم القصير * ويرحل ان مررت بنا السرور
لقاؤك للمبكر فآل سوء * ووجهك أربعا لا تدور

(آخر)

اذا ما تبسدى طالعا فكانته * حضور غريم أو طلوع رقيب
وان جاء فحوى قاصدا فكانته * كأب بعزل أو فراق حبيب

(آخر)

وثقل أشد من غصص المو * ت ومن كبده العذاب الالم
لوعصت ربها الخجيم لما كا * ن سواه عقوبة للجحيم
(حسام الدين البخاري)

خلق الناس من مني وهذا الولد النحس من رجيع أبيه

ففسلا فشا ثقيلًا مقبلا • ليس فيه خير لمن يرتجبه
لم يكن منهما نكاح ولكن • ففت فرجها فاحدث فيه
نهبًا لناطري واقلي • حرجا كلما نظرت اليه
(نادرة) دخل اعرابي على ثلاثة يشربون واغلا فقال أحدهم
أيها الداخل الذي جاء يطوي • حين لذا الحديث لي ولعصي
(فقال الثاني)

خف عنا فانت أثقل والله علينا من فرسخي دبركعب
(وقال الثالث)

ومن الناس من يحق وفيهم • كرحى البرزداء فوق قطب
(فقال الاعرابي)

است بالبارح العشية والله لستم ولا لشدّة ضرب
أوتيلوا بالكبر فوراعلينا • ثم تعلوا من فوق ذاك بقعب
فاستطرفوه وخططوهم

• (ومما يكون لنفس المتأمل قوتا ذم من كان بغیضا مقنونا) •

(سئل) جعفر الصادق رضي الله عنه هل يكون المؤمن بغیضا قال لا ولا يكون
ثقبلا (وذكر أنوشروان) أنه لما أراد أن يصير ولده هرمز ولي عهده استشار
أولياءه في ذلك فكل ذكر عيبا لا يستحق به الملك فن قائل لا يصلح للملك لانه
قصير وذلك مما يذهب بهاء الملك فقال أنوشروان محجباله انه لا يكاد يرى الا راكبا
أو جالساً على سرير فلا يبين عليه ذلك ومن قائل انه ابن رومية والملك اذا
كان ابن أمة نقصه ذلك من أعين الناس فقال أنوشروان محجباله ان الابناء
يتسببون الى الآباء ولا يتسببون الى الاتمهات فلا يضره ما قلت فقال
المؤيد ان فيه عيباً وهو أنه مبغض الى الناس فقال أنوشروان عند ذلك
هذا هو العيب الذي لا مدح معه ولا عذر عنه والدا الذي لا بر له فقد قيل ان
من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير للناس فلا خير فيه (وقالوا) فلان
أوحش من ربيع تحول سكانه وتحمل اطعانه وغارت نجومه وعفت رسومه
(وقالوا) فلان أقذى للعين من ساعة داعية بين بين المحبين • وقالوا فلان
لا تحبه الناس حتى تحب الارض الدم وذلك انها تعاف الدم فلا تقبله

• شاعر بهجوي بغضا

يا بغضا زاد في البغض على كل بغض

أنت عندي قدح اللب*لاب في كف المريض

(وقالوا) فلان ابغض من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى (وقالوا)
مجالسة البغضا تزيد الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب وتشد أزر
الكرب وتكدح في النشاط وتطوى بساط الانبساط

• (الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول)

• (الفصل الأول من هذا الباب)

في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافي الاجناس

(قال الله تعالى) حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فقررت منكم
لما خفتكم فوهد لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (وقال) عليه الصلاة
والسلام أحب العباد الى الله الاتقياء الاحقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا شهدوا لم يقرّبوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم (وقيل) لبعض العباد
ما أضر بك على الوحدة قال أنا جليس الرب اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه
واذا شئت أن أناجيه صليت له (وقال) ذو النون المصري الانس بالله نور
ساطع والانس بالخلق غم قاطع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال الجنيد)
للسرى السقطى أوصني فقال لا تكن مصاحبا للاشرار ولا تستغل باللهي
عن الاخبار (وفي) كتاب كليله ودمنة ينبغي لذى المروءة أن يكون اتماما مع الملوكة
مجيلا أو مع النساء متقبلا كالقبيل اما أن يكون مريكا نبلا أو في البرية مهيبا
جليلا (وقال) على رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم
أن الله أحب أن يؤنسه به (وقالوا) ما استغنى أحد بالله الا واقتقر الناس اليه
(وقال) بعض الحكماء الانس بالله من حبه لك فان الله اذا أحب عبدا أوحشه
من خلقه (وقد قيل) من خلق التوحيد حب الوحدة (وقال الجنيد) أطيب
ساعاتي خلواني وألذ طاعاتي في مناجاتي (ولله در من قال)

من حمد الناس ولم يلهم • ثم بلاهم ذم من محمد

وصار بالوحدة مستأنسا • بوحشه الاقرب والابعد

• (فما) • يكون عوناً للكريم على الانقطاع ذم ما الناس عليه من لؤم الطباع
(قال) سفيان الثوري للحسن البصري دلتني على من أجلس إليه قال تلك ضالة
لا توجد (وقيل لبعضهم) ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير
موجود • الناشئ

سمعا بالصديق ولا نراه • على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محالاً نعموه • على وجه المجاز من الكلام
(وقيل لبعضهم) من أبعد الناس سفراً قال من كان في طلب صديق صدوق
يكون عوناً له على مهماته وغوثاً على ملاته (سمع المامون) أبا العتاهية ينشد
واني محتاج الى ظل صاحب • يروق ويصفوان كدوت عليه
فقال خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب وقبل هذا البيت
عذيري من الاخوان لا من جفوته • صفالي ولا من كنت طوع عيديه
(وقال بعضهم) ان كان في مخالطة الناس خيراً فان تركهم اسلم (وقال)
بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك وبين الناس سور من حديد
فافعل وان كان الانس في الجماعة فان السلامة في العزلة (وقال الشاعر)
ليس في الناس وفاء • لا ولا في الناس خير
قد بلوت الناس طراً • فكسير وعوير

(آخر)

كن لقعير البيت جلوساً • وارض بالخلوة أنسا
واغرس الناس بارض الزهد همما شئت غرسا
وليكن بأسك دون الطمع الكاذب ترسا
لست بالواجد حراً • أوترد اليوم أمسا
(كتب بعضهم) الى صديق له أما بعد فاني أحدا لله الى الناس وأذم الناس
اليه (وقيل لبعضهم) ما تجد في الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة
من شرهم (وقال الشاعر)
وقالوا لقاء الناس أنس وراحة • ولو كنت أَرْضِي الناس ما عشت مفردا
(وكتب) محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه من مدينة السلام وكان أخوه
بخراسان يشكو اليه قلة وفاء الرئيس وتأذبه بحضرة الجليس فكتب اليه جواباً

طب عن الامة تقسا * وارضى بالوحدة أنسا
مارأينا أحدا سا * وى على الخبرة قلنا

(آخر)

قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا
صار أحلى الناس فى العين إذا ما ذيق مرأ
(أبو حامد الغزالي)

لا تجزعن لوحدة وتفرد * ومن التفرد فى زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم أخوة * الا التلق باللسان وباليد
فاذا كشفت ضمير ما بصدورهم * ابصرت ثم تقيع سم الاسود

(آخر)

إذا ما طلبت أخا مخلصا * فهيات منك الذى تطلب
فكن بانقرادك ذا غبطة * ففى زمانك من تصعب

(آخر)

بلوت الاناس وأهل الزمان * وكل بهجر ولوم خلى
وأوحشنى من عدوى الزمان * وآنسنى بالعدو الصديق

(آخر)

بلوت الناس من غرب وشرق * فلم تفر يدى بصديق صدق
فقلت عجائب للخلق طرا * بيت منادى قد حى وزقى
وفى الآداب الى ألف وأنس * وفضل الله يأتى برزقى

(آخر)

ما أعجب الناس فى تقلبهم * ذا شهد طعمه وذا صبر
ترضى على الشخص حين تبصره * ويسخط العقل حين يحتبر

(وقال) بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم منه * قول على
رضى الله عنه أخبر نقله (وقال المأمون) لولا أن كلام على تفرع من كلام النبوة
عكسته وقلت أقله تحبر (وقال) وهيب بن الورد محبت الناس منذ خمسين
سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أزاح لى علة ولا أقالى عثرة ولا ستر لى
عورة (وقال) على رضى الله عنه اذا كان الغدر طباعا قال ثقة بكل أحد عجز

(شاعر)

أما الوفاء فشيء قد سمعت به * وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم في الدنيا خائفة * فانه بشر لا يعرف البشر

(آخر)

ذهب الوفاء ذهاب أمس الزاهب * فالناس بين محاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا * وقلوبهم محشوة بعقارب

(آخر)

لأن الخير فاعلم ليس في الناس منصف * وكل وداد فهو منهم تكلف
وكل اذا عاهدته فهو ناقض * لعهدك أو واعدته فهو مخلف
وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يشق * به وجههم الا جهول مسوف

(آخر)

ذهب الوفاء فلا وفا * ولا حياء ولا مروءة
الا التواصل باللسا * ن من النفوس بلا أخوة

(عبد المحسن الصوري)

نزع الدهر خلتين من الناس * س وفاء الاخاء وصدق الصديق
(ويقال) العزلة عن الناس توفر العرض وتبقى الجلالة وتستتر الفاقة وتدفع
مؤنة المكافأة في الحقوق (لما) وقع الاختلاف في المدينة خرج عمرو بن الزبير
الى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض اخوانه فقال رأيت السنتهم لا غيبة
وقلوبهم لا غيبة وأديانهم واهية نفخت أن تلمقني معهم الداهية (شاعر)
الأم على التفرد كل وقت * ولي فيما ألام عليه عذر
وكل أذى فصور عليه * وليس على قرين السوء صبر

(آخر)

وأفردني عن الاخوان على * بهم فبقيت مهجورا والنواحي
فكم ذم لهم في جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح
(الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

اذالم أجد خلا تقيا فوحدني * ألدوا شهى من غوى أعاشره
وأجلس وحدي للسفاهة آمنا * أقر لعيني من جليس أحاذره

(وقال)

(وقال) جعفر الصادق العزلة أسكن للفؤاد وأبعد من الفساد وأعود للمعاد
(النعالي) إذا كان الصديق المجانس متعذرا وصحح الاخاء لا يكاد يرى فالتفة
بغير الله منقصمة العرى (وقالوا) إذا أنس اللبيب بالوحدة دون المصاحب
وزنه نفسه بآرامها عند تغير الاخ والصاحب وتزين بالدين وتجلي بجميلة
المؤمنين والزم نفسه الرياضة بالأداب وأعتق رقها من أليم العذاب فقد
استراح وأراح ووجد في كل قطر المطار والمراح (وأنشد) لعلي بن عبد العزيز
الجزائري

ما نطعمت لذة العيش حتى • صرت في وحدتي لكتبي جليسا
ليس شيء الذعندي من نفسي سى فلم أبتغى سواها أنيسا
انما الذل في مداخلة النسا • من فدعها وعش كريما ريسا
(وما أحسن قول بعضهم في المعنى)

إذا ما خلوت من المؤمنين • جعلت الموانس لي دقري
فلم أخل من شاعر محسن • ومن مضحك طيب مندر
ومن حكم بين أنسائها • فواند لناظر المفكر
فان ضاق صدرى بأسراره • وأودعته السر لم يظهر
فلمت أرى مؤثرا ما حيت • عليه ندبنا الى المحسر
(ولا آخر)

وما ظفرت بدي بصديق صدق • أخاف عليه الاخفت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا • أميل اليه الامت عنه
أنست بوحدي حتى لو اني • رأيت الانس لاستوحشت منه
(ابو فراس)

بمن يشق الانسان فيما يشوبه • ومن أين للحر الكريم صحاب
(ومما) اخترت من كلام الحكماء الاجلاء في التحذير من اتخاذ الاصدقاء
والاخلاء (قال بعض الزهاد) لو أن الدنيا ملئت سباعا ما خفتها ولوليتي واحد
من الناس لخفتها (وقالوا) استعن من شر الناس وكن من خيارهم على حذر
(وقال آخر) ما بقي في الناس الا حار راح أو كلب نابح أو أخ قاضح (وقال)
أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شول فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه (وقال سلمان)

الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فالآساد الملوك والذئاب
التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه (شاعر)
الناس أخلاقهم شتى وإن جبلوا * على تشابه أفراد وأزواج
(وقال) بعض الحكماء احذروا الناس فاركبوا سنام بغير الابدبر ولا تظهر
جواد الاعقروه ولا قلب مؤمن الا تخربوه (وقال) خالد بن صفوان الناس
أجياف فمنهم كالكلب لا تراه الدهر الا هراوا على الناس ومنهم كالقردي يضحك
من نفسه (وقال) عبد الحميد الكاتب الناس أجياف مختلفون وأطوار
متباينون فمنهم من علق مظنة لا تباع ومنهم من غل مظنة لا تبتاع (وقال)
جعفر الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم
وإن كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على
حذر (وقال) بعض البلغاء يلوث الناس طرافل أجد الامن يرى الحق باطلا
والباطل حقاً والاثم مرفوعاً والكريم ملقى والنصح غشاً والغش نصيحاً
والمدح هجاءاً والهجاء مدحاً (العتابي في مثل ذلك)

تساوى أهل دهر في المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح
ومار الناس كاهم غشاً * فما يرجون للامر النجيم
وأضحى الجود عندهم جنونا * فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يفضبون من الالهاجى * فصاروا يفضبون من المديح
(وقال حكيم) مصاحبة الناس خطر فمن صبر على صحبتهم فقد بالغ في العذراغا
هو كراكب بجران سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق (شاعر)
تجنب قرين السوء واصرم حباله * وإن لم تجده عنه محيصة فداره
ومن يطلب المعروف في غير أهله * تجده وراء البحر أو في قراره
(وصف) بعض البلغاء أهل زمانه فقال أحظى الناس لديهم من أحسن اليهم
فإن قصر عنهم رفضوه وابتغضوه ووتروه ولم يعذروه إن حضروا داهنوا
وإن غابوا شاحنوا ينطوون على الاحن ولا يرون للمحتن غنيهم شحيح
وفقيرهم مجيح إن رأوا خيراً دفنوه وإن ظنوا شراً أعلنوه الواثق منهم
على غرر والمتسلك بهم على خطر هم بين طاعن ثالب ومتقول كاذب
وحسود موارب إن اختبرتهم تكشفوا وإن اعتبرتهم تزيفوا وأنشد

ان يسمعوا الخبر يحقوه وان سمعوا * شرا اذ بيع وان لم يسمعوا كذبوا
(ولقد احسن في التحذير من قال)

ايك أن تصطفي ممن ترى أحدا * ولا تشق بامرئ في حالة أبدا
من عاش منفردا لم يأت به ندم * على اتخاذ صديق في الانام غدا
(ومما) * يكون محاثلا لهذا القول ومعادلا التحذير من محبة السلطان
وان كان عادلا (قال الامش) محبة السلطان خطر ان أقطعته خاطرت
بدينك وان أغضبته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه (وقال)
ابن مسعود ان الرجل ليس يدخل الى ذي سلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه
منه شيء (وقال) عبد الله بن عمر ما ازداد رجل من ذي سلطان قريبا الا ازداد
من الله بعدا (وقال) الفضيل بن عياض ~~كنا~~ تعلم اجتناب السلطان
كما تعلم السورة من القرآن * وقال أيضا لا تدنو الرجل الى حقه ومنته
خير له من أن يدنو الى ذي سلطان * وقال أيضا ما أقبح بالعالم أن يقال أين
هو فيقال هو في بيت الأمير وكتب أبو بكر بن عياش الى عبد الله بن المبارك
ان كان الفضيل بن موسى لا يجالس السلطان فأقرئه مني السلام (أبو الفتح
البيسي)

يا من يرى خدمة السلطان عقدته * ما أُرش ذلك الا الذل والندم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه غرض والدين مننم
هذا اذا شرفت ايام دولته * نعوذ بالله ان زلت به القدم
(وقال) زياد بن أبي سفيان يوما لجلسائه من أنعم الناس هيشا قالوا أمير
المؤمنين يعني معاوية قال فكيف بشغوره وأموره ان لأعواد المتبرهية
ولقرع لحام البريد لروعة قال فن قالوا فانت قال فكيف بجنودي وخارجي
ومداراة الناس قالوا فن اذا قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوى
اليها وخدام وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فانه ان عرفنا وعرفناه
أفسدنا آخرته وديناه (شاعر)

وصاحب السلطان في محنة * في آجل الامر وفي حينه
ان ساءه خاف على نفسه * أو سره خاف على دينه

(آخر)

ان الملوكة بلا حينما رحلوا * فلا يكن لك في أكلهم ظلم
 ماذا تريد قوم ان هم غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
 فان آيتهم تبغى نوالهم * رجعت منقبضاً من دينك الكل
 فاستغن بالله عن أبوابهم كرماء * ان الوقوف على أبوابهم ذل

(الفصل الثاني من الباب السادس عشر)
 فيما يحض على الاعتزال من ذم الخلاق والخلال

فأهم ما نبذ به منها ولا يمكننا الاعراض عنها ترفع من سوءته الاقدار منصبا
 أو مالا على صديق ما برح في وده يتغالى (قال بعضهم)
 تغير عني حين ولو من نصبا * وعهدى به من قبل ذا وهو صاحب
 وما هو في الدنيا بأول صاحب * وأول رجل غيرته المنصب
 (آخر)

ان الولاية معيار العقول بها * يبين من فيه نقص أو به عور
 فكلم أصمت جميعا كان ذا أذن * قبل التولى وأعت من له بصر
 (ويروي) عن محمد بن ادريس الشافعي أنه قال أظلم الناس لنفسه الشيم فانه
 اذا ارتفع جفاً قاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي
 الفضل (شاعر)

ليس الكريم الذي ان نال منزلة * فضلا وطولا على اخوانه تاها
 الحزيرداد للاخوان مكرمة * ان نال حظا من السلطان أوجاها
 (أبو بكر الخوارزمي)

كني حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الايدأله كبر
 فلانال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره يسر
 وما ذال الارغبسة في وصاله * والاحذرا أن يلم به العذر
 (ولبعضهم يعاتب صديقه ولي حين ولي)

ولما صرقت يد البالي * وحكمك الزمان على يديه
 عدلت عن الوداد وكنت قدما * ليدنا بتغبه وترقبه

(آخر)

دعوت الله أن تعلو محلا * علو السدر في أفق السماء
فما أن علوت علوت عني * فكان اذا على نفسي دعائي

(آخر)

ان الولاية غيرت أصحابنا * فلووا وجوههم عنا وتبدلوا
فاصبر على جور الليالي منهم * واترك عناهم الى أن يعزلوا

(آخر)

قل لعبيد الله ذاك الذي * قد غير السلطان أطباعه
ابتاع ودي وهو ذو عسرة * حتى اذا نال الغنى باعه

(آخر)

ورب ذي ثقة قد كان لي سكا * وكنت منه مكان العين في الراس
ولي وأعرض عني اذا فادغني * وخانه سوء بنيان وآساس
حتى اذا ما قضى من ماله وطرا * فيما أحب من اللذات والكاس
غدا الى بوجه ضاحك طلق * وعاد في وده من بعد افلاس

(آخر)

ناه علينا وزاد اطراقه * وجاتنا عهده وميثاقه
وكل من نال فوق رتبته * تغيرت للصدق أخلاقه

(وقال) عبد الصمد بن بابك يشكو صديقا مال حين اكتسب المال وخال
عند ما صلح منه الحال

أشكو اليك زمان ظل يعركني * عرك الاديم ومن يفدى من الزمن
وصاحب الست مغبوطا بصحبته * دهر افغاد رني فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها * نحو السرور والحنان الى الحزن
نأى بجانبه عني وصيرني * مع الاسى ودواعي البين في قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا في السر والعلن
وكان غالي به حيننا فأرخصه * بامن رأى صفو وبيع بالثمن
فليس في الارض مغبون بصفقه * ان لم يكن ذاك منسوب الى الغبن
كأنه كان مطويا على احن * ولم يكن من عيون الشعر أشدني
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(وقال آخر) يعاتب صديقه تغير عليه عند ما نظر الزمان بعين المقت اليه
 وكنت أخى أيام عودك يابس * فلما كسنى واخضر صرت مع النسر
 لعمرك لو ذوقتنى غم الغنى * أذقتك ما يرضيك من غم الشكر
 فلو نلت ما يغنى بك اليوم أو غدا * أنت لك ما يسقى الى آخر الدهر
 ألم تر أن الفقر يرحى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الكفر

(آخر)

ألم تر أن ثقات الرجال * اذا الدهر ساعدهم ساعدوا
 وان خانه دهره أسلوه * فلم يسبق منهم له واحد
 ولو علم الناس أن المريض * يـوتى لما عاده عائد

(آخر)

كم من صديق لنا أيام دولتنا * قد كان يمد حنا فصار يهجونا
 لم ندر اذا ما انقضت عنا امارتنا * من كان ينصح من كان يغويننا
 ما ان يلاطفنا من كان يصحبنا * الا ليخسب عنا عما يديننا

(آخر)

صديقك حين تستغنى كثير * ومالك عند فقره من صديق
 فلا تغضب على أحد اذا ما * طوى عنك المودة عند ضيق

(آخر)

أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم اليها
 وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن وجههم علينا
 ومنهم من يمنع ماله به * ويغضب حين تمنع مالهينا
 فان يك فعلهم سمجا وفعلى * قبيحا مثله فقد استورينا

*(ومما) * يدل على صغر الهمة والنفس التلون على الصديق المصاحب
 بالامس (قال) بعضهم لأن أبلى بألف جوح لجوح أحب الى من أن أبلى
 بمتلون (وقال آخر) اذا كان لك صديق فلا تمن له رفعة فيقدر ارتفاعه
 يكون انحطاطك من عينه * ولا تلتفت الى قول حبيب بن أوس الطائي
 ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فإنه بالرتبة يشمخ أنفه بعد الخسة والضعفة ويفرد صديقه
بالبؤس وإن كان من قبل شريكه وقسيمه في الدعة ويقابل إقباله في الزيارة
بالملافة ويعتمد معرفته له عنزة لا يرجي لها أقالمة فإن وقف يبابه بحبه وإن دخل
في غمار الناس ازدراه ومن تبرم به أعجبه وخذ بما قال الفقيه منصور بن
اسماعيل المقرئ

أذما رأيت امرأ في حال عشرته * بادى الصداقة ما في ودمه دخل
فلا تكن له حالا يسرتها * فإنه باتتقال الحال ينتقل
وكان منصوراً لم يقول بعض البلغاء لا تطلبن لأخيك رتبة هي أرفع من
رتبته التي هو مساوئك فيها فإنه ينتقل عنك في أحوال ثلاثة يكون صدقك
عند حاجته اليك ومعرفتك عند استغنائه عنك وعدوك حال احتياجك إليه
(وقال) بعض الأعراب يذكر صديقاً تلون عليه صفرت عياب الوديعي وبينه
بعد امتلائها وكفهرت سوائف وجوه المسرات وكانت نضرة بمائها فأدبر
ما كان بيني وبينه مقبلاً وأقبل ما كان مدبراً وصارت مودته متنة له كتنقل
الافياء واخوته متلونة كتلون الحرباء (وقال بعضهم) المتلون ان وذلك شيء
ملك عند انقضائه (ويقال) اياك ومن مودته على قدر حاجته اليك فعند ذهاب
الحاجة ذهاب المودة (وقال) بعض الأعراب لولده يا بني لا تصحب من إذا أبس
من خبرك مال إلى غيرك (وقالوا) إذا انقطع من صديقك رجاؤك فألحقه
بعدوك (وما أحسن قول بعضهم)

إذا نام الصديق عليك كبرا * فته زهداً على ذلك الصديق
وان سلك الغرام به طريقاً * فخذ عرضاً سوى ذلك الطريق
فأجباب الحقوق لغبر راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق
(ولبشار بن برد)

إذا كان ذواً فأخول من الهوى * موجهة في كل أوب ركائبه
فخل له وجه الفراق ولا تنكس * مطية رجال كثير مذهبهم
(الكميت بن زيد) ولقد أحسن في الالفة إذا عطس بأنف شامخ وأبان عن أنف
في الكرم راسخ من أبيات يقفخر
وما أبالنكس الذي ولا الذي * إذا صدعته ذوا مروءة يقرب

ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب
 ألا ان خير الودّ وتطوعت * به النفس لا وداًني وهو متعب
 (وقيل) لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما في حال الولاية فمكثير
 ثم أنشد

الناس اخوان من دامت لهم * والويل للحران زلت به القدم
 (آخر)

تلونت حتى لست أدري من العمى * أريج جنوب أنت أم ريح عاصف
 قريب بعيد جاهل متبصر * سخي بخيل مستقيم مخالف
 صدوق كذوب لست أدري خليله * أيقفوه من تلوينه أم يلاطف
 ولست بذى غش ولست بناصح * واني من عجبى لشأنك واقف
 كذلك لساني شاتم لك مادح * كما أن قلبي جاهل بك عارف
 (كتب بعضهم) الى صديق له تلون عليه أما بعد فقد عاقتني الشك في أمرك عن
 عزيزة الامر فيك لانك بدأتني بلطف من غير جراءة ثم أعقبته جفاء من غير
 جرعة فأطمعني أولك في اخالك وآيسني آخرك من وفائك فسيحان من لوشاء
 لكشف بإيضاح الرأي في أمرك عن ظلمة الشك فيك فأقناعني ائتلاف
 واقترقنا على اختلاف والسلام (وكتب آخر)

قل للذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غش يداحي
 اني لا أكثر مما شتمته عجبا * يدشع وأخرى منك توليني
 (ولما) نكب علي بن عيسى الوزير لم ينظر بياض أحد من أصحابه وآله واخوانه
 الذين كانوا ملازمين له في حال تصرفه واشتغاله فلما ردت اليه الوزارة اجتمعوا
 اليه وعطفوا عليه وجعل كل منهم يأخذ في السبق للقباه والنظر الى محياه
 حين رآهم كذلك أنشد

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوم ما به انقلبوا
 يعظمون أحوال الدنيا فان وثبت * عليه يوم ما بالاي شتهى وثبوا
 لا يحلبون لحى درّ لفته * حتى يكون لهم شطر الذي حلبوا
 * عادى الزمان بعض الوزراء فنظر بعين المقت اليه وقبض عنه المساريب
 القبض عليه ثم عاد فألبسه من الاقبال حلالاً جزه أذيالها وصرف لخدمته

بأزمة الانقياد فحمله أعباء المن وأثقالها فقال يعاتب من انقطع عنه
في حال خروله ويشعره بأن نجم سعدة طلع بعد أفوله

عاداني الدهر بعض شهر * فأعرض الناس ثم بانوا
بأيها المعرضون عفى * عودوا فقد عاود الزمان

• (ومن ذميمة فعلات الاخوان الخوان اغتيال من غاب من الاخوان) •

(قال الله تعالى) ولا يغتب بعضكم بعضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً
فكرهتموه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حرم من المسلم دينه
وعرضه وأن يظن به سوء (وقالوا) الاخ الصادق من أهدى إلى أخيه عيبه
وحفظه غيبه * وقالوا الغيبة جهد العاجز * وقالوا أياك وصحبة من إذا حضر
أثنى ومدح وإذا غاب عاب وقبح (وقالوا) اللئيم إذا غاب عاب وإذا حضر
اغتاب (وقالوا) الريبة عار والغيبة نار (ويقال) من عفا عن الريبة كف
من الغيبة (وقال العتابي) شر الاخوان من إذا وجد ما دامح وان وجد
فادحا قدح وان استودع سراً فضح * الشريف الرضي

إذا أنت فتشت القلوب وجدت بها * قلوب أعاد في جسوم أصادق

(ابن المعتز)

بلوت أخلاء هذا الزمان * وأقلت بالمجر منهم نصيبي

وكلهم ان تصفحتهم * صديق العيان عدو المغيب

(وقال) من أكل خبز بلعوم الناس لم يصب نفسه من الادناس * ومر عمرو
ابن العاص على جيفة ملقاة فقال لأصحابه والله لا يأكل أحدكم من هذه
حتى يمريه خير له من أن يأكل لحم أخيه (وكان) أبو الطيب الفراهيدي جوار
بنى ساسان فقال له نصر بن أجدان متى تأكل خبزك بلعوم الناس تفجأ ولم يعد
(وقيل) أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات مصرأ على الغيبة فهو أول
من يدخل النار ومن مات نائباً منها فهو آخر من يدخل الجنة (وقال) علي بن
الحسين لرجل أياك والغيبة فإنها أدام كلاب الناس (اغتاب) رجل رجلاً
عند مسلم بن قتيبة فقال له مه فلقد تلظت بمغصاة طالماء عافتها الكرام
* ويحكى عنه أنه ذكر عنده رجل فتكلم فيه بعض أهل المجلس فقال له مسلم
قد أوحشتنا من نفسك ومودتك ودلتنا على عورتك * وما أشد نصيح من قال

لا يكن لسانك رطباً يعيوب أصدقائك تزيدهم في أعدائك (أضاف) إبراهيم
ابن أدهم أناساً فلما قعدوا للطعام أخذوا في الغيبة فقال لهم إبراهيم ان من
قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكتم اللحم قبل الخبز (أبو تمام)
فبح الله صاحباً قطف الصم * به حرب المغيب سلم التلافي

(الصاحب بن عباد)

احذر الغيبة فهي الشفسق لا رخصة فيه

انما المفتاب كالا * كل من لحم أخيه

(الوزير المغربي)

أى شئ يكون أقبح مرأى * من صديق يكون ذا وجهين

من ورأى يكون مثل عدوى * واذا يلقى يقبل عيني

(ابن المعتز)

أخلى يعطيني الرضا في حضوره * ويمنعني بعض الرضا وهو بائن

اذا ما التقينا سررتني منه ظاهر * وان غاب عني ساءتني منه باطن

على غير ذنب غير أن مساويا * له علمتني كيف تأتى الحسن

(ولبعضهم - هجو)

صديقك لا يثنى عليك بطائل * فماذا به عنك العدو يقول

وحسبك من أوهم وخبت طوية * بانك عن عيب الصديق سؤل

(آخر)

يضاحكني فوه اذا ما لقيته * ويرشقني ان غبت عنه بأسهم

وكم من صديق وده في لسانه * وفي قلبه ان غبت صاب وعلقم

(آخر)

لى صاحب جعل المساوى دأبه * تصوير معناها وصيغة لفظها

فكانه ملك الشمال موكل * أبداً بكتب السياآت وحفظها

(آخر)

وما صاحبى عند الرخاء بصاحب * اذا لم يكن عند الامور الصعائب

اذا ما رأى وجهي فأهلاً ومرحباً * ويرى ورأى بالسهم القواضب

(آخر)

إذا انتقد الناس الكرام وأيتهم * يطنوا طنين الزيف في كف ناقد
(كثير عزة)

أنت في معشر إذا غبت عنهم * بدلوا كل ما بينك وبيننا
وإذا مارأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم الرجال علينا
(ولله در من قال)

شر السباع الضواري كونه وزرا * والناس شرهم مادونه وزر
كم معشر سلوا لم يؤذهم سبع * وما ترى بشرا لم يؤذه بشر
* (ومما يرغب الوحيد في انفراد حسد أهل الصفوة من وداده)

الحسد داء دوى وخلق ردى يدل على فساد الدين وقلة اليقين وما زال
صاحبه حليف هموم وأليف غموم وظالما في زى مظلوم وأى خير عند من
جبلت على الحق طباعه وحنيت على الغل أضلاعه وأمر بالأسـ تعادة
بالله من شره وحض على الاحتراس من ضره (قيل) لعبد الله بن عبدة كيف
لزمت البدو وترك قومك قال وهل بقي في الناس الا من اذا رأى نعمة بهت
واذا رأى عثرة شمت ثم أنشد

عين الحسود إليك الدهر ناظرة * تبدى المساوى والاحسان تحفیه
يلقا بالبشر يديه مكاشرة * والقلب ملتئم فيه الذى فيه
(وقال معاوية بن أبى سفيان) كل الناس قادر أن أرضيه الا حاسدا نعمة
لا يرضيه الا زوالها * وقالوا الحسد داء يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى
المحسود * نظم هذه الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس منى الرضا * الا الحسود فانه اعيانى
لا أن لى ذنبا اليه علمته * الا تظا هر نعمة الرحمن
يطوى على حسد حشاه لان يرى * من حال مالى أو لفضل يبانى
ما ان أرى يرضيه الا ذلتى * وذهاب أموالى وقطع اسانى
(ونظمه آخر فقال)

قل للذى بات محسودا على نعم * دع الحسود فقد قطعت قطعا
لو كنت تلك ما يريد منك لما * صنعت معه كعشار الذى صنعا
(وقال) بعض البلغاء الحسد شوم واعتباره لؤم يقضى الاشباح ويضنى

الارواح ويورث الارق ويحدث القلق ويكدر غدران رفاهة العيش
ويشعل نيران السفاهة والطيش وان الحسود مجروح في جلده متألم مظلوم
في برده ظالم معارض لله في مشيئته معترض عليه في قضيته يعيش محروما
ويبيت مغموما مدفوع في الدنيا الى الكرب والتلف وممنوع في العقبي
من القربي والرفق لا تعمل شعله القابس في الحطب اليابس ما يعمله
الحسد يجسد صاحبه وبدن راكبه يشرب دمه ويأكل لحمه ويمش
عظمه ويجعله معرضا للكروب ومبغضا الى القلوب فخير بالانسان أن
يفتر من الحسد فوق فراره من الاسد (وقالوا) أسديواتيك خير من حسود
يراقبك (وقال) بعض السلف اذا أود الله أن يسلط على عبده من لا يرجه سلط
عليه حاسدا بحسده (وقال اردشير) كل خلة رديئة فهي دون الحسد لان
الحاسد يسمى بن أحسن اليه ويتمنى الغوائل لمن أنعم عليه * أبو الطيب المتقي
يريدك الحساد ما الله دافع * وسمر العوالي والحديد المدرب

(وله)

وأظلم خلق الله من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

(وله)

سوى وجع الحساد داو فانه * اذا حل في قلب فليس يحول
فلا تظمن من حاسد في مودة * وان كنت تبديها لله وتهيل
(وقال ابن المعتز) الحاسد مغتاط على من لا ذنب له ويخجل بما لا يملكه ويطلب
ما لا يجده (وقال حكيم) الحسدي ينفق الحاسد ويدل على كمال المحسود
* وما أحسن قول المعاني بن زكريا النهرواني

الافل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في فعله * لانك لم ترض لي ما وهب
فجازا له عنه بأن زادني * وستعليك وجوه الطلب

(أبو فراس)

لمن جاهد الحساد أجز الجاهد * وأعجز ما حاولت ارضاء حاسد
ولم أر مثل اليوم أكثر حاسدا * كان قلوب الناس لي قلب واحد
(وقالوا) لا تندمل من الحسود جراحه حتى ينقص من الحسود جناحه

(وقالوا)

(وقالوا) حسب الحسود ما يلقى من صغرا الهمة في حزنه لسرور صاحب النعمة
(وقالوا) من عادات الاغنياء معاداة الاغنياء (وقال) عبد الله بن مسعود
لاتعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة الحسود
عدو نعمتي ومتسخط لقضائي غير راض بنعمتي * ولم أسمع بأحسد من حزة
ابن يص في قوله وقدم ربوا دملوا ابلا وشاء وزرعا ورعا

الزارعون وليس لي زرع بها * والخابون وليس لي ما أحلب
فلعل ذلك الزرع يؤذي أهله * ولعل ذلك الشاء يؤماتجرب
ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فحرب
قال المرزبانى صاحب الاتفاق فلم يكن الا أيام قلائل حتى أصابهم جميع
ما تمنى لهم (وأظرف من هذا) ما حكى أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا فقال
أحدهم لاحد صاحبيه ما بلغ من حسدك قال ما اشتيت ان أفعل بأحد خيرا
قط لئلا أرى أثر ذلك عليه فقال له أنت رجل صالح لكنى ما اشتيت أن يفعل
بأحد خيرا قط لئلا تشير الاصابع بالشكر اليه فقال الثالث ما في الارض
خير منكما لكنى ما اشتيت أن يفعل بي أحد خيرا قط قالوا لم قال لاني أحسد
نفسى على ذلك فقال له أنت ألا منا حسدا وأكثرنا حسدا (وقالوا) الحسود
عدو مهين لا يدرك وتره الا بالآفة * شاعر

اياك والحسد الذى هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود وان أرا له مودة * بالقول فهو لك العدو والمجهد
(وقال على رضى الله عنه) لله در الحسد ما عدله بدأ بصاحبه فقتله (وقيل)
للعنابي في مرض أصابه ما تشتهى قال اكباد الحساد وأعين الرقباء واللسن
الوشاة (وقال) بعضهم لولده اياك والحسد فانه يبين عليك ولا يبين على
عدوك (وكان) يقال الحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم
(ذم أبو بكر الخوارزمى حاسدا فقال) وأما فلان فمجنون من طينة الحسد
والمنافسة ومضروب في قالب الضيق والمناقشة يحصى من رزق الله مباحا
ويحترم ما ليس فيه جناحا ويتعجر من رحمة جأوا سعا ويغار على البحر
عن يسبح فيه وعلى البدر عن يستضيء به وعلى الشمس عن طلعت عليه

وعلى نسيم الهواء من وصل اليه لوملك السماء لنهاها عن الامطار ولو أطاعته
الارض لمنعها من تغذية النبات والاشجار ولو سخرت له الاشجار لحال بينها
وبين الانهار كان كل رغيغ يعطى من قوته وقوت عياله وكان كل درهم يتفق
من ماله ومال اطفاله على انه يبخل على نفسه بالهواء ويحاسب اعضاءه على
الغداء والعشاء * وقال شاعر

لامات حساد بل خلدوا * حتى يروا منك الذي يكمد
ولا خلا لاله من حاسد * فان خير الناس من يحسد
(ابونعام)

ان يحسدوني فاني لا ألومهم * قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اطولناهما بما يجسد
(وله)

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود
(والمشهور)

حسدوا القتي اذ لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرا الر الحسنا قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لا ميم
(ابن المعتز)

ومن عجب الايام بنى معاشر * غضاب على سبقي اذا أنا جاريت
يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم * كاني قاسمت الخطوط فأحظيت
(آخر)

اني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من كان يوما غير محسود
لا يحسد المرء الا من فضائله * يالعلم والحلم أو بالفضل والجود

* (ومما يؤمر الكريم باجتنابه جارسوه ملاصق بجنابه) *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
أعوذ بالله من جارسوه في دار مقامه فان البادي يتحول (وكان) عمر رضي الله
عنه يقول ثلاث كلهن فواقر صديق ان أسديت اليه عارفة لم يشكرها وان

سمع كلمة لم يغفرها وجار ان رأى حسنة أخفاها وان عثر على سيئة أفشاها
وامرأة ان أقت عندها آذنيك وان غبت عنها خاتك (وكان يقال) من جهد
البلاء جارسو معك في دارمقامة يلبس لك من البغضاء لامة لا يجمع فيه
عتب ولا يرعوى لامة (ومن دعاء الاعمش) اللهم اني أعوذ بك من جار تراني
عيناه وترعاني أذناه ان رأى خيرا دقنه وان سمع شرا أعلفه (وقال) لقمان
لابنه يا بني جلت الحجارة والحديد فلم أر شيئا أثقل من جارسو في دارمقامة
* شاعر وقد عرض داوره للبيع كراهة في جاره

الامن يشترى دارا برخص * كراهة بعض جيرانها تباع
(ولا آخر)

يلوموني ان بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جاوا هنالك ينقص
فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرانها تغلوا الديار وترخص
(وقال رجل) لسعيد بن العاص والله اني لا احبك قال ولم لا تحبني ولست
لي جبار ولا ابن عم (ويقال) في التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه
أقاربه وجيرانه (وقالوا) ألام الناس سعيد لا تسعده به جيرانه ولا تسلم
منه اخوانه (استعرض) أبو مسلم الخراساني فرسا أهدي له فقال لأصحابه
لم يصلح هذا فكل قال شيئا فبعضهم قال يصلح لان يتقى به العار بأخذ الوتر
والنار وآخر يقول يصلح لمنازلة الاقبال ومناضلة الابطال وآخر يقول
يصان عن أن يذال بالاحداق ليوم يحترقه قصب السباق فقال أبو مسلم
كلكم أخطأت اسمه الحفرة وزاف نقده عند الامتحان والخبرة فقالوا
ولماذا يصلح أيها الأمير فقال لمن يجتدي الهرب والفرار من جارسو بعد
بمساكنته السكون والفرار (وقيل) لابي الاسود الدؤلي لم بعت دارك
فقال ما بعت دارى وانما بعت جوارى (أنشدني) أفضل الاماثل وأنبل
الافاضل ذوالعلم والعلم واللسان والقلم انسان عين الاعيان وزين
أرباب البيان الأمير ناصر الدين حسن عرف بابن النقيب الكفائي انفسه يذم
جاراله

لي جار شخصه * اكسير أوصاف المعاييب
حسد الجيرة فيه * وعداوات الاقارب

لبنه لم يعنى * لم يكن عون النوائب

(الفصل الثالث من الباب السادس عشر)

فيما فحتم به الكتاب من دعاء ترجوا أن يسمع ويحجب

(قال الله تعالى) قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم * وقال تعالى وإذا سألك عبادى
عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان * وقال تعالى وقال ربكم
ادعونى أستجب لكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مع العبادة
* وقال عليه الصلاة والسلام استقبلوا أمواج البلاء بالدعاء * وقال عليه
الصلاة والسلام ان الدعاء يتقعر مما نزل ومما لم ينزل فعليك عباد الله بالدعاء
(ولما كان) الدعاء فى الفضيلة بهذه المثابة استحب لمن وضع كتابا أن يختم به كما
كابد أبى الحميد كتابه فاستخرت الله تعالى واتخبت من الادعية التى صدرت
عن صدور أهل الانابة وروت نفوس العباد منهل الاجابة وحذفت خوف
التطويل اسانيدها ليسهل على الراغب فيها أن يديها متى أحب ويعيدها
(وأشرف الاوقات) التى يتكفل النجح فيها باجابة الدعوات أوقات اختارها
الله لاداء ما افترض من الصلوات فإذا أراد امرؤ طلبته فليتضرع عقيب
صلواته وتلو مناجاته لله بالاستكانة والخضوع ليرجع من توجهه وعرف
القبول منه يضوع وليقل اللهم ارزقنى موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك
والغنية من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار
اللهم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا عيبا الا سترته ولا ضرا الا كشفته ولا سقما
الا شفىته ولا رزقا الا بسطته ولا خوفا الا امنته ولا سوا الا صرفته ولا حاجة
من حوائج الدنيا والاخرة لك فيها رضا ولى فيها صلاح الا قضيتها برحمتك
يا أرحم الراحمين (اللهم) انى أعوذ بك من دنيا تمنع خيرا والاخرة ومن عاجل يمنع
خيرا والاآجل ومن حياة تمنع خيرا والمات ومن أمل يمنع خيرا العمل وأسألك الظفر
والسلامة ودخول دار المقامة (اللهم) لا تحرمنى سعة مغفرتك وسبوغ نعمتك
وشمول عافيتك وجزيل عطائك ومنع مواهبك لسوء ما عندى ولا تخذلى بقمي
عملى ولا تسرف وجهك الكريم عنى (اللهم) لا تحرمنى وأنا أدعوك ولا تخيننى
وانا أرجوك (اللهم) انك تحوم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم
ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا محروما مقترعا على فى الرزق فاه

من أم الكتاب شقائي واقتار رزقي وأثبتني عندك سعيدا مرزوقا فأنك تمحو
 ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (اللهم) هذا مقام اللاتذنب بجانبك العائذ بك
 من النار يا فارح الهمم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا
 والآخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغني بها عن سواك (اللهم) اني أدعوك بما
 دعاك به عبدك ذوالنون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن تقدر عليه فنادى في
 الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبت له ونجيت له
 من ظلمات ثلاث ظلمة الخطيئة وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فانه دعاك وهو
 عبدك وسألك وهو عبدك وأنا سألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلي
 على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تستجيب لي كما استجبت له وأدعوك
 بما دعاك به عبدك أيوب اذ قال مسي الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له
 وكشفت ما به من ضرر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فانه دعاك
 وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا سألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن
 تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تفرج عني كما فرجت عنه
 وأن تستجيب لي كما استجبت له انك سميع الدعاء (اللهم) اني أعوذ بك من
 نفس لا تشع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع ودعاء لا يسمع وعين لا تدمع وصلاة
 لا ترفع (اللهم) اني أسألك في صلاتي وفي دعائي براءة تطهر بها قلبي وتؤمن
 بها روعي وتكشف بها كربى وتغفر بها ذنبي وتصلح بها أمري وتغني
 بها فقرى وتذهب بها ضررى وتفرج بها غمى وتسلم بها همى وتشفي بها
 سقمى وتقضى بها ديني وتجلو بها حزنى وتجمع بها شملى وتبيض بها وجهى
 واجعل ما عندك خيرا لى (اللهم) أصبح ظمى مستجيرا بعفوك وذنبى مستجيرا
 بعفرتك وخوفى مستجيرا بامانك وفقرى مستجيرا بغناك وضعفى مستجيرا
 بقوتك وذلى مستجيرا بعزك ووجهى القانى البالى مستجيرا بوجهك الدائم
 الباقي (اللهم) مقاب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ولا ترغ قلبي بعد
 اذ هديتني وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (اللهم) صل على سيدنا
 محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى فى حفظك وكلامك وودائعك التى لا تضيع
 واحفظنى من كل سوء ومن شر كل ذى شر واحرسنى من شر الشيطان الرجيم
 والسلطان المليم انك أشد بأسا وأشد تنكيلا (اللهم) ان كنت من لا بأسا

من بأسك أو نعمة من نعمك على أهل معصيتك يا تاهم نائمون أو ضحى
 وهم يلعبون فصل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلني وأهل
 في كنفك ومنعك وحرزك (اللهم) ان هذين الليل والنهار خلقان من خلقك
 فاعصمني فيهما بحولك وقوتك ولا ترهما مني جراءة على معصيتك ولا ركونا
 الى مخالفتك واجعل علي فيهما مقبولا وسعي مشكورا وسهلا لي ما أخاف
 عسره وصعب علي أمره واقض لي فيه ما بالحسنى وامني مكرك ولا تهتك عني
 سترك ولا تنسني ذكرك (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وآله وافتح مسامع
 قلبي لذكرك حتى أعى وحيك وأتبع كتابك وأصدق رسلك وأومن بوعدك
 وأخاف وعيدك وأوفي بعهدي وأخذ بأمرك ولا اجترئ على نهيك (اللهم)
 اني استودعك نفسي وديني ومالي وأهلي وكل نعمة أنعمت بها علي فاجعلني
 اللهم في كنفك وأمنك وكفايتك وكلامتك وحفظك ورعايتك ووديعتك
 يا من لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله ولا يتقدماعنده (اللهم) اني أدرأبك
 في نحو أعدائي وكيد من كادني وبغى علي (اللهم) اني أسألك رحمة من عندك
 تهدي بها قلبي وتجمع بها شتات أمري وتلم بها شعئي وتحفظ بها غائبي وتصلح
 بها شأهدي وترزقني بها علي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء
 (اللهم) وما قصرت عنه مسئلتني ولم تبلغه أمني من خير وعنده أحد امن
 خلقك فاني أربغ اليك فيه (اللهم) يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين
 ويا أسرع الحاسبين أغني بالعلم وزني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجلني
 بالعافية (اللهم) اني أسألك حسن الظن بك والصدق في التوكل عليك
 وأعوذ بك أن تبليني بيلة تخملني ضروريها علي العيب بعاصيك وأعوذ بك
 أن أقول قولا حقا من طاعتك ألتمس به سواك وأعوذ بك أن تجعلني عبدة
 لغيري وأعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما آتيتني مني وأعوذ بك أن أتكلف
 طلب ما لم تقسمه لي وما قسمت لي من قسم أو رزقتني من رزق فأنتي به في يسر
 وعافية خلا لا طيبا وأعوذ بك من كل شيء يزعجني عن بابك ويساعد بيني وبينك
 أو ينقص حظي عندك أو يصرف وجهك الكريم عني (اللهم) دعالك الداعون
 ودعوتك وسالك السائلون وسألتك وطلبك الطالبون وطلبتك (اللهم) أنت
 الثقة والرجاء واليك منتهى الرغبة والدعاء والسدة والرخاء (اللهم) وصل وسلم

على سيدنا محمد وآله واجعل اليقين في قلبي والنور في بصري والنصيحة في
 صدري وذكرك على لساني (اللهم) أنت العاصم والممانع والوافي الدائع
 من كل سوء أسألك الرفاهية في معيشتي بما أقوى به على طاعتك وأبلغ به
 رضوانك وأصير به منك إلى دار السلام غدا (اللهم) لا ترزقني رزقا يطغيني
 ولا يبتليني بفقر يضني وأعطني في الآخرة حظا وافرا وفي الدنيا معاشا واهبا
 (اللهم) اليك مددت يدي وفيما عندك عظمت رغبتي فأقبل توبتي واوحم
 ضعف قوتي واغفر خطيئتي واجعل لي في كل خير نصيبا وإلى كل بر سبيلا
 (اللهم) اغفر لي كل ما سلف من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري واردد علي
 أسباب طاعتك واستعملني بها واصرف عني أسباب معصيتك وحل بيني
 وبينها (اللهم) أنت متعالى الشأن عظيم الجبروت شديد المحال ذو الكبرياء
 قادر قاهر قريب الرحمة سامع الصوت صادق الوعد وفي العهد مجيب
 المضطر قابل التوب محصن لما خلقت تدرك ما طلبت شكوران شكرت
 ذاكران ذكرت أسألك يا الهى محتاجا وأرغب اليك فقيرا والجا اليك
 خائفا وأرجو لك ناصرا اللهم ضعفت فلا قوة لي اللهم جئتكم مسرفا على
 نفسي مقربا بسوء عملي (اللهم) خلقتني وأمرتني ونهيتني ورغبتني في ثواب
 ما به أمرتني ورهبتني عقاب ما عنده نهيتني وجعلت لي عدوا يكيدني
 وسلطته علي فأسكنته صدري وأجرته مجرى الدم مني لا يفقل ان غفلت
 ولا ينسى ان نسيت يؤمنني عقابك ويخوفني غيرك ان همت بفاحشة
 شجعني وان اردت صلاحا تبطني ينصب لي حبات الشهوات ان وعدني
 كذبتني وان اتعت هواه أضلني ان لم تصرف عني كيده يسترنني وان لم تفلتنني
 من حباته يصدني وان لم تعصمني منه يضلني اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
 وعلى آل سيدنا محمد واقهر سلطانة عنى بساطتك عليه فأفوز مع المعصومين
 منه (اللهم) لا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما أعطيت
 ولا معطي لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا مقدم
 لما أخرت ولا مؤخر لما قدمت (اللهم) أنت العليم فلا يجهل وأنت الخليم فلا
 يجهل وأنت الكريم فلا يبخل وأنت العزيز فلا يذل وأنت المنيع فلا يرام
 وأنت المحيى فلا يضر ما غفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت

وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وبالاجابة
جذر لا اله الا انت

(قال المقيّد) لشوارد نوائد ما ذكر من الاضداد والمؤلف من غرائبها بين
الاشياء والالداد وعند ماتم كتابا واثق قمر محاسنه بعد السرار وكلا سنا
حسنه يعلق بالبصائر دون الابصار وتفجرت من خلال سطوره ينابيع الحكم
وهم غنا بها أن يفهم فيمن عباكم وسفرت الفاظه عن معان كآحسن
ما ينشئ عنه الكائن وقامت نقشات بدائع لصريع الهموم مقام الرقي
والتمائم تقاضاني بوعدى ايام عند ابتدائه بأن أطلعه باهر العقول أوليائه
وأعدائه فاستخرت الله تعالى الكريم وأمسكت من عنان القلم في مضمار
الاطناب وقصرت خطوه لعلني أن السائمة مقرونة بالا كشار والاسهاب
وجلوته في حلل فنونه وفاء بعهدده وانجازا لما سبق من وعده ما دام من
صحاته أكتفى بسئل بها التغديق عن سوء التلقين ويدرأ بها شبهات من يرى
أن يسه زمام التوفيق فهو يتصرف به على حكم اختياره ومراده ويبلغ
غاية أمله بجماد سعيه واجتهاده والى الله ابرأ من الحول والقوة وأسأله
أن يرحمني عن الوقوع في هذه الهوة وأن يجعل هذا الكتاب للنفوس
بمحب وبروق ويجريه بالمحبة مجرى الدم في العروق وان يدخلني جنات يجل
وصفها وتقوى انه من راجيه قريب ولدا عنه سميع مجيب آمين

يقول المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى محمد
الصباغ معصم دار الطباعة السنية التي بيولا في مصر المعزية

كال التحل بغير الخصائص الواضحة والتخلي عن عرر المقائص الفاضحة
بحمد الله الذي وفق لهداه من اصطفاه من عباده وأولاده والصلاة والسلام
على النبي الختام المخصوص بأشرف السجاي والمتميز بأعظم العطايا وعلى آله
أولى القضايل وأصحابه الذين لهم أحسن الشعائل (وبعد) فقد تم طبع هذا
الكتاب القائق ذي المورد العذب والمنهل الرائق الموسوم بغير الخصائص

الواضحة وعرر النقائص الفاضحة انفراد في حسن ترتيبه ولطف عبارته
وتهذيبه جمع فابعد ونقل فامتع ظهر فضله وعزم مثله أشرق شمسها وسما
اسمه حبذا السمر والانيس والنديم والجليس وآلات الطرب وأطواق
الذهب تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحارها
وانسجم بالخير أمطاره وغنت أطياره فحق له لطف الطبع وشرف الوضع
بدار الطباعة العامرة بيولاق مصر القاهرة التي أنقذت الكتب من
أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصفيف وكسرتها من البهاء أحسن حلته بهية
ومن الجمال أبهج حلته عليّة وهو من المحاسن التي انتظمت في سلك الوجود
وعاد نفعها على كل موجود في أيام ابستم نفعها عن العدل وأفاضت على
الانام جزيل الفضل في ظل صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من
جبلت على حبه القلوب فذت أكف الدعاء لعلام الغيوب أن يديم له النصر
والتعزيز خديومه العزيز بن العزيز بن العزيز سعادة أفندينا المهروس
بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الدنيا مشرقة بكوكب
سعدته حاملة لرايات مجده ناطقة بالثناء على الاشبال غرة جبين الايام واللبال
ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد
في تدبير نضارها صاحب الهمة العلية والمعارف البهية من لا تزال عليه
اخلاقه باللطف تنفي حضرة حسين بك حسني لازال موقفا للخيرات مسدينا
لانواع المبرات ثم ان التصحيح بعد التقيج بمعرفة الفقير الى الله تعالى محمد

الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم أسباغ واسفر بدر القمام

وقاح مسك الختام في العشر الثاني من الشهر

المعظم بولادة النبي صلى الله عليه وسلم

١٢٨٤ هـ من الهجرة النبوية على

صاحبها افضل التحية

وعلى آله الكرام

وصحبه

القمام